

# سارح الآداب العربية

من الجاهلية حتى عصر بني أمية

نص المحاضرات التي ألقاها بالجامعة المصرية

في سنة ١٩١٠ - ١٩١١

المرحوم الأستاذ

كارلوتا لينو

تقديم

الدكتور طه حسين



دار المعارف بمصر



# نارنج الآداب العربية



# تاريخ الآداب العربية

من الجاهلية حتى عصر بني أمية

نص

المحاضرات التي ألقاها بالجامعة المصرية في سنة ١٩١٠ - ١٩١١

المرحوم الأستاذ

كارلوناينو

اعتنت بنشرها مريم نالينو

تقديم

الدكتور طه حسين

الطبعة الثانية



دار المغارف بمصر



## تقديم

هذا كتاب في تاريخ الأدب العربي . قرأته كما تعودت أن أقرأ أمثاله من الكتب التي تعرض للأدب العربي وغيره من الآداب الأخرى . ولكني لم أقرأه بعقلي وحده ، كما تعودت أن أقرأ كتب التاريخ الأدبي ، وإنما قرأته بعقلي وقلمي وشعوري وبهذه العواطف الكثيرة المختلفة التي تثور في نفس الشيوخ حين يستحضرون أطرافاً من حياتهم في عصر من عصور شبابهم الأول . عواطف هذا الحنين إلى شيء لا سبيل إليه أو إلى أشياء لا سبيل إليها . وعواطف هذا الحب لما لا سبيل إلى بلوغه ولا مطمع في تحقيقه . وعواطف هذا الحزن على هذا الحرمان الذي لا سبيل إلى استدراكه ولا إلى اتقاء ما يثيره في النفس من المضض واللوعة والأسى .

ثم عواطف الأنس بتلك الآمال العذاب التي طالما تعلقت بها النفس واثقة مطمئنة ، والتي صدقت ولم تكذب وتحققت ولم تخب ، فلأدت القلب غبطة وبهجة وسروراً ، وأعانت على العمل والجد والكد والنشاط ، وأتاحت لكثير من المني أن تتحقق ثم انقضت وانقضت أيامها ، فأصبحت وكأنها حلم رائع رائق مضى مع تلك الليلة الجميلة التي أثارته وأثارت الرضى به ، ثم مضت إلى غير رجعة ومضى معها حلمها ذلك السعيد .

نعم هذا كتاب يتجه إلى العقل لأنه يؤرخ عصراً من عصور الشعر العربي القديم . ولكنه بالقياس إلى وإلى نفر من رفاقي في ذلك الجيل الذي مضى ، يتجه إلى القلب أيضاً لأنه قطعة من شبابنا ، ولأنه يصور لنا لوناً من ألوان تلك الحياة التي كنا نحياها في أول هذا القرن ، والتي لا يحياها الشباب الآن بعد أن تغيرت الحياة المصرية وذهبت معالم تلك الحياة القريبة البعيدة ، وأصبحنا لا نستطيع أن نستحضرها إلا بالذكرى حيناً تتيح لنا الحياة الحاضرة وأعمالها وأثقالها أن نخلو

إلى نفوسنا ونفرغ لذكرياتنا . وما أقل ما تتاح لنا الخلوّة إلى النفوس وما أندر ما يتاح لنا هذا الفراغ إلى اللكريات .

نعم ! وهذا الكتاب لا يتجه إلى هذه الناحية وحدها من نواحي قلوبنا وحياتنا في أول الشباب ، وإنما يتجه إلى ناحية أخرى هي ناحية الحب الرفيع النقي الكريم الذى لا تشوبه نقيصة ولا تتعلق به آفة من هذه الآفات التى تتعاقب بحسب الإنسان للإنسان ، فتفسده أو تشيع فيه ما يحزن ويسوء . ذلك هو حب الشباب الطامع الطامع المتطلع للأستاذ الذى يرضى الطموح والطمع والتطلع ، ويخرج النفوس عن أطوارها ويرفعها إلى حيث تستطيع نفوس الشباب أن ترتقى إليه من منازل الإكبار والإعجاب والثقة والاتصال بالمثل العليا ، لا يصدها عن ذلك صداد ، ولا يردها عنه راد ، ولا يحول بينها وبينه حائل من تلك المعوقات التى تملأ حياة الشباب على اختلافها وتباين أشكالها وألوانها .

هذا كتاب فى تاريخ الأدب العربى سمعناه فى أول شبابنا فى تلك الجامعة المصرية القديمة من أستاذنا الإيطالى العظيم « كارلو نالينو » منذ أربعة وأربعين عاماً .

فى ذلك الوقت كنت طالباً فى الأزهر أقيم فى ذلك الحى الذى وصفته فى كتاب الأيام ، والذى زرته منذ حين لأحدث به عهداً ، ولأظهر عليه صديقاً لى من أساتذة « مدريد » ترجم كتاب الأيام وشاقه هذا الحى فأراد أن يراه . فلم نكد نلم به حين ارتفع الضحى من ذلك اليوم حتى رأيت هذين البيتين يترددان فى نفسى :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد  
وقفت فيها أصيلاً لا أسائلها أعيت جواباً وما بالربع من أحد

نعم ! أشهد لقد أقوت ولقد طال عليها سالف الأمد ، ولقد سألتها فلم تجب ولم أجد فيها أحداً يستطيع أن يجيب . وما أذهب فى هذا مذهب المجاز وإنما هو مذهب الحق الذى يستطيع الناس جميعاً أن يروه إذا ذهبوا إلى هذا الحى ورأوا فيه تلك الأطلال التى عبث بها الزمان ، وأهملها الإنسان ونحى بينها وبين البلى والحراب .



كنت أعيش في ذلك الحى أخرج منه مصباحاً إلى الأزهر فأسمع فيه دروس الأدب من الأستاذ العظيم السيد على المرصني ، وأخرج منه مع المساء إلى الجامعة المصرية فأسمع فيها دروس الأدب من الأستاذ العظيم « كارلو نالينو » . وكانت دروس الأدب تلك التي كنت أسمعها في الأزهر حين يرتفع الضحى تردني إلى حياة الطلاب القدماء الذين كانوا يختلفون إلى العلماء في مساجد البصرة والكوفة وبغداد . وكانت دروس الأدب التي كنت أسمعها في الجامعة حين يقبل المساء تدفعني إلى حياة الطلاب الذين يختلفون إلى الجامعات في روما وباريس وغيرهما من المدن الجامعية الأوروبية الكبرى . فكنت أعيش مع الماضي البعيد وجه النهار ، وأعيش مع الحاضر الأوربي الحديث آخر النهار ، وتشغلني خطوب الحياة المصرية الراكدة الممضة بين ذينك الوقتين . وكان الرفاق يمدون من هذه الحياة مثل ماكنت أجد ، يسعدون حين يعودون إلى الماضي ، ويسعدون حين يدفعون إلى الحياة الغربية التي كانوا يتطلعون إليها . ويشقون بين ذلك بالركود والجمود .

ويجب أن يتصور القراء من الشباب المعاصرين حياة أولئك الشيوخ الشباب من طلاب الأزهر في أول القرن ، حياتهم المادية وحياتهم العقلية أيضاً . وأن يقدروا ماكان يملأ قلوب بعضهم من الرضى والفيطة ، وهذا الغرور الحلو البريء الذي كان يمازج نفوسهم تلك الغضة المتواضعة حين كانوا يدفعون من حى الأزهر إلى حى قصر النيل ، وحين كانوا يتحلقون مصباحين حول أعمدة الأزهر متربعين على الحصر البالية ، ثم يجلسون إذا كان المساء إلى أساندهم في غرفات الجامعة لا يتربعون على الحصر وإنما يجلسون على الكراسي إلى تلك الموائد الصغار . وحين كانوا يسمعون من شيوخهم وجه النهار أحاديث الفقه والنحو كما كانت تلقى في تلك الأوقات ، وبأيديهم ملازمهم تلك العتيقة يتبعون فيها ما يقرأ الشيوخ عليهم من الكتب ويسمعون لما يلقى عليهم الشيوخ من التأويل والتعليل والتحليل ، فيفهمون قليلاً ويعجزون عن فهم كثير مما كانوا يسمعون . فإذا كان المساء جلسوا إلى أساندهم أولئك من الأوربيين فسمعوا منهم أحاديث لا عهد لهم بمثلها تلقى عليهم باللغة العربية الفصحى مع شيء من التواء الألسنة بهذه اللغة ، فتقع تلك الأحاديث من آذانهم موقع الغرابة ومن قلوبهم مواقع الماء من ذى الغلة الصادى ، فإذا خلوا إلى أنفسهم بعد ذلك وازنوا بين ما يسمعون وما يرون أول النهار ،

وما يسمعون وما يرون آخر النهار . فاثارت هذه الموازنة في نفوسهم عواطف وأهواء وميولا أقل ما توصف به أنها كانت تصور لهم هذه الآماد البعيدة إلى أقصى غايات البعد ، بين قديم سقيم سنوه وضاقوا به ، وبين جديد أحبوه وتهالكوا عليه .

ووازنوا كذلك بين شيوخهم أولئك الذين كانوا لا يعربون إلا حين يقرعون في الكتب ، فإذا تكلموا غرقوا وأغرقوا طلابهم في اللغة العامية إلى أذقانهم أو إلى آذانهم ، وبين أساتذتهم أولئك الأوربيين الذين كانوا يعربون حين يقرعون وحين يفسرون وحين يخوضون معهم فيما شاء الله من ألوان الحديث . وكانوا يسألون أنفسهم كيف أتبع هؤلاء الأوربيين ما أتبع لهم من العلم بأسرار اللغة العربية ودقائق آدابها ، وكيف لم يتبع هذا النوع من العلم لشيوخهم أولئك الأجلاء .

وكانت هذه الموازنات تثير في قلوبهم فنونا من التمرد وتدفع نفوسهم إلى ضروب من الثورة والحموح . وكان هذا كله يعرضهم لكثير من الشر . وحسبك أنهم كانوا مقسمين بين الأزهر القديم والجامعة الجديدة .

وكان هذا يجعل حياتهم قلقاً كلها . وأى شيء أجدى على النفوس الشابة من هذا القلق الخصب الذي هو الأساس المتين لكل تطور منتج في الحياة العقلية والمادية جميعاً . وما أظن حياة الشباب « المطربشين » الذين كانوا يختلفون إلى الجامعة إلا مشبهة من كثير من الوجوه لحياة زملائهم المعممين .

من أجل هذا كله يستطيع القارئ المعاصر أن يقدر ما كان للجامعة المصرية القديمة من أثر بعيد فيما طرأ من تغير خصب على حياة ذلك الجيل من أجيال الشباب .

أما إذا فقد سجلات غير مرة وأسجل الآن أنى مدين بحياتي العقلية كلها لذين الأساتذین العظیمین : سید علی المرصفی ، الذی كنت أسمع دروسه وجه النهار ، و « کارلو نالینو » الذی كنت أسمع دروسه آخر النهار . أحدهما علمنی کیف أقرأ النص العربی القديم وکیف أفهمه وکیف أمثله فی نفسی وکیف أحاول محاکاته : وعلمنی الآخر کیف أستنبط الحقائق من ذلك النص ، وکیف ألأتم بينها ،

وكيف أصوغها آخر الأمر علماً يقرؤه الناس فيفهمونه ويجدون فيه شيئاً ذا بال .  
وكل ما أتيج لى بعد هذين الأستاذين العظميين من الدرس والتحصيل فى مصر  
وفى خارج مصر فهو قد أقيم على هذا الأساس الذى تلقينه منهما فى ذلك الطور  
الأول من أطوار الشباب . بفضلهما لم أحس الغربة حين أمنت فى قراءة كتب  
الأدب القديم ، وحين اختلفت إلى الأساتذة الأوربيين فى جامعة باريس . وحين  
أمنت فى قراءة كتب الأدب الحديث .

فلا غرابة إذاً فى أن تكون حياتى كلها برّاً بهذين الأستاذين وإكباراً لهما  
واعترافاً بفضلهما وشكراً لما أهديا لى من معروف وما أسديا لى من جميل . وشهد  
الله ما قرأت فى كتاب قديم ولا حديث ولا حاولت كتابة فى الأدب إلا ذكرت  
أحدهما أو كليهما وأرسلت إليهما من أعماق نفسى تحية الحب والإعجاب والشكر  
والوفاء .

والذين يقرءون هذا الكتاب الذى أقدمه اليوم إلى القراء المتأدبين يحسن بهم  
أن يقرءوا ما كان يدرس لشبابنا فى ذلك الوقت من أدب فى معاهدنا ومدارسنا على  
اختلافها ، ليقدروا الفرق الهائل بين ما كان الأستاذ « نالينو » يلقى علينا فى الجامعة ،  
وبين ما كان يلقى علينا فى المعاهد والمدارس ، وأثر هذا الفرق فى تطور حياتنا العقلية  
وفى تطور تصورنا للأدب العربى قراءة وفهماً وإنتاجاً .

فلأول مرة درس لنا الأدب العربى القديم درساً منظماً ، وألقى فى روعنا أن  
الشعر العربى لا يختلف باختلاف فنونه التقليدية مدحاً وثناءً ووصفاً وهجاءً ونسيباً  
وتشبيهاً فحسب ، وإنما يختلف باختلاف موضوعاته التى قيل فيها وظروفه التى  
أحاطت به حين قيل ، والمؤثرات المختلفة التى أثرت فى قائله وفى سامعيه أيضاً .  
ولأول مرة ألقى فى روعنا ما كان للسياسة من آثار دقيقة عميقة فى نشأة فنون مختلفة من  
الشعر العربى فى العصر الإسلامى أيام الخلفاء الراشدين وأيام بنى أمية .

ولأول مرة ألقى فى روعنا الفرق بين الشعر التقليدى وبين الشعر الذى استحدثته  
السياسة الإسلامية فى العراق ، وبين النسيب التقليدى القديم والغزل  
الذى استحدثته النظام الاجتماعى الإسلامى فى الحجاز ، وبين الغزل المحقق الذى

نشأ في حواضر الحجاز والغزل العذرى النقى الذى نشأ في البادية العربية في الحجاز ونجد والعراق .

ولأول مرة عرفنا أن من الممكن أن ندرس الأدب العربى على أساس من الموازنة بينه وبين الآداب القديمة الكبرى ، وأن الحياة الإنسانية تتشابه وتتقارب مهما تختلف ظروفها ومهما يتنوع ما يختلف عليها من الخطوب .

ولأول مرة تعلمنا كيف نحقق هذه الموازنة بين أدبنا القديم والآداب القديمة الأخرى ، ملائمين بين ما ينبغي أن نلأثم بينه وبخالفين بين ما ينبغي أن نخالف بينه من الظواهر المتباينة التى يذخر بها التاريخ والتى تؤثر في حياة الناس .

ثم لأول مرة تعلمنا أن الأدب مرآة الحياة العصر الذى ينتج فيه ؛ لأنه إما أن يكون صدى من أصداؤها ، وإما أن يكون دافعاً من دوافعها ، فهو متصل بها على كل حال وهو مصور لها على كل حال ، ولا سبيل لئى درسه وفقهه إلا إذا درست الحياة التى سبقتة فأثرت في إنشائه ، والتى عاصرتة فتأثرت به وأثرت فيه ، والتى جاءت في إثر عصره فنلتقت بنتائجها وتأثرت بها . فللأدب مظهران إذاً ، مظهره الفردى لأنه لا يستطيع أن يبرأ من الصلة بينه وبين الأديب الذى أنتجه ، ومظهره الاجتماعى لأن هذا الأديب نفسه ليس إلا فرداً من جماعة فحياته لا تتصور ولا تفهم ولا تحقق إلا على أنه متأثر بالجماعة التى يعيش فيها . هو في نفسه ظاهرة اجتماعية فلا يمكن أن يكون أدبه إلا ظاهرة اجتماعية .

كل هذا سمعناه وفهمناه في تلك الدروس التى كان الأستاذ «ناليون» يلقيها علينا ، حين كان هذا القرن في العاشرة من عمره . وكل هذا كان جديداً بالقياس إلينا في تلك الأيام وبالقياس إلى الأزهرين منا بنوع خاص . فن الطبيعى أن يحدث في نفوسنا أعمق الآثار وأبعدها مدى ، وأن يطبع حياتنا العقلية بطابع النقد الحديث . وليس من شك في أن حقائق التاريخ الأدبى العربى قد تغيرت منذ ذلك الوقت في كثير من أنحائها وفي كثير من تفصيلاتها كذلك .

وليس من شك أيضاً في أن العلماء المصريين كان لهم أعظم الأثر فيما حدث من هذا التغير ، فهم تعمقوا دراسة الأدب أثناء هذه الأربعين سنة الأخيرة ، فاستكشفوا أشياء لم تكن معروفة في حياة الأدب العربى أثناء القرون الأولى

للهجرة ، وهم قد نشروا آثاراً قديمة لم تكن قد خضعت لبحث العلماء ، فيسروا للباحثين درسها وفقهها واستكشاف ما كانت تخفى من الحقائق ، وهم بعد ذلك قد كسبوا بالدراسات الأدبية المصرية منزلة لها قيمتها الخطيرة في الدراسات العالمية لأدبنا العربي القديم .

كل هذا شيء ليس فيه شك ودلائله تلمس بالأيدى في هذه الكتب القديمة التي نشرت ، وفي هذه الكتب الجديدة التي ألقت ، وفي الدروس الأدبية التي تلقى في جامعاتنا ومعاهدنا المختلفة ، وفي إنتاجنا الأدبي الخالص الذي شغلت بدرسه وعنيت بفقهه ونقله إلى اللغات المختلفة البيئات العلمية في غرب أوروبا وشرقها وفي شمال أمريكا وجنوبها . ولكن هناك شيئاً ليس أقل من هذا ثبوتاً واستقراراً ووضوحاً ، وهو أن دروس الأستاذ « نالينو » في الجامعة المصرية القديمة كانت هي الوجه الأول لنهضتنا العلمية في دراسة الأدب مباشرة أو بالواسطة ، وجهت تلاميذ الأستاذ الذين سمعوا منه فبحثوا وتعمقوا وأحسنوا الفقه ، ثم وجهت أجيالاً من الشباب سمعوا على هؤلاء الطلاب حين أصبحوا أساتذة وقرءوا لهم حين أصبحوا مؤلفين .

وكذلك مضى المذهب الحديث في تاريخ الأدب بين الأجيال المتعاقبة من الدارسين والباحثين . وما أعرف للأستاذ « نالينو » نظيراً في التوجيه العميق للنهضة المصرية إلا زميله الأستاذ « سنتلانا » الذي أحدث في مصر نهضة خطيرة في دراسة الفلسفة الإسلامية ، وفي الصلة بين هذه الفلسفة وبين الفلسفة اليونانية القديمة .

وقد أتيج للأستاذ « نالينو » من البرّ به بعد وفاته ما أرجو أن يتاح لزميله . والفضل في نشر هذا الكتاب يرجع قبل كل شيء وقبل كل إنسان إلى ابنته الكريمة الآنسة « ماريا نالينو » . فهي التي حفظت آثار والدها العظيم وجدت في إعدادها للنشر ، وظفرت بالمعونة على نشر هذه الآثار في إيطاليا ، فأهدت للعلم والعلماء كنوزاً لا سبيل إلى تقويمها ولا إلى استقصاء آثارها الخطيرة ، فيما أنتج الباحثون من الشرقيين والغربيين وما سيتعجون من الدراسات الأدبية العربية على اختلاف موضوعاتها .

وأعدت هذه الدروس للنشر كما تركها الأستاذ لم تغير فيها شيئاً وإنما وفت لأبيها أصدق الوفاء وأجدره بالإكبار والإجلال . ووجدت من دار المعارف للطبع والنشر معونة صادقة على إذاعة هذا الكتاب . فكان للدار وللأستاذة « ماريّا نالينو » فضل أى فضل ، لأنهما بنشر هذا الكتاب قد برّتا بأستاذ جدير بالبر ، وهىأتا لشباب المصريين والشرقيين أن يعرفوا أصول نهضتنا الأدبية المعاصرة . فلهما على جهدهما الخالص لخدمة العلم ، الشكر أجمل ما يكون الشكر ، والثناء أصدق ما يكون الثناء .

أما أنا فلم أمل هذه الصفحات إلا لأسجل برى بأستاذى العظيم ، وشكرى لابتته الكريمة ولدار المعارف على ما أتاحتا لى من أن أرى لوناً من ألوان حياتى فى طور من أطوار الشباب .

طه حسين

### تنبيه

لا يكون هذا الكتاب إلا نص الدروس التي ألقاها المرحوم الأستاذ كركلو نالينو (المتوفى سنة ١٩٣٨) في الجامعة المصرية سنة ١٩١٠ - ١٩١١ دراسية، فقد كان المرحوم أَلَفَ نص الدروس باللغة العربية ولكنه كتب الحواشي بالإيطالية بشديد الإيجاز والاختصار، فاعتنيتُ بنقل الحواشي إلى اللغة العربية وأضفتُ إليها ما عثرت عليه من الأخبار المفيدة الموجودة في بعض الكتب التي طُبعت بعد إلقاء هذه الدروس وإنما وضعتُ هذه الإضافات بين نصي مستطيل [ ] .

ومن الواجبات على أن أشكر الدكتور طه حسين شكراً جزيلاً لإرادته أن يؤسس ذكرى للمحبة الخالصة بينه وبين المرحوم بنشر هذا النص غير المطبوع إلى الآن .

مريم نالينو





## مُتَلَمِّمَةٌ

لَمَّا افْتَتَحْتُ دُرُوسِي فِي السَّنَةِ الْفَائِتَةِ كَانَ أَوَّلُ كَلَامِي إِبْدَاءَ شُكْرِ خَالِصٍ حَمِيمٍ صَادِرٍ عَنْ خَفَايَا قَلْبِي لِلْقَائِمِينَ بِالْجَامِعَةِ الْمَصْرِیَّةِ عَلٰی مَا شَرَّفُونِي بِهِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِقَاءِ مُحَاضِرَاتٍ فِي هَذَا الْمَعْهَدِ الْعَامِيِّ الَّذِي عَلٰی حَدِّثَاتِهِ عَهْدُهُ أَضْحَى قِبَلَةَ آمَالِ الْمُجْدِّينَ فِي تَرْقِيَةِ هَذِهِ الدِّيَارِ الشَّرِيفَةِ وَمَرْكَزًا تَحُومُ حَوْلَهُ قُلُوبُ الْآخِذِينَ بِأَيْدِي الْأُمَّةِ الْمَصْرِیَّةِ فِي سَبِيلِ الْفُوزِ وَالتَّقَدُّمِ . وَكَذَلِكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ لَيْسَ لِتَدْرِيسِي افْتِتَاحٌ أَوَّلِي وَلَا ابْتِدَاءٌ أُخَرِي مِنْ إِعَادَةِ جَزِيلِ الشُّكْرِ عَلٰی مَا أَظَاهَرَهُ لِي دَوْلَةُ الْأَمِيرِ أَحْمَدَ بَاشَا فُؤَادٍ وَمَجْلِسَ إِدَارَةِ الْجَامِعَةِ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِي وَاسْتِحْسَانِ عَمَلِي السَّابِقِ حَيْثُ تَكَرَّمُوا عَلٰی بَتِّكَارِ الدَّعْوَةِ فِي هَذَا الْعَامِ وَإِنْ عَجَزَ لِسَانِي عَنْ تَوْفِيَةِ مَا يَنْقَضِيهِ مِثْلُ هَذَا الشُّرْفِ مِنْ عِبَارَاتِ الشُّكْرِ وَالْعُرْفَانِ :

وَالَّذِي حَمَلَنِي عَلٰی تَلْبِيَةِ الدَّعْوَةِ مَعَ مَعْرِفَةِ قَلَّةِ عِلْمِي وَضَعْفِ قُوَّايِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى خَطَرِ الْمَوْضُوعِ وَجَلَالَتِهِ وَغَابِ فِي نَفْسِي عَلٰی الْخَافَةِ مِنَ النِّقْصَانِ عَنْ نَهْضِ أَعْيَاضِ هَذَا الْمَنْصَبِ وَالتَّقْصِيرِ عَنْ إِحْسَانِ الْقِيَامِ بِمِثْلِ هَذَا التَّدْرِيسِ الصَّعْبِ الْوَعْرِ أَنَّ الْجَامِعَةَ الْمَصْرِیَّةَ تَدْخُلُ هَذِهِ السَّنَةَ فِي دَوْرٍ جَدِيدٍ وَطُورٍ مَجِيدٍ يُرْجَى مِنْهُ فَضْلًا عَنْ تَرْقِيَةِ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ أَحْوَالِ التَّعْلِيمِ بِالْقَطْرِ الْمَصْرِیِّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ غَيْرِ الْبَعِيدِ وَتَجْهِيزُ الْمُعَلِّمِينَ الْأَكْفِيَاءِ لِتَحْسِينِ جَمِيعِ الْمَدَارِسِ الْوُطَنِيَّةِ وَجَعْلِهَا أَهْلًا لِغَايَتِهَا تِلْكَ الْعِلْمِ الَّتِي هِيَ مَسْرَامُ أَوْلَى الْأَفْكَارِ السَّامِيَةِ وَالْأُمِّيَالِ الْعَالِيَةِ أَعْنَى تَكْوِينِ الْقَرَائِحِ وَتَثْقِيفِ الْعُقُولِ وَتَرْبِيَةِ النُّفُوسِ وَبَثِّ رُوحِ الْجِدِّ وَالْعَمَلِ وَإِيجَادِ الرِّجَالِ الْخَادِمِينَ لَوْطَنِهِمْ بِهَمَّةٍ وَصِدْقٍ وَاسْتِقْلَالٍ . وَإِنَّ الْأَفَاضِلَ الْكَرَامَ الْمُتَعَنِّينَ بِأُمُورِ الْجَامِعَةِ هُمْ كَفْلَاءُ النِّجَاحِ وَزَعْمَاءُ الْفَلَاحِ .

فَلِلَّذَلِكَ سُرُورَتِي أَيْ سُرُورَ وَحْسِيَّتِي أَنِّي قَدْ نَاطَ أَسْمَى الْمَنَى بِوُقُوفِي الْيَوْمَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مُشْرَكًا وَإِنْ لَمْ أَكُنْ كَفَشًا فِي هَذَا الْأَمْرِ الْإِحْلِيلِ وَالْعَمَلِ الْخَطِيرِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ مَا يَمْتَدُّ إِلَيْهِ أَعْنَاقُ الْهَمِّ وَأَعْظَمُ مَا يَتَنَافَسُ فِيهِ نِبَالُ الْأَمَمِ .

قد سبقت أمّتى الإيطالية أى سبق جميع الأمم الإفريقية الأخرى إلى عقد  
العهود وتثبيت روابط المحبة والوثام بينها وبين الديار المصرية فكان فى القرون الوسطى  
تجار البندقية وجنوة وغيرهما من المدن الإيطالية قاصدين مصر أفواجاً مقتحمين  
لحج البحر متفرغين بالجهد فى توسيع نطاق التجارة فأصبحوا فى أثناء أمد مديد  
بل أجيال متوالية متفردين بالتجار فى الشرق مستبدين بعلاقات الودّ والسلام  
بهذه الأراضي الشريفة . وربما لم يقتصروا على مقايضة البضائع : ذهبوا بقصص  
وحكايات سمعوها من القصاصين المصريين وأشاعوها فى الأنحاء الإيطالية حتى  
اشتهرت فيها فألبسها أدباء أمّتى ثوباً قشيباً فى مؤلّفاتهم المنظومة  
والمنثورة . وكذلك بعض المصورين المشهورين من بنى جلدنى فى القرن الخامس  
والسادس عشر ربّما فى تصاويرهم المحفوظة الآن فى المتاحف رسموا أشعة الأمراء  
والسلاطين من دولة المماليك أو صوّروا رجالاً عليهم الحالّ المحلّاة بكنابات  
عربية منقولة ممّا رأوه منقوشاً فى الصوافى والقناديل وما أشبهها من المصنوعات  
المصرية . وإن تصفّحت الكتب العربية فى صناعة لإنشاء الدواوين ( مثل كتاب  
تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف للشيخ تقيّ الدين عبد الرحمن من علماء  
القرن الثامن للهجرة أو كتاب صبيح الأعشى للفيلسوف شمس الدين المتوفى سنة ٨٢١ هـ -  
١٤١٨ م ) وجدتم فيها قوانين رسم مكاتب سلاطين دولة المماليك لأرباب الولايات  
أى الحكومات الإيطالية . وعلى تماضى الزمن لم تزل هذه العلائق بين وطنكم ووطنى  
موقوفة على محض المحبة والمسالمة فلا كدّ رتها أبداً شرّ العداوة أو سوء الطمع  
والغضب ولم يصل أبداً مركبٌ إيطالىّ إلى مرافئ القطار المصرى إلاّ بصفة  
صديق يزور الصديق . فأحسب من أحسن التفاؤل لتوثيق علائق الارتباط بين  
الأمّتين إن بعضنا الإيطاليين دُعينا إلى الاشتراك فى هذه النهضة العلمية الجديدة  
التي تعود على بلادكم بالناثلة العظمى وتكون سبباً فى زيادة رفعة القطار وعزّة  
الشعب . فأتمنى كلّ التمنى ازدياد المؤلفة والاتفاق وتبادل المحبة والصدقة  
على الدوام .

إنّ الموادّ التي ستدور دروسى عليها هذه السنة ليست فى كتاب واحد موضحة  
أو فى كتب قليلة مدوّنة بل هى فى جملة وافرة من المصنّعات الكبيرة والصغيرة فى

لغات شتى شرقية وغربية متفرقة فضلاً عما يكون من مبتكرات أفكارى .  
فلذلك أرى من المناسب أن أكرر نصيحة قد نصحتها للطلبة عند ابتداء  
السنة الدراسية السابقة أعنى أن أحثكم كل الحث على أخذ مذكرات في أثناء  
الدرس ثم على تقييدها وترتيبها في منازلكم ببذل الجهد وإنعام النظر فيما قيسدتم لثلاث  
تسموا ما سمعتم ولا تحفظوا شيئاً من المسموع إلا فهمتم معناه واستقصيتم فحواه .  
وأنتم تعلمون أن التعلم بشيئين : حسن الحفظ وإدمان الفكر في الحفوظ فإن قل  
أحدهما قل ونقص المتعلم . وذلك خصوصاً في المدارس الجامعات التى منتهى  
ما يروجى منها ليس كما فى المدارس الثانوية محض لإفادة الطلبة ما سينفعهم فى  
الحياة العادية من المعارف بل هو هداية الطلاب فى طريق النبوغ فى الفنون  
وتمرينهم على آداب البحث العلمى باستقلال الفكر ودقة الانتقاد السالم . فمما كل  
المدرّس بالجامعات كمثال دليل رافق السائحين مدّة ما فاماً رأيهم قادرين على  
تذليل عقبات الطريق عارفين بما يجب عليهم من التجهّز لباقي السفر والتحرّز من  
أخطار السيّر ودعهم وتركهم لوحدهم داعياً لهم بالطائر الميمون وفيل المرام متمنياً  
أن يسعهم اكتشاف طرق جديدة وسلوك مسالك لم يدخلها أحد قبلهم وقطع  
بقاع لم يسبق إليها غيرهم . كذلك الأستاذ بجامعة يختار كل سنة قطعة صغيرة من  
فنه ويتبحر فيها أثناء دروسه ليعرف الطلبة أساليب البحث الدقيق والفحص  
العميق التى لا سبيل دونها إلى ترقية العلم وتوسيع حكمة المعارف . فقصارى القول  
أن غاية الجامعات ليست فقط أن يصبح الطالب واعياً لما تلقاه عن أستاذه من  
الفوائد والأخبار بل هى خاصة تدريب ذهن الطالب بإجراء الاعتبار والانتقاد فيما  
وعاه ليضحي بعد ذلك التدرّيب أهلاً للتدرّج فى مراقب الارتقاء العلمى باستقلال  
الفكر قادراً على سدّ الخلل الذى ربّما وقع فيه السلف جديراً بالإيجاد فيما اختص به  
من العلوم يجوز لطالب المدارس الثانوية الاقتناع بما دونه وببينة المدرّس أو  
بمضمون الكتب القليلة الابتدائية المقررة لتلك المدارس ليكون مقصّد التعليم الثانوى  
أن يقتبس الشاب قدراً معيناً من المعارف بفنون مخصوصة مناسباً للمقتضى القيام  
بأمور الحياة العادية العملية . ولكن لا يجوز ذلك لمن طلب العلم بالجامعات التى  
غايته القصوى إنمّا هو تأهيل أخيار الشبان للتوصل إلى أعلى درجة من المهارة

بالبحث العلمي المبني على ولا تقان الوسائل والأسباب المبنى عليها سبيل الوطن والعلم والاجتماع الإنساني في سبيل الرقي الدائم والتقدم الزائد . إن عمل الأستاذ بالجامعات كعمل الزراع في حقولهم لأن دروسنا ليست إلا بذور يزرع صغير في عقول المستمعين فلا يذو ذلك البذر ولا ينبت ولا يسمي شجرة وارة مثمرة إن لم يلقه المتعلم بقوة الحافظة ورياض العقل وإيمان النظر وسعة مطالعة جسم من مصنفات أشهر العلماء على ما دون ذلك من النصب والجهد والعناء والجهد لأنه كما قيل :

بقدر الكد تكتسب المعالي فن طلب العلا سهر الليالي

وحيث إن حفظ جميع ما سُمع مرة واحدة أشقّ مستحيل ( ولا يعفى على أحد صحة المثل السائر أن كل علم ليس في القرباس ضاع ) . كيف لكم بإعمال الفكر فيما استمعتموه بالجامعة والاستفادة منه بعد ما رجعت إلى منازلكم إن لم تكن لكم كراريس قيتتم فيها خلاصة الدرس ؟ ثم كيف لكم بالتجهيز لتأدية الامتحان في آخر السنة إذا كان ما درّس بالجامعة أكثر المادة التي ستُمْتَحَنون فيها ؟ لا بد لكم من احتذاء مثال زملائكم بالجامعات الأوروبية في تقيد مذكرات بسرعة أثناء درس الأستاذ ثم في تكميلها واستخراج نخبها وترتيبها مستعينين بمراجعة ما يتيسر لكم من الكتب المشار إليها في الدرس .

ثم أحرصكم كل التحريض على الاتساع في المطالعة فإنه مما لا غنى عنه لمن يريد الترقى الرحب في أي علم . وهو أيضاً من أعظم الواجبات عليكم خصوصاً في هذا الفن الذي أنتشر بتدريسه هذه السنة لأن شدة الاعتناء بآداب لغتكم الشريفة وتاريخها ليست فقط مسألة علمية بل خدمة جليلة لوطنكم بحق عليكم القيام بها . إن الذي يعين ويصون وحدة أمة هو بالأخص وحدة اللغة والآداب والأخلاق والأميال والأفكار المتوارثة منذ الزمان القديم دون انقطاع وانفصال فإن أغفلت صيانتها انحدرت الأمة إلى ورطة انحطاطها بل لإبطال وحدتها . وإن راجعتم كتب تواريخ الغرب ألقيتهم أن بعض الأمم الإفريقية قد تراكمت عليها الفتن والحروب والبلايا والفساد وقهرها العدو وجعلها في حال شر العبودية سلمت من الفناء التام ليمسكها بحفظ آداب لغتها والعناية بتخليد ذكر ما أثر قدمائها العلمية

والأدبيّة. ورُبّ أمة قد ألغى ثقليّات الأمور وصروف الدهور في غاية الانحطاط السياسيّ أخذت تُصليح شأنها الدليل وتعود إلى ما كانت أولاً عليه من العمارة والصلاح السياسيّ والاستقلال لمّا صارت علماءها مُفسّرين كنانة جهّدهم في البحث العميق عن تاريخها وأحوالها السالفة وفي إحياء آداب لغتها وآثارها ومفاخرها كأنهم بعملهم هذا قد ألّقوا روح الحياة في جسم الأمة المنهوك القريب من الموت - فويل لكلّ أمة غلب فيها القنوط عن صون كنوزها الأدبيّة وإبقاء ذكر ما ثراها .

ستسمعنني يا سادة أسرّد في أثناء دروسى عدداً غير قليل من أسماء علماء معتبرين قدام كانوا أم معاصرين شرقيين أم غربيين فأنقذ أقوالهم وأبندى فكرى فيها بالحرية التامة مستحسناً تارة لأرائهم وراداً تارة عليها بعد تقديم الاستنادات والدلائل والمُحتجّج . وليس غرضى من ذلك الحط من شأن أولئك العلماء الأفاضل والحكماء الأماجد الذين سبقوني في هذه الأبحاث الخطيرة ومهدوا السبيل لمن جاء إثرهم وحدا حدّهم . كلا . وإنّما غرضى الانتفاع بأعمالهم العلميّة المهمّة وتقدير فضائلها حتى القدر واقضاء مِثالهم في المسعى إلى الفحص عن حقائق الأمور قدر ما استطعت ، لأنّه بسبب قلّة الطبيعة البشريّة بالنسبة إلى جلالة أسرار الكائنات وعظّم المخلوقات ربّما يعرض للباحث القليل الشأن أن تمسكته إضافة شيء ولو يسيراً إلى ما اكتشفه واخترعه السابقون له من الراسخين في العلم . إنّ مشكل العلم الذى لا نهاية لسعته كمشكل جبل شامخ ذى وعور هائلة وصخور مُرعبة راسٍ في وسط بقاع كادت تكون ممتنعة لا تُقطّع لِمّا فيها من الخشونة والصلابة فيرتفع ذلك الجبل بخراشيمه إلى فضاء الجوّ ارتفاعاً لا يُحدّد مقداره حتى لا يمكن أحداً أن يرى قيمته . وفي قديم الزمان تجاهد أجراً الناس وأقوامهم في التقرب من سفح الجبل ونجحوا بعد مفاصلة متاعب لا تُحصى ثمّ جاء ناسٌ آخر جسورين مثّلهم أولو حزم وعزم وأخلدوا في السعى إلى صعود الجبل وتوطئة طريق تُسلّك في الأحجار والصخور فبعد المشاقّ المهيّدة والزلاّت العديدة تمكّنوا من إنفاذ جزء صغير من المشروع . فتبعهم أجيالٌ آخر وانتفعوا بعمل سلفهم وأصلحوه أحياناً واصلوا فيه وربّما لم يتقدّموا إلا بعد ترك المسالك المأخوذة المألوفة والرجوع

إلى ما أسفل منها لإيجاد طرق غيرِها تكون أهلاً لمشروعهم فترقّوا شيئاً يسيراً بعد كثرة الشغل والضلال واليأس وقلموا مسافة ما بينهم وبين القمة المرغوب فيها — هذا ممثّلٌ ممسّعاًنا إلى الحصول على الحقائق العلميّة الغامضة فإنّ الحقيقة التامّة المطلقة هي القمة المقصودة غير المدركة على تزايد تقرّبنا منها ، والأقدمون يفيدون المتأخّرين علماً ويمكنونهم من التوصل إلى ما هو أعلى من منزلتهم ، وكذلك من المرتقّين في مرقاة العلم ممّن يعتبر ويشرح من مبحث وجهها ومن يلاحظ ويبين منه وجهها آخر فتقتبس من بنات أفكارهما نوراً على نور .

ومن ذلك يتّضح جلياً أنّ تقدّم العلوم النظرية العقلية مرتبط بل متعلّق بامتحان آراء السلف واختبار جميع ما يسعنا من تجاربهم ومعارفهم بدقة التحصيل والنظر فيجب علينا أن ننتقد أقوال السابقين لنا انتقاداً صحيحاً سالماً خالياً عن كل غرض دنيّ وميل شخصي . إنّ ذلك الانتقاد المقرون بالاجتهاد يفيدنا علماً ويساعدنا على تحسين العمل وهو الذي يسوقنا إلى المقصود سياقة موثوقة بها . راجعوا يا سادة توارينخ الأمم الشرقية وتأملوا فيها حقّ التأمل تجدوا أنّ انحطاط علومهم وسياساتهم إنّما ابتدأ لمّا انصرف حكماؤهم عن سبيل الاجتهاد المستقلّ في العلوم واقنعوا في المباحث النظرية بالتقليد الذي كما لا يخفى عليكم هو قبول قول الغير دون مطالبة بحجّة فعدّوا عن تأليف الكتب المبيّنة المطوّلة ملنجنين إلى الاختصار والتلخيص وتصنيف الحواشي اللاغية على المتن والشروح أو التأييد والتقارير الباطلة على ذات الحواشي . ليس لأمة تمدّن صحيح ولا تقدّم إذا لم يكن فيها رجال مستقلّون بالعلوم النظرية مرقّون عن رتبة تقليد من سبقهم . فلذلك لا تقتصر أيتها الطلبة على جمع أقوال أساتذتكم وتكريرها بل سرّحوا فيها أنظاركم وأعملوا فيها قوة فطنتكم فإن سمعتم ما لا يقنعكم دلياله وبرهانه فعليكم أن تسألوا أساتذكم وتطلبوا منه شرحاً أوسع وأوفى . وحيث إنّ العصمة لله وحده فلا يسلم إنسان من الخطأ تماماً على جليل قدره وعلو منزلته ووفر علمه وعقله ، ليس من المستحيل أن يزل الأستاذ أحياناً في كلامه أو لا يدرك غاية الوضوح في بيانه فتقودنا إذ ذاك المباحثة إلى كشف القناع عن الغوامض ورفع الحجاب عن كل ممّبههم مرتاب فيه .

## الباب الأول

١ - لفظ الأدب : بحث من معناه الأصل وما تفرع منه من المعاني  
المتعددة المختلفة . ٢ - تعريف تاريخ الكتاب . ٣ - كيف ينقسم  
تاريخ الآداب العربية .

وهذا أو أن الخوض فيما ستدور دروسى عليه :

١ - يجب على من يأخذ فى بيان علم أن يقدم تعريف ذلك العلم وتعيين  
موضوعه فأبتدى أنا أيضاً بشرح اسم الفن الذى أختص بتدريسه هذه السنة  
وهو تاريخ الآداب العربية .

إن اللغة لكائن حتى فعلى مثل كل حتى تقبل النمو والتجدد والفساد .  
وكذلك الألفاظ المفردة فكثيراً ما يطرأ عليها من التغيير والانتقال من معنى  
إلى آخر حسبما يقتضيه تغيير أحوال الأمة الاجتماعية والسياسية والتقدم أو  
التقهقر فى الصنائع والعلوم . ومن الألفاظ العربية التى كثر فيها تغيير المعنى  
الأصلى على تمدادى الزمان وتقلبات العوائد والأفكار والأميال هو لفظ الأدب  
حتى إن أحداً من عرب الجاهلية أو القرن الأول من الإسلام أو أخيراً الآن  
وسمع اسم الفن المعين لى تدريسهُ لما فهم من حقيقة موضوعه شيئاً . فلنفحص  
عن معنى لفظ الأدب الأصلى ثم عما عرّض له من الانحراف عن أصله  
والإطلاق والحصر مدة الأجيال التالية لظهور الإسلام إلى عصرنا هذا .

إذا راجعتم القواميس المطوّلة ما وجدتم فيها لهذا اللفظ تعريفاً كافياً  
ولا شرحاً وافياً فلا عجب فى ذلك لأن لغوى العرب عند شغفهم وعنايتهم  
المحمودة بلم غريب الألفاظ كثيراً ما أغفلوا إتقان تعريف المفردات

المألوفة كأنها غير 'حرية' بالذكر . فتجدون مثلاً أن ابن منظور الإفريقي المتوفى بمصر سنة ٧١١هـ / ١٣١١م لم يقيّد في قاموسه العظيم الجسيم المترجم بكتاب لسان العرب لفظ « الحَرْف » بمعنى الكلمة مع أنه قديم متداول ، ولا أحد من علماء اللغة سجّل في كتبه ذلك اللفظ . بمعنى الشيء اليسير والقطعة الصغيرة على كثرة استعماله عند أطراف الكتاب منذ القرن الأول للهجرة النبوية<sup>(١)</sup> . أمّا لفظ « الأدب » فأكثر اللغويين اقتصروا على تعريفه هكذا : « الأدبُ الظَرْفُ وحُسْنُ التناول » . وفي المصباح المنير<sup>(٢)</sup> لأحمد ابن محمد المقرئ الفيّو المتوفى سنة ثيِّف وسبعين وسبعمائة ما نصّه : « أدبته أدباً من باب ضرب علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق » . قال أبو زيد الأنصاري<sup>(٣)</sup> : « الأدب يقع على كلّ رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل » . وقال الأزهري<sup>(٤)</sup> نحوه . وقال السيد الشريف عليّ بن محمد الجُرْجانيّ المتوفى سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م في كتاب التعريفات<sup>(٥)</sup> : « الأدب عبارة عن معرفة ما يُحتَرَز به عن جميع أنواع الخطأ - آداب البحث صناعة نظريّة يستفيد منها الإنسان كبنية المناظرة وشرائطها صيانة له عن الخبط . في البحث وإلزاماً للخصم وإفحامه . كذا في قطب الكيلاني<sup>(٦)</sup> . آداب القاضى وهو التزامه لئلا نذب إليه الشرع من بسط .

(١) راجع J. WEISS, *Die arabischen Nationalgrammatiker und die Lateiner* الألمانية ( Z. D. M. G. ) Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft 64, 1910, p. 968-974.

(٢) المصباح المنير ج ١ ص ٦ من طعة بلاق ١٣١٦ .

(٣) توفى أبو زيد الأنصاري سنة ٢١٤ أو ٢١٥ أو ٢١٦ هـ .

(٤) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري المولود سنة ٢٨٢ والمتوفى في ربيع الثاني ٣٧٠ هـ / ٩٨٠م ألف كتاب تهذيب اللغة .

(٥) كتاب التعريفات ص ١٤ من طعة ليبسك سنة ١٨٤٥ .

(٦) عاش قطب الدين الكيلاني هذا في النصف الثاني من القرن الثامن (الرابع عشر الميلادي) وله شرح على رسالة في آداب البحث لشمس الدين محمد السمرقاني .



العدل ورفع الظلم وترك الميل » - والذي توسّع في بيان معنى الأدب من أهل اللغة هو السيد المرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى بمصر سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م قال في كتاب تاج العروس<sup>(١)</sup> الذي هو أوسع كتب اللغة العربية ألفه بصفة شرح على القاموس للفيروزبادي<sup>(٢)</sup> : « (الأدب محرّكة) <sup>(٣)</sup> الذي يتأدّب به الأديب من الناس سُمي به لأنّه يؤدّب الناس إلى المحامد وينهاكم عن المقابح وأصل الأدب الدعاء . وقال شيخنا<sup>(٤)</sup> ناقلاً عن تقارير شيخه الأدب ملكة تعصم من قامت به عمّا يَشِينه . وفي المصباح<sup>(٥)</sup> هو تعلّم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق . وقال أبو زيد الأنصاري<sup>(٦)</sup> الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل . ومثله في التهذيب<sup>(٧)</sup> . وفي التوشيح هو استعمال ما يُحمّد قولاً وفعلًا أو الأخذُ أو الوقوفُ مع المستحسنات أو تعظيمُ مَنْ فوقك والرفقُ بمن دونك . ونقل الخفاجي<sup>(٨)</sup> في العناية عن الجواليقي<sup>(٩)</sup> في شرح أدب الكاتب الأدبُ في اللغة حُسْنُ الاتِّخلاق وفعل المكارم وإطلاقةُ على العلوم العربيّة مولّد حدث في الإسلام . وقال ابن السّيد البَطْلَيْكُوسِي<sup>(١٠)</sup> الأدبُ أدب

(١) ج ١ ص ١٤٤ .

(٢) محمد بن يعقوب الفيروزبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م .

(٣) ما بين القوسين هو من القاموس .

(٤) « شيخنا » يعنى أبا عبد الله محمد بن الطيب الفاسي المولود سنة ١١١٠ هـ بفاس والمتوفى

سنة ١١٧٠ هـ بالمدينة .

(٥) يعنى المصباح المنير لأحمد بن محمد المقرئ الفيحي الذي تقدم ذكره .

(٦) أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري المتوفى سنة ٢١٤ أو ٢١٥ أو ٢١٦ .

(٧) يعنى كتاب تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الذي تقدم ذكره .

(٨) أحمد بن محمد الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ . فانظر كتابه « شفاء الغليل فيما في كلام

العرب من الدخيل » ص ٢٣ من طبعة مصر ١٣٢٥ .

(٩) توفى أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي سنة ٥٣٩ هـ - [وراجع شرحه على أدب

الكاتب لابن قتيبة ص ١٣ من طبعة مصر ١٣٥٠] .

(١٠) ولد ابن السيد البطليوسي سنة ٤٤٤ هـ ومات سنة ٥٢١ هـ أما اسمه ابن السيد فهو يكثر

السين المهمة وياه ساكنة فراجع كتاب وفیات الأعيان لابن حنكأ ترجمه عدد ٣٥٤ من طبعة غونينج أو

عدد ٣٢٠ من الطبقات المصرية .

النفس والدرس . والأدب ( الظُّرْف ) بالفتح ( وحُسن التناول ) وهذا القول شامل لغالب الأقوال المذكورة ولذا اقتصر عليه المصنّف « اهـ .

إنّ هذا النصّ على طوله ليس غاية الوضوح ولا يفيدنا ما كان معنى الأدب أصلاً وكيف تفرّعت منه المعاني المتعدّدة المشهورة التي ربما لا تُرى بينها علاقةٌ باديةٌ نظروذلك فضلاً عما في شرح المؤلف من الخلل والنقصان فعليّنا أن نستخرج من تأليفات العرب النظميّة والنثرية شواهداً ونصوصاً نافعة لتوضيح معنى ذلك اللفظ. أصلاً وقرعاً ونوردها مرتبةً ترتيباً تاريخياً دون خلط. القديم بالحديث لتجلو لنا حقيقة الأمر .

لا شكّ في أنّ الأدب عند قدماء العرب إنّما كان السّنة<sup>(١)</sup> أي طريقة العمل والتصرّف التي سنّها ( أي سار فيها ) الأوائل فصارت مَسَلَكاً لمن بعدهم أعنى جملة العوائد القديمة الواجب على الإنسان سيّرها على رأى عرب الجاهليّة . وأنتم تدرون أنّ علم الأخلاق عندهم إنّما كان مراعاة سيرة أسلافهم فيها كانوا يفتخرون كما قال لبيد في معلقته<sup>(٢)</sup> : ( من بحر الكامل )

إِنَّا إِذَا التَقَّتِ الْمَجَامِعُ لَمْ يَزَلْ      مِنَّا لِرِزَازٍ عَظِيمَةٍ جِشَامُهَا  
وَمُقَسِّمٌ يُعْطَى الْعَشِيرَةَ حَقُّهَا      وَمُغْذٍ لِحَقَوِّهَا هَضَامُهَا  
مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ      وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا

( ١ ) في السّنة انظر : DE LANDBERG, *Etudes sur les dialectes de L'Arabie méridionale* ; Leiden 1901, II, P. 891-893; NOELDEKE, *Fünfmo' allagdi*, II, Wien 1900, P. 91-92 ; I. GOLDZIEHER, *Muhammedanische Studien*, Halle 1888-1890, I p. 41; II p. 13.

( ٢ ) لِرِزَازٍ الخبة التي يشد بها الباب ولِرِزَازٍ عظيمة لازم لها موكل بها والحشام المتكلف للأمور القائم بها . مُقَسِّمٌ : قال الأصمعي : المذموم الذي يضرب بعض حقوق الناس ببعض لِيَأْخُذَ مِنْ هَذَا وَيُعْطَى هَذَا . وقال أبو عبيدة هو الذي يُعْطَى ولا يُرد . هَضَامُ الخضام الذي ينقص قوماً ويعطي قوماً بتدبير وقد وثق به في ذلك .

أو كما جاء في شعر المتلمس<sup>(١)</sup> : (من بحر الطويل)  
وقد كنتَ ترجو أن أكونَ لعقبِكُم زَنيماً فما أجزِرتُ أن أتكلِّماً  
لأورثَ بعمدي سُنَّةً يُقتدى بها وأجلُّو عن ذي شُبُهَةٍ إن توهَّماً

فعلى معنى السُنَّة والمِيرة ورد لفظ. الأدب في قصيدة لسهم بن حنظلة الغنوي<sup>(٢)</sup> من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام : (من بحر البسيط).

قد يعلمُ الناسُ أني من خيارِهِم في الدين ديناً وفي أحسابِهِم حسَباً  
لا يمنعُ الناسُ مني ما أردتُ ولا أعطيهِم ما أرادوا حُسْنَ ذا أدباً  
فظاهر أن الأدب هنا هو المِيرة والطريقة .

وحيث أن ركنَ التربية وتشقيف العقول كان عندهم تعليم سُنَّة الأوائل أطلقوا الأدب والتأديب على حُسْن الشيم وتهذيب الأخلاق. ومن هذا الباب قول بعض الفزاريين رواه أبو تمام الطائي في حماسته<sup>(٣)</sup> : (من بحر البسيط)

(١) ديوان المتلمس المطبوع بليبسك سنة ١٩٠٣ م عدد ١ بيت ١٥ - ١٦ وزنيم المعلق في القوم ليس منهم . أجر شق طرف لسان الفصيل أو الجدى لئلا يرتفع .  
(٢) خزائن الأدب لعبد القادر البغدادي ج ٤ ص ١٢٤ من طبعة بولاق ١٢٩٩ والبيت الثاني موجود أيضاً في لسان العرب ج ١٦ ص ٢٦٩ .

(شرح البيتين) الدين المِيرة . والحسب ما للإنسان من الشرف والمجد بسبب كثرة آبائه المحيدين وبناخهم . وحسن من أفعال الملح أو الدم مثل حب وبعد وصرح ونعم وبش ، واختلف الفويون في معنى البيت الأخير فهاكم ما جاء في شرحه في كتاب خزائن الأدب ولب لسان العرب لعبد القادر ابن عمر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م بمصر (ج ١ ص ١٢٥) « قال التبريزي في شرح إصلاح الخلق لابن السكيت يريد أنه يقهر الناس فيمنعهم ما يريدون منه ولا يمنعه ما يريد منهم لوزنه وجعله أدباً حسناً . هذا تفسير أبي محمد . وقال أبو العلاء في معنى هذا البيت كأنه ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ولا يعطيهم ويمنعهم . وهو الصواب لأن ما قبله يدل عليه . وذا فاعل حسن وأدباً تمييز وأراد حسن لخفف ولقل لأن هذا مذهب التصجب . وقال الصوار إن الشاعر أنكر على نفسه بأن الناس يعطونه ويمنعهم ثم قال حسن ذا أدباً أي ما أحسن هذا الأدب على سبيل الإنكار والتعظيم . انتهى » .  
(٣) الحامسة ص ٥١٠ - ٥١١ من طبعة بَن ١٨٢٨ - ١٨٥١ أوج ٣ ص ٨٧ من طبعة بولاق ١٢٩٦ .

أَكْنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ لِأَكْرِمَهُ      وَلَا أَلْقِيَهُ وَالسَّوَاءَ الْقَلْبَا  
كَذَاكَ أَذْبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي      إِنِّي وَجَدْتُ مِلَاكَ الشَّيْمَةِ الْأَدْبَا

ومنه أيضاً قول امرأة من بنى هِزَانَ سُمِّيَتْ بِأَمِّ الثَّوَابِ فِي ابْنِ لَهَا عَقْمًا<sup>(١)</sup> :  
(من بحر البسيط.)

أَنْشَا يُمَزِّقُ أَثْوَابِي يُودِّبُنِي      أَبْعَدَ شَيْئِي عِنْدِي يَبْتَغِي الْأَدْبَا  
ومنه أيضاً قول عبد الله بن المخارق الشهير بنايعة بنى شَيْبَانَ<sup>(٢)</sup> من شعراء  
عصر الأمويين :

إِنَّ الْغَلَامَ مُطِيعٌ مِنْ يُودِّبُهُ      وَلَا يُطِيعُكَ أَذْوَسِنْ لَشَادِيْبِ  
ثُمَّ لَضِيْقِ الْمَعَارِفِ عِنْدَ الْعَرَبِ الْقِدْمَاءِ (وتعلمون أَنَّ أَغْلِبَ الْعِلْمِ بِسَنَةِ  
آبَائِهِمْ وَمَكَارِهِمْ وَمَفَاخِرِهِمْ) صَارَتْ كَلِمَةُ الْأَدَبِ عِبَارَةً أَيْضاً عَنْ الْمَعْرِفَةِ  
بشئٍ ، والتأديبُ عِبَارَةٌ عَنْ الْإِخْبَارِ بِشئٍ ، والتعليمُ ، والأديبُ عِبَارَةٌ عَنْ  
الْمُخْبَرِ بِأَمْرٍ . ومن هذا الباب ما جاء في الحديث النبوي<sup>(٣)</sup> من قول عليّ

= ( شرح البيهقي ) الألقاب أعلام تشهر بملح شخص أو ذمه باعتبار معناها الأصل فجاء في القرآن  
الشريف في سورة الحجرات : « وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ » . وفي شعر حريث بن عتاب النهدي من  
معاصري الخلفاء الراشدين : (من بحر البسيط) .

لَا يَزِيحِي الْجَارُ خَيْرًا فِي يَوْمِهِمْ      وَلَا مَحَالَةٌ مِنْ شَمِّ وَالْقَابِ  
واختلفوا في شرح « والسَّوَاءَ » ومنهم من قال إنه مقول مع اللقبا أي لا ألقبه القلب مع السَّوَاءِ  
ومنهم من قال إنه مقول به كما يقال ما زلت وزيداً حتى فعل كذا أي ما زلت يزود حتى فعل كذا  
ومنهم من قال بالتقديم والتأخير كأن المراد ولا ألقبه القلب والسَّوَاءِ . وملاك الأمر قولاه الذي يقوم به أي  
نظامه وعمله .

(١) كذا في كتاب الحاشية لأبي تمام ص ٣٥٦ من طبعة بَنِّ أوج ٢ ص ١٣٤ من طبعة بولاق .  
وفي الكامل للمبرد ص ١٣٦ من طبعة ليبسك أوج ١ ص ١١٤ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٤  
أَنْشَا يَخْرَقُ أَثْوَابِي وَيَضْرِبُنِي      أَبْعَدَ سِتْنِ عَنِّي قَيْشِي الْأَدْبَا  
(٢) كتاب الحاشية للبحر ص ٣٤٠ من طبعة ليدن . وفي ديوان نايعة بنى شيبان ص ٧٥ من  
طبعة مصر ١٣٥١ .

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ١ ص ٣ من طبعة مصر ١٣١١ . وقال  
السيوطي في كتابه الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص ١٣ - ١٤ من طبعة مصر ١٣٠٧ =

ابن أبي طالب حين سمع النبي يخاطب وقد بنى نهْـد : « يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تُكَلِّمُ وفود العرب بما لا نفهم أكثره . فقال أدبني ربِّي فأحسن تأديبي وربيت في بني سَعْدِ » .

ومنه أيضاً بيت لمقاتل بن مسعود العبدي رواه البُخْـتَرِيُّ في حماسته <sup>(١)</sup> :  
( من بحر الطويل )

عَرَفْتُ اللَّيَالِي بُؤْسَهَا وَتَعِيمَهَا وَخُنْكَى صَرْفَ الزَّمَانِ وَأَدَبَا  
أَي جَعَلَنِي ذَا خَيْرَةٍ بِالْأُمُورِ . - ومنه قول أبي عطاء أَفْلَحَ بن يسار السُّنْدِيُّ <sup>(٢)</sup>  
من شعراء أواخر الدولة الأموية : ( من بحر الوافر )  
إِذَا أَرْسَلْتَ فِي أَمْرِ رَسُولًا فَافْهَمْهُ وَأَرْسَلُهُ أَدِيبًا  
وَلِنْ ضَيَّعْتَ ذَاكَ فَلَا تَلْمُهُ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ عَلِيمَ الْغُيُوبَا  
فَجَلِّي أَنْ الْمَرَادَ بِالْأَدِيبِ الْمُخْبِرُ بِأَمْرِ مَخْصُوصٍ .

هذه كانت معاني لفظ الأدب في زمان الجاهلية والقرن الأول للهجرة لا غير - فلسائل أن يسأل : ما لكل هذه الألفاظ. والمعاني من العلاقة بسائر المفردات المشتقة أيضاً من حروف أدب مثل الأذَّب وهو العَجَب والأُذْبَةُ والمَأْذُوبَةُ والمَأْذُوبَةُ التي هي طعامٌ صُنِعَ لدعوة أو عِرْس ومثل أَدَبَ بِأَدَبٍ أَدِيباً معناه عَمِلَ مَأْذُوبَةً أو دعا فلاناً إلى الطعام ؟ إن علماء اللغة من العرب اجتمعوا على جواب هذا السؤال بما تقدّم ذكره في النص المنقول آنفاً

= بهامش الفتاوى الحديثة لابن حجر الهيتمي ( مانعه : هـ ) ( حديث ) أدبني ربّي فأحسن تأديبي أبو سعيد ابن السمعاني في أدب الإملاء من حديث ابن مسعود والمسكوي في الأمثال وابن الجوزي في الأحاديث الواهية من حديث علي وقال لا يصح وصححه أبو الفضل بن ناصر قلت وأخرج ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن جده أن أبا بكر قال يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أحصح منك فمن أدبك ؟ قال أدبني ربّي ولشأت في بني سعد . انتهى هـ .

( ١ ) الحماسة للبُخْـتَرِيِّ ص ١٥٤ من طبعة ليدن - خُتِّمَ هَذِهِ .

( ٢ ) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ٨٦ من طبعة بولاق .

من كتاب ناج العروس . فيوافقه مثلاً قول أبي زكرياء يحيى التبريزي في شرحه على كتاب الحماسة لأبي تمام <sup>(١)</sup> : «والأدب اسم لما يفعله الإنسان فيتزين به في الناس . وأصله من الدعاء والأدب يدعو إلى نفسه بحُسْنِه » . وقال عبيد القادر البغدادي في كتاب خزانة الأدب ج ٤ ص ١٢٤ من طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ : «واشتقاقه من شئئين يجوز أن يكون من الأدب وهو العجب ومن الأدب مصدر قولك أدب فلان القوم يأدبهم إذا دعاهم قال طرفة <sup>(٢)</sup> :

(من بحر الرمل)

نعلن في المَشْتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدبَ فينا يَنْتَقِرُ  
فإذا كان من الأدب الذى هو العجب فكأنه الشيء الذى يُعْجَب منه  
لحُسْنِه لأن صاحبه الرجل الذى يُعْجَب منه لفضله وإذا كان من الأدب  
الذى هو الدعاء فكأنه الشيء الذى يدعو الناس إلى المحامد والفضل فينهلهم  
عن المقايح والجهل .

بيد أن هذا الاشتقاق ليس بعري من الشك واللبس الشديد لما فيه من التكلّف البعيد عن مقتضى قوانين نمو اللغة الطبيعية وطريقة انتقال معاني المفردات إلى غيرها . ولكن إذا طلب أحدكم منى إظهار رأيي في حقيقة الأمر أجبت أنى لا أستطيع إلاّ إبداء تخمين قد لمح إليه عرضاً في بعض تصانيفه الأستاذ فلرّس (Vollers) <sup>(٣)</sup> المرحوم ناظر دار الكتب الخديوية سابقاً . لا يخفى عليكم كثرة ورود لفظ «الدأب» في أشعار الجاهلية وأن

(١) الحماسة ص ١١١ من طبعة بنّ آر ج ٣ ص ٨٧ من طبعة بولاق .

(٢) البيت مروي في الديوان : قصيدة رقم ٥ بيت ٤٦ من طبعة لندن (The Divans of the six

الجليل <sup>الجليل</sup> قال في المصباح هي أن تدعو الناس إلى طامك دعوة عامة من غير اختصاص . انظر اختار .

(٣) انظر : VOLLERS, Katalog der islamischen . . . Handschriften der Universitäts Biblioth.,

Leipzig 1906, p. 180 n. 1.

معناه أى العادة والملازمة ليس بعيداً عن معنى السُّنة والأدب . ومع أن جمعه لا يُذكر في كتب اللغة ليس من المحال أن العرب قد جمعوه على آداب أعنى على وزن أفعال بتخفيف الهمزة ومدّ الألف الأولى كما يُجمع يثر على آبار وثار على آثار ورأس على آراس ورأى على آراء . وحيث إن حُسن السيرة والأدب إنما كان عند العرب يحفظ ما كانوا توارثوا عن أسلافهم من العوائد المسنَّحة لعلهم استعملوا لفظ الآداب عبارة عن تلك العوائد أى السُّنة المحمودة . ثم على نمادى الزمان اشتقوا من ذلك الجمع المتداول اصطلاحه صيغة جديدة لمقرده أعنى الأدب كما اشتقوا تَقَى والتَّقَى من اتَّقَى أو تَخَذَ يَتَخَذُ تَخْذًا من اتَّخَذَ أو تَلِهَ يَتَلَه تَلَهًا (أى حار وذهل) من اتَّلَهَ وهلمَّ جرًا . فأصبح لفظاً الأدب والآدب (أى الدعاء إلى الطعام) ككأنهما فُرْعان من أصل واحد على عدم علاقة حقيقية بينهما كما اتَّفَقَ مثلاً للفظى الزور والزور فأولهما عربى محض معناه وَسَطُ الصدر وقوة العزم والثانى فارسى الأصل معناه الكذب .

وإن التفتنا إلى ما سلّم من التَّلَف ووصل إلينا من مصنّفات القرن الثانى للهجرة وجدنا أن المراد بالأدب لم يزل مقصوراً على طريقة التصرف ولاسيما المحمودة وحُسن الأخلاق الناشئ عن حسن التربية والميل إلى المحامد ثم على المعارف سوى ما يتعلق بالدين والشرعية الذى قد اختص به اسم العلم منذ أواسط القرن الأول . ومما يدلُّ على ذلك كُتُبُ عبد الله بن المقفع ناقل كتاب كيلة ودمنة المتوفى نحو سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م وهو كُتُبُ في الحكيم والنصائح والأخلاق اسمه كتاب الأدب الصغير نشره حضرة الشيخ طاهر الجزائري في مجلة المقتبس سنة ١٣٢٦ هـ ثم طبعه

مستقلاً في المجموعة المسماة برسائل البلغاء<sup>(١)</sup>. وقال حديثاً الأديب الأريب أحمد بك زكي<sup>(٢)</sup> إنَّ عنوان ذلك الكتاب يجوز نقله إلى الفرنسية هكذا : *Le petit savoir faire* ولكني لا أرى تمام الموافقة بين العبارتين العربية والفرنسية وحدَّ ابن المقفَّع موضوع كُتَيْبِه هكذا<sup>(٣)</sup> : « قد وضعتُ في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ - حروفاً فيها عَوْنٌ على عمارة القلوب وصيقلها وتجليَّة أبصارها وإحياء للتفكير وإقامة للتدبير ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق إن شاء الله ». فترون من هذا الكلام أنَّ مراد المؤلف جمعُ حِكَمٍ ونصائح وإنَّ الأديبَ عنده قسم من علم الأخلاق العملي . فجاء في ضَمْنِ كتابه الأدب والآداب بمعنى طريقة التصرف وخصوصاً الحسنة فقال مثلاً المؤلف ص ٤ : « وعلى العاقل أن يُخصيَ على نفسه مَساوِئَها في الدين وفي الرأي وفي الأخلاق وفي الآداب فيجمع ذلك كله في صدره أو في كتاب » ، وقال ص ٧ : « قد يسعَى إلى أبواب السلطان أجناس من الناس كثيراً أمَّا الصالح فمدعوٌ وأمَّا الطالح فمقتحمٌ وأمَّا ذو الأدب فطالبٌ وأمَّا من لا أدب له فمختلِسٌ » .

وفي ص ١٢ : « أمورٌ لا تصلح إلَّا بقرائنها : لا ينفع العقل بغير ورع ولا الحفظ بغير عقل ولا شِدَّة البَطْش بغير شِدَّة القلب ولا الجمال بغير حلاوة ولا الحَسَب بغير أدبٍ إلخ » .

وفي ص ١٥ : « لا يطمَعَنَّ ذو الكِبَر في حُسْن الثناء ولا العُخْبُ في كثرة

(١) رسائل البلغاء ص ١ - ١٧ من طبعة مصر ١٣٢٦ . فطبعة أيضاً أحمد باشا زكي في سنة ١٣٢٩ هـ بالإسكندرية (ونقله الأستاذ Rescher إلى الألمانية سنة ١٩١٥) .

(٢) AHMED ZEKI BEY, *Mémoire sur les moyens propres à déterminer en Egypte une renaissance des lettres arabes*, Cairo 1910, P. 80.

(٣) رسائل البلغاء ص ٣ من الطبعة المذكورة .



الصديق ولا السيسى الأدب في الشرف ولا الشحيح في الممخدة » وربما جاء الأدب بمعنى حُسن التربية وتعليم مكارم الأخلاق فقال ابن المقفع ص ٧ : « كلام اللبيب وإن كان نزرًا أدب عظيم » . وربما جاء أيضًا الأدب بمعنى المعارف الدنيوية فقال ص ١٣ : « مَنْ حاولَ الأمور احتاج فيها إلى ستِّ الرأى والتوفيق والفرصة والأعوان والأدب والاجتهاد . وهنَّ أزواج فالرأى والأدب زوج لا يكمل الأدب إلَّا بالرأى ولا يكمل الرأى بغير الأدب . والأعوان والفرصة زوج إلخ » .

وفي ص ١٥ : « فضل العلم في غير الدين مهلكة وكثرة الأدب في غير رضوان الله ومنفعة الأخيار قاتل إلى النار » . وأختم لإنراد النصوص المنقولة من كتاب ابن المقفع بما ورد في أول نفس الكتاب ( ص ٢ ) : « فغاية الناس وحاجاتهم صلاح المعاش والمعاد . والسبيل إلى دركها العقل الصحيح . وأمانة صحة العقل اختيار الأمور بالبصر وتنفيذ البصر بالعزم . وللعقول سجيّات وغرائز بها تقبل الأدب وبالأدب تنمي العقول وتزكو . فكما أنَّ العجة المدفونة في الأرض لا تقدر على أن تخلع يُبسِّسها وتُظهِر قوتها وتطلع فوق الأرض بزهرتها ونضرتها وريعها ونماها إلَّا بمعونة الماء الذي يذور إليها في مستودعها فيذهب عنها أذى اليبس والموت ويُحدث لها بإذن الله القوة والحياة فكذلك سليقة<sup>(١)</sup> العقل مكنونة في مغزها من القلب لا قوة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتّى يعتملها الأدب الذى هو نماؤها وحياتها ولقاحها . وجُلُّ الأدب بالمنطق وكلَّ المنطق بالتعلّم ليس منه حرف من حروف معجمه ولا اسم من أنواع أسمائه إلَّا وهو مروى متعلّم مأخوذ عن إمام سابق

(١) سليقة طيبة .

من كلام أو كتاب . اه فيلوح أنَّ المراد هنا بالأدب هي المعارف على الإطلاق .

وكذلك لا يخرج عن العُرف اللغويّ القديم استعمالُ لفظِ الأدب في عنوان الباب الثالث من كتاب الحماسة<sup>(١)</sup> لأبي تمام المتوفى سنة ٢٢٨ هـ على أصحِّ الأقوال فإنَّ ذلك الباب يتضمَّن الأشعار في الحكيم وفي الأخلاق المعهودة من حياء وعفة وإغضاء عن الفخشاء وحُسن معاملة الناس ومسامحة الأخطاء وهلمَّ جرًّا ليكون ذلك كله هداية للناس في سيرتهم . وأنتم تعلمون أنَّ الإمام أبا عبد الله البخاريّ المتوفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م أفرد كتاب الأدب من كتاب الجامع الصحيح<sup>(٢)</sup> لعلم الأخلاق العملي وقوانين الأنس فإنَّ مدار الأحاديث النبويّة المجموعة في ذلك الكتاب إنما هو ما على الأولاد للوالدين والعناية بالأرامل واليتامى والفقراء ومراعاة حقوق الجيران وطيب الكلام والرفق في كلِّ الأمور ورحمة الناس بالبهائم وتعاون المؤمنين بعضهم بعضاً وحُسن الخلق والسخاء وما يُكره من البخل وما يجوز من اغتياب أدل الفساد والريب وما يُكره من التماح والنهي عن التحاسد والتدابير والصبر على الأذى والتبسم والضحك والإخاء والجلف والزيارة والحياء والحذر من الغضب والضيغ وما يُستحبُّ من العطاس وما يُكره من التثاؤب وما يُشبه ذلك . وكذلك كتاب الأدب لأبن المعتز الشاعر الشهير المتوفى سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م لا يشتمل إلا على الحكيم في الأخلاق . ولكنني لا أريد الإطناب في سرد النصوص والشواهد على ذلك لأنَّ استعمال كلمة الأدب

(١) كتاب الحماسة ٤٩٨ - ٥٣٧ من طبعة بن أوج ٣ ص ٧٥ - ١١٢ من طبعة بولاق .

(٢) صحيح البخاري ٢ ص ٣٩ - ٧١ من طبعة بولاق ١٢٨٩ أوج ٢ ص ١٠٨ - ١٦٥ من

طبعة ليدن .

بمعنى مكارم الأخلاق وحسن الأنس والتصرف معروف لم يزل متداولاً إلى وقتنا هذا ، وهو المسمى عند بعض الكتاب بأدب النفس .

وفي أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث ابتدأت تتفرع من تلك المعاني الأصلية معانٍ جديدة على طريق الإطلاق والحصر مع بقاء القديمة في عُرْف الناس . وكان سبب ذلك فضلاً عن نمو اللغة الطبيعي ما حصل للعرب من الرقي في سبيل التمدن والتغير في حضارتهم والتجدد في أحوال حياتهم والتقلب في سياستهم منذ اتسعت مملكتهم وامتد سلطانهم على أمم مختلفة الجنس واللغة والدين والعوائد والأميال الذين اختلطوا شيئاً فشيئاً بالتغلبين عليهم وأثروا في عمارتهم وعلومهم ما لا يخفى على أحد من التأثير العظيم . ولا سيما بعد ما قويت شوكة بني العباس وانتقلت دار الخلافة من دمشق إلى بغداد سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م أعنى إلى المدينة الجديدة الواقعة في وسط تلك الأراضي العراقية التي قد أدرك فيها التمدن الفارسي الساساني أوج عزته ورواقه . فنالت أشرف العجم المراتب العليا عند الخلفاء العباسيين حتى كاد لا يُستوْزَر إلا أكابر أهل الفرس .

قد ذكرنا آنفاً أنَّ العرب أحياناً عبروا بلفظ: الأدب عن جملة ما كان لهم من المعارف الدنيوية القليلة . وحُفظ. هذا المعنى المطلق إلى ما يلي منتصف القرن الرابع حسبما يُستنتج من رسائل إخوان الصفاء. وفيها ما نصّه (١) : « واعلم يا أخى بآن العلوم التي يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس

(١) انظر الرسالة السابعة من القسم الثاني من رسائل إخوان الصفاء ج ١ ص ١٨ - ١٩ من طبعة مجي سنة ١٣٠٥ - ١٣٠٦ . أما تسميتهم أنفسهم بإخوان الصفاء فأصلها عبارة توجد في أول باب الحاشية المطبوعة من كتاب كلیلة ودمنة وذلك لأنهم أن تلك الحكاية مثل ضرب في احتياجنا إلى معاونة إخواننا فننا نصحاء وأصدقاء لنا بفضل متبحرين بأمر الدين علماء بحقائق طريق الأمور لننجو من الورطة التي وقعت فيها كلنا بمنأى أبينا آدم ( اطلب الرسالة الثانية من القسم الأول من رسائلهم ج ١ ص ٥٣ من الطبعة المذكورة ) . فقلوا أنفسهم بأولئك الإخوان النصحاء . أما رأيهم هذا في آدم فهو أقرب إلى اعتقادات النصاري منه إلى الدين الإسلامي .

فمنها الرياضية ومنها الشرعية الوضعية ومنها الفلسفية الحقيقية . فالرياضية هي علم الآداب التي وُضِعَ أكثرُها لطلب المعاش وصلاح أمر الحياة الدنيا وهي تسعة أنواع أولها علم الكتابة والقراءة ومنها علم اللغة والنحو ومنها علم الحساب والمعاملات ومنها علم الشعر والعروض ومنها علم الزجر والفأل وما يشاكله ومنها علم السحر والعزائم والكيمياء والحيل وما يشاكلها ومنها علم الجوف والصنائع ومنها علم البيع والشري والتجارات أو الحرث والنسل ومنها علم السير والأخبار . - فليس هذا بعيداً عن قول الوزير المشهور الحسن بن سهل المتوفى سنة ٢٣٦ هـ أو ٨٥٠ - ٨٥١ م . قال : الآداب عشرة فثلاثة شهرجانية وثلاثة أنوشروانية وثلاثة عربية وواحدة أُرِيتْ عليهن . فأما الشهرجانية <sup>(١)</sup> فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصولج . وأما الأنوشروانية <sup>(٢)</sup> فالطب والهندسة والفروسيّة . وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس ، وأما الواحدة التي أُرِيتْ عليهن لمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس <sup>(٣)</sup> . فظاهر أنه أراد

(١) الشاربية أو الشهاريج هم من أشرف الفرس .

(٢) من كسرى أنوشروان الذي كان ملك الفرس من سنة ٥٣١ إلى سنة ٥٧٩ م .

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب للحصري ج ١ ص ١٠٢ من طبعة مصر ١٣٠٥ بهامش العقد الفريد لابن عبد ربه [ أ ج ١ ص ١٤٠ من طبعة مصر ١٩٢٥ ] . فتنسب جعفر بن محمد البيهقي النلوي ( المتوفى سنة ١١٨٢ هـ ) مثل هذا القول إلى ذي الرئاسين وهو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل تولى وزارة المأمون ومات سنة ٢٠٢ هـ . فهذا نص البيهقي في كتابه مواسم الأدب وآثار السجم والعرب ج ١ ص ٢ - ٣ من طبعة مصر ١٣٢٦ : « وفي سلاسل الذهب للعلامة أمين صفير المنفي قال العلامة جابر الله الزهري كان ذو الرئاسين يقول الأدب عشرة أجزاء ثلاثة أنوشروانية لعب الشطرنج والضرب بالعود والضرب بالصولج ( في الطبعة بالصولج وهو تحريف ) وثلاثة شهرجانية ( في الطبعة شهرجانية وهو تحريف ) الهندسة والطب والنجوم وثلاثة عربية النحو والشعر وأيام العرب وواحدة وهي السمر أراد المخاضرة . اهـ . فراجع أيضاً محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني ( المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ) ج ١ ص ٧٢ من طبعة مصر ١٣٢٦ .

ففي الأدب هذا ( أعني جملة العلوم والفنون والصنائع والألعاب التي يتميز الإنسان بمزقتها من سلة الناس ) فارسي تماماً ، فراجع كتاب المعلمين للجاحظ في كتاب الفصول المختارة من كتب الجاحظ ( بهامش الكامل للمبرد ) ج ١ ص ٢٢ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٤ .

بالآداب جميع الفنون غير الدينية وكل ما كان يصلح على رأى الفرس للظريف الشريف الأصل من المهارة بأنواع الألعاب ورياضة الجسم .

وفى نفس ذلك القرن الثالث ربما حصرُوا الأدب (بمعنى المعارف والقوانين الضرورية مراعاتها) فى ما تجب معرفته على طبقة مخصوصة من الناس . فألف ابن قتيبة الدينورى اللغوى والمؤرخ والمتأدب الشهير المتوفى سنة ٢٧٦ (وقيل ٢٧٠ أو ٢٧١) كتاباً سماه أدب الكاتب أو أدب الكتاب جمع فيه ما لا غنى عنه لكل كاتب ماهر من العلوم اللغوية . وصنف أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بابن كشاجم المتوفى فى حدود سنة ٣٥٠ (وقيل ٣٦٠) كتاب أدب النديم وهو عبارة عن مجموعة نُكِّت وأبيات ونوادر يلىق حفظها وروايتها فى المناداة ترويحاً للنفس . ومن أُلِّف كتباً فى أدب الوزراء دُون فيها التصانيع المفيدة للوزير فى فروع الحكمة العملية والسياسة . ومن أُلِّف التصانيف المترجمة بأدب القاضى شَرَح فيها قوانين القضاء الشرعى .

قد سبق أن الأدب والآداب أصلاً كانت السيرة أو السُنَّة الحميدة . وفى أواخر القرن الثالث أُطْلِق هذا المعنى على ما دون الأخلاق دلالة على المنهج الواجب سلوكه فى فن من الفنون والعلوم أو فى عمل من الأعمال . ففى كتاب العقيد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م نجد مثلاً باباً فى آداب الحكماء والعلماء وأبواباً موسومة بالأدب فى الحديث والاستماع أو الأدب فى المجالسة أو الأدب فى الماشاة وهلمَّ جراً . ودون الإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١م فى كتاب إحياء علوم الدين آداب الأكمل وآداب النكاح وآداب الكسب وآداب الألفة والأخوة والصُّحبة والمعاشرة وآداب السفر وآداب السماع والتَّوَجُّد وغير ذلك ممَّا يطول . نقله هنا . وألف محمد بن

على بن طباطبائي المعروف بابن الطُّقَطَقَي كتاباً في التاريخ سمّاه كتاب الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية<sup>(١)</sup> وقال<sup>(٢)</sup> إنّه «لأنما هو موضوع للسياسات والآداب التي يُنتَفَع بها في الحوادث الواقعة والوقائع الحادثة وفي سياسة الرعيّة وتحصين المملكة وفي إصلاح الأخلاق والسيرة». وكثيراً ما صنّفوا مصنّفات في آداب الدرس أي في طريقة التعليم والتعلم. وكلّكم تدرّون أنّ آداب المريدين هي مناهج طالب الترقى في مدارج الطرق الصوفيّة وأنّ آداب البحث هي قوانين المناظرة يسوغ للمتناظرين مراعاتها في الردّ والقبول.

فلننتقل إلى بيان أصل سائر معاني الأدب. إنّ التّرف والرّفه والنّعيم واتّساع الأحوال قد بلغت غايتها في مدن العراق والجزيرة وخصوصاً ببغداد في أوائل القرن الثالث للهجرة فقد حصل هناك للعرب ما أجاد وصفه ابن خلدون حيث قال في مقدمته الشهيرة<sup>(٣)</sup>: «لأنّ الأُمّة إذا تغلّبت وملكت ما بأيدي أهل الملّك قبلها كثر رياسها ونعمتها فتكثر عوائدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته إلى نوافله ورقته وزينته ويذهبون إلى اتباع من قبلهم في عوائدهم وأحوالهم وتصير لتلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك إلى رقة الأحوال في المطاعم والملابس والفُرُش والآنية ويتفاخرون في ذلك ويفاخرون فيه غيرهم من الأُمم في أكل الطيّب ولُبس الأنيق وركوب الفاره<sup>(٤)</sup>... وعلى قدر ملّكهم يكون حظّهم من ذلك وترفّهم

(١) ألف ابن الطقّطقي كتابه في سنة ٨٧٠١ / ١٣٠١ م لفخر الدين عيسى بن إبراهيم عامل الموصل.

(٢) الفصل الأول من الفخرى ص ١٩ من طبعة غريغزولد بألمانيا سنة ١٨٥٨.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٦٧ من طبعة بيروت ١٩٠٠ أوج ١ ص ٢٤٢ من الترجمة الفرنسية لدى سِلان (De Slane).

(٤) الفاره الحصان الجارى المليح.

فيه إلى أن يبلغوا من ذلك الغاية ٤ . ١ . ٥ . ومن طالع كتاب الأغاني  
 لأبي الفرج على الإصصهائي المتوفى سنة ٨٣٥٦ / ٩٦٧ م وكتاب مروج الذهب  
 للمسعودي المتوفى سنة ٨٣٤٥ / ٩٥٦ م وما يشاكلها من الكتب أو تصفح  
 دواوين شعراء ذلك العصر عرّف إفراط شغف الناس بالمجالسة والمنادمة  
 والمحادثة على الشراب في أيام هارون الرشيد والأمين والمأمون ومن تبعهم من  
 الخلفاء وتلقن قدر ما بلغه حينئذ قصده الأناقة في كل شيء وفعل وفعل  
 في جميع المعارف المستظرفة حتى إن غاية التزينة في بعض طبقات الناس  
 إنما كان الظرف في اللبس والتصرف ورشاقة الكلام ورقة المعاني وحسن  
 الاستئناس . وإن أردتم الوقوف التام على كنهه أولئك المتظرفين فراجعوا كتاب  
 المؤثي<sup>(١)</sup> لأبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الأعرابي المعروف بالوشاء  
 المتوفى سنة ٨٣٢٥ / ٩٣٧ م توصف فيه سنن الظرف بتفصيل فتجدون فيه  
 أبواباً في ذكر زى الظرفاء في اللباس المستحسن عند سمروات الناس وفي  
 زى الظرفاء في التيكك والنعال والخفاف وفي زيتهم المخصوص في الخواتم  
 والقضوص وفي زيتهم في التعطر والطيب الذي من خالفه كان غير مصيب  
 وفي ذكر زى الظرفاء في الطعام الذي بانوا به من منزلة الشام وفي ذكر زيتهم  
 في الشراب الذي يتخبره ذوو الألباب وفي ذكر الأشياء التي يتطير الظرفاء  
 من إهذائها ويرغبون عنها لشناعة أسماؤها وفيما اختير من ألفاظ الأدباء في  
 المكاتبات واستحسن من الظرفاء من مליح المعانيات وفيما ضمنوه كتبهم من  
 الأشعار وتكاتب به ذوو الظرف والخطار وفيما ضمنوه كتبهم من السلام  
 وجعلوه تلوا للشعر والنظام وهلم جرا .

غلاماً لا غرو أن لفظ الأدب عندهم أخذ يعدل عن معنى محض الأخلاق

(١) طبع ببلن سنة ١٨٨٧ وبمصر سنة ١٣٢٤ بعنوان كتاب الظرف والظرفاء .

المحمودة الحاصلة من حسن تربية النفوس حتى صار عبارة عن كل ما يجب مراعاته ومعرفته والتحملي به على من أراد مجالسة اللطفاء والوجهاء وتعمد جميع أنواع التطرف في أعماله وأفكاره وحديثه . فلذلك لا فرق في كتاب الموشى المذكور بين الظريف والأديب . خلاصة القول أن المراد بالأدب عند بعض طبقات الناس ببغداد منذ ابتداء القرن الثالث كان إظهار الأخلاق المرصية للجلساء والظرف والأناقة في اللباس والطعام والشراب وسائر أحوال الحياة والأنس والفصاحة وعدوية الكلام ثم حفظ الأبيات والنكت مع أخذ شيء من كل علم لتوشية الحديث به . فهذا أعني الأخلاق الحميدة والتطرف والمعارف المستطابة هو معنى الأدب مثلاً في كتاب العقد الفريد لأحمد بن عبد ربّه الأندلسي المتوفى سنة ٥٣٢٨ / ٩٤٠ م كما يلوح من جميع كتابه ونصوصاً من الباب في آداب الحكماء والعلماء <sup>(١)</sup> .

ومن هذا المعنى المجلدات العام تفرّع مغنيان خاصان مطابقة لاختصاص أميال بعض المتطرفين بنوع معين من الظرف . فإن الذين مالوا إلى ما يلد للعقول وقضوه على غيره رأوا غاية الظرف في حضور المجالس والمقامات ورواية الأمثال والحكايات والتحدث بالملح والنوادر والأخبار وتذكّر القصص والأشعار على ما تجرّ المحادثة من شجون الكلام وذلك مع كراهة كل إطناب مجل . فإنّ الإسم كان عندهم من شرّ العيوب فكثيراً ما جاء التحذير منه في تأليفات القرن الثالث والرابع . ورؤى مثلاً عن الأشجع السلمي الشاعر في أيام هارون الرشيد أن أنس بن أبي شيبخ النصيري صاحب الوزير جعفر بن يحيى لما عاشره أوّل مرّة طلب منه إنشاد بعض شعره .

(١) العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٩ من طبعة مصر ١٣٠٥ [ وإن أردت المقابلة بصحائف الطبقات الأخرى فانظر : *totha Kitāb al-Ikād* : Mohammad Shafic, *Analytical Indices* [ *al-farāḍ*, Calcutta 1935 ] . أما لفظ الأدب في « فصول في الأدب » ( العقد ج ٢ ص ١٨٩-١٩١ ) وفي « فصول لعمرو بن بحر الجاحظ في الأدب » ( العقد ج ٢ ص ١٩١ ) فنناه الحكم .



« قال الأشجع فأنشدته فقال إنك لشاعر فما بمنعك من جعفر بن يحيى فقلت ومن لي بجعفر بن يحيى فقال أنا فقل أبياتاً ولا تطيل فإنه يعمل الإطالة . فقلت لست بصاحب إطالة فقلت أبياتاً على نحو ما رسم لي »<sup>(١)</sup> .  
 وفي الباب السابع بعد المائة من كتاب مروج الذهب للمسعودي<sup>(٢)</sup> ما نصه :  
 « وقد ذكر بعض المحذنين من أهل الأدب أن من الأدب عدم إطالة الحديث من النديم وأن أحلى لحديثه وأحسن لموقعه أن يجتنب منه الأحاديث الطوال ذات المعاني المغلفة<sup>(٣)</sup> والألفاظ الحشوية التي افتن باقتصاصها سمار المجلس وتعلق بها النفوس وتحتسى<sup>(٤)</sup> على أواخرها الكؤوس فإن ذلك بمجالس القصص أشبه منه بمجالس الخواص . وقد ذكر هذا المعنى فأجاد فيه عبد الله ابن المعتز ووصف ذلك من أوصاف أصحاب الشراب على المعاقرة<sup>(٥)</sup> فقال<sup>(٦)</sup> :  
 ( من بحر الخفيف )

بين أقداحهم حديث قصير      هو سخر وما سواه كلام  
 وكان السقاة بين الندى      آفات على سطور قيام

فلتفتنهم في المعارف المستظرفة المقرون بالخوف الشديد من الملل اشتهر في عرفهم أن علم الأدب عبارة عن الملع واللطائف والنكت والأمثال والنوادر والأبيات الرقيقة والتواريخ وذكر الشيء بالشيء بالاستطراد أو بالمناسبة مع

(١) كتاب الأغاني ج ١٧ ص ٣٣ من طبعة بولاق سنة ١٢٨٥ وراجع A. MEZ, *Abulhasin*, Heidelberg 1902, P. VII-IX.

(٢) مروج الذهب للمسعودي في الباب السابع بعد المائة ج ٦ ص ١٣٢ - ١٣٣ من طبعة باريس ١٨٦١ - ١٨٧٧ .

(٣) الرسالة المغلفة المحمولة من بلد إلى بلد .

(٤) تحتسح يحسوا واحتسى شربه شيئاً بعد شيء .

(٥) عاقر الخمر آدم من شربه .

(٦) ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ٦٣ ( الباب الخامس في الشراب والخمرات ) من طبعة مصر

مراعاة مقتضى الحال . فقول إن « الفرق بين الأديب والعالم أن الأديب من يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه والعالم من يقصد الفن من العلم فيعلمه »<sup>(١)</sup> . وقال شاعر<sup>(٢)</sup> :

أرى العلم نوراً والتأديب حليةً      فخذ منهما في رغبة بنصيب

وليس يتم العلم في الناس للفتى      إذا لم يكن في علمه بأديب

ولا يخفى عليكم كم كتاب أُلّف في فنّ الأدب بهذا المعنى الخاص أعنى في جمع مقطعات الأشعار وطُرّف الأخبار وغرائب النوادر ترويحاً للنفوس وتفكيهاً للألباب . وأوّل من سلك هذا المنهج في التأليف وصار أنموذجاً في ذلك للمتأخرين هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م فإنه في مصنفاته النفيسة الشهيرة يهيم في كل واحد ويجمع بين المنظوم والمنثور والنوادر والفكاهات والأخبار من غير ترتيب واضح مخافة من ملل القارئ . ومن الغريب أن المسعودي<sup>(٣)</sup> قال إنه نظم تصانيفه أحسن نظم . ومن أحسن بيان لمادة التأليفات من ذلك الفن ما قال أبو إسحاق إبراهيم ابن عليّ الحُصَريّ القيرواني المتوفى سنة ٤١٣ وقيل ٤٥٣ في وصف موضوع كتابه المسمّى بزهر الآداب وثمر الألباب<sup>(٤)</sup> : « هذا كتاب اخترت فيه قطعة كافية من البلاغات في الشعر والغبر والفصول والفقر ممّا حسن لفظه

(١) انظر إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت ج ١ ص ١٧ من طبعة لندن بمناية الأستاذ مرجليوث (Margoliouth) سنة ١٩٠٧ [ إل ١٩٣١ ] في النسخة النحلية : فيتمله وهو غلط فأقرأه : فيتمله فقرأ الأستاذ مرجليوث : فيتمله .

(٢) إرشاد الإريب ج ١ ص ١٦ .

(٣) مروج الذهب في الباب الأحد والعشرين بعد المائة (ج ٨ ص ٣٤ من الطبعة البارسية المذكورة) .

(٤) زهر الآداب ج ١ ص ٢ - ٤ من الطبعة المصرية سنة ١٢٠٥ [ أوج ١ ص ١ - ٣ من طبعة سنة ١٩٢٥ ] .

ومعناه واستدلّ بفحواه عن مغزاه ولم يكن شاردًا حوشياً ولا ساقطاً سوقياً بل كان جميعاً ما فيه من ألفاظه ومعانيه كما قال البُحْتَرِيُّ<sup>(١)</sup> :

في نظام من البلاغة ما شد لك امرؤ أنه نظامٌ فريدٌ  
حُزنٌ مستعمل الكلام اختياراً وتَجَنَّبُ ظلمة التعقيد  
ورَكِبَ اللَّفظَ القريب فأدرك من به غاية المراد البعيد

ولم أذهب في هذا الاختيار إلى مطوّلات الأخبار . . وهو كتاب يتصرف الناظر فيه من نشره إلى شعره ومطبوعه إلى مصنّعه ومحاوَرته إلى مفاخرته ومناقشته إلى مساجلته<sup>(٢)</sup> وخطابه المُبْهَت إلى جوابه المُسَكِّت وتشبيهاته المصيبة إلى اختراعاته الغريبة . . وكان السبب الذي دعاني إلى تأليفه وتديّني إلى تصنيفه ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان أ طال الله مدته وأدام نعمته في الأدب وإنفاق عمره في الطلب ومالي في الكتب وأن اجتهاده في ذلك حمّله على أن أرتحل إلى المشرق بسببها وأغمض في طلبها باذلاً في ذلك ماله مستعلباً فيه تعباً إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره وفصحاء دهره طوائف طريفة وغرائب غريبة وسألني أن أجمع له من مختارها كتاباً يكتفي به عن جملتها وأضيفَ إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه وقارنه وشابهه ومائله فسارعت إلى مراده وأعنته على اجتهاده وألّفت له هذا الكتاب ليستغني به عن جميع كتب الآداب إذ كان موثّقاً من بديع البديع<sup>(٣)</sup> ولآلى

(١) انظر ديوان البُحْتَرِيِّ ج ٣ ص ١٩٥ من الطبعة القسطنطينية سنة ١٣٠٠ أو ج ١ ص ٢٠٦ من الطبعة المصرية سنة ١٣٢٩ هـ أو ص ٦٩٣ و ٦٩٤ من طبعة بيروت سنة ١٩١١ وفتح البُحْتَرِيُّ ( المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ) في هذا الشعر محمد بن عبد الملك بن الزيات . الأبيات مروية أيضاً في [عجاز القرآن للبلاقي] ص ٥٥ من طبعة مصر ١٣١٥ والبيتان الآخران مرويان في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ٣٧٢ من طبعة مصر ١٣٢١ .

(٢) مساجلته : وساجله فاعره وهارضة .

(٣) يعني بديع الزمان أحمد بن الحسين الحمداني المولود سنة ٣٥٨ هـ ٩٦٩ م والمتوفى سنة ٣٩٨ هـ ١٠٠٧ م [ وفيه أنظر النثر الفنى في القرن الرابع لزكى مبارك ج ٢ ص ٣٢٥ إلى ٣٥٦ ] .

الميكائيل<sup>(١)</sup> وشهبي الخوارزمي<sup>(٢)</sup> وغرائب الصاحب<sup>(٣)</sup> ونفيس قابوس<sup>(٤)</sup> وشذور أبي منصور<sup>(٥)</sup>. وهذا النوع من الأدب أى أخذ شئ مستطرف وطرائف وغرائب من كل فن ولا سيما من مقطعات الأشعار ولطائف الأخبار هو المقصود فى أكثر ما جاء فى مدح الأدب ومحاسنه وفضيلته فى عدة تأليفات مشهورة مثل كتاب العقد الفريد السابق ذكره وكتاب المحاسن والمساوى لإبراهيم ابن محمد البيهقي<sup>(٦)</sup> من علماء القرن الخامس وكتاب إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب<sup>(٧)</sup> لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦/١٢٢٩ وشرح أبي العباس أحمد ابن عبد المؤمن الشريفي<sup>(٨)</sup> المتوفى سنة ٦١٩/١٢٢٢ على المقامات الحريرية وكتب أخرى يطول سرد أسماها .

أما المعنى الخاص الثانى الملمح إليه فيما تقدم فأصله عند قوم من الظرفاء فضلوا صناعة الشعر والإنشاء البليغ ودقائق اللغة على سائر أجناس الظرف فاصطلحوا بلفظ الأدب على جميع الفنون الكتابية المستظرفة لا على مجرد

- 
- (١) وهو أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد الميكائيل المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ١٠٣٨ م . [ راجع النثر الفنى المذكور آتيا ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٤ ] .
- (٢) المراد هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ولد سنة ٣٢٢ هـ ٩٣٥ م ومات سنة ٣٨٣ هـ ٩٩٣ م ( وقيل ٢٩٣ ) [ راجع النثر الفنى المذكور سابقا ج ٢ ص ٢٥٩ إلى ٢٧٦ ] .
- (٣) يعنى الصاحب بن عباد ولد سنة ٣٢٤ هـ ٩٣٦ م ( وقيل ٣٢٦ ) وتوفى سنة ٣٨٠ هـ ٩٩٥ م [ انظر النثر الفنى ج ٢ ص ٢٤٣ - ٢٥٠ ] .
- (٤) وهو شمس المالك قابوس وشمكير المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ١٠١٢ م [ انظر النثر الفنى ج ٢ ص ٢٧٧ - ٢٨٩ ] .
- (٥) وهو أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ولد سنة ٣٥٠ هـ ٩٦١ م ومات سنة ٤٢٩ هـ ١٠٣٨ م [ انظر النثر الفنى ج ٢ ص ١٧٩ - ١٩٠ ] .
- (٦) راجع كتاب المحاسن ج ١ ص ٢٠١ وج ٢ ص ٧٤ - ٧٥ من طبع مصر سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٦ م [ راجع أيضا ج ٢ ص ٧٥ - ٩٢ ] .
- (٧) إرشاد الأريب ج ١ ص ١٢ - ٢٧ من الطبعة الليدية .
- (٨) شرح المقامات الحريرية للشريفي فى آخر المقامة الثالثة والثلاثين ( ج ٢ ص ١٨٠ من طبعة مصر ١٣٠٦ ) .

المقطّعات منها ولفظ. الأديب على من يُحسّن العربيّة ويتعاطى صناعتى النظم والنثر . وابتدأ استعمال كلمة الأدب هذا فى نفس النصف الأوّل من القرن الثالث حسبما يتّضح من جملة من النصوص . منها قول الجاحظ. <sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٢٥٥ / ٨٦٩ : « طلبت علم الشعر عند الأصمعى فوجدته لا يُحسّن إلّا غريبه فرجعت إلى الأخصر فوجدته لا يُتقن إلّا إعرابه فعطفت إلى أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلّا ما اتصل بالأخبار وتعلّق بالآثام والأنساب فلم أظفر بما أردت . إلّا عند أدباء الكتّاب كالحسن بن وهب ومحمّد بن عبد الملك الزيات . فجلّى أنّ الأدباء هنا هم الذين يُسمّون بالفرسيّة gens de lettres أو lettrés . وقال الجاحظ. <sup>(٢)</sup> أيضاً فى موضع آخر : « وأنشد رجل قوماً شعراً فاستغربوه فقال والله ما هو بغريب ولكنكم فى الأدب غرباء » ، فظاهر أنّ الأدب هنا صناعتنا النظم والنثر البليغ . وهذا أيضاً المراد بالآداب فى قول المبرّد المتوفى سنة ٢٨٥ فى خطبة كتابه الموسوم بالكامل فى اللغة والأدب ج ١ ص ٢ من طبعة مصر سنة ١٣٢٣ إلى ١٣٢٤ : « هذا كتاب ألفناه يجمع ضرورياً من الآداب ما بين كلام منشور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة باللغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة » . وكتب الآداب هى جميع التصانيف المستظرفة نظماً ونثراً كما يلوح من ذكر كتب ذلك الفنّ فى إحدى رسائل أبي بكر الخوارزمى <sup>(٣)</sup> المتوفى سنة ٣٨٣ وقيل ٣٩٣ : « ذكر السيّد أنّه كتب جواب كتابى من وقت الظهور إلى وقت العصر . ولقد استبطأته مع ما أعرفه من بُعد غوره وغزارة بحره . ولكنى أغلقت لهذا

(١) المروى فى العملة لابن رشيّق ج ٢ ص ٨٤ من الطبعة المصرية سنة ١٣٢٥ .

(٢) وقيل الجاحظ هذا مروى فى عمدة ابن رشيّق ج ١ ص ٨٦ من الطبع المذكور .

(٣) رسائل الخوارزمى ص ٢٢ من طبعة مصر سنة ١٣١٢ أو ص ٣٠ - ٣٦ من طبعة

قسطنطينية سنة ١٢٩٧ ولكن فى هذه الطبعة الأخيرة روايات غير صحيحة .

الجواب بابي وأرخصت له حججاً وضممت إلى نشر كتب آداني وجلست  
من الدواوين بين آل الجراح<sup>(١)</sup> وآل ثوابة<sup>(٢)</sup> وبين بني الخصيب وبني مقله<sup>(٣)</sup>  
ونشرت من المقابر آل يزداد وآل شداد<sup>(٤)</sup> وحشرت من الآخرة ابن المقفع  
البصري<sup>(٥)</sup> وسهل بن هارون الفارسي<sup>(٦)</sup> وابن عبدان المصري والمحسن بن وهب  
الحارثي وأحمد بن يوسف المأموني<sup>(٧)</sup> ووضعت عن يميني عهد أردشير بن بابكان  
وعن يساري كتاب التبيين والبيان<sup>(٨)</sup> وبين يدي فصول بزرجمهر بن  
اليختكان<sup>(٩)</sup> وقبل ذلك رسائل مولانا صاحب<sup>(١٠)</sup> عين الزمان وزين الشيب  
والشبان ، فما زلت أسرق من هذا كلمة وأطّر من ذاك فقرة وأستعير من هناك  
نادرة وثيقة أغضب الأحياء على بيانهم وأنبش الموتى من أكفانهم - وعلى

(١) يشير بال الجراح إلى داود بن الجراح الذي عاش في أيام المستعين ٢٤٨ - ٢٥١ / ٨٦٢ - ٨٦٥ وابنه محمد وحفيده علي بن عيسى وابني حفيده عيسى بن علي وعبد الله بن علي فكلهم من الأدباء والمؤرخين فراجع فهرست ابن النديم ص ١٢٨ - ١٢٩ من طبع ليبسك سنة ١٨٧١ .

(٢) أما آل ثوابة فهم أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة بن يونس المتوفى سنة ٢٧٧ وابنه أبو عبد الله محمد وهما مؤلفا رسائل (انظر كتاب الفهرست ص ١٣٠) .

(٣) ومن بني مقله الوزير الكاتب أبو علي محمد بن علي بن مقله الذي ولد سنة ٢٧٢ ومات سنة ٣٢٨ (راجع ابن خلكان عدد ٧٠٨ من طبعة غوتنبرج أو عدد ٦٩٩ من الطباعات المصرية) وأخوه أبو عبد الله القاسم الذي ولد سنة ٢٧٨ وتوفى سنة ٣٣٠ (انظر كتاب الفهرست ص ٩ والإرشاد لياقوت ج ٣ ص ١٥٠ - ١٥٢) .

(٤) ابن يزداد هو أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد المتوفى سنة ٢٣٠ وكان وزير المأمون وله ديوان ورسائل . راجع كتاب الفهرست ص ١٢٤ .

(٥) يعني عبد الله بن المقفع المشهور الذي أمر الخليفة المنصور بقتله سنة ١٤٠ / ٧٥٧ م .

(٦) هو سهل بن هرون كاتب المأمون ومدير خزنة الحكمة مات سنة ٢١٥ هـ [ انظر الإرشاد لياقوت ج ٤ ص ٢٥٨ ] .

(٧) [ لعله أحمد بن يوسف بن القاسم مات سنة ٢١٣ أو ٢١٤ وتوفى ديوان رسائل المأمون فليراجع الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ١٦٠ - ١٧١ ] .

(٨) وهو كتاب مشهور للجاحظ .

(٩) انظر ما قلت فيه في كتابي علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى (روما ١٩١١) . ص ١٩٠ - ١٩٦ .

(١٠) يعني صاحب بن عباد الذي قد تقدم ذكره (انظر الحاشية ٣ من ص ٢٠) .

مثل ذلك يستعمل ياقوت في كتاب إرشاد الأريب لفظاً. الأدباء لتحريف الذين يعتنون بفنّي النظم والنثر لا غير . وهذا المعنى لم يزل في عرف الناطقين بالضاد إلى أيامنا .

ولننتقل إلى بيان معنى آخر أصله في قوم من العلماء اشتغلوا بعلوم الدين والشريعة ورأوا من موجباتها التدقيق في معرفة أسرار العربية لتفسير القرآن من جهة المفردات والعبارات اللغوية أو لشرح الغريب الوارد في الأحاديث النبوية فجعلوا الاستقصاء في جميع أنواع العلوم المتعلقة باللغة والشواهد الشرعية جلّ المعارف الدنيوية بل توطئة لكل العلوم الشرعية . فقال مثلاً الإمام أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ١١١١هـ في كتاب إحياء علوم الدين<sup>(١)</sup> : «إن العلوم الشرعية تنقسم إلى أربعة أضرب الأول منها أصول الفقه والثاني فروع الفقه والثالث المقدمات والرابع التتمات يعنى تفسير القرآن وعلم الحديث . ثم قال : «والضرب الثالث المقدمات وهى التى تجرى منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) . وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكلّ شريعة لا تظهر إلّا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة » . فإذا لا غرو أن الذين جعلوا جلّ المعارف الدنيوية فى علوم اللغة العربية حصروا فيها الأدب الذى - كما مرّ بيانه فيما سبق - قد أطلق اسمهُ أحياناً على جملة المعارف غير الدينية الشرعية . إلّا أنّهم سلكوا فى هذا الحصر طريقين مختلفين فمنهم من ذهب إلى أن علم الأدب أو الآداب الاعتناء بالأشعار القديمة والتأليفات

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ١٤ - ١٥ من طبعة مصر ١٣٠٢ (وفى آخرها ١٣٠٣) وراجع أيضاً كتاب الشعر والشعراء لابن تينية ص ٣ من طبعة ليدن ١٩٠٤ م والمفصل للزحشرى ص ٣ من الطبعة المصرية سنة ١٣٢٣ ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ٧ من طبعة مصر ١٣٢١ .

والرسائل البليغة من جهة اللغة الفصيحة واستخراج الشواهد النافعة والتوصل إلى المعرفة التامة بدقة الكلام وأسرار الفصاحة والبلاغة لا من جهة قصد النزهة أو مجرد الظريف البديع . هذا هو المراد بالأدب في كتاب روضة العقلاء ونزعة الفضلاء للإمام الحافظ. المحدث أبي حاتم محمد بن حبان البُشَيتِيُّ المتوفى سنة ٣٥٤ الذي أفرد فيه باباً للحث على تعلّم الأدب ولزوم الفصاحة<sup>(١)</sup> وعلى مثاله ما قال عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البَطْلَيْوْسِيُّ المتوفى سنة ٥٢١ في كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ص ١٤ - ١٥ من طبعة بيروت سنة ١٩٠١ م : «إن الأدب له غرضان أحدهما يقال له الغرض الأدنى والثاني الغرض الأعلى . فالغرض الأدنى أن يحصل للمتأدب بالنظر في الأدب والتمهّده فيه قوّة يقدر بها على النظم والنثر . والغرض الأعلى أن يحصل للمتأدب قوّة على فهم كتاب الله تعالى وكلام رسوله (صلى الله عليه وسلم) وصحابته ويعلم كيف تُبنى الألفاظ . الواردة في القرآن والحديث بعضها على بعض حتّى تُستنبط منها الأحكام وتُفسرُ الفروع وتنتج النتائج وتُقرن القرائن على ما تقتضيه مبادئ كلام العرب ومجازاته كما يفعل أصحاب الأصول . وفي الأدب لمن حصل في هذه المرتبة منه أعظم معونة على فهم علم الكلام وكثير من العلوم النظرية . فقد زهد الناس في علم الأدب وجهلوا قدر الفائدة الحاصلة منه حتّى ظنّ المتأدب أن أقصى غاياته أن يقول أبياتاً من الشعر . والشعر عند العلماء أدنى مراتب الأدب لأنه باطل يُعجل في وعرَضٍ حقٍّ وكذبٍ يُصوّر بصورة صدق . وهذا اللّم إنما يتعلق بمن ظنّ صناعة الشعر غاية الفضل وأفضل حلّى أهل الثبيل . فأنما من كان الشعر بعض حلاله وكان له فضائل سواه ولم يتخذ مَكْسِباً وصناعة ولم يُرضِ لنفسه

(١) روضة العقلاء لابن حبان من ١٩٥ - ٢٠٠ من طبعة مصر ١٣٢٨ .



حِرْفَةً وَبِضَاعَةً فَإِنَّهُ زَائِدٌ فِي جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَنِبَاهَةِ ذِكْرِهِ . ثُمَّ قَالَ : « وَحَدُّ  
الْمُنْطَلَقِ كِتَابٌ يَتَّخِذُهُ الْمُتَفَلِّسُونَ مَقْدَمَةً لِلْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ كَمَا يَتَّخِذُ الْمُتَأَدِّبُونَ  
صِنَاعَةَ النِّحْوِ مَقْدَمَةً لِلْعُلُومِ الْأَدَبِيَّةِ » . - وَحَدُّ عِلْمِ الْأَدَبِ ( أَوْ الْآدَابِ )  
بِهَذَا الْمَعْنَى وَمُرْتَبَتُهُ فِي مَرَاتِبِ الْعُلُومِ حَدُّهُمَا ابْنُ خَلْدُونِ فِي مَقْدَمَتِهِ بِغَايَةِ  
الْوَضُوحِ فَقَالَ فِي مَوْضِعٍ <sup>(١)</sup> : « النَّظَرُ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَا يَبْدَأُ أَنْ تَتَقَدَّمَ  
الْعُلُومُ اللَّسَانِيَّةُ لِأَنَّهُ مَتَوَقَّفٌ عَلَيْهَا وَهِيَ أَصْنَافٌ فَمِنْهَا عِلْمُ اللُّغَةِ وَعِلْمُ النِّحْوِ  
وَعِلْمُ الْبَيَانِ وَعِلْمُ الْآدَابِ » . وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ <sup>(٢)</sup> : « إِنَّ عِلْمَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ  
« أَرْكَائُهُ أَرْبَعَةٌ وَهِيَ اللُّغَةُ وَالنِّحْوُ وَالْبَيَانُ وَالْأَدَبُ . وَمَعْرِفَتُهَا ضَرُورِيَّةٌ عَلَى  
أَهْلِ الشَّرِيعَةِ إِذْ مَأْخُذُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ كُلُّهَا مِنَ الْكُتَابِ وَالسُّنَنِ وَهِيَ بِلُغَةِ  
الْعَرَبِ وَنَقَلَتْهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَرَبٌ وَشَرَحَ مُشْكَلَاتِهَا مِنْ لُغَتِهِمْ فَلَا  
بَدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا اللِّسَانِ لِمَنْ أَرَادَ عِلْمَ الشَّرِيعَةِ » . وَفِي مَوْضِعٍ  
ثَالِثٍ أَتَى بِتَعْرِيفِ عِلْمِ الْأَدَبِ فَقَالَ <sup>(٣)</sup> : « هَذَا الْعِلْمُ لَا مَوْضُوعَ لَهُ يُنْظَرُ  
فِي إِثْبَاتِ عَوَارِضِهِ أَوْ نَفْيِهَا . وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ تَسَرُّعُهُ  
وَهِيَ الْإِجَادَةُ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ وَمِنَاحِيهِمْ <sup>(٤)</sup> فَيَجْمَعُونَ  
لِذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا عَسَاهُ تَحْصُلُ بِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ شَعْرِ عَالِي الطَّبَقَةِ  
وَمَنْجَعٍ مُتَسَاوٍ فِي الْإِجَادَةِ وَمَسَائِلَ مِنَ اللُّغَةِ وَالنِّحْوِ مَبْثُوثَةٌ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مُتَفَرِّقَةٌ  
بِاسْتِقْرَإِ مِنْهَا الشَّاطِرُ فِي الْغَالِبِ مُعْظَمَ قَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضٍ مِنْ أَيْتَامِ

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨١ من طبعة بيروت ١٨٧٩ أو ص ٤٣٩ من طبعة بيروت

١٩٠٠ أو ٤٨٦ من طبعة مصر ١٣٢٧ أو ج ٢ ص ٤٥٢ - ٤٥٣ من الترجمة الفرنسية لدى سِلاَن .

(٢) مقدمة ص ٤٩٩ من طبعة بيروت ١٨٧٩ أو ص ٥٤٦ من طبعة بيروت ١٩٠٠ أو ص ٦٣٨ من طبعة مصر ١٣٢٧ أو ج ٢ ص ٣٠٧ من الترجمة الفرنسية .

(٣) ص ٥٠٦ من طبعة بيروت ١٨٧٩ أو ص ٥٥٣ من طبعة بيروت ١٩٠٠ أو ص ٦٤٧

من طبعة مصر ١٣٢٧ أو ج ٣ ص ٢٢٨ إلى ٣٣٠ من الترجمة الفرنسية .

(٤) المنهاج : المسيل للملوك .

العرب يَفْهَمُ به ما يقع في أشعارهم منها وكذلك ذكر المُهِمَّ من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة . . . . . ثم لَنُفْهِمُ إذا أرادوا حيد هذا الفن قالوا : الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كِلِّ علم بطَرْفٍ . يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط . إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كَلْفِهِم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائماً على فهمها . وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانها أربعة دواوين وهي أدب الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرّد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ . وكتاب النوادر لأبي عليّ القاليّ البغداديّ « ١ هـ .

أمّا المسلك الثاني في حَصْر علم الأدب في علوم اللغة العربية فهو مسلك الذين عنوا بالأدب علم الصرف والنحو واللغة والمعاني والبيان مع ما يتصل بها من علمي القوافي والعروض وكلّ ذلك خلافاً لما نقلته عن ابن السّيد البطلانيّ وأبن خلدون . والمحمّط عندى أن هذا المعنى الخاص لم يتولّد إلاّ نحو انقضاء القرن الخامس فلمّا عشت عليه فيما صُنّف قبل القرن السادس . ومن أمثلة ذلك الاستعمال أن أبا البركات عبد الرحمن بن محمّد الأنباريّ المتوفى سنة  $\frac{577}{1181}$  ألف كتأباً جيّداً سمّاه بنزّهة الألباء في طبقات الأدباء ، فلمّ راجعتموه وجدتم أنه لم يذكر فيه إلاّ اللغويين والنحويين . فقال ابن خلكان<sup>(١)</sup> المتوفى سنة  $\frac{781}{1382}$  في ترجمة أبي زكرياء يحيى التبريزيّ : « كانت له معرفة تامّة بالأدب من النحو واللغة وغيرهما . . . . . وصنّف

(١) وفیات الأعيان ترجمة عدد ٨١٠ من طبة غوتنجن أر ٧٧١ من الطبعات المصرية .

في الأدب كتباً كثيرة مفيدة منها شرح الحماسة وكتاب شرح ديوان المتنبي وكتاب شرح سقط الزند . . وشرح المعلقات السبع وشرح المفضليات وله تهذيب غريب الحديث وتهذيب لإصلاح المنطق وله في النحو مقدمات حسنة إلخ . . فيتضح من هذا الكلام أن علم الأدب عند ابن خلكان كالآدب عند أبي البركات ابن الأثير المذكور وعند أبي يعقوب يوسف ابن محمد السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ الذي قال في كتاب مفتاح العلوم (١) إنَّ الغرض من علم الآدب هو الاحتراز عن الخطأ في كلام العرب وأنه مشتمل على علم الصرف والنحو واللغة والمعاني والبيان . ومن المشهور أن علماء هذا الفن اختلفوا في أقسامه لأنَّ بعضهم جعل قسمين مستقلاً ما ليس على رأى غيره إلاَّ جزء من أجزاء أحد الأقسام الأصلية فمن ذكر لعلم الآدب أربعة أقسام ومن ذكر ثمانية ومن ذكر اثني عشر ومن ذكر أربعة عشر وهلم جراً . فقال مثلاً السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة  $\frac{816}{1414}$  إنَّ الاشتقاق قسم مستقل خلافاً لرأى سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ الذي جعله ذيلاً لعلم الصرف . وذهب قوم من العلماء إلى أنَّ البديع قسم برأسه وعده آخرون من تمة علمي المعاني والبيان . ولكنني لا أريد الخوض في مثل هذه المسائل الخارجة عن مقصودنا الحالي .

فتم كلامنا على ما عرض لكيفية استعمال لفظ الأدب من التغير والحصار والإطلاق والتفرع بتغير أحوال العمران وتباين أصناف الناس في الأجيال السابقة لتأثير علوم الإفرنج في علوم الشرق . وأرى من المناسب أن ألخص الآن نتائج البحث المتقدم بغاية الاختصار أعني مجردة عن الشواهد

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ص ٢ من طبعة مصر سنة ١٣١٧ .

والنصوص التي إنَّما أتيتُ بها قبلاً لثلاً تأخذوا مني شيئاً بدون حُجَّة . فإِنِّي لا أخاف من الإطالة إِذَا لا بدَّ منها لإثبات البراهين على أقوالى فلست حينئذ من أولئك المتطرفين السابق ذكرهم الذين كان الإسلامُ عندهم شرَّ الكبائر . إنَّ الأدب كان على المحتمل في عرف عرب الجاهليَّة عبارةً عن العوائد الحميدة المتوارثة خَلَفاً عن سلف فليس من البعيد أنَّ اسمه مشتقٌّ في قديم الزمان من الآداب جمع الدَّاب . ثمَّ لكون تلك العوائد المتوارثة عمدةً للناس في أعمالهم المستحسنَة عبَّروا بالأدب عن السنَّة والسيرة لاسيما المحمودة وعن حُسن الأخلاق . وبما أنَّ تعليم العوائد القديمة الماثورة كان عندهم أساس كلِّ تعليم وتربية ، بل مُعظَم معارفهم . أطلقوا الأدب أيضاً على جملة المعارف فاستعملوا لفظي التأديب والتعليم بدون فرق بينهما وكان الأديب المُخْبِر بشئ .

ثمَّ بعد ظهور الإسلام إلى ما يلي أواخر القرن الثاني لم تزل معاني الأدب على ما كانت عليه في الجاهليَّة أعنى عبارة عن المنهج المسلول وعن حسن الأخلاق طبيعَّة كانت أم كسبيَّة وعن جملة المعارف . إلَّا أنَّ المقصود من هذه المعارف انحصر في الأمور الدنيويَّة ولم يُطلَق على العلوم الدينيَّة . وإفتر ما وقع للعرب من التقلُّب العظيم في هيئتهم الاجتماعية وأمالهم بسبب اختلاطهم بأمم غيرهم تولَّدت من معاني الأدب القديمة معاني أخرى حديثة وذلك في القرن الثالث حين بلوغ التمدُّن الإسلامي أوجهُ بمدينة بغداد . ونارة وسَّعوا نطاق المعارف المدلول عليها بلفظ الآداب قبلاً واصطلحوا بهذا الاسم على كلِّ أنواع العلوم والفنون والصنائع والحِرَف والألعاب الشريفة سوى ما يتعلَّق بأمور الدين والشرعة .

ثمَّ اندرس استعمال الآداب بهذا المعنى العام الذي ما عثرت على أمثلة

منه فيما صُنِّفَ بعد انقضاء القرن الرابع . وثارة حصروا الأدب والآداب فيما  
تَمَسُّسُ إلى معرفته حاجة تعاطى فنَّ مخصوص من العلوم فقالوا مثلاً أدب  
الكاتب دلالة على جميع ما لا يستغنى الكاتب عن تعلُّمه ليقوم بصناعته  
قياماً حسناً . وثارة اتَّخذوا الأدب بمعنى السَّنة وأطلقوه على ما غير الأخلاق  
عبارة عن الأساليب والقواعد الواجب التمسُّكُ بها في عمل من الأعمال  
فقالوا بآداب الأكل وآداب السفر وآداب الدرس وآداب البحث وهلمَّ جراً .  
أما الناس الذين جعلوا أسمى مقصدهم في الظرف واتَّخذوه سَنةً في جميع  
أفعالهم فاصطلحوا الأدب ( أى السَّنة ) على كلِّ أنواع الظرف والأديب على  
المتظرف في كلِّ شيء . وحيث إنَّ التنفُّسَ والمعرفة بما يُعجِب من كلِّ علم أو  
صناعة كان عندهم أيضاً جزءاً من التظرف حصر بعضهم الأدب في النكت  
والمُلح والنوادر واللطائف ومقطَّعات الشعر غير الطويلة المُعَمَّلة وسمَّوا أديباً  
من أخذ نُتفاً ظريفة لطيفة من كلِّ علم وفنٍّ . ومن حرَّص منهم على تحصيل  
أساليب الشعر وفنونه ووجد غاية الالتداذ بما نُسج من الكلام على أحسن  
منوال حصر الأدب في صناعات النظم والنثر وسمَّى أديباً المتعاطى الفنونَ  
الكتابية المستظرفة . فقصارى القول أنَّ المتظرفين اتَّبعوا ثلاث طرائق مختلفة  
في حدِّ الأدب موافقة لما كان عنده أرجح من سائر أنواع الظرف .

وفي ذات القرن الثالث سلك صنفٌ من الناس منهجاً خاصاً في تعريف  
الأدب وهم الذين بذلوا عنايتهم في علوم الدين والشريعة . وذلك أنَّهم لم  
يجدوا علماً من العلوم الإسلامية لا يتبيَّنُ افتقاره إلى العربية وما يتعلَّق بها  
من الأخبار والأشعار لأنَّ بها الاحتجاج في تفسير القرآن الكريم والمحدث  
الشبوي المتوقِّف عليهما جميع الأحكام الشرعية ورأوا الكلام في مُعظَّم أبواب  
أصول الفقه وفروعه مبنيّاً على علم العربية والتفاسير مشحونة ( كما قال

الزمخشري<sup>(١)</sup> بالروايات عن سيبويه والأخفش والكسائي والفرّاء وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيّين والاستظهار في مآخذ النصوص بأقاويلهم . فحملهم ذلك على التبحر في أسرار اللغة ودقائق النحو وعلى جمع الأشعار القديمة وما يتصل بها . ففريق منهم حصروا الأدب في الشواهد الشعرية والنثرية مع جملة المعارف النافعة لشرحها لغة ومعنى . وفريق ذهب في القرن السادس وما يتلوّه إلى أنّ الأدب علم الصرف والنحو واللغة والبيان .

فمما أوضحتُهُ نرون أنّ تشعّب لفظ من أصل معناه إلى معان مغايرة له ربّما هو أيضاً خلاصة تاريخ ما عرّض للهيئة الاجتماعية من التقلّب والتشعّب .

وبعد منتصف القرن المنصرم لما كثرت العلائق وشدّت الارتباطات العلمية والأدبية بين بلاد الشرق وأمم الغرب ونقلت كتب فرنسية وإنكليزية في كلّ فنّ إلى اللسان العربيّ أخذ المترجمون يستعملون لفظ الآداب استعمال *littérature* عند الإفرنج . فكان ذلك انحرافاً عن العرف العربيّ السابق من وجوه . أولاً لأنّ الإفرنج ومن يقلّدهم في الشرق يُطلقون الآداب على مآثر أيّ لغة خلافاً للسلف من العرب فإنهم على وفرة المعاني التي وضعوا لها لفظ الآداب لم يستعملوه أبداً للدلالة على الكتب والعلوم الأعجمية . وسبب مثل هذا الحصر أنّهم كما هو مشهور أغفلوا في كلّ وقت البحث عن آداب اللغات الأجنبية فلم نقف على أحد منهم ألّف شيئاً في لغة اليونان والرومان والعبرانيين والهند والسرّيان والقيبط . وأنّ الذين اعتنوا في غابر الزمان بلغة الترك والفرس قليلون جداً لا يكادون يجاوزون عدد أنامل اليد مثل أبي حيّان محمد بن يوسف الغرناطي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ صاحب كتاب الإدراك

(١) الفصل للزمخشري ص ٣ من الطبعة المصرية سنة ١٣٢٣ .

للسان الأتراك<sup>(١)</sup> والزَمَخْشَرِيُّ المتوفى سنة ٥٣٨ هـ الذى وضع كتاب مقدّمة الأدب على صفة قاموس عربى فارسى<sup>(٢)</sup> . نُقل إلى لسان العرب عدد وافر من كتب العلوم الرياضيّة والفلسفيّة والطبيّة والكياويّة والفلاحيّة ممّا صُنّف بلغات الهند والفرس واليونان ولكن لم يُترجمَ لأحد أدباء اليونان والرومان والهند تاريخ<sup>(٣)</sup> (ما عدا تاريخاً مختصراً لهروسيوس<sup>(٤)</sup>) ولا خطبةً بليغة ولا شعر ولا رواية من رواياتهم المستظرفة . ومع أنّ العرب وجدوا فى تأليفات أرسطوطاليس الثناء الوافر على شعراء اليونان وعلو مرتبة فنون البلاغة والخطابة عندهم واستفادوا من كتب أفلاطون فقدر اعتبار اليونان للشعر والبلاغة وسائر الفنون المستظرفة فى تربية الأطفال والأحداث ما رغّبوا فى معرفة تلك الآداب وبلغوا فى شأنها غاية الجهل حتّى إنّ أبا عثمان عمراً الجاحظ . وهو من أحلق كتّاب العرب وأوسعهم علماً وأدقهم بحثاً قال فى كتابه المسمّى بالبيان والتبيين ما نصّه<sup>(٥)</sup> : «إنّا لا نعرف الخطبَ إلّا للعرب والفرس ، وأمّا الهند فلمّا لهم معانٍ مدوّنة وكتبٌ مخلّدة<sup>(٦)</sup> لا تُضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف وإنّما هى كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة . ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق وكان صاحب المنطق

(١) L. BOUVAT, *Une grammaire turque du huitième siècle de L'Algérie* : "La pénétration dans la langue des Turcs" d'Abd' Haggèn al-Gharabî (Actes du XIV<sup>ème</sup> Congrès international des Orientalistes, Alger 1905), Paris 1907 suiv., III, p. 44-78.

وكتاب الإدراك هذا مطبوع بقسطنطينية سنة ١٣٠٩ (سنة ١٩٣١) .

(٢) Samachaharîf *Lexicon arabicum-persicum*, ed. J.G. Wetzstein, Leipzig 1844, 2 voll. (٢)

(٣) هو من مؤلّى القرن الخامس بعد الميلاد .

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ٥٥ من طبعة مصر ١٣١٣ [أو ج ٣ ص ٢٠ من طبعة مصر سنة ١٣٥١] وقول الجاحظ هذا موجود أيضاً فى منتخبات البيان والتبيين للإمام الجاحظ المطبوعة فى مجموعة خمس رسائل (ص ٢٢٣ من الطبعة القسطنطينية سنة ١٣٠١) وفى كتاب علم الأدب مقالات لمشاهير العرب للأب شيخوخ ج ٢ ص ٢٣١ من طبعة بيروت سنة ١٨٨٩ .

(٥) وفى طبعات مصر : مجلدة وهو تصحيف .

نفسه بكَيْء اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه وهم يزعمون أنَّ جالينوس كان أنطق الناس ولم يذكره بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة « ١٥١ . وإنَّ هذا الكلام من أغرب الأقوال حيث إنَّه من المشهور أنَّ الخطب اليونانية صارت أنموذجاً لخطباء الرومان وجميع الأمم الإفرنجية وهي متداولة إلى الآن غير مجهولة لكل من له ذوق سليم في الأدب في بلاد الغرب<sup>(١)</sup> . - وكذلك ترجمت العرب بعض الحكايات والأمثال من تصانيف الهند والفرس ولكنهم لم ينقلوا حرفاً من أناشيدهم الشهيرة الطويلة . فلعدم اهتمامهم بالفنون الكتابية المستظرفة الأجنبية حصروا الآداب في علومهم العربية .

ثم إنَّ المعاصرين لنا من أبناء الشرق قلَّدوا الإفرنج في وضع معنيين للفظ. الآداب معنًى متهماً عامًّا ومعنًى خاص . والمعنى العام عبارة عن جميع ما صنَّف في لغة ما سواء في العلوم أم من الشعر والنثر البليغ ، فالآداب حينئذ تشتمل على جملة ما قيَّد في الكتب والدفاتر من نتائج أفكار علماء الأمة وأدبائها. أمَّا الآداب بمعناها الخاصِّ فعبارة عما سُبك في قالب ظريف وصيغ على نمط. الإنشاء الأنيق من الكلام المنشور والمنظوم أعنى أنَّها عبارة عن حواصل الفنون الكتابية المستظرفة فتشتمل على أنواع الشعر والحكايات والروايات والقصص والأمثال والحكم والمحاضرات والمقامات والمناظرات والخطب

(١) وكذلك ما ذكر أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (المتوفى سنة ٣٨٢ هـ ٩٩٣ م) من الآداب الأجنبية إلا حكماً وبيزة نسبها إلى اليونان والفرس وبعض توقيعات ملوك الفرس ، فانظر كتابه المسمى برسالة التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم وقد طبعت هذه الرسالة في الصفحة البهية والطرقة الشبية ص ٢١٨ - ٢٢١ من الطبعة القسطنطينية سنة ١٣٠٢ وطلعت أيضاً (بغير اسم مؤلفها وبال عنوان : في بلاغة كلام العرب وكلام العجم ) في ج ٢ ص ١٢٦ - ١٣٦ من مقالات لمشاهير العرب المذكورة آنفاً وكان هذا العسكري معلم أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل صاحب كتاب الصناعتين المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وأنهما توافقا في الاسم واسم الأب والنسبة ( راجع بغية الوعاة للسيوطي ص ٢٢١ من طبعة مصر ١٣٢٦ ) .



مع ما أُلّف بفضيحه العبارة وطلاوة الإنشاء من التواريخ ووصف الرّحل والأسفار وما يشاكل ذلك . — فإذا كان الأمر كذلك أصاب الأب لويس شيوخو في قوله<sup>(١)</sup> : « تحيا الأمم بآدابها لأنّ الآداب تُرقى المرء فوق الحياة الماديّة وتسمّق به إلى المدارك الشريفة وتُقربّه إلى عالم الأرواح وإلى الجمال الذي منه يستعير كلُّ مخلوق جماله . وعليه فإن أراد العاقل أن يعرف درجة التمدّن التي بلغها شعب من الشعوب بحث عن انتشار الآداب بين أهله . ولذلك ترى المؤرّخين يقدّمون في تاريخهم تاريخ الآداب على تاريخ الوقائع وربّما أفردوا للآداب تاريخاً قائماً بذاته يُنْبِت ما يختصّ بالعلوم والمعارف في كلّ ملّة مُخْبِراً عن نشأة الآداب بينها واتّساع نطاقها وأسباب ترقّيها ونتائجها الطيّبة في إصلاح القوم وتحسين أخلاقهم ودفعهم إلى المشروعات الأثيرة والمساعى الخطيرة » .

٢ - أمّا تاريخ الآداب فما هو؟ إذا اتّخذت الآدابُ بمعناها الخاصّ وبالنظر إلى العربيّة أجاد في وصفه وصيغ الأديب حضرة حَفَنِي (بك) ناصف حين قال فيما طبع من محاضراته<sup>(٢)</sup> أن « يدخل في ذلك التاريخ وصفُ الكلام من شعر ونثر في كلّ عصر من عصور التاريخ وذكرُ نوابغ الشعراء والمُخطّباء والكتّاب والمؤلّفين وبيانُ تأثير كلامهم في من بعدهم وتأثيرهم بمن قبلهم وما حولهم والموازنةُ بينهم والإلمامُ بمؤلّفاتهم » . — فإذا اتّخذنا الآداب بمعناها العامّ يُفصروري أن نُدخل في تاريخها أيضاً ذكر جميع أصناف العلماء والحكماء والمؤلّفين البارعين مع بيان مشارب أفكارهم وشرح مناهج أعمالهم في العلوم وتقدير علو منزلتهم في الفنّ الذي تعاطوه . فيصف حينئذ تاريخ

(١) الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر ج ١ ص ١ (ألف) من طبعة بيروت سنة ١٩٠٨ -

١٩١٠ .

(٢) تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربيّة المطبوع في مصر سنة ١٩١٠ - ١٩١١ ص ٦ .

الآداب سِير العلوم في مدارج الترقى وأحوال مشاهير أصحاب الحكمة والفلسفة والرياضيات والفلك والطب وهلم جرا فلا يتميز في قسمة هذا من التواريخ المختصة بعلم من العلوم أو فن من الفنون إلا لقدر التبهر في تلك المباحث ولصفة النظر فيها . مثال ذلك أن مؤرخ الحكمة والفلسفة يتوسع في الشرح التام لمذاهب الفلاسفة وينتقدها ويقدرها تقديرًا دقيقاً . أما مؤرخ الآداب فيمتنع عن الخوض في المسائل الخاصة والانتقاد العلمى مقتصرًا على جوامع ما توصل إليه مؤرخ الفلسفة في أبحاثه المستقصاة ومقدراً تصانيف الحكماء من حيث جنس إنشائهم أكثر منه من حيث أفكارهم العلمية المحضة .

إن تاريخ الآداب علم جديد في بلاد الشرق لم يسبق إليه علماء العرب اللهم إلا في نبد وجيرة وأشياء قليلة جداً وردت في كتبهم مبعثرة دون أن استقصوا فيها بدقة النظر والانتقاد . وسبب ذلك حال علم التاريخ عند العرب . فلمهم لم يتقنوه قدر ما أتقنه اليونان والرومان في الزمن القديم أو الأمم الإفرنجية منذ القرن الخامس عشر للمسيح بل اقتصر أكثرهم على تفصيل ذكر الحوادث والوقائع سنة سنة بدون البحث عن الأسباب والأحوال الاجتماعية وعن ارتباط الوقائع ببعضها ونتائجها ومن غير مدّ بصيرهم إلى ما هو أسمى من محض ذكر ما طرأ على أمة من الطوائر الظاهرة . فلا يخفى عليكم أن أكثر الذين حكيم لهم بالتقدم وحازوا قصب السبق في ميدان التاريخ عند العرب مثل أبي جرير الطبري وابن الأثير وأبي الفداء الحموي وزين الدين عمر بن الوردي لم يسلكوا في تصانيفهم غير هذا السلوك . ومن اتخذ منهجاً غيره ودون الحوادث مسرودة آخذة بعضها ببعض لم يؤلف إلا كتباً مختصرة ولم يُجرِ التمهيص والنقد في مصادره ولم يتأمل تأثير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الحوادث السياسية ولم يُدقق النظر في

سائر العوامل في ترقية العمران أو انحطاطه . ومن أغرب الغرائب أنَّ ابن خلدون الذي أوضح في مقدمته قواعد علم التاريخ الصحيحة وأمعن الفكر في كلِّ مبحث يتعلّق بالاجتماع الإنسانيِّ إمعاناً يستوجب العجب العجيب انصرف عن أصوله تلك الجسيمة العالية لمّا صنّف سائر الأجزاء في تاريخ الأمم واتّبع فيه طريقة لا تفوق طريقة الأقدمين قدراً جزيلاً .

وكذلك في تاريخ الآداب ما ألّف العرب إلّا مكتباً تشمّن التراجم المفردة المرتبة على حروف الهجاء أو على الطبقات بدون التعمّق في البحث عن أصل كلِّ جنس من الفنون الأدبيّة وعن كميّة نموه أو انحطاطه وعن تأثير الأدباء بعضهم في بعض وأسباب تغيّر الذوق والأعمال . فأكثروا مثلاً في رواية أخبار أفراد الشعراء وأقصروا عن بيان تقلّب أساليب الشعر وأغراضه بتقلّب الهيئة الاجتماعيّة وتماذى العصور .

أطلتُ الكلام في هذا الموضوع ليتبيّن لكم سبب تكليفي بتدريس آدابكم مع أنّي رجل أجنبيّ بعيد أيّ بُعد عن إمكان مسابقة الوطنيين في معرفة اللغة والتضلع من علم أسرارها وخصائصها . إن المطلوب مني ليس إلّا أن أطبّق على الآداب العربيّة أساليب البحث التاريخيّ التي عادت على تاريخ آدابنا الإفرنجيّة بطائل عظيم . والمرجو أنكم في آخر السنة المكتبيّة لا تجدون عمليّ باطلاً مجرداً عن كلّ فائدة .

٣- إنَّ تاريخ الآداب العربيّة يجوز قسمته إلى ستة أطوار أو أعصر .

(١) عصر الجاهليّة المنتهى من زمان لا تُذكر أوائله إلى ظهور الإسلام .

وهو عصر عربيّ صريح لغةً وأدباً وبلاداً .

(٢) العصر العربيّ الإسلاميّ من ظهور الدين الإسلاميّ إلى انقراض

الدولة الأموية سنة ١٣٦. وفيه انتشر استعمال اللغة العربية في بلاد متباعدة بتوسُّع حدود المملكة بالفتوحات المشهورة فأخذت الآداب العربية تزدهر أيضاً فيما خارج جزيرة العرب لا سيما في بلاد الشام إلا أنها لم تنزل محصورة في ميدان آداب الجاهلية ما عدا العلوم المتعلقة بأمور الدين .

(٣) العصر العباسي الأول من سقوط الدولة الأموية وابتداء دولة العباسيين إلى نحو سنة ١٠٥٨. وصار فيه للأمم الأعجمية القسم الأوفر من أمور الدنيا والدين بل غلبت العجم على العرب في تكون التمدن الإسلامي فأدخلت كتب العلم العجمية القديمة واتسع التفنن في الآداب وسليكت فيها مسالك جديدة وصيغت صناعة النظم والنثر في بعض القوالب المستحدثة وبلغت العلوم والفنون وبعض أنواع الآداب مداها الأقصى من الكمال والانتقان والرونق والبهاء . وذلك ثمرة ما سببه الإسلام من تعاون الأمم المختلفة الأصل والأخلاق والأميال وتشاركهم في العلم والعمل كأن لسان حالهم قول أبي تمام <sup>(١)</sup> : (من بحر الكامل)

إِن يَكْرِ مَطَرُ الْإِخَاءِ فَإِنَّا نَسْرِي وَنَغْدُو فِي إِخَاءِ تَالِيهِ  
أَوْ نَقْدِرُ نَسْبًا يُولَّفُ بَيْنَنَا أَدَبٌ أَقْبَمَاهُ مَقَامُ الْوَالِدِ  
أَوْ يَخْتَلِفُ نَمَاءُ الْوِصَالِ فَمَاؤُنَا عَذِبٌ تَحْدَرُ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدٍ

(٤) العصر العباسي الثاني من نحو سنة ١٠٥٨ إلى فتح التتار لمدينة بغداد وانقطاع دولة بني العباس سنة ١٢٥٦. وفي هذا العصر أخذت الآداب والعلوم تنحط. مما كانت عليه من الكمال تبعية للإنحطاط السياسي

(١) الأبيات مروية في إرشاد الأريب لياقوت ١ ص ١٨ من طبعة ليون فراجع ديوان أبي تمام ص ٧٩ من طبعة بيروت ١٨٨٩ أو ص ٨٦ من طبعة بيروت ١٩٠٥ . أكتبى : قل غيره ، وأطرف الشيء : اشتراه حديقاً ، وبالد : (مال) قديم .

الذى قد ابتدأ في العصر السابق حين تجاسر الجند التركي على الخلافة في أيام المتوكل (٢٣٢-٢٤٧) فاستولى على الدولة أمراء الجيوش مثل وصيف وبغا وأتامش كما قال الشاعر<sup>(١)</sup> : (من بحر الخفيف)

أصبح الترك مالكي الأمر والعالم ما بين سامع ومطيع

وزاد نفرع الدولة إلى دول صغيرة في أنحاء مختلفة فربما تلاشت العلاقات بينها فاختلقت أحوال الآداب على اختلاف البلاد .

(٥) عصر الانحطاط من انقطاع الدولة العباسية إلى استيلاء محمد علي باشا على مصر سنة ١٢٢٠ . وفيه خمدت جذوة الآداب والعلوم التي لم تنزل مائلة إلى الهبوط حتى كادت تنطفئ جمرتها كلية في بعض الأصقاع الإسلامية . وفترت هيم أهل العلم فأصبح أكثرهم ممسكين عن الاجتهاد المستقل في المباحث مقتنعين بالنظر في كتب من تقدمهم بدون خروج عن رتبة المقلدين وبغير طمع في مباراة السلف . وكذلك الشعراء والأدباء اقتصر أغلبهم على حذو السابقين فنجد أشعارهم كأنها تصدر عن المتصنع المشبه الذي يكتفى بتنميق العبارة وزخرف الكلام وإشكال البديع ولا يهتم بالتعبير عن حقيقة ما يكنه صدره من العواطف والخواطر . فإن نجد بين أهل ذلك العصر من فاق غيره فوقاً عظيماً (وحسبنا ذكر نصير الدين الطوسي وابن خلدون) يصلح له بالنظر إلى معاصريه ما قيل عن انحطاط الدول إنه<sup>(٢)</sup> وربما يحدث عند آخر الدولة قوة يؤهم أن الهرم قد ارتفع عنها ويوهض

(١) البيت مروي في الباب العشرين بعد المائة من مروج الذهب للمسعودي ج ٧ ص ٤٠٠ من الطبعة الباريسية .

(٢) بقية ابن خلدون ص ٢٥٦ من طبعة بيروت ١٨٧٩ أو ص ٢٩٤ من طبعة بيروت ١٩٠٠ أوج ٢ ص ١٢١ من الترجمة الفرنسية .

ذُبَالُهَا إِيمَاضَةً الْخُمُودِ كَمَا يَقَعُ فِي الذُّبَالِ الْمُسْتَعِيلِ فَلِأَنَّهُ عِنْدَ مَقَارِبَةِ انْطِفَاقِهِ  
يُؤْمِرُضُ إِيمَاضَةً تُؤَيِّمُ أَنَّهَا اشْتَعَالٌ وَهِيَ انْطِفَاقٌ<sup>١</sup>

(٦) النهضة الأخيرة من ابتداء ولاية محمد عليّ باشا سنة ١٢٢٠/١٨٠٥ إلى  
آيامنا هذه . وفي هذا العصر شاعت العلوم الإفرنجية في كثير من بلاد  
الشرق فكانت خميرة اختمرت بها العقول بعد مدة العُقم والسُّقْم وانتششت  
أهل الإسلام ممّا قد قضت الصروف لأغلبهم من الاستكانة والتفريط . في  
التعلّم والتأليف والاعتناء بالفنون والصنائع . وانتشر فن الطباعة في الشام  
ومصر وغيرهما من الأنحاء الإسلامية وذاغت الجرائد والمجلات بنافع المعارف  
والأخبار وعادت أسواق الآداب والعلوم قائمة وبضائعها رائجة لا سيما في  
القطر المصري وشقيقته الشام والقسطنطينية وبغداد فتحقق وتم لأهلها  
مراد قول الشاعر<sup>(١)</sup> :

لعلّ إلمامة بالجزع ثانية يدب منها نسيم البرّ في عدلي

إلّا أنّ إفراط التأثير الإفرنجي لم يخلُ عن الإضرار بآداب الشرق لأنّه  
ربّما أبعد الناس عن شدة العناية بلغتهم وأدخل في تأليف بعض المحدثين  
وفي بعض المجلات والجرائد العُجمة المستقبحة والتراكيب الشائنة السقيمة  
وركاكة الكلام وسخافة الإنشاء وغير ذلك ممّا يستنكف منه صاحب الذوق  
السليم : فاتّفق لبعض الكتبة ما اتّفق لبعض الناس الذين قلّدوا الإفرنج  
وعوائدهم بدون بصيرة وخلطوا الغث بالسمين والبخس بالثمين :

إنّ هذه الحدود التي ذكرتها لكلّ عصر من الأعصر الستة ليست إلّا حدوداً

(١) البيت مرّى للطرائف المولود سنة ٤٥٣/١٠٦١ والمتوفى سنة ١١٥٠/١١٢١ وهو البيت السادس والعشرون من

شعره المسمى بلامية العجم ، فانظر كتاب نشر العلم في شرح لامية العجم للشيخ جمال الدين محمد بن  
عمر الحضري ص ٣٠ من طبعة مصر ١٣١٩ - وألم به نزل به . جرح : متعطف الوادي وبحلة القوم .  
دب : مرى . برز : شفاء .

صناعية اصطلاحية أثبتتها على التقريب فإنَّ عصرًا ما سواة من التاريخ السياسي أم من تاريخ الآداب والعلوم لا يُحصر في مواقيت معينة بدقَّة . فلذلك أسباب . أولاً أنَّ كلَّ حيٍّ وكلَّ نوعٍ أو فرع من الهيئة الاجتماعية لا تتغيَّر أحوالهُ بديهاً أبداً بل من المشهور أنَّ الانتقالَ من حال إلى حال لا يحصلُ إلَّا بالتدريج الباطني حتَّى لا يُشعر في الأغلب بالفرق بين الدرجة القادمة والدرجة التالية لها . فإنَّ أعملنا الفكر فيما يظهر باديَّ نظر أنَّه تقلَّب فاجئُ ألفينا أنَّه في الحقيقة نتيجة عدَّة أسباب مرتبطة بعضها ببعض عاملة منذ زمان طويل . قال إبقراط <sup>(١)</sup> ومن اتَّبعه من أطباء اليونان والعرب إنَّ الإنسانَ يبتدئ طِفلاً ثمَّ يصير صبيّاً إلى أربع عشرة سنةً من عمره ثمَّ غلاماً إلى إحدى وعشرين سنةً ثمَّ شاباً ما دام يشبُّ ويقبل الزيادة إلى خمس وثلاثين سنةً ثمَّ كهلاً إلى تسع وأربعين سنةً ثمَّ شيخاً ثمَّ هَرماً إلى آخر العمر الذي ينقسم إلى سبع أسنان على هذا القول <sup>(٢)</sup> . وظاهر أنَّ هذه القسمة لمُدَّة حياة الإنسان إنما هي اصطلاح محض لا يوافق حقيقة الأحوال الطبيعية إلَّا بالتقريب فلا يزعم أحدٌ أنَّ الإنسانَ عند انتقاله من سنٍّ إلى التالية لها على ذلك القول يتغيَّر تغيُّراً محسوساً . وكذلك تقلُّبات الأمم والدول إنَّما تقع قليلاً قليلاً فلا يُشعر بها إلَّا بعد مُضيَّ أمدٍ مديد حين يمكن مقابلة الحال الحاضر بالحال الماضي البعيد . فمن قال من المؤرِّخين بانتهاء القرون الوسطى وابتداء العصر الحديث سنةً اكتشاف أمريكا أعنى سنة  $\frac{897}{1492}$  ما أراد أنَّ الدنيا قد تغيَّرت أحوالها بَغْثَةً في تلك السنة أو أنَّ أهل ذلك العهد أحسَّوا بشيء من التغيُّر العامِّ الواضح . ولا يخالف ذلك ما يقع في

(١) يعني Hippocrates الطبيب اليوناني المشهور الذي عاش من أواخر القرن الخامس إلى منتصف القرن الرابع قبل المسيح .

(٢) انظر الباب الثاني والستين من مروج الذهب للمسعودي (ج ٤ ص ٢١ من الطبعة الباريسية) .

سير الآداب فإن أنواعها وفنونها بطيئة التحول فتختلط في الأغلب الأساليب القديمة بالجديدة في عصر واحد، وتوازنت فيه مدة إلى أن يأخذ الأسلوب الجديد في الغلب على القديم شيئاً فشيئاً . فكم مرة ما انفرد به شاعر أو أديب طفيف بعد مدة يتشبه به القليلون الذين استحسّوه واستطابوه ورأوا أنه تألفه الأسماع وتقبله النفوس ثم سائر الأدباء اتبعوه أيضاً وتعملوه فعمّ ما كان يختص به أولاً الواحد . وفي أشعار الجاهلية تجدون أحياناً من التغزل<sup>(١)</sup> ما يشبه الأسلوب الذي اشتهر به عمر بن أبي ربيعة<sup>(٢)</sup> بعد منتصف القرن الأول وقرن الهجاء في القرن الثاني كأنه متردّد متحير فيما بين منهجه القديم الملائم لأحوال أهل الوبر وبين الطريقة الجديدة اللائقة بأموال أهل المدر . ويحتذى المتنبي<sup>(٣)</sup> حذو القدماء حين يدعى في بعض أشعاره بالحامسة وابن المعتز<sup>(٤)</sup> حين شرع في نوع الافتخار ، ومع ذلك إنهما من الشعراء المحدثين لا يفردان عن معاصريهما في المدح والفزل والوصف والطرديات . فلماذا كيف يمكن أن سنة معينة تكون حداً حقيقياً طبيعياً بين عصرين من عصور تاريخ الآداب ؟

ثم لا يخفى عليكم أن آداب لغة ما إذا شاعت في أراض متباعدة وأقطار مختلفة ولم يساعد فن الطباعة في انتشار الكتب انتشاراً سريعاً بعيداً لا تتغير أحوالها ولا تتقلب آميالها على نمط واحد في كل قطر لا سيما إن

(١) نأج 366. *Th. NOELDEKE, Fünf Mo'allagat, II, P. 49. Encyclopédie de l'Islam, I, P.* ( مادة عنزة ) .

(٢) عمر بن أبي ربيعة ولد ٢٣/٤ م وتوفي سنة ١٩٠/٧٢٠ على القول الأرجح وسيأتي ذكره في باب الشعراء الغزلين الذين عاشوا بعدن الحجاز في عصر بني أمية .

(٣) توفي المتنبي سنة ٣٠٤/٩٩٠ .

(٤) مات ابن المعتز سنة ٢٩٦/٩١٨ وفي افتخاره راجع إعجاز القرآن للباقلاوي ص ١٢٤ - ١٢٥ من طبعة مصر ١٣١٥ .



نشئت شملُ المملكة كما اتفق للأمم الإسلامية منذ قرون عديدة . فمثال ذلك اختصاص النهضة الأخيرة (التي جعلتها العصر السادس) بالقطر المصري والشام والعراق والهند لأن سائر الأنحاء الإسلامية العربية لم تزل بالنظر إلى الآداب على ما كانت عليه في العصر السابق الذي سميته عصر الانحطاط ففي عمان وحضرموت واليمن والمغرب الأقصى مثلاً لم ينبغ بعدُ عالم أو أديب أو شاعر طفيف يشرع في الأساليب الجديدة فما هبت هناك الآداب العربية من كراها ولا نفضت غبار حمولها . ودعوا عنكم ما وقع في المغرب الأوسط . أي بلاد الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي فلن مصابيح العلوم العربية أطفئت هنالك وتلاشت الآدابُ كلياً حتى لا يجاوز عدد أنامل البلد من يتمكن من استعمال اللغة الفصحى في الكلام واندرست المكاتب العربية التي قد اشتهرت في الأجيال الخالية بالقسنطينة وبجاية وتلمسان وكادت تضمحل معرفة الآثار العربية عند الوطنيين كيف لا وهناك الشبان في نفس مدارس القضاء الشرعي يتلقون أكثر العلوم بلسان الفرنسي . ومثال مقدار ما بلغه الناس في برّ الجزائر من إغفال درس لسانهم أن أحد الجزائريين وهو حضرة محمد صوالح نشر قبل الآن بأربع سنين ترجمة باب أحكام صيام رمضان من رسالة ابن أبي زيد القيرواني<sup>(١)</sup> في الفقه المالكي قائلا: في مقدمة الترجمة إنه رأى من المناسب نقل ذلك الباب إلى الفرنسية لكون أغلب الوطنيين المتأدبين أعرف بها منهم بالعربية<sup>(٢)</sup> . وهذا لعمري عيب يعود على أهل البلد وعلى من تسلط عليهم معاً .

(١) توفي سنة ٣٧٩ .

SOUALAH Mohammed, *Je joins chez les Musulmans Mâlékites (Revue Africaine, vol. (٢)*

[ كذلك كان في سنة ١٩١٠ عند ما ألف الأستاذ نلينو محاضراته هذه . ( 993 , P. 1906 , 50 في تاريخ الآداب العربية ] .

وقصارى القول أن قسمة تاريخ الآداب أقساماً محصورةً محدودةً إنما هي وسيلة لتسهيل بيان سير الآداب في مدارج الترقى أو رجوعها القهقري . فالحدود المعينة لكل عصر هي كالأعلام التي كان أهل البدو ينصبونها في البراري والقفار ليهتدى بها ابن السبيل ولا يضل في تلك الأراضي المستوية الجرداء والرمال المتساوية والكثبان المتشابهة المتوالية . فتكون فائدة استعمال تلك الحدود الاصطلاحية مثل منفعة بل ضرورة وضع خيوط السدى التي يُنسج عليها النسيج . - وربما زيادة لوضوح البيان وتسهيلاً لنظم درر الأخبار بأسلاك التاريخ ينبغي قسمة تلك العصور الأساسية أقساماً أخرى صغيرة وذلك بالنظر إلى اختلاف البلدان أو أهمية بعض الوقائع السياسية والأدبية . لكنني أمتنع الآن عن الخوض في تعريف تلك الأقسام الفرعية التي سأذكرها في دروسى عند مستوح المناسبة إن شاء الله .

## الباب الثاني

### العصر الجاهلي

- ١ - شعر أهل البادية - ٢ - شعر الوثنيين الملازمين ملوك الحيرة وفسان -  
٣ - شعر النصارى بالحيرة وفي ملكة بني فسان - ٤ - شعر أهل الحضر  
في مدن الحجاز - ٥ - النثر الجاهلي - ٦ - المسائل المتعلقة بالقرآن

أما بعد هذه المقدمات وقبل الشروع في المواضيع الخاصة التي ستدور محاضراتي على البحث عنها بالتوسع أرى من المناسب لَمَحَّة في أحوال الآداب العربية أثناء كلِّ عصر من الأعصر الستة السابق تحديدًا بالإجمال - فآبتدئ بالعصر الجاهلي<sup>(١)</sup>.

لا شك أن ما وصل إلينا من آثار الجاهلية نظمًا ونثرًا شيء يسير جدًا بالإضافة إلى جميع ما أنشدته العرب أو روتته في مسامراتهم ومواسمهم ومفاخراتهم ونهاجهم وما قالوه ارتجالاً في غزواتهم وحروبهم وغيرها من الحوادث. ومن المشهور أن العرب القدماء من أكثر الأمم شعرًا لهم فيه التصرف العجيب والاعتدال اللطيف دونوا فيه عواطفهم وأعمالهم ومفاخرهم فأجاد أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ حين قال<sup>(٢)</sup>: «لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وآياتها ووقائعها إلّا من جملة أشعارها فالشعر ديوان العرب وتروانة

(١) [في الشعر الجاهلي انظر (نصلاً عن المؤلفات المذكورة في الحواشي التالية) الأدب الجاهلي للذكور طه حسين طبعه مصر ١٩٢٧ ثم E. BRÄUNLICH, *Versuch einer literaturgeschichtlichen Betrachtung der ältesten altarabischen Poesie* (Der Islam, XXIV, 1937, P. 201-269); G. VON GRUNEBaum, *Die Wirklichkeitswerte der früharabischen Dichtung*, Wien 1937; G. VON GRUNEBaum, *Zur Chronologie der früharabischen Dichtung* (Orientalia, VIII, 1939, P. 348-345).

(٢) كتاب الصناعتين ص ١٠٤ من الطبعة المصرية سنة ١٣٢٠.

حكمتها ومستنبط. آدابها ومستودع علومها » . وقال الجاحظ. <sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٢٥٥ : « قال الهيثم وابن الكلبي وأبو عبيدة فكل أمة تعتمد في استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى وكان ذلك هو ديوانها ، وعلى أن الشعر يفيض فضيلة البيان على الشاعر الراغب والمادح وفضيلة المأثرة على السيد المرغوب إليه والممدوح به . وذهبت العجم على أن تُقيد مآثرها بالبُنيان فبنوا مثل كرد بيداد <sup>(٢)</sup> وبنى أزدشير بيضاء لسطخر وبيضاء المدائن والحضر والمدن والحصون والقناطر والجسور والنواويس . قال ثم إن العرب أحبت أن تشارك العجم في البناء وتنفرد بالشعر فبنوا غمندان وكعبة نجران وقصر مارد وقصر مأرب وقصر شعوب والأبلق الفرد ومارد قالوا تمرّد مارد وعزّ الأبلق <sup>(٣)</sup> وغير ذلك من البنيان » . - ولكن كثيراً ممّا سارت به الركب إلى أطراف بواديهم وأقاصى أنحائهم من المنظوم والمنثور ضاع منذ زمان مديد فلم تطق الحصول على معرفته أهل اللغة في القرن الثاني للهجرة . إن أوائل آداب اللغات المتفرّعة من اللاتينية مثل الإيطالية والفرنسية والإسبانية معروفة فنستطيع وصف تدرج تلك الآداب من ابتدائها إلى وقتنا . أمّا الآداب العربية فليست على مثل هذا الحال فلا نتمكن من الحصول على أوائلها لا بروايات العرب أنفسهم ولا بواسطة ما نعثر عليه من الأخبار في تصانيف اليونان والرومان .

(١) كتاب الحيوان ج ١ ص ٣٦ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ .

(٢) في هذا الاسم تحريف وذكر المسعودي « بيت النار بسجستان يقال له كراكركان » (مروج الذهب في الباب الثامن والسبعين ج ٤ ص ٧٣ من الطبعة الباريسية) .

(٣) المثل مروى في جميع الأمثال للبدياني ج ١ ص ٨٤ من طبعة مصر ١٣١٠ (راجع G.W. FREITAG. *Arabum Proverbia mantantiaque proverbialia*, Bonn 1898-1899, I p.218. وفي أمثال العرب للمفضل الضبي ص ٦٤ من الطبعة القسطنطينية سنة ١٣٠٠ .

ولم يُنقل إلينا بيتٌ عربيٌّ غيرُ مُرتابٍ بصحَّته أقدمُ من أواخر القرن الخامس للمسيح أعنى سابقاً للهجرة بأكثر من مائة وثلاثين سنة تقريباً . وقولُ هذا الذي سأتى بالبرهان عليه فيما بعد لا يبعدُ عن رأى علماء العرب بكثير . فقال مثلاً الجاحظ . في كتاب الحيوان <sup>(١)</sup> : « وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السنَّ أولُّ من نهج سبيله وسهل الطريقَ إليه امرؤ القيس بن حُجر ومهلَّيل بن ربيعة ، وكتب أرسطاطاليس ومعلمه أفلاطون ثم بطلميوس وذى بقراط <sup>(٢)</sup> وفلان وفلان قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور والأحقاب قبل الأحقاب ويدلُّ على حداثة الشعر قول امرئ القيس بن حُجر <sup>(٣)</sup> .  
(من بحر المنسرح )

إِنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسْبًا <sup>(٤)</sup> ضِيَعَهُ الدُّخْلُونُ <sup>(٥)</sup> إِذْ غَدَرُوا  
أَدْرَا إِلَى جَارِهِمْ خُفَارَتَهُ وَلَمْ يَضَعْ بِالْمَغِيبِ مِنْ نَصَرُوا  
لَا حِمَيْرِيٌّ وَفَى وَلَا عُدُسٌ وَلَا اسْتُ عَيْرٍ يَحْكُمُهَا الثَّقَرُ  
لَكِنْ عَوَيْرٌ وَفَى بِذِمَّتِهِ لَا قِصْرٌ عَابَهُ وَلَا عَوْرٌ <sup>(٦)</sup>  
فانظر كم كان عُمَرُ زُرَّارَةً وكم كان بين موت زُرَّارة ومولد النبي عليه الصلاة والسلام . فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فماتى عام . قال وفضيلة الشعر قصيرة

(١) كتاب الحيوان ج ١ ص ٢٧ من طبعة مصر ١٣٢٢ - ١٣٢٥ .

(٢) [ لعله Hippocrates الطبيب اليوناني المشهور ] .

(٣) راجع ديوان امرئ القيس ص ٢٩ من طبعة باريس ١٨٣٧ أو ص ١٤٢ - ١٤٣

من طبعة مصر ١٣٠٧ مع شرح أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي أو عدد ٢٧ (ص ١٣٣) من طبعة لندن ١٨٧٠ : AHLWARDT, *The Divans of the six ancient Arabic poets* .

(٤) في كتاب الحيوان : حسناً وهو تصحيف .

(٥) في كتاب الحيوان : الداخلون وهو غلط - قال البطليوسي الدُّخْلُونُ والدُّخْلُونُ والدُّخْلُونُ

الذي بداخل الرجل في أمره ويصاحبه عليه وهم الخافضة .

(٦) وروى الشطر في الديوان كذا « لا عور شاله ولا قمر » .

على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب والشعر لا يُستطاع أن يُترجم ولا يجوز عليه النقل إلخ - ولكن في كلام الجاحظ. هذا نظراً. فإنه خطأ أولاً لما قابل عهد الآداب اليونانية النثرية بعهد الشعر العربي ولم ينتبه لعدم كل علاقة بينهما. ثم لو أدق البحث في تاريخ الآداب لوجد أن الشعر سبق سائر الفنون الأدبية المستطرفة عند كل أمة متمدة كانت أو همجية. ثم لا يلوح كيف تُستنتجُ حوادث الشعر من الأبيات التي أنشدناها لمرى القيس لأنه لا دلالة فيها على سابقة تلك الأبيات غيرها. ولعله اغتر بقول كثير من علماء اللغة أن مهلهلاً وهو خال امرئ القيس أول من قصد القصائد<sup>(١)</sup> وهذا القول - ولو صح - لا يدل على عدم وجود أنواع غيرها من الشعر عند من تقدم مهلهلاً من العرب. والحق يقال إن من يسرّح أبصاره في رياض الشعر الجاهلي لا يجد في شذراته التي نجت من أيدي الضياع ما يدل على كونه فناً صغير السن فإن جميع ما نُقِل إلينا منه يظهر لنا في غاية الإنقاذ وزناً ونقضية وفي نهاية التفتن من الافتخار والتخفيف والزجر والإغراء والوعد والوعيد والتأديب والمدح والغزل والهجاء والوصف والرثاء، وهو يجمع رقة العبارة إلى دقة الإشارة وتأنية التراكيب إلى رشاقة الأساليب. فليس من الممكن مثل هذا الكمال في صناعة حديثة لأنه من المعلوم أن كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه وكل مستدع لأمر لم يتقدم فيه عليه لا بد من أن يكون قليلاً ثم يكثُر وصغيراً ثم يكبُر وضعيفاً ثم يتقوى. ومصادقاً لقولنا هذا الإجمالي نأق فيما بعد بنصوص قديمة غير عربية تدل على أن الكلام المنظوم عند أهل البادية سبق عهد شعر مهلهل و امرئ القيس بمدة مديدة. وت خلاصة الأمر أن العلماء من العرب الذين قالوا بمدة

(١) راجع كتاب الصلة لابن رشيقي ج ١ ص ٥٤ من طبعة مصر ١٣٢٥ مثلاً.

مائة وخمسين سنة تقريباً للشعر الجاهلي لم يبعدوا عن الصواب إذا فرضنا أنهم إنما أرادوا بذلك ما وصل إلينا من الأشعار القديمة .

ثم من الجدير بالذكر أن جميع ما نعرفه من شعر الجاهلية إنما هو لأهل نجد والحجاز والبحرين أو لمن سكن في هذه الأنحاء وأن أصله من قبائل اليمن . أمّا أهل الحضر من سكان اليمن ومهرة وحضرموت وعمان فلا يُعرف لهم أبياتٌ صحيحة الرواية لا بالعربية ولا بالحيثورية . فعلى مؤرخ الآداب أن يفحص عن سبب ذلك باعتبار كيفية النقل وأحوال عرب الجاهلية في السياسة وفي نظامهم الاجتماعي . - ثم على الباحث عن آداب العرب القديمة حلّ مسائل أخرى خطيرة الشأن أذكرها هنا سريعاً . أكانت أصلاً علاقة بين الكلام المسجع والكلام المنظوم ؟ وما السجع في أوائله ؟ وكيف نشأ الكلام الموزون المقفى ؟ أكان الشعر أولاً ذا وزن معين وقافية ؟ وما أصل الوزن والقافية ؟ وكيف توصلت العرب إلى اختراع القصيدة على نمطها الكامل المتنقن ؟ ولماذا جعلوا النسيب أول القصيدة ؟ وما كان الشاعر عند العرب القدماء ؟ أكانت لغة الأشعار لغة واحدة ؟ وكيف تكونت هذه اللغة ؟ وعلى أي وجه وصلت أشعار الجاهلية إلينا ؟ أيجوز لنا أن نثق بصحة رواياتها ؟ وأن نعتمد على الحكايات المروية لشرح الأبيات القديمة ؟ - إن هذه المسائل المهمة وغيرها التي لا نستطيع أن نحلّها جميعها خلاّ نهائياً قاطعاً تكون موضوع جملة من محاضراتي بعد إنجاز بيان المقدمات التي نحن بصددّها .

نستفيد من كتب الأدب واللغة أسماء نيف وثمانين شاعراً عاشوا في عصر الجاهلية ولكل واحد منهم تُنسب أبياتٌ وصلت إلينا متفرقة في جملة من الثصانيف . ولكن أكثر ما روى من أحوال حياتهم وسبب إنشادهم

الأبيات المنقولة ذو شبه واختلافات وأخبار متناقضة فضلاً عن الخرافات التي إن عرضناها على نار الانتقاد وجدناها لا تصير عليها هنيئة من الزمان . فلا نستطيع ترتيب تراجمهم على توالى الأزمنة اللهم إلا للقليلين منهم ولا نتمكن من تعيين سنة المولد أو الوفاة لأحد منهم فمن أغرب الغرائب أن بعض كتب عربية في آداب لغتكم صُنفت حديثاً وطُبعت بمصر وهي متداولة في المدارس تروى لكل شاعر تذكره من شعراء الجاهلية تاريخ وفاته كأنه معين ثابت ولا شك فيه وذلك من غير دلالة على مصدر تلك التواريخ . فالظاهر أن منبع تلك الأخبار كان أصلاً كتاب روضة الأدب في طبقات شعراء العرب تأليف إسكندر أغا إبيكاريوس الذي مات سنة  $\frac{1302}{1880}$  ونشر كتابه في بيروت سنة ١٨٥٨ م دالاً فيه لكل شاعر على عام وفاته من غير أن يبين كيف استخرج تلك السنين . والمحتمل أنه توصل إليها بالحدس والتخمين مستنداً إلى إشارات غير كافية وجدها في الكتب القديمة ولا فحماً مقطعات الأخبار<sup>(١)</sup> . ثم على جرى عادة كثير من المحدثين الناقلين كلام من تقدمهم بغير بصيرة وتمحيص وبغير ذكر مصادرهم أخذ بعض الكتبة في بيروت يقبل تلك التواريخ بلا انتباه ثم أثبتهم في مثل ذلك النقل بعض المتأدبين بمصر فشاعت تلك الأوهام ودخلت في الكتب المدرسية بعدما زيدت عليها غير مرة أغلاط طبع في أرقام الأعداد . - ولكن عدم تعيين التواريخ الموماً إليها ليس ضرراً عظيماً لسببين : الأول أن المدّة التي عاش فيها شعراء الجاهلية المنقول إلينا شيء من أبياتهم لا تتجاوز مائة وثلاثين سنة تقريباً كما تقدّم . والثاني أننا نقدر على تعيين تتابع أكثر الفحول بإشارات وردت في نفس

(١) راجع R. GEYER, Beiträge zur Kenntnis altarabischer Dichter II. (Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, XVIII, 1904, P. 5, n. 1).



أشعارهم أو بأخبار محققة نُقلت إلينا من الزمان القديم .  
 إذا أطلنا النظر والتأمل في شدوات الشعر الجاهلي التي سَلِمَتْ من  
 التلف واعتبرنا خصائصها من جهة الصيغة والمعاني وجدناها تنقسم إلى أربعة  
 أصناف أساسية : الصَّنَفُ الأوَّل ما نسجه أهلُ البادية أو من تقرب منهم  
 سواء كانوا وثنيين أم يهوديين . الثاني أشعار الوثنيين الذين قصدوا ملوك  
 الحيرة وبنى غسان وجالسهم . الثالث أشعار النصارى بالحيرة أو في مملكة  
 بنى غسان . الرابع أشعار أهل الحضر الوثنيين في مدن الحجاز . لا تستغربوا  
 عدم الفرق بين الوثنيين واليهود من أهل البادية ووجوده بين الوثنيين والنصارى  
 من أهل الحضر لأنكم إذا اطلعتم على ما وصل إلينا من أشعار اليهود قبل  
 الإسلام ما أفقيتم فيها شيئاً أو عبارة يميّزها من سائر أهل البادية . فمن  
 طالع مثلاً أبيات السموّعل بن عادِيَاء (مع قطع النظر عن قصيدة واضحة  
 التزوير منسوبة إليه لم تُعرّف ولم تُطبع إلا حديثاً) لما توهم أن صاحبها تابع  
 لدين اليهود . والأمر كذلك أيضاً في سائر أشعار يهود جزيرة العرب مثل  
 شُعْبَةَ<sup>(١)</sup> بن غَرِيض والربيع بن أبي الحقيق وغيرهما التي اعتنى بجمعها  
 تولدك وفرانز ديلتش<sup>(٢)</sup> ليس من المستحيل أن ما فُقد من أشعارهم (وهو كثير  
 بالإضافة إلى ما حُفِظَ) قد حوى أشياء مما يختصّ بدينهم وليس من المحال  
 أيضاً أن الرواة المسلمين امتنعوا عن نقلها لهذا السبب ، ولكن لا يجوز لنا  
 الحكم إلا في الموجود المعروف الذي لا يختلف عن شعر أهل البادية الوثنيين  
 لا لغة ولا أسلوباً ولا مأخذاً كأن دينهم لم يؤثر في شعرهم البتة .

(١) [إن شعبة تصحيف سبعة (يفتح السين المهملة وسكون الياء) . انظر ما قال الأستاذ  
 الإيطالي Levi Della Vida في المجلد P. 1919-21, Roma. *Rivista degli Studi Orientali*, VIII, 627-628,  
 A proposito di فليراج أيضاً ما قال الأستاذ المذكور في سبعة بن غريص في مقاله *as-Samaw'al*  
 المطبوعة بالمجلة *Rivista degli Studi Orientali*, XIII, 1931-32, P. 62.  
 (٢) NOELDEKE, *Beiträge zur Kenntnis der Poesie der alten Araber*, P. 52-86; F. DELITZSCH, *Jüdisch-arabische Poesien aus vorislamischer Zeit*, Leipzig 1874.

١ - وإيضاحاً لما قلته من قسمة أشعار الجاهلية أربعة أصناف أذكر هنا أسماء أكبر الشعراء صنفاً صنفاً مع دلالات على خصائصهم بغاية الإيجاز .  
فأبتدى بالصنف الأول أى أشعار أهل البادية . لا يخفى على أحد وجود رجال بين قدماء العرب كانت أخلاقهم وعوائدهم أقرب للهمجية المحضة منها لأحوال أهل ذات نظام اجتماعي متين فسموا أولئك الرجال صعاليك أى فقراء ولصوصاً معاً وكانوا يعيشون متعزّلين عن نفس قبائلهم جائلين في القفار والبادى بغاية الاستقلال طالبين رزقهم من الصيد والغصب والغزو كما يفعل في أيامنا المعروفون بالبواقين عند أهل شمر والحجاز الشمالية<sup>(١)</sup> ومنهم من نبيغ في الشعر على توحش عيشتهم فأشهرهم اثنان ضرب هما الأمثال لكونهما من محاضير العرب ومغاويرهم<sup>(٢)</sup> فكثرت فيهما الأخبار العجبية والروايات الغريبة . وهما تَابِطٌ . شَرَأُ الفَهْمَى<sup>(٣)</sup> والشَّنْفَرَى الأزدي عاشا في القرن السادس للمسيح وتشاركنا أحياناً في غزواتهما . وافتخر تَابِطٌ . شَرَأُ في قصيدة بلفائه القولة ومخاطبتها واتخاذها جارة في ليلة مظلمة<sup>(٤)</sup> :

وأذهمَ قد جُبْتُ جِلْبَابَهُ      كما اجْتَابَتِ الكاعِبُ الخَيْعَلَا  
إلى أن حَدَا الصُّبْحُ أَثْنَاءَهُ      ومَزَقَ جِلْبَابَهُ الأَلْيَلَا  
على شِمْ نارٍ تَنَوَّرَتْهَا      فَبِتْ لَهَا مُدِيرًا مُقْبِلَا  
فَأَصْبَحْتُ والغُولُ لى جَارَةٍ      فَيَا جَارَتَا أَنْتِ مَا أَهْوَلَا  
وطالَبْتُهَا بَضْعَهَا فَالتَوْتُ      بوجه تَهَوَّلَ فَاسْتَغْوَلَا

(١) انظر : JACOB, *Altarabisches Beduinenleben*, 2 éd., Berlin 1897, P. 225.

(٢) محضير : كثير العدو . ومنغوار : مقاتل كثير الغارات .

(٣) جمع المستشرق الإنكليزي EYALL أربعة أثمان لتأبط شراً في المجلة *Journal of the Royal Asiatic Society* سنة ١٩١٨ ص ٢١١ - ٢٢٧ .

(٤) الأبيات مروية في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٧٦ من طبعة ليدن ١٩٠٤ والباب التاسع والأربعين من مروج الذهب للمسعودي (ج ٣ ص ٣١٠ - ٣١٤ من طبعة باريس) وإعجاز القرآن للباقلافي ص ٢٢ من طبعة مصر ١٣١٥ . خيميل : قميص بدون أكمام - تنور : تطلع نحوه بصره .

وما أحسن وصف حال حياته في قصيدة مدح بها عمه شمس بن مالك<sup>(١)</sup> :  
(من بحر الطويل)

قليلُ التشكُّى للمُهمِّ يُصَيِّهُ      كثيرُ الهوى شتى النوى والمساك  
يظلُّ بمَوماةٍ ويُمسي بغيرها      جعِيشاً ويعرورى ظهور المهادك  
ويسبقُ وفدَ الريح من حيث ينتحي      بمنخرقٍ من شدِّ المتدارك  
إذا حاص عَيْنُهُ كَرى النوم لم يزل      له كائاً من قلب شينحان فاتك  
ويجعل عَيْنُهُ رَيْبَةً قَلْبُهُ      إلى سَلَّةٍ من حدٍّ أخلق صائدك  
إذا هزَّه في عَظَمٍ قُرْنٍ تَهَلَّلَتْ      نَوَاجِدُ أَقْوَائِ المنايا الضواجك  
يرى الوَحْشَةَ الأَنْسَ الأَنْسَ ويَهْتَدِي      بحيث أهدت أم النجوم الشواييك

أما الشنفرى الأزدي فصاحب اللامية المشهورة التي يفخر فيها بانفراده  
من قومه ووَحْشَةٍ عَيْشِهِ في البزارى كأنه لم يعاشر إلا السباع . وهي قصيدة  
غاية في الجمال تنطق بلسان حال الشاعر وإن كان بعض التحويلات يزعمون  
أنها من مصنوعات حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ . ومما يدل أيضاً توخُّش  
عَيْشَتِهِ شعر آخر له قال فيه<sup>(٢)</sup> :

[و] لَا تَقْبِرُونِي إِنْ قَبِرْتُ مُحَرَّمٌ      عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ  
إِذَا أَحْتَمَلُوا رَأْسِي فِي الرِّأْسِ أَكْذَرِي      وَغَوَّزَ عِنْدَ الْمُتَلَقِّي ثُمَّ سَائِرِي

(١) الأبيات مروية في حاشية أبي تمام من ٤١ - ٤٤ من طبعة بن أوج ١ ص ٤٦ - ٤٩  
من طبعة بولاق . - اعرورى الفرس : ركبته هرباً ليس تحته ثوب - منخرق : سريع - فاتك :  
فاسق . - وقيل إن أم النجوم الشمس وقيل إنها الهرة .

(٢) الأبيات مروية في حاشية أبي تمام ص ٢٤٢ - ٢٤٣ من طبعة بن (أوج ٢ ص ٢٤ -  
٢٥ من طبعة بولاق) . [في تأبط شراً والشنفرى راجع أيضاً مقالى المشرق الإيطالى Francesco  
GABRIELI الماتين *Rendiconti della Accademia dei lincei, classe scienze morali, serie VIII, vol. I, Roma 1946, P. 40-69*];  
sull'Autenticità della «*Lamiyyat al-'Arab*» (*Rivista degli Studi Orientali*) XV, Roma 1934, 35  
P. 358-361.]

هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَعْمُرَئِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبَسَّلًا بِالْجَرَائِرِ

ثم من الصنف الأول مع بعدهم عن هَمَجِيَّة تَابُط. شراً وَالشَّنْفَرَى أصحابُ ستٍّ من المعلقات السبع الشهيرة أعنى : امرأ القيس وهو أقدمهم ، والحرث بن جِلْزَة ، وعَمَرَ بن كلثوم ، وعنترة العبسى وزُهَيْرًا وإبيداً وهو أحدثهم . أمَّا طَرَفَة فمن شعراء الصنف الثاني المجالسين للملوك . وامرؤ القيس ابن حُجْر من آل ملوك كندة عاش في النصف الأول من القرن السادس للمسيح ويقال إنه أمير الشعر لما أدرك فيه من الإتقان فقال ابن قتيبة<sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٢٧٠ أو ٢٧٦ إنه « سبق إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء من استيقافه صَحْبَه في الديار ورقّة النسيب وقرب المأخذ » . وأجود أيضاً الوصف والتشابه فكان كثيرٌ من أهل الأدب والشعر في القرون الماضية يفضلونه على سائر الشعراء واختصر القاضي أبو بكر الباقلاني<sup>(٢)</sup> حكمتهم فيه هكذا<sup>(٣)</sup> : « وأنت لا تشك في جَوْدَة شعر امرئ القيس ولا ترتاب في براعته ولا تتوقف في فصاحته وتعلم أنه قد أبدع في طرق الشعر أموراً اتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها إلى ما يتصل بذلك من البديع الذي أبدعه والتشبيه الذي أحدثه والتعريض الذي يوجد في شعره والتصرف الكثير الذي تُصَادِفُهُ في قوله ، والوجوه التي ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعلم ومتانة ورقّة وأسباب تُحَمِّدُ وأمور تُوَفِّرُ وتُمدِّح . وقد نرى الأدباء يوازنون بشعره فلاناً وفلاناً إلخ » . إلا أن القاضي الباقلاني يقول بوجود ما يُعَابَ أيضاً في شعر امرئ القيس فيوضح ما يزعمه عواراً في

(١) كتاب الشعر والشعراء ص ٤٠ من طبعة ليدن ١٩٠٤ .

(٢) توفى الباقلاني سنة ٤٠٣ ١٠١٣ م .

(٣) إجاز القرآن ص ٧٤ من طبعة مصر ١٣١٥ .

معلّقه بالتفصيل المفرط<sup>(١)</sup> وربما عدل عن الإنصاف في أقواله لأنّ غرض كتابه إنّما هو البرهان على عدم إعجاز الشعر وإن كان صاحبه من فحول الشعراء وعلى أنّ<sup>(٢)</sup> « طريقة الشعر سريعة مورودة ومنزلة مشهودة يأخذ منها أصحابها على مقادير أسبابها ويتناول منها ذووها على حسب أحوالهم وأنّ تجد للمتقدّم معنى قد طمسه المتأخّر بما أبرّ عليه فيه وتجد للمتأخّر معنى قد أغضله المتقدّم وتجد معنى قد توافدا عليه وتوافيا إليه فهما فيه شريكا عنان وكأتهما فيه رضيعا لبان » . أمّا معلّقة امرئ القيس وسائر قصائد ديوانه فأشهر من أن يجب الإطناب في الكلام عليها في هذه النبذة الإجمالية الوجيزة .

ثمّ الذى ينبع امرأ القيس من أصحاب المعلّقات على الترتيب التاريخي هو الحارث بن حلزة البشكريّ البكريّ الذى ألّف قصيدته المشهورة في أيام عمرو بن هند ملك الحيرة ( ٥٥٤ - ٥٦٨ أو ٥٦٩ م ) ولا رتجالاً بين يديه كما يقوله خطأ أكثر كتبة العرب . وغرضها سياسى أعنى حثّ بنى بكر ابن وائل وبنى تغلب بن وائل على ترك التشاكي الباطل لئلا تعود تضرهم جدوة العداوة والحرب بينهما ولا ينقض الصلح المنعقد عند المنذر بن ماء السماء<sup>(٣)</sup> ملك الحيرة ( نحو ٥٠٦ - ٥٥٤ م ) بعد الحرب الطويلة الشهيرة بحزب البسوس . وبعد الحارث بمدة غير مديدة ألّف عمرو بن كلثوم التغلبى<sup>(٤)</sup> معلّقه التى تشير أيضاً إلى ما كان قديماً بين حيين بكر وتغلب من

( ١ ) إعجاز القرآن ص ٧٥ - ٨٥ من طبعة مصر ١٣١٥ م .

( ٢ ) إعجاز القرآن ص ٨٦ .

( ٣ ) ولا حنة عمرو بن المنذر بن ماء السماء كما يقال أيضاً فليراجع في هذه المسألة ما كتب المستشرق NOBLDEKE في كتابه . ( *Fünf Mo'allagat*, I., Wien 1899, P. 34 ) .

( ٤ ) [ طبع ديوان الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم في مجلة المشرق ص ٥٩١ - ٦١١ من السنة العشرين ١٩٢٢ ] .

العداوة . ويُنذِر فيها الشاعر بل يرعّب عمرو بن هند الملك الميلة إلى بكر  
ويوعِد البكرين وثوبَ بنى تغلب عليهم إن لم ينقطعوا عن التحريض .  
وهي قصيدة غاية في الفخر لا تكاد تفوق فيه عليها غيرها فلا عَجَب أن  
بنى تغلب لم تزل تعظمها جداً يرونها صغارها وكبارها في القرن التالي  
لظهور الإسلام حتى قال بعض الشعراء بهجومهم <sup>(١)</sup> :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم  
يُفَاخِرُونَ بِهَا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ يَا لَلرَّجَالِ لِفَخْرٍ غَيْرِ مَشْهُومٍ

ومما تنفرد به معلقتا الحارث وعمرو عن أغلب سائر قصائد الجاهلية أن  
مُعظمها يدور على الموضوع الأساسي فلا تبقى فيهما للغزل والوصف وسائر لواحق  
القصائد إلا أبيات قليلة جداً . ثم تنشأ بهان أيضاً خلافاً للمعلقات الأخرى  
لأن صاحبتيهما كأنهما يقولان الشعر باسم قومهما جميعاً وهما يخاطبان ملكاً  
ذا شأن عظيم ولا يدخلان في أمورهما أو أهوائهما الشخصية ما عدا النسب  
الذي تبتدئ القصيدتان به .

وفي السنين العشرين الأخيرة من القرن السادس للمسيح قال عنتره بن  
شداد العبسي معلقته في الفخر والحماسة وصف فيها فضله وأفعاله المجيدة  
في الحرب وبسالته في القتال وقدر ما آهان هائل الأخطار والموت . كيف  
لا وهو من أشجع العرب وأعلامهم همّة وأعزهم نفساً ضُرب به الأمثال واتخذ  
كأنموذج الفتي الكامل المروءة والشجاعة فلم يزل صيته يطير في كل الأنحاء  
لما أُلّف فيه من القصص والروايات العجيبة المتداولة بين العوام حتى الآن  
المعروفة بسيرة عنتره . وديوان أشعاره أيضاً كله فخر وحماسة مع العرض

(١) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٢٠ من طبعة ليدن ، والبيتان مرويان أيضاً في  
الأغانى ج ٩ ص ١٨٣ من طبعة بولاق وكتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٠٤ من طبعة غوتنبرج  
سنة ١٨٥٤ .

فيه عن توحش الشنفرى وعن كل تنافر الألفاظ. وخشونة المعاني .

ونحو سنة ستمائة للمسيح أى اثنتين وعشرين قبل الهجرة أنشد زهير  
ابن أبى سلمى المزدني معلقته بمدح فيها هَرَمَ بن سنان والحارث بن عوف  
من سرّوات العرب اللذين ينحملهما أغبياء الدية أزالا الحرب<sup>(١)</sup> وأتمّ الصلح  
بين قبيلتي عبّس وذُبَيان ، ويبحث الناس على الخير والمحبة . وهذه المعلقة  
تختلف عن المعلقات السابق ذكرها لما تحويه من عبارات الحلم والورع ومن  
النصائح والحكم تجنّب زهير فيها رقى سائر أشعاره عن الوحشية والفخر .  
فأحسن ما قيل فيه أنّه لم يمدح أحداً إلا بما فيه . قال أبو منصور الثعالبي  
المتوفى سنة ٤٣٨ هـ في كتاب خاص الخاص<sup>(٢)</sup> : «لأنّه أجمع الشعراء للكثير  
من المعاني في القليل من الألفاظ . وأبياته التي في آخر قصيدته التي أولها  
\* أَمِنْ أَمْرٍ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ \* تُشْبِهُ كَلَامَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ وَهِيَ غُرَّةُ حِكْمِ الْعَرَبِ وَنَهَايَةُ فِي الْحُسْنِ وَالْجَوْدَةِ تَجْرَى مَجْرَى الْأَمْثَالِ  
الرائعة الرائقة وهي<sup>(٣)</sup> :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلْ بِفَضْلِهِ	على قومٍ يُسْتَعْنِ عَنْهُ وَيُدْهَمِ
وَمَنْ يَفْتَرِبُ يَحْشِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ	وَمَنْ لَا يَكْرِمْ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمِ
وَمَنْ لَا يَذُّدُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ	يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمِ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ	وَلَوْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ	يُضْرَرُّ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسَمِ

فترون من كلّ ما تقدّم كم فرق بين أكثر أشعار زهير وبين أكثر أشعار

(١) يعنى الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء .

(٢) كتاب خاص الخاص ص ٧٥ من طبعة مصر ١٣٢٦ وانظر أيضاً كتابه الإيجاز والإيجاز

ص ٣٧ من القسطنطينية سنة ١٣٠١ .

(٣) هكذا روى أبو منصور الثعالبي الأبيات في كتابه المذكور فليراجع ملحقه زمير .

السابقين له كأنَّ زهيراً أحسَّ بتقرب عهد جديد أعنى عهد الإسلام الذي بُدِّل فيه التوحُّش والجهل القديم بتهذيب الأخلاق والحِلْم . - وممَّن اتَّبَعَ من هذه الجهة طريقة زهير ونظم في شعره درر المواعظ والحِكَم والتأمل لبَّيد ابن ربيعة العامري الذي أدرك الإسلام إلَّا أنَّه لم يَقُلْ في عهده إلَّا بيتاً واحداً اختلفت الرواة فيه . ومات على القول المرجَّح سنة ٦٦١<sup>٤١</sup> وهو كبير السن وألَّف معلَّقه بين سنة ٦١٠ و ٦٢٥ م تقريباً . ومن طالعتها وجد فيها الفخر بيد أنَّ هذا الافتخار ليس بالشجاعة والأفعال الحربيَّة مثل ما ورد في معلقة عنتره بل إنَّما هو بالمكرِّمات ومكارم الأخلاق ، ومن المشهور ما في ديوانه من العبارات الدينيَّة بل الشبيهة بالعقائد الإسلامية مثل <sup>(١)</sup> (من بحر الرمل) .

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفَلْ      وَيُؤْذِنُ اللَّهُ رِيثِي وَعَجَلْ  
أَحْمَدُ اللَّهَ فَلَا نِدَّ لَهُ      بِيَدِيهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلْ  
مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ أَهْتَدَى      نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلْ

ولكن ليس كلُّ ما يُنسب إليه في ديوانه من هذا الباب صحيحاً بل لا اختلاف في بعض الأشعار أنَّها مصنوعة .

إنَّ أصحابَ المعلقات الست (أى ما عدا معلقة طرفة) أشعرُ الشعراء من الصنف الأوَّل مع أنَّ شعراء آخرين نبَّغوا في عهدهم في قبائل العرب فوصلت إلينا جملةٌ من مآثرهم . منهم عُروة بن الورد وهو عبَّسى مثل عنتره

(١) ديوان لبَّيد المطبوع بليدن سنة ١٨٩١ عدد ٣٩ بيت ١ - ٣ .

(٢) ديوان عروة بن الورد المطبوع بغوتنجن سنة ١٨٦٣ عدد ٣ بيت ١٣ - ٢١ . والأبيات مروية أيضاً في الأصمعيَّات عدد ٣١ (ص ٢٩ - ٣٠ من طبعة برلين سنة ١٩٠٢) وسجاسة أبي تمام ص ٢٠٨ - ٢٠٩ من طبعة بن (أر ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٠ من طبعة بولاق) وخزاعة الأدب ج ٤ ص ١٩٤ - ١٩٦ من طبعة بولاق ١٢٩٩ . - وما يذكر على كراهة العرب للعمل اليدوي بيت جرير في ديوانه ج ١ ص ١١٧ سطر ١٢ من طبعة مصر سنة ١٣١٣ [ج ١ ص ٢٦٢ سطر ٨ من طبعة مصر ١٣٥٤] .



ومات قُبَيْلُ الإسلام . واشتهر مثل عنبرة بالشجاعة والفضل ، ومن أحسن شعره أبيات وصف فيها فضيلة الفقير الحرّ الباسل وذمّ الذي يُسْتَأْجَرُ شغلُهُ (١) :

لَحَى اللَّهُ صُغْلُوكَا إِذَا جَنَ لَيْلُهُ      مُصَافِي الْمُشَافِئِ آلِفَا كُلَّ مَجْزَرٍ  
يَعُدُّ الْغَنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ      أَصَابَ قِرَافَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسِّرٍ  
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ طَاوِيَا      يَحُبُّ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَمِّرُ  
قَلِيلَ التِّمَاسِ الزَّادِ إِلَّا لِنَفْسِهِ      إِذَا هُوَ أَمَتَى كَالْعَرِيْشِ الْمُجَوَّرُ  
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَى مَا يَسْتَعِينُهُ      فَيُحْمَى طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ  
وَلَكِنْ صُغْلُوكَا صَحِيفَةً وَجْهَهُ      كَضَوْءِ شَهَابِ الْقَابِيسِ الْمُتَنَوِّرِ  
مُطِلاً عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ      بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشْهُرِ  
فَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ      تَشَوَّفُ أَهْلَ الْغَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ  
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا      حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَعْنِي يَوْمًا فَجَانِدِرٍ

ومن الشعراء المجيدين حاتم بن عبد الله الطائي المصروب المثل بجوده الوافر فقل إن بنته وصفته بين يدي النبي على هذه الصفة : « كان أبي يَفُكُّ الْعَائِيَّ وَيَحْمِي الدَّمَارَ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ وَيُفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ وَيُفْسِي السَّلَامَ وَلَمْ يَرُدْ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ. » (١) . وقال ابن الأعرابي إنه « كان جَوَادًا يُشَبِّه شعره جُودُهُ ويصدق قوله فعله .... إِذَا غَنِمَ أَنَهَبَ وَإِذَا سُئِلَ وَهَبَ . . . » . وإذا أُسْرَ أطلق (٢) . عاش بعد منتصف القرن السادس للمسيح وأدرك أوائل السابع وله ديوان مشهور إلا أن في صحفة بعض أشعاره نظراً فظاهاً أن أبياتاً مجهولاً اسمُ مُنْشِدها إنما عُزِيَتْ إلى حاتم لما فيها من مدح الجود والكرم .

(١) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ٩٧ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ٩٧ - ٩٨ من طبعة بولاق .

وممّن كان بعد منتصف القرن السادس الألفوه الأودى سيد قومه وقائدهم  
في حروبهم عدّه العرب من حكمائها لما ورد من الحكيم في أبياته منها (١)  
(من بحر البسيط) :

لا يصلح الناس قوصى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهّاهم سادوا  
والبيت لا يُبْنَى إلّا له عمد ولا عماد إذا لم تُرَس أوتاد  
وأن تجمّع أوتاد وأعمدة يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادوا

وممّن كان وفاته قبل الإسلام بقليل ذو الإصبع العدواني صاحب الغارات  
الكثيرة والوقائع المشهورة والحكم والوصايا . ومنهم سلامة بن جندل التميمي  
من فرسان العرب الذي يروى عنه ديوان صغير (٢) أكثره في الحماسة والفخر  
مع شيء جميل من الوصف والتشبيه .

وممّن أدرك الإسلام مع وقوع جميع شعره في الجاهلية دُرَيْد بن الصُّمّة  
الجُشَميُّ أحد الشُّجْعان المشهورين وذوى الرأى الذى شهد يوم حُنين  
سنة ٦٢٩-٦٣٠ هـ فقتل فيه (وهو كبير السن جداً) فيمن قُتل من الوثنيين .  
ومنهم أيضاً شعراء غير المذكورين لا فائدة في سرّد أسمائهم في هذه النبذة .  
وقبل أن نختم الكلام على هذا الصنف الأول من شعراء الجاهلية لابد  
من الإشارة إلى جرّى النساء أيضاً من أهل البادية في ميدان الشعر لا سيما  
في المراثى فإنهن استنبطن في هذا الباب أساليب بديعة لم يتنبّه لها الفحول

(١) الأبيات مروية في المقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٥ من طبعة مصر ١٣٠٢ . وروى  
القالى في أماليه القصيدة كلها (راجع ج ٢ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ من طبعة بولاق ١٣٢٤ [ أوج  
٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ من طبعة مصر ١٣٤٤ ] ) . [ أما ديوان الألفه فهو مطبوع في كتاب الطرائف  
الأدبية بمصر سنة ١٩٣٧ ] .

(٢) - [ عن بطيمه المستشرق Huart في المجلّة الفرنسية *Journal Asiatique*, série X  
vol. 15, 1910, P. 71-105 والأب لويس شيخو في بيروت سنة ١٩٢١ ] .

لِمَا طُبِعْنَ عَلَيْهِ مِنْ رِقَّةِ الطَّبَاعِ وَشِدَّةِ الْجَزَعِ فِي الْمَصَائِبِ وَصَدَقَ الْحَسَّ  
فِيُبْرِزْنَ عَوَاطِفَهُنَّ بِشَعْرِ سُلَاسٍ وَكَلَامٍ لَيْنٍ قَرِيبٍ الْمَأْخِذِ يَكَادُ يَسِيلُ رِقَّةً  
وَانْسِجَاماً<sup>(١)</sup> . فتعلمون أَنَّ الْأَبَّ لَوَيْسَ شَيْخُو أَفْرَدَ لَهُنَّ كِتَاباً جَمَعَ فِيهِ  
كُلَّ مَا تَنَسَّرَ لَهُ مِنْ مَرَاتِي لِإِحْدَى وَسِتِّينَ شَاعِرَةً مِنْ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا عَدَا  
دِيَوَانَ الْخَنْسَاءِ الَّذِي نَشَرَهُ عَلَى حِدَةٍ<sup>(٢)</sup> . أَمَّا أَشْعَارُ الْخَنْسَاءِ فِي رِثَاءِ  
أَخَوَيْهَا صَخْرٍ وَمَعَاوِيَةَ فَشَهِيْرَةٌ قَالَتْهَا جَمِيعُهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ مَعَ أَنَّهَا أَدْرَكَتْ  
خِلَافَةَ عُمَرَ<sup>(٣)</sup> .

٢- فلننتقل إلى الصنف الثاني من شعراء الجاهلية أعني إلى الشعراء  
الوثنيين الذين لازموا أبواب ملوك الحيرة وغسان وملحوم وامتنعوا عن خشونة  
أهل البادية لتقربهم من أحوال سكّان المدن والرفاهية والترّف . فمذخّم  
للملوك ليس كمذح شعراء الصنف الأوّل لسادة قومهم لما أَدخلوا فيه من إفراط  
المَلَقِ وافتخارهم بالحماسة ليس إلّا قليلاً ووصفهم يجري أحياناً في مجال  
مختلف عن مجال وصف أهل البراري ، والغزل وذكر الخمر في قصائدهم يتبعان  
مذهب أهل المدن . وربما أخذوا عن نصارى الحيرة وغسان معاني وعبارات  
دينيّة جديدة لم يتسبّق إليها أحد شعراء الصنف الأوّل .

لكان زهير بن جَنَابِ الكلبيّ من أقدم شعراء الصنف الثاني لو صحّت  
قطعة شعر منسوبة إليه وردت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على الأصفيائي<sup>(٤)</sup>

(١) رياض الأدب في مرآة شواجر العرب للأب لويس شيخو ص ١ من طبعة بيروت  
سنة ١٨٩٧ .

(٢) بيروت سنة ١٨٨٦ وطبع أيضاً ديوان الخنساء في بيروت سنة ١٨٨٨ و ١٨٨٩ ( ويليّه  
الترجمة الفرنسية ) وفي مصر سنة ١٨٨٨ و ١٣٢٦ [ و ١٣٤٨ ] .

(٣) وفي الخنساء راجع G. GABRIELI, *I tempi la vita al conzoniere della poetessa araba*  
*al-Khansa* Firenze 1899 ( 2 ed., Roma 1944 ); N. RHODOKANAKIS, *al-Khansa und ihre*  
*Trauerlieder*, Wien 1904 .

(٤) الأغاني ج ٢١ ( المطبوع بليدن سنة ١٣٠٦ م ١٨٨٨ ) ص ١٠٠ .

وفي كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني<sup>(١)</sup> المتوفى فيها بين سنتي ٢٥٠ و ٢٥٥ وفي عدة كتب أخرى :

لقد عُمِرْتُ حتى لا أبالي      أحتفى في صباحي أو مساءي  
وحق لمن أتت مائتان عاماً      عليه أن يحلّ من الثواء  
شهدت الموقدين على خزازي      وبالسلان جمعاً ذا زهاء  
ونادمت الملوك من آل عمرو      وبعدهم بنى ماء السماء

والمراد بآل عمرو على المحتمل ملوك كِنْدَة أي بنى عمرو بن حُجْر والمراد ببنى ماء السماء المنذر بن ماء السماء الذي تولى مُلْك الحيرة من سنة ٥٠٥ أو ٥٠٦ م إلى شهر يونيو سنة ٥٠٤ م . ولكن مع قطع النظر عما في صحة تلك الأبيات من الشك لا نجد فيها نقل إلينا من أشعاره وأخباره شيئاً غير هذه الأبيات يدلّ على ملازمته ملوك الحيرة بل إنّ شعره شعراً بدوياً محض كما يصلح لمن قيل إنّ « كان سيّد بنى كَلْب وقائدهم في حروبهم وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقيبة في غزواته »<sup>(٢)</sup> .

فأول من نتحقّق ملازمته ملوك الحيرة من الشعراء الوثنيين عبّيد بن الأبرص الأسديّ<sup>٣</sup> مجالس المنذر بن ماء السماء السابق ذكره . وشعره سليس اللفظ . ووصفه مصيب وهو يفتخر أحياناً على منوال أهل البادية فلما قُتل والد امرئ القيس الشاعر عبّيد بن أسد ورثاه امرؤ القيس وقال إنّّه يأخذ ثأر أبيه بقتل جُمّة من الأسديين أنشد عبّيد في قصيدة طويلة<sup>(٤)</sup> :

(١) كتاب المعمرين ص ٢٦ - ٢٧ من طبعة ليدن ١٨٩٩ . أما خزازي والسلان فهما من أيام العرب قبل حرب البسوس بقليل أي في أواخر القرن الخامس لليلاد .

(٢) كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٩٣ - ٩٤ . [ وفي حصة شعر زهير بن جناب نظر فليراجع ما قال الأب Lammens في كتابه المسمى *Le bureau de l'Islam*, Roma 1914, P. 319-321 ]

(٣) رويت الأبيات في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٤٣-١٤٤ من طبعة ليدن ١٩٠٤ والأغاني ج ١٩ ص ٨٥ من طبعة بولاق [ وديوان عبّيد قصيدة عدد ١٧ بيت ١ إلى ٧ من طبعة ليدن ١٩١٣ ] .

يا ذا المُخَوِّفَنا بَقَّةُ لُ أبِيهِ إِذْ لالاً وَحِينَا  
 أَرَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ مَتَ سَرَائِنَا كَذِباً وَمِينَا  
 هَلَّا عَلَى حُجْرِ بْنِ أُمِّ قَطَامٍ تَبْكِي لَا عَلَيْنَا  
 إِنَّا إِذَا عَضَّ الثِّقَا فُ بِرَأْسِ صَعْدَتِنَا لَوِينَا  
 نَحْمِي حَقِيقَتَنَا وَبَتَ ضُ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا  
 هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كَيْدِ لَدَةَ يَوْمَ وَلَوْ أَيْنَ أَيْنَا  
 أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامَهُمْ بِبَوَاتِرٍ حَتَّى أَنَحْنِينَا

ولكن أكثر ما وصل إلينا من شعره يجرى في الحكمة والاعتبار فمن هذا الباب مُعْظَمُ قصيدته البائية الشهيرة التي عدّها بعض اللغويين من المعلقات. وفيها أيضاً من الوصف ما يدلُّ على معرفة الشاعر بنهر الفرات وتُرْعِهِ القربة من الحيرة حين قال في الدموع <sup>(١)</sup> :

أَوْ فَلَجَ بِبَطْنِ وادٍ لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ قَسِيبُ  
 أَوْ جَدُولٌ فِي ظِلَالِ نَحْلِ لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ سُكُوبُ

فظاهر أنَّ هذا الوصف لا يوافق أحوال أقاليم جزيرة العرب المتوسطة التي ليس فيها أنهار . وعبيدُ أمر الملك المنذر بن ماء السماء بقتله في حكاية مشهورة يطول ذكرها هنا <sup>(٢)</sup> .

وممن جالس عمرو بن هند ( ٥٥٤ - ٥٦٨ أو ٥٦٩ ) طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ أَحَدُ أصحاب المعلقات السبع وأقلهم عُمرًا لِأَنَّهُ قُتِلَ بِأَمْرِ الْمَلِكِ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَعَشْرِينَ سَنَةً . وهو يفتخر في شعره بشرب الخمر أكثر منه بالشجاعة

(١) كتاب شرح القصائد العشر . . . تصنيف أبي زكرياء . . . العربي طبعة كلكتة سنة ١٨٩٢ - ١٨٩٣ بيت ٩ و ١٠ من شعر عبيد [ وديوان عبيد قصيدة عدد ١ بيت ٩ و ١٠ ] .

(٢) [راجع في عبيد مقالة الأستاذ FRANCESCO GABRIELI المأهولة 'Abid Ibn al-Abras La poesia di 'Rendicenti dell' Accademia d'Italia, classe scienze morali, aerie VII, vol. I, Roma 1940, P. 240-251. ]

والحماسة ويعتبر زوال كلِّ أمور الدنيا كما يعتبره لبيد ولكنه لا يستنتج من ذلك الاعتبار وجوبَ الزهد فإنَّما يقصِدُ لذات العيش . وفي معلقته أبيات تدلُّ على قربه من الفرات والبحر (من الطويل) (١) :

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوَّةٌ      خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَرٍ  
عَدَوِيَّةٍ أَوْ مِنْ سَفِينٍ بِنِ يَأْمِنِ      يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي  
يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيَزُومُهَا بِهَا      كَمَا قَسَمَ الثَّرَبُ الْمُفْائِلُ بِالْيَدِ  
وفي نفس معلقته عند وصف ناقته قال (٢) :

وَأَتْلَعُ نَهَاظُ إِذَا صَعِدَتْ بِهِ      كَسُكَّانٍ بِوَصْيٍ بِدَجَلَةٍ مُصْعِدٍ

ومن حاملي لواء الشعر أيضاً المتلمس خالُ طرفة وحكايته مع الملك عمرو ابن هند أشهر من أن أذكرها . وعاصره أوس بن حَجَر التميمي الذي قال فيه أبو عمرو بن العلاء (٣) : « كان أوسُ فحلَّ مُضَرَّ حتى نشأ النابغة وزهير فأخماه » . وقال أبو ذؤيب : « وكان أوس عاقلاً في شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق وهو من أوصفيهم للحُمُر ولا سيمًا للقوس وسبق إلى دقيق المعاني وإلى أمثال كثيرة » . وإذا اطلعنا على ما نقل إلينا من شعره وجدناه غير بعيد من أسلوب شعراء الصنف الأول المعاصرين له مع تقربه من الملوك والمدن . ومن الجدير بالذكر أنه ربَّما استعمل في أبياته عبارات أقربَ لدين النصارى منها للمذاهب الوثنيين ثم إنَّ زهير بن أبي سلمى كان راوي شعره .

ولكن الذي فاز في قريضه بالرتبة العليا من شعراء ملوك الحيرة وغسان وكان من أبرز المبرزين في ميدان الشعر هو النابغة الذبياني فقدَّمه بعض

(١) معلقة طرفة بيت ٣ إلى ٥ .

(٢) معلقة طرفة بيت ٢٨ .

(٣) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٩ من الطبعة اليدنية .

أهل الأدب والشعر على امرئ القيس<sup>(١)</sup> وقالوا إنه أوضح الشعراء القدماء معنى وأبعدهم غاية وأكثرهم فائدة<sup>(٢)</sup>. وقيل أيضاً إنه « أحسنهم »<sup>(٣)</sup> ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتاً كان شعره كلاماً ليس فيه تكلف ونيغ بعد ما احتنتك وهلك قبل أن يهتتر<sup>(٤)</sup>. - كان مع المنذر بن ماء السماء (نحو ٥٠٦ - ٥٥٤ م) والمنذر بن المنذر (نحو ٥٧٦ - ٥٨٠ م) وأبي قابوس النعمان بن المنذر (نحو ٥٨٠ - ٦٠٢ م) فلماً وشئ به إلى النعمان هرب منه إلى عمرو بن الحارث من ملوك غسان في الشام ومدحه بقصائد مشهورة ذكر فيها شجاعة الغسانيين في الحرب وكثرة من يقتلونهم من الأعداء<sup>(٥)</sup>:  
 إذا ما غزوا بالجيش خلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب  
 .... فهم يستاقون المنية بينهم بأيديهم بيض رفاق المضارب  
 ووصف فيها أيضاً ما كان لهم من الترف والرفقة<sup>(٥)</sup>:

محلَّتْهُمْ ذاتُ الإلهِ ودينُهُم قويمٌ فما يَرْجُونَ غيرَ العواقبِ  
 رفاقُ النُّعالِ طيبٌ حُجُراتُهُم يُحبُّونَ بالرَّيحانِ يَوْمَ السَّبابِ  
 تُحييُهُم بيضُ الولائدِ بينَهُم وأَكْسِيَةِ الإضرِيجِ فوقَ المشاجرِ  
 يصونونَ أجساداً قديماً نعيمُها بِخالِصَةِ الأرْدانِ خُضِرِ العناكبِ

(١) [ راجع أيضاً كتاب فعلة الشعراء للأصمى المطبوع في *Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft*, LXV, 1911, P. 492. ]

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٢٦ من طبعة بولاق سنة ١٣٠٨ - ١٣١٠.

(٣) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧٠ من طبعة لندن. - واحتكك : أحكك التجارب أي جعلته حكماً. وأهتر : فقد عقله من الكبر والمرض.

(٤) ديوان النابغة الذبياني عدد ١ بيت ١٠ و ١٧ من طبعة لندن ١٨٧٠ (*The Divans of the six Arabic poets*) وعدد ٣ بيت ١٠ و ١٧ من طبعة باريس ١٨٦٩ و ص ٤٣ و ٤٤ من طبعة مصر سنة ١٣٢٨ [ وانظر ما قاله في هذه الطبعة الأستاذ ليلو في *Raccolta di scritti editi e inediti*, vol. III, Roma 1941, P. 174-176 ].

(٥) ديوان عدد ١ بيت ٢٤ إلى ٢٩ من طبعة لندن أو عدد ٣ أبيات ٢٤ إلى ٢٩ من طبعة باريس ١٨٦٩ أو ص ٤٥ من طبعة مصر ١٣٢٨.

ولا يَحْسِبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ      ولا يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبٍ  
 حَبَوْتُ بِهَا غَسَّانَ إِذْ كُنْتُ لَاحِقًا      يَقَوْنِي وَإِذْ أَعْيَمْتُ عَلَى مَذَاهِبِي  
 فترون ما بين هذا المدح وبين مدح شعراء البادية من اليون الشاسع .  
 وبعد إقامة سنين عند بنى غَسَّان رَجَعَ إلى الحيرة وجالس الملك النعمان  
 ثانية إلى موت الملك سنة ٦٠٢ م ثم عاش في قبيلة ذبيان ومات قبل ظهور  
 الإسلام . ووصف بديع الزمان الهمذاني في مقالته الأولى <sup>(١)</sup> شعر النابغة  
 فقال : « يَنْسِبُ إِذَا عَشِقَ وَيُثْلِبُ إِذَا حَنِقَ وَيَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ وَيَعْتَذِرُ إِذَا  
 رَهَبَ » . وقال الأصمعي : <sup>(٢)</sup> « كضالك من الشعراء أربعة زهير إذا طرب  
 والنابغة إذا رهب والأعشى إذا غضب وعنترة إذا كلب » - أما ما يُلام  
 النابغة عليه فإنه أول فحول الشعراء لم يقل الشعر إلا طَمَعًا في الكسب .  
 قال ابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣ في كتاب العمدة <sup>(٣)</sup> : « كانت  
 العرب لا تتكسب بالشعر وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن  
 يد لا يستطيع على أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها . . . حتى نشأ النابغة  
 الذبياني فمدح الملوك وقيل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر  
 وكان قادراً على الامتناع منه عن حوله من عشيرته أو من سار إليه من ملوك  
 غَسَّان فسقطت منزلته وتكسب ما لا جسيماً حتى كان أكله وشربه في صحاف  
 الذهب والفضة وأوانيهِ من عطاء الملوك . وتكسب زهير بن أبي سلمى بالشعر  
 يسيراً مع هُرم بن سنان . فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجزراً يتجر به  
 نحو البلدان » .

والأعشى هذا هو ميمون بن قيس من شعراء الصنف الثاني أيضاً المشهور

(١) ص ٢ من طبعة بيروت ١٨٨٩ .

(٢) جبهة أشعار العرب ص ٢٦ من طبعة بولاق والمزهر السبوطي ج ٢ ص ٢٩٧ من طبعة مصر

١٣٢٥ .

(٣) كتاب العمدة ج ١ ص ٤٩ من طبعة مصر ١٣٢٥ .



برقة شعره لفظاً وتفننه بجرّاً ، نادم ملوك الحيرة . وكثُر شعره في وصف التّيمان  
والخمر كأنّه من شعراء عصر العباسيّين الأوّل في زمان هارون الرشيد . وفي  
أبياته أيضاً أقوالٌ تتقرّب من اعتقادات النصارى فجاء في ذلك في كتاب  
الأغاني<sup>(١)</sup> ، ما نصّه : « قال لي يحيى بن متى راوية الأعشى وكان نصرانياً  
عبادياً وكان معمرّاً قال كان الأعشى قدريّاً وكان لبيد مثبّتاً قال لبيد :  
من هداه سُبُلُ الخير اهتدى ناعمَ البال ومن شاء أَصْلُ  
وقال الأعشى :

إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْإِدْلِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا<sup>(٢)</sup>

قلت فمن أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال من قبيل العباديين نصارى  
الحيرة كان يأتيتهم يشتري منهم الخمر فلقدنوه ذلك « . - وأدرك الأعشى  
الإسلام فقصيدته الجميلة التي مدح فيها النبيّ مشهورة .

مَنْ يَدْخُلُ جَزِيئاً فِي الصَّنَفِ الثَّانِي مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ لِلْمَازِمَةِ مَلُوكَ  
بَنِي غَسَّانِ مَدَّةَ سِنِينَ وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ هُوَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْمَوَادِّ  
بَيْثَرِبَ (الْمَدِينَةِ) الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٥ هـ بَعْدَمَا طَعَنَ فِي السَّنِّ . فَإِنَّ أَجْمَلَ شِعْرِهِ  
مَا قَالَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَصْفًا مَلَاذٌ عَيْشَتِهِ فِي جِلْدٍ وَغَيْرِهَا مِنْ قُرَى الشَّامِ رَمَادِحًا  
الْمُلُوكَ الْغَسَّانِيِّينَ الَّذِينَ كَانَ يَفِدُّ عَلَيْهِمْ لِيُنَالِ مِنْهُمْ الْهَدَايَا وَالْجَوَازِرَ .  
فَفِي كِتَابِ الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٠ أَوْ ٢٧٦ مَا نَصَّه<sup>(٣)</sup> :  
« قَالَ الْأَصْمَعِيُّ الشُّعْرُ نَكَلٌ بِأَبْوِ الشَّرِّ فَإِذَا دَخَلَ فِي الْخَيْرِ ضَعُفَ . هَذَا  
حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فَحَلَّ مِنْ فَحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ سَقَطَ شِعْرُهُ .

(١) كتاب الأغاني ج ٨ ص ٧٩ من طبعة بولاق .

(٢) استأثر به : استبد به وخص به - ولي : جعله والياً عليه .

(٣) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٧٠ من طبعة ليدن .

وقال مرة أخرى شعرُ حَسَّان في الجاهليَّة من أجود الشعر فقطع مقنَّته في الإسلام لحال النبي صلعم<sup>(١)</sup>. ومن جيِّد شعره وأشهره قصيدة أولها «أسألت رَسَمَ الدار أم لم تسأل<sup>(٢)</sup>» مدح فيها ملوك بني غَسَّان ووصف لذيق عيشه في الشام واقتخر بعشيرته من الخَزَرَج . وهي لينة الألفاظ . أسهل فهمًا من قصائد شعراء الصنف الأول بكثير وفيها من المدح ما يليق بملوك أهل المَدَن المتمتِّعين بأنواع الترفُّ والرَّفاهية ثم إن إطناب الشاعر في وصف الخمر يبعد عن أسلوب شعراء أهل البادية كما يبعد عنه أيضاً الافتخار بقومه المقصور في بلاغة خطِّابهم ووقَّدهم على أبواب الملوك . - أمَّا أشعار حَسَّان في عهد الإسلام فهي على نَمَط غير هذا فسيأتي الكلام عليها فيما بعد إن شاء الله .

٣- وهذا أوان ذكر الصنف الثالث من الشعر الجاهلي أعنى شعر

النصارى المقيمين في مملكة اللخميِّين بالبحيرة وما يليها وفي مملكة بني غَسَّان فيما بين الشام والبادية . - لا يخفى عليكم أنَّ الأب لوييس شيخو بما له من اليد الطولى في الآداب العربيَّة نشر سنة ١٨٩١ م في بيروت القسم الأول من كتابه المسمَّى بشعراء النصرانيَّة وهو عبارة عن مجلد ضخَّم جمع فيه من عدَّة كتب جملة وافرة من أشعار عهد الجاهليَّة زاعماً أنَّ أصحابها كانوا يدينون بدين النصارى . ولكنه بالغ في ظنِّه هذا أيَّ مبالغة كأنَّه زعم نصرانيًّا كلَّ شاعر جاهليٍّ لم يوصف صريحاً باليهوديَّة وورد في شعره شيء مما يتقرَّب

(١) وهذا الحكم الذي أثرت فيه كراهة بعض أهل الدين لشعر يوافق قول أبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٣٠ في كتاب خاص الخاص ص ٨٠ من طبعة مصر سنة ١٣٢٦ « من عجائب أمر حسان أنه رضى الله عنه يقول الشعر في الجاهلية فيجيد جداً ويغير في نواحي الفحول ويدعى أن له شيطاناً يقول الشعر على لسانه كمادة الشعراء في ذلك . . . فلما أدرك الإسلام وتبدل الشيطان الملك تراجع شعره وكاد يرك قوله ليعلم أن الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب في طريقه من الملك » . [وراجع كتاب الموضح للمرزباني ص ٦٥ من طبعة مصر ١٣٤٣] .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ٥٧ - ٥٨ من طبعة بمبي سنة ١٢٨١ أو ص ٧٢ - ٧٣ من طبعة تونس سنة ١٢٨١ أو ص ١٦ - ١٧ من طبعة لندن ١٩١١ [أو ص ٣٠٧ - ٣١٣ من طبعة مصر ١٣٤٧] .

من اعتقاد وحدانية الله أو من التأمّلات والاعتبارات الدينية فعدّ من النصارى  
امراً القيس والناطقة وطرفة ، وغيرهم من شعراء المصنف الأول والثاني الذين  
لا شك لكلّ مُنصف في أنّهم من أصحاب الوثنيّة . أمّا المؤكّد المُثبت فإنّما  
هو أنّ دين النصرانيّة ذاع في القرن السابق للهجرة في شمالي جزيرة العرب<sup>(١)</sup>  
فاعتنقه بعض القبائل مثل بني تغلب وقسم غير صغير من بني تميم فذهلاً  
عن أكثر المقيمين بمملكة بني غسان وأكثر سكّان مدينة الحيرة وسميت  
نصارى الحيرة بالعباد<sup>(٢)</sup> ولعلّ المقصود عباد الله أو عباد المسيح ، ونصرانيّتهم  
(وهي على مذهب التّسطوريّة) قديمة لأنّنا نعرف أسماء أساقفة الحيرة من  
سنة ٤٠٠م تقريباً إلى نحو سنة ٦٠٤م . ومن أقدم شعراء النصارى الذين وصل  
إلينا شيء من أشعارهم أبو ذؤاد الإياديّ قد ولاه المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة  
(نحو ٥٠٦ - ٥٥٤م) على غيلة « فكان وصافاً للخيل وأكثر أشعاره في وصفه ،  
وله في غير وصفه تصرّف بين مدح وفخر وغير ذلك إلّا أنّ شعره في وصف  
الفرس أكثر<sup>(٣)</sup> . ولانت ألفاظه لقربه من حضارة ريف الفرات ، وبعده شعره  
عن أساليب عرب البادية . - وأشهر منه عدّيّ بن زيد العبّاديّ<sup>(٤)</sup> من  
عائلة قديمة بالحيرة تعلّم الفارسيّة وتولّى الأمور العربيّة بديوان كسرى

(١) [ انظر ما قاله في هذا الموضوع الأستاذ نلينو في ج ٣ ص ١٢١ - ١٦٨ من كتابه  
*Raccolta di scritti editi e inediti*, Roma 1941 ] .

(٢) راجع G. ROTHSTEIN, *Die Dynastie der Lahmidas in al-Hira*, Berlin 1899, P. 19-28 .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٥ ص ٩٥ من طبعة بولاق - أما أبيات له فهي مروية في حسانة  
البحرّ ص ١٣١ من طبعة لندن أو ص ٨٧ عدد ٣٩٦ من طبعة بيروت سنة ١٩١٠ ( وفي هذه الأبيات  
يذكر الشاعر السلف من الناس ) والأصمعيّات عدد ٢٩ ص ٢٧ - ٢٨ ( ١٥ بيتاً في الطرد )  
وعدد ٧٢ ص ٦٨ - ٧٠ ( ٤٠ بيتاً ) من طبعة برلين ١٩٠٢ وكتاب الحيوان الجاحظ ج ٤ ص ١٦٨  
من طبعة مصر ١٣٢٢ - ١٣٢٥ .

(٤) ( راجع : J. HOROVITZ, 'Adi ibn Zaid the poet of al-Hira' (*Islamic Culture*,  
P. 31-69) ; F. GABRIELI, 'Adi ibn Zaid il poeta di al-Hira' (*Rendiconti Accademia dei Lincei*  
classe scienze morali, VIII serie, serie, vol. III, 1948, P. 81-96). )

أَبْرُويز (٥٩٠ - ٦٢٨م) من ملوك بنى ساسان بالمداثن فأرسله مرة كسرى إلى ملك الروم هدية من طرفه ثم استدعاه النعمان بن المنذر (نحو ٥٨٠ - ٦٠٢م) من المداثن إلى الحيرة وولاه على جميع أمور المملكة إلى أن قتله لما وُشِتْ إليه به الحُساد . وشعره أقرب إلينا من شعر أهل البادية وأهمهل فهماً فلذلك لم يعدّه علماء اللغة العربيّة من الفحول « وكان الأصمعيّ وأبو عبيدة بقولان : عدىّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم <sup>(١)</sup> يعارضها ولا يجرى معها مجراها » <sup>(٢)</sup> . وعلى قول الأصمعيّ « كانت الرواة لا تروى شعر أبي دؤاد ولا عدىّ بن زيد لمخالفتهم مذهب الشعراء » <sup>(٣)</sup> أو كما قيل « لأنّ ألفاظه ليست بنجدية » <sup>(٤)</sup> . والحق يقال إنّ الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ كثيراً ما روى أبياتاً لعدىّ بن زيد في كتاب المعرب وذلك دليل قاطع على تأثير الحضارة الآرامية والفارسيّة في كلام عدىّ ومعاني شعره . وهو يخالف أيضاً شعراء نجد في استنكافه من الأعاريض الطويلة واختياره القصيرة ثمّ في أسلوب خمريّاته الشبيهة بخمريّات الأعشى وحسان بن ثابت . ومن المشهور أنّ الخلفيتين الأمويّين هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) والوليد بن يزيد (١٢٥ - ١٢٦) كانا يُحبّان سماع شعر عدىّ بن زيد في الشراب <sup>(٥)</sup> . ولكن مع حبّه لوصف القيان والصهباء كعين الديك والصبوح حملة دينه مراراً عديدة على اعتبار زوال أمور الدنيا كلّها ، وذكر ما هو قريب من الزهد في بعض قصائده لطيفة قلّها غير مرة المتأخرون فقال مثلاً

(١) يعني الكواكب السائرة .

(٢) كتاب الأغاني ج ٢ ص ١٨ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٥ ص ٩٧ سطر ١٥ - ١٦ من طبعة بولاق .

(٤) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١١٥ من طبعة ليدن .

(٥) كتاب الأغاني ج ٥ ص ١٦٧ و ج ٦ ص ١٢٣ من طبعة بولاق .

بلسان حال المقابر<sup>(١)</sup> : (من بحر الرمل)

مَنْ رَأَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مَوْفٍ عَلَى قَرْنٍ زَوَالٍ  
وصروفُ الدهر لا يبقى لها ولما تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ  
رُبُّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالماءِ الزَّلَالِ  
وَأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قُدُمٌ وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَرْدِي فِي الْعِجَالِ  
عَمَرُوا دَهْرًا بَعِيشَ حَسَنِ أَمْنِي دَهْرِهِمْ غَيْرُ عِجَالٍ  
ثُمَّ أَضْحَقُوا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالرَّجَالِ  
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يَرْمِي بِالْفَتَى فِي طِلَابِ الْعَيْشِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

فظاهر ما في هذا الشعر من مشابهة زُهديات بعض الشعراء الإسلاميين لا سيما أبي العتاهية فليس من البعيد أن شعر عدى بن زيد ومن سلك منهجه من القدماء صار أتمودجاً للمتأخرين في وصف فناء الأمور الدنيوية وذكر عواطف الزهد الناشئة عن اعتباره . ثم من الجدير بالذكر أن عدى بن زيد أحب في زهدياته الإشارة إلى الحوادث العظيمة الماضية فكثير لإيراد أبياته كأنها شواهد تاريخية في كتب التاريخ مثل كتاب الطبري المشهور . ومن هذا الباب ما قاله نحو سنة ٦٠١ م وهو في الحبس<sup>(٢)</sup> : (من بحر الخفيف)

(١) كتاب الأغاني ج ٢ ص ٣٤ من طبعة بولاق والأبيات مروية أيضاً في كتاب شعراء النصرانية ص ٤٤١ - ٤٤٢ من طبعة بيروت سنة ١٨٩٠ . - قرن : طرف . ودي الفرس : رجمت الأرض بجوافرها . وأودى به الموت : ذهب به . وقدم : جمع فدام المصفاة تجعل عل لم الإبريق ليصلى به ما فيه من شراب . وإبريق وفدام كلمتان فارسيتان معربتان وأصل الأولى آب ريز وأصل الثانية pandam . راجع S. FRAENKEL, *De vocabulis in antiquis Arabum e minibus et in Corano Peregrinis*, Lugduni Batavorum 1880, P. 3.

(٢) الأبيات مروية في كتاب الأغاني ج ٢ ص ٣٦ من طبعة بولاق وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١١١ - ١١٢ من طبعة ليدن وشعراء النصرانية ص ٤٥٥ - ٤٥٦ وحساسة البحرى عدد ٣٩٤ ص ١٢٩ - ١٣٠ من طبعة ليدن أو ص ٨٦ - ٨٧ من طبعة بيروت . ضام يضيح : غلظه وقهره . معرضاً : مبتدأ أمامه . إمة : رخاء العيش . أما كسرى أنو شروان فكان ملك الفرس بين سنتي =

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعِيرُ بِالْأَمْرِ . رَأَيْتَ الْمُبْرَأَ الْمَوْفُورُ  
 أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْإِيمَانِ . أَمْ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ  
 مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونُ خُلْدُنَ أَمْ مَنْ . ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ  
 أَيْنَ كَسْرَى كَسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشَرُ . وَإِنْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ  
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَامُ مَلُوكُ الْإِيمَانِ . رُومَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ  
 وَأَنْخُو الْخَضِرُ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ . لَمْ تُجَبِّ إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ  
 شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْدَ . سَأَ فَلَطِيرُ فِي ذُرَاهُ وَمُكُورُ  
 لَمْ يَهْنُ رَيْبُ الْمُنُونِ فَبَادَ الْإِيمَانِ . مُلْكُ عَنْهُ فَبَابَهُ مَهْجُورُ  
 وَتَذَكَّرُ رَبُّ الْخَوَزَنْقِ إِذْ شَدَّ . رَفَّ يَوْمًا وَلِلْهَنْدَى تَفْكِيرُ  
 سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُوتُ . لَيْكَ وَالْحَرُّ مُعْرِضًا وَالسَّيْدِيرُ  
 قَارَعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غِيْبُ . طَةَ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ  
 ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِيمَانِ . مَتَّ وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْقَبُورُ  
 ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَدَّ . فَفَأَلَوْتَ بِهِ الصَّبَا وَالْدُبُورُ

وبخلاصة القول أن شعر العباديين أصبح ذات تأثير لا يُنكر في المعاصرين  
 المجاورين لهم من الوثنيين مثل الأعشى وفي بعض المتأخرين الإسلاميين  
 لا سيما في مجال الزهديات والخمريات .

٤- يبقى على أن أتكلّم بالإجمال في الصنف الرابع من شعراء الجاهلية ،  
 أي في شعراء أهل المدن الذين لا يدخلون في الصنف الثاني والثالث فأقصر  
 قولي على اثنين منهم : قيس بن الخطيم وأمّية بن أبي الصلت .

= ٥٣١ - ٥٧٩ م . أما سابور فهو اسم ثلاثة من ملوك الفرس تولى الأمر أولهم من سنة ٢٤١ إلى سنة  
 ٢٧٢ م . والثاني من ٣٠٩ إلى ٣٧٩ والثالث من ٣٨٣ إلى ٣٨٨ . ويرى البحتري في حاشيته عدد ٣٩٣  
 و ٣٩٥ مثل هذه الأبيات وهي أيضاً من أبيات زيد .

وُلد قيس بن الخطيم الأوسى بالمدينة بعد منتصف القرن السادس للمسيح  
فقتل أبوه وهو صغير السنَّ جدًّا في حروب جرت بين الأوس والخزرج  
فلما شبَّ قيس وعرف أخبار قومه وأبيه أراد أخذ ثأر قتل والده ولم يزل  
يتربصُّ بذلك في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه وقاتل جدّه فقتلها . فله في  
ذلك قصيدة يقولون إنَّها من نسج أهل البادية<sup>(١)</sup> : ( من بحر الطويل )

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرَةً      لَهَا نَفْذٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاعَهَا  
مَلَكَتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا      يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا  
يَهُونَ عَلَى أَنْ تَرُدَّ جِرَاحُهَا      عُمُونَ الْأَوَاسِي إِذْ حَمِدَتْ بِلَاعَهَا  
كَنتُ أَمْرًا لَا أَسْمَعُ الدَّهْرُ مُبَةً      أَسْبُ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِظَاءَهَا  
فَأَنِي فِي الْحَرْبِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ      بِإِقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا  
مَتَى بَيَّاتَ هَذَا الْمَوْتُ لَا تُلَفَّ حَاجَةٌ      لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا  
ثَارَتْ عَدِيًّا وَالْخَطِيمَ فَلَمْ أَضِغْ      وَلَايَةَ أَشْبَاحٍ جُعِلَتْ لِزَاةَا

ولكنه مدق لا بدوى في نوع التغزل إذا قال القصائد المشهورة في عمرة  
بنت رَوَاحَة ، ومات قبل الهجرة بقليل .

أما أمية بن أبي الصلت الثقفى فهو من أهل الطائف كان في الجاهلية  
رغب عن عبادة الأوثان ويؤمن بالبعث وله أشعار مليحة حكي فيها قصص  
الأنبياء وأتى بالفاظ لم يعرفها العرب أخذها من أهل الكتاب كما أخذ منهم  
أيضاً الأحاديث التي جاء بها في شعره . ويكثر في أبياته ذكر الله والاستدلال  
على وجوده وحكمته باعتبار عجائب المخلوقات ووصف رحمته تعالى وعدد

(١) حجة أبي تمام ص ٨٥ - ٨٧ من طبعة بن أوج ١ ص ٩٤ - ٩٧ من طبعة بولاق لمراجع  
أيضاً كتاب الأغاني ج ٢ ص ٦٠ من طبعة بولاق . [ توجد قصيدته هذه في ديوانه ص ٣ - ٥ من طبعة  
ليبسك ١٩١٤ بناية الأستاذ Kowalecki ( انظر في ص ١ - ٦ الترجمة الألمانية والحواشى ) ] .

الآبيات المنسوبة إليه المتفرقة في كتب إسلامية شتى يزيد على الأربعمائة إلا أن لا شك في كون كثير منها مختلقة لا سيما المروية في كتاب اليد والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي من علماء القرن الرابع للهجرة فإنها مخلوقة عبارات وألفاظاً قرآنية . ومن المشهور أن أمية لم يُسلم بل رثى من قُتل من قريش في وقعة بدر ومات في السنة الثامنة للهجرة <sup>(١)</sup> . ولأني أمتنع عن إيراد أمثلة من أشعاره لأنها معروفة .

قد اتضح مما تقدم أن الشعر الجاهلي مصدر أكثر فنون الشعر العربي في عهد الإسلام . وفيه المدح والفخر والحماسة والرياء والهجاء والوصف والزهديات والطرديات والتشبيب والخمريات وهو غاية الجمال والانتقان لفظاً وعروضاً حتى لا يخفى أن الشعراء المتأخرين لم يزيدوا على البحور القديمة إلا شيئاً قليلاً جداً . كان الشعر ديوان أفكار العرب وخواطيرهم وعواطفهم كأنه دفتر عظيم قيّدوا فيه عوائدهم واعتقاداتهم وأمثالهم ومآثرهم . ولولا الشعر الذي نشأ في نجد ثم شاع في سائر أنحاء جزيرة العرب الشمالية لما نمت قبل الإسلام وحدة اللغة الأدبية مع اختلاف شعوب العرب وقبائلهم وتباين لهجاتهم <sup>(٢)</sup> . وإن قابلنا فضائل شعر الجاهلية بفضائل الشعر بعد الإسلام استصوبنا قول ابن رشيح القيرواني في كتاب العمد <sup>(٣)</sup> : « إنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناء فأحكمه وأتقنه ثم

(١) [اعتنى الدكتور Schlithess بجمع بقايا ديوان أمية (وهي ٥٠٠ بيت) ونقلها إلى اللغة الألمانية وطبعها في ليبسك سنة ١٩١١ (Beiträge für Assyriologie vol VII, 9) ثم في سنة ١٩٣٤م طبع في بيروت ديوان لامية بن أبي الصلت بحوى على ٣٠٠ بيت فاضى بجمعه بشير يموت . لا توجد في طبعة ليبسك كل الآبيات المروية في طبعة بيروت] .

(٢) [في هذا الموضوع انظر مقالة الأستاذ نلينو « كيف نشأت اللغة العربية » في مجلة الهلال سنة

٢٦ عدد أكتوبر ١٩١٧ ص ٤١ - ٤٨ ] .

(٣) كتاب العمد ج ١ ص ٥٧ من طبعة مصر ١٣٢٥ .



أتى الآخر فنقشه وزينه فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن .

٥- تقدمت لَمَحَة في شعر عرب الجاهلية فقبل الشروع في الوصف الإجمالي للآداب بعد ظهور الإسلام يبقَى على أن أقول كلمة في حال كلامهم المنشور . إنني ذكرت في أحد الدروس السابقة أن ابتداء الآداب عند كل أمة كان بالشعر مع كون الكلام المرسل المعتاد أقدم من المنظوم بكثير . وذلك أن الكلام العادي لا يأخذ بمجامع القلوب فليس كفيًا بالتعبير عن حُمَيَّا العواطف وشدة الطرب ؛ أما الشعر فبأنسجامة ووزنه يحرك أهواء النفس ويثير كامن حركاتها وهو ألدُّ في الأسجاع وأشدُّ وقعاً في القلوب من الكلام المنشور لا سيما إذا أنشد على الغناء وآلات الطرب كما كانت العادة فيه عند كل الأمم القديمة فالتنثر أجدر من الشعر بإظهار بنات الأفكار والشعر أجدر من النثر بإبداء ما يكتنه القلب أو تتصوره النفس بلا تفكير وتعمد . وبما أن القوة الخيالية عند كل أمة غلبت أولاً على القوة الفكرية والنظرية ومال الإنسان إلى ما استحسنته قبل ميله إلى إدمان التفكير في الأشياء لا عجب في سبق الشعر لسائر الفنون الأدبية المستظرفة . أما الإنشاء المنمق البعيد عن الكلام المرسل المعتاد فلم ينشأ إلا وقت بلوغ الأمم درجة أعلى في سير ترقّيها في المدنية والآداب . ثمّ لسبق الشعر سبب ثان وهو أن الغرض من الشعر أو المنشور المستظرف ليس فقط إبراز العواطف والأفكار بل هو أيضاً تخليدها وتداولها على ألسنة الناس . فإذا كانت صناعة الخطّ مجهولة أو قلّ استعمالها فلا سبيل إلى إبقاء المنشور وحفظه من ورود التغيير والنقص والزيادة في ألفاظه وعبارته فبتغيير العبارة والألفاظ يضيع ما كان فيه من العذوبة والرشاقة والأناقة ولا يبقَى إلا كلام ركيك معتاد لا يُعَد من المستظرف ولا

تهش إلى الأساع ولا ترتاح له القلوب . أما الكلام المقيد بالوزن والقافية فأسهل حفظاً وأكثر صبراً على توالى الزمان وأخف على ألسنة الرواة فيمكن أن يشيع في الآفاق ذكره ويعظم في الناس خطره وإن لم يحفظ بالتخليد في بطون الصحف .

فلهذين السببين كان معظم براعة كلام العرب في الشعر على كثرة ما كانوا يروونه في أسماهم ومواسمهم من الحكايات المتعلقة بأنسابهم وغزواتهم وأيامهم ( أى حروبهم ووقائعهم ) فضلاً عن الروايات التي كانوا يشرحون بها أصل أمثالهم ومعانيها وهي من قبيل ما يوجد في كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال الحسن العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وفي كتاب مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد الميذاني المتوفى سنة ٥١٨ هـ . وربما حفظوا شيئاً من تواريخ الأمم المجاورة لهم مثل أهل تدمر والفُرس والروم والعبرانيين كما يظهر من إشارات إليها وردت في أشعارهم وإن كانت الأحاديث الخرافية قد انسربت إلى تلك الحكايات ولعلها هي أساطير الأولين التي كان كفار مكة يشبهون بها إنذارات القرآن وقصصه <sup>(١)</sup> . والذين ساعدوا على إشاعة الروايات الأعجمية في مدن الحجاز هم أهل الكتاب المقيمون بها أو ناس مسافرون إلى الشام والعراق للتجارة ومنهم النضر بن العارث بن كلدنة الذي قتله النبي صبراً يائئيل بعد وقعة بدر وهو قد أتى الحيرة وأخذ من أهلها أخبار العجم ثم رجع إلى مكة وعلم سكاتها ضرب العود والغناء فإذا جلس النبي مجلساً دعا فيه الناس إلى الله قال هلموا إلى أحدثكم أحسن من قصص محمد ثم حدثهم أحاديث ملوك الفُرس وأخبار رستم وإسفنديار ويُلهمهم من القرآن

(١) انظر القرآن : ٦ : ٢٥ و ٨ : ٣١ و ٢٤ : ٢٣ و ٨١ : ٨٣ و ٢٥ : ٤ -

٥ و ٢٧ : ٦٧ - ٦٨ و ٤٦ : ١٧ و ٦٨ : ١٥ و ٨٣ : ١٣ .

ومن ذكر الله به فيه نزلت الآية<sup>(١)</sup> : «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُفِضَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنْ مُسْتَكْبِرًا كَانُوا فِي أَذْنَبِهِمْ وَفَرَّشَتْهُ يُعَذَّبُ أَلِيمٌ » . - وعند الكلام على آداب الجاهلية بالتفصيل سأشير إلى حكايات متداولة عند أمم أجنبية اتخذها العرب وخصصوها ببعض رجالهم المشهورين .

إلا أن أغلب المقصود من تلك الحكايات والروايات كان المنفعة أو التفكه فرأى العرب فيها المضمون ولم يدروا وشئ الكلام وحلى المعاني ودرر الألفاظ . أما الذى قصدوا فيه رقة الكلام وتنميق الإنشاء وضاية البلاغة فالجكم النثرية والخطب . ومن حكمهم لم يصل إلينا إلا شئ قليل جداً أغلبه على صورة أمثال قصيرة فلا شك أنها من قبيل وصايا لقمان المروية فى القرآن الشريف<sup>(٢)</sup> . - أما فن الخطابة فله عند العرب مقام عال جداً فلو جمعنا الآيات القديمة التى يُحمد فيها خطيبٌ ملأنا بضع صحائف . ولذلك أسباب مرتبطة بنظامهم السياسى المبني على الحرية ونوع من مجلس الشورى<sup>(٣)</sup> فكان رجال كل قوم من أهل الوبر يباحثون أهم أمور القوم فى مجلسهم كما كان كبار أهل مكة يتفاوضون فيها فى دار الندوة المنسوب تأسيسها إلى قصى بن كلاب . فكان للخطيب البليغ شأن عظيم . ومن الحرى بالذكر أن الألفاظ التى كان العرب يعبرون بها عن متولّى حكم قوم من أقوامهم أعنى السيد والأمير عند عرب نجد والحجاز والقبيل فى أنحاء اليمن إذا بحثنا

(١) سورة لقمان آية ٦ - ٧ .

(٢) سورة لقمان آية ١٢ - ١٩ .

(٣) فى نظام قبائل العرب قبل الإسلام راجع C.A. NALLINO *sulla costituzione della tribù araba prima dell'islamismo. Raccolta di scritti editi e inediti* VOL. III, Roma 1941, P. 64-86.

تاريخ الآداب العربية

عن اشتقاقها بمقارنة سائر اللغات السامية وجدنا أنَّ معناها الأصليُّ إنما كان القاتلُ أو المتكلمُ<sup>(١)</sup>. ثمَّ أثرت في ارتقاء فنِّ الخطابة سياسة العرب الخارجية ، أعني العلائق بين قوم وقوم أو بين قبيلة وملوك اليمن والحيرة والفرس وغانان فكان حينئذٍ الخطيبُ وكيلَ جميع قبيلته يخطبُ باسمها في المواسم والوقود للمفاخرة والمناجزة والدُّفاع عن حقوق قومه . فوصف أوس بن حَجَرٍ منصَّب الخطيب في داخل قومه وخارجه حين قال<sup>(٢)</sup> وهو يرى أبا ذُكَيْجَةَ فضالة بن كَلْدَةَ : (من بحر البسيط) .

أَبَا ذُكَيْجَةَ مَنْ يَكُونُ الْعَشِيرَةَ إِذْ أَمْسَوْا مِنَ الْخُطْبِ فِي لَبْسٍ وَبِلَهَالِ  
أَمْ مَنْ يَكُونُ خُطِيبَ الْقَوْمِ إِذْ حَفَلُوا لَدَى الْمَلُوكِ ذَوِي أَيْدٍ وَأَنْفِصَالِ  
ولهم عوائد خاصة عند إلقاء الخطب الاحتفالية وعند أهل المدن الحجازية في أواخر القرن السادس للمسيح نوعٌ ثانٍ من الخطابة جارٍ في أمور الدين والأخلاق والزهد وهو نوع اشتهر به زيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ من أهل مَكَّةَ وقُتْسُ بن ساعدة الإيادي النصرانيَّ أسقف مدينة نجران ، الذي ضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة . بيَّد أنَّ القليل الذي بَلَّغَنَا من خطب زيد بن عمرو مختلَقٌ من غير شك<sup>(٣)</sup> وما يُروى عن قُتْسٍ ليس إلَّا قِطْعٌ صغيرة

(١) قال البريزي في شرحه على حاشية أبي تمام (ص ٧٠٥ من طبعة « بين » أوج ٤ ص ٧٧ من طبعة بولاق) ما نصه : « وسمى الرئيس زعيماً لأنه يزعم منهم أي يقول كما قيل له قيل ومقول » وانظر أيضاً ما قاله المستشرق الكبير Th. Noeldeke في *Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft* vol. 40, 1888, P. 481. وراجع أيضاً ما قاله Hommel في نفس المجلة الألمانية ج ٤٦ سنة ١٨٩٢

ص ٥٢٩ و GOLDZIEHER, *Muhammedanische Studien*, II, p. 52 note 4

(٢) عدد ٢٢ بيت ٤ و ٥ من ديوان أوس بن حجر المطبوع بمدينة وينا سنة ١٨٩٢ احتج بجمعه ونشره ونقله إلى اللغة الألمانية الأستاذ R. Geyer وراجع ما قاله في هذا الطبع J. Barth (*Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft*), vol. 47, 1893, P. 323-334.

(٣) انظر Th. NOELDEKE, *Geschichte des Qurans*, 2ème édition, 1ère partie, Leipzig 1909. P. 18-19.

لا نعرف أمي ألفاظه أم لباب كلامه فقط . وما يُنسب إلى قس هو كله بالكلام المسجّع الذي كان يألفه الكُهانُ لارتباطه الأصليّ بالسحر القديم حسبما سأليناه إن شاء الله .

وقصارى الأمر أن العرب في الجاهلية لم يخرجوا في النشر عن قدر الإنشاء القصير والمقطعات فلو جاز قياس كتاب ديني جليل بمناثر التصانيف لقلتُ إنّ أولَ كتاب مطوّل صدر بلغة الناطقين بالفساد كان القرآن الشريف .

٦- لا بُدّ للباحث عن تاريخ الآداب العربية من الفحص عما يتعلق بالقرآن من المسائل اللغوية والأدبية ؛ منها مسألة لغته أمي لغة أهل قريش المعتادة أم لا ؟ ومسألة إنشائه الذي اجتمع أكثر العلماء المسلمين على أنّه كلام منشور خارج عن نوعي المنشور المتداولين لا يسمى مُرسلاً مُطلقاً ولا مسجّعاً . ومسألة جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق وفي عهد عثمان بن عفان . ثمّ مسألة نواتره وقراءاته . ومسألة بلاغته وإعجازه وعلم جرأ . ولكنني في هذه المقدمة المختصرة لا أريد بيانها ولا حلّها مقتصرًا على التلميح إليها والإشارة إلى ما كان للقرآن من التأثير العظيم الذي لا يُقدّر مقداره في حياة الأمم الإسلامية وآدابهم وعلومهم وهو أكبر من تأثير الإنجيل في النصراني لأنّ مدار الإنجيل ليس إلّا على العقائد والأخلاق خلافاً للقرآن الذي يتضمن أيضاً أحكاماً فقهية مهمة أساسية لا يجوز للمسلم الانصراف عنها في التشريع . فالتشريع عند النصراني عمَلٌ بشريّ ليس له ارتباط متين بأقوال الإنجيل أمّا التشريع في الإسلام فلا يُتصور إلّا كفرع من العلوم النقلية الدينية ، أصوله في القرآن والسنة والإجماع . فلهذا السبب أيضاً تنطوى كتب الفقه الإسلامية على العبادات التي لا مكان لها في فقه الأمم النصرانية .

وكنى ذلك برهانا على عظيم شأن القرآن في الهيئة الاجتماعية الإسلامية ودخول أحكامه في أمور تكون دنيوية فقط. عند النصارى . ثم لا شك في أن القرآن كان أشد العوامل في انتشار لغة العرب في غير بلادهم القديمة وصيرورتها لغة العلم عند كافة المسلمين مهما كان بُعد مساكنهم عن أقطار الحجاز. ولا ريب أيضاً أن القرآن كان مصدر علوم شتى اختص بها المسلمون أو ساعدتهم على التقدم في علوم أخرى فقال جلال الدين السيوطي<sup>(١)</sup> في النوع الخامس والستين من كتاب الإقتان في علوم القرآن نقلاً عن تفسير ابن أبي الفضل المرسي ما نصه<sup>(٢)</sup> : «ثم [أي بعد التابعين] تقاصرت الهِمَم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه ، فنوعوا علومه وقامت كل طائفة بفن من فنونه فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجدياته والتعليم عند كل عشر آيات ، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه فسُموا القراء ، واعتنى النحاة بالعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعلق ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به حتى إن بعضهم أعرب مشكله وبعضهم أعربه كلمة كلمة ، واعتنى المفسرون بالفاظه فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد ولفظاً يدل على معنيين ولفظاً يدل على أكثر ؛ فأجروا الأول على حكمه وأوضحوا معنى الخفي منه وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذى المعنيين والمعاني وأعمل كل منهم فكرة

(١) توفى السيوطى سنة ٩١١  
١٥١٥

(٢) الإقتان ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٧ من طبعة مصر ١٣١٨ .

وقال بما اقتضاه نظره؛ واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية مثل قوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به وسَمَوْا هذا العلم بأصول الدين، وتأمّلت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم ومنها ما يقتضى الخصوص إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا في التخصيص والإخبار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهي والنسخ إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء وسَمَوْا هذا الفن أصول الفقه، وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام فأسسوا أصوله وفرّعوا فروعه وبسطوا القول في ذلك بسطاً حسناً وسَمَوْه بعلم الفروع وبالفقه أيضاً، وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء وسَمَوْا ذلك بالتاريخ والقصص، وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تُقلّل قلوب الرجال وتُكاد تُدَكِّدُك الجبال فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار فصولوا من المواعظ وأصولاً من الزواجر فسَمَوْا بذلك الخطباء والوعاظ، واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ما ورد في قصة يوسف في البقرات السمان وفي منامى صاحبي السجن وفي رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة، وسَمَوْه تعبير الرؤيا، واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب فإن عز عليهم لإخراجها منه فمن السنة التي هي شارحة للكتاب فإن عسر فمن الحكم والأمثال، ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم وعُرف

عادتهم الذى أشار إليه القرآن بقوله وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وأخذ قوم مما فى آية  
الموارد من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك علم الفرائض . واستنبطوا منها  
من ذكر النصف والثلث والرابع والسادس والثمن حساب الفرائض ومسائل العول  
واستخرجوا منه أحكام الوصايا ؛ ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على المحكم  
الباهرة فى الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك ،  
فاستخرجوا منه علم المواقيت ؛ ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ .  
وبديع النظم وحسن السياق والمبادئ والمقاطع والمخالص والتلوين فى الخطاب  
والإطناب والإيجاز وغير ذلك ، واستنبطوا منه المعالى والبيان والبديع ، ونظر فيه  
أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق  
جعلوا لها أعلاماً اصطلاحوا عليها مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة  
والأنس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك ؛ هذه الفنون التى أخذتها  
الملة الإسلامية منه .



## الباب الثالث

### الآداب في صدر الإسلام وفي أيام الخلفاء الراشدين

- ١ - الشعر في ملح النبي - ٢ - شعراء المشركين المخالفون على النبي -
- ٣ - الشعراء الذين أسلموا من غير أن يهتدوا في آياتهم بأمر ديني -
- ٤ - شعراء الفتوحات - ٥ - الديوان المنسوب إلى علي بن أبي طالب - ٦ - الشعر .

أما حال الآداب العربيّة الدنيوية في صدر الإسلام وأيام الخلفاء الراشدين فما هو<sup>(١)</sup> قال ابن خلدون في مقدمته<sup>(٢)</sup> : «ثمّ انصرف العرب عن ذلك [أى عن الشعر] أوّل الإسلام بما شغلهم من أمور الدين والنبوة والوحي وما أذهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً ثمّ استقرّ ذلك وأوئس الرشد من الملة ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره وسمعه النبي (صلى الله عليه وسلم) وأثاب عليه فرجعوا حينئذ إلى دينهم منه » . وقال عمر بن الخطاب : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوها بالجهاد وغزوا فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته »<sup>(٣)</sup> - هذان القولان لا يوافقان حقيقة الأمر البتّة ؛ فلما أوردتهما لو لم أعدّ على مثل هذا الفكر في تواريخ الآداب العربيّة المتداولة في المدارس المصريّة مثل أدب اللغة العربيّة لمحمد حسن

---

(١) [ في هذا الموضوع انظر أيضاً OMAR A. FARRUKH, *Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higr bis Zum Tode des Kalifen 'Umar* Leipzig 1937. ]

(٢) مقالة ابن خلدون ص ٥٨١ من طبعة بيروت ١٩٠٠ أوج ٣ ص ٤٠١ من الترجمة الفرنسية .

(٣) الزهر للسيوطي ج ٢ ص ٢٩٣ من طبعة مصر ١٣٢٥ عن محمد بن سلام الجعفي

[ فراجع طبقات الشعراء الجعفي ص ١٠ من طبعة لندن سنة ١٩١٦ ] .

المُرَصِّفِي<sup>(١)</sup> وأدبيات اللغة العربية لمحمد عاطف بك وصاحبيه<sup>(٢)</sup> وخلاصة أدب اللغة لإبراهيم عبد الخالق<sup>(٣)</sup>. فإذا طالعت كتب التاريخ القديمة المطولة مثل سيرة الرسول لابن هشام، وكتاب المغازي للواقدي وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري وجدتم كثرة ما يروونه من أشعار صدر الإسلام، ثم إذا تصفحتم كتب الأدب القديمة مثل كتاب الأغاني وغيره ألفتكم أن الآداب العربية لم تنزل في ذلك العصر زاهية وأن الشعراء لم ينصرفوا عن أنواع قريضهم ولا الخطباء عن نسج نشرهم.

إن الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في أوائل ظهور الإسلام أو في أيام الخلفاء الراشدين يجوز تقسيمهم إلى ثلاثة أصناف بالإضافة إلى الدين الإسلامي: ١ الذين قالوا الشعر في مدح النبي سواء أسلموا أم لم يُسَلِّمُوا؛ فأكثرهم وأشهرهم من أهل المدر الذين كانوا يفدون في الجاهلية على الملوك. ٢ الشعراء الذين قالوا الشعر في رثاء قتلى الكفار وهجاء النبي وأغلبهم من أهل مكة. ٣ شعراء أسلموا ولم يهتجوا في أبياتهم بأمور النبي والدين وهم أكثر شعراء أهل البادية.

١- ومن الصنف الأول كعب بن زهير والأعشى وحسان بن ثابت السابق ذكره. فإن تأملتم أشعارهم وجدتم بينهم فرقاً بالإضافة إلى الإسلام. لأن كعباً وهو بدوي الأصل مدح النبي سنة ٩ هـ بقصيدة شهيرة ألفتها على منوال قصائد أهل البادية في مدح سادتهم فلولاً البيهتان:

نُبِئتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَقْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ  
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً الْقُرْآنُ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ

(١) أدب اللغة العربية للمرصفي ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ و ١٢١ و ١٤١ - ١٤٢ من طبعة مصر ١٣٢٦.

(٢) أدبيات اللغة العربية ج ١ ص ٢٨ من طبعة مصر ١٩٠٦.

(٣) خلاصة أدب اللغة لإبراهيم عبد الخالق ص ٤٧ من طبعة مصر ١٣٢٦.

## والبيت الثالث :

إِنَّ الرِّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ      مَهْنَدٌ مِنْ سِيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ  
لَقَلْنَا إِنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ قَائِدًا      أَوْ سَيِّدًا مِنْ قَوْمِهِ لَا نَبِيًّا جَلِيلًا أَتَى بِدِينٍ  
جَدِيدٍ . ثُمَّ فِي نَفْسِ تِلْكَ الْقَصِيدَةِ مَدْحُ الْمُهَاجِرِينَ فَلَمْ يَصِفْهُمْ إِلَّا بِالْحِمَاسَةِ  
وَالشَّجَاعَةِ . فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ أُسْلُوبِ هَذِهِ الْبُرْدَةِ الْبَدَوِيَّةِ وَبَيْنَ الْعَوَاطِفِ وَالْعِبَارَاتِ  
الِدِينِيَّةِ الَّتِي تَحُلِّي بِهَا بُرْدَةُ الشَّيْخِ الْبُوصَيْرِيِّ <sup>(١)</sup> ! وَفِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى <sup>(٢)</sup> : «مَدْحُ  
كَعْبِ الْأَنْصَارِ وَلَمْ يَجْعَلْ فِيهَا بَيْتًا يَخْرُجُ عَنْ مَنَهِجِ الْمَدْحِ الْبَدَوِيِّ وَيُشِيرُ  
إِلَى مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ . - أَمَّا الْأَعْشَى فَمَدَحُ النَّبِيِّ (مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ)  
فِي سَنَةِ ٧ فَلْتَقَرُّبِهِ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ وَالْحِيرَةِ اسْتَعْمَلَ بِقَصِيدَتِهِ مَا دَلَّ بِهِ  
عَلَى عُلُوِّ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ فَقَالَ مِثْلًا <sup>(٣)</sup> :

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذَكَرَهُ      أَغَارَ لِعَمْرَى فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا

وَلَكِنْ أَوَّلَ مَنْ يَصْلُحُ لَهُ اسْمُ شَاعِرٍ إِسْلَامِيٍّ هُوَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ  
الَّذِي مَرَّ ذَكَرَ شَعْرِهِ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ . وَهُوَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ رُبَّمَا هَجَا  
الْكُفَّارَ عَلَى الْأُسْلُوبِ الْقَدِيمِ حَسْبَمَا كَانُوا هُمْ يَهْجُونَ النَّبِيَّ ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ  
مِثْلًا مَا قَالَهُ فِي الْهَيْذَلِيِّينَ لَمَّا أُسْرُوا بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ وَبَاعُوهُمْ مِنْ قَرِيشٍ <sup>(٤)</sup> :

(مِنْ بَحْرِ الْبَسِيطِ .)

لَوْ خُلِقَ الدُّوْمُ إِنْسَانًا يُكَلِّمُهُمْ      لَكَانَ خَيْرَ هُدًى لِحِينَ يَأْتِيهَا

(١) توفي شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري في أيار بين سنتي ٦٩٤ و ٦٩٦ هـ .

(٢) نقل الأستاذ R. Basset معظمتها إلى اللغة الفرنسية في كتابه *La Bînat So'ad ... de*

*Ka'b ben Zohair* Alger, 1910, P. 51-53. أما ديوان كعب بن زهير فهو غير مطبوع .

(٣) كتاب الأغاني ج ٨ ص ٨٥ من طبعة بولاق [ أو ديوان الأعشى قصيدة ١٧ ، بيت ١٤ من طبعة لندن ١٩٢٨ ] .

(٤) ديوان حسان ص ١٠٣ من طبعة تونس سنة ١٢٨١ أو ص ٨١ من طبعة بمبي سنة ١٢٨١

أو عدد ٦٧ من طبعة لندن ١٩١٠ [ أو ص ٢٤ - ٢٥ من طبعة مصر ١٣٤٧ ] .

تَرَى مِنَ اللُّؤْمِ رَقْماً بَيْنَ أَغْصَانِهِمْ      كَمَا كَوَى أَذْرُعَ الْعَانَاتِ كَاوِيَهَا  
تَبْكِي الْقُبُورَ إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتُهُمْ      حَتَّى يَصْبِيحَ بَحْنٌ فِي الْأَرْضِ دَاوِيَهَا  
مِثْلُ الْقَنَاوِدِ تَخْزَى أَنْ تَفَاجِئَهَا      شَدَّ النَّهَارِ وَيُلْقَى اللَّيْلُ سَاوِيَهَا

ولكن حُسن إسلامه ظاهر في جملة من أشعاره مثل قصيدة أنشدتها بعد  
يوم أُحُد مجيباً لعبد الله بن الزُبَيْرِ الْقُرَشِيُّ قال في آخرها (١) :

فَلَا تَذْكُرُوا قَتْلِي وَحِمْرَةَ فِيهِمْ      قَتِيلٌ ثَوَى اللَّهُ وَهُوَ مُطِيعٌ  
فَإِنَّ جَنَّاتِ الْخُلْدِ مَنْزِلَةٌ لَهُ      وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعٌ  
وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ      حَمِيمٌ مَعَايَ جَوْفَهَا وَضَرِيعٌ  
وَمَا أَحْلَى وَأَرْقَّ الْقَصِيدَةِ الَّتِي رَتَى بِهَا النَّبِيُّ وَمَطْلَعَهَا (٢) :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّهَا      كُحِلَتْ مَا قَبِهَا بِكُحْلِ الْأَرَمَدِ  
وهي على سداجة نظمها وألفاظها واقعة في القلوب ظاهرة التفجع بينة  
الحسرة والتلهف والأسف .

ليست هذه المقدمة الوجيزة مكاناً يصلح لذكر سائر الشعراء الذين قاموا  
بمدح النبي وجماعته وحماة الصحابة في صدر الإسلام . كان عرب البادية في  
الجاهلية لا يغزُونَ ولا يتحاربُونَ إلاّ وشعراؤهم أنشدوا الأبيات في هِجَاءِ  
الْأَعْدَاءِ والافتخارِ ورثاءِ الْقَتْلَى وتخليدِ ذِكْرِ الْوَقَائِعِ فسلكت شعراء المسلمين  
والمشركين هذا المنهج أيضاً في المديح والرتاء والتهاجى . وتناولت شعراء الكُفَّارِ

(١) ديوان حسان ص ٦١ من طبعة تونس أو ص ٤٨ من طبعة بيروت أو عدد ١٧٥ بيت ١٩  
إلى ١٨ من طبعة أوربا [أو ص ٢٥٩ من طبعة مصر] . فليراجع أيضاً سيرة الرسول لابن هشام  
ص ٦٢١ من طبعة غوتنبيرج ١٨٥٩ وقال ابن هشام إن « بعض أهل العلم بالشعر ينكروا لحسان  
وإن الزبيرى » .

(٢) ديوان ص ٢٤ من طبعة تونس أو ص ١٩ من طبعة بيروت أو قصيدة ١٣٣ من طبعة  
أوربا [أو ص ٩٧ - ٩٩ من طبعة مصر ١٣٤٧] وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٠٢٤ - ١٠٢٥ .

النبيَّ وَمَنْ معه بالهَجاءِ ومُسَوِّهٍ بِالْأَدْيِ؛ فانتصرت شعراءُ النبيِّ له وأجابوا المشركين عنه . وَيُرْوَى أَنَّ النبيَّ قَالَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ أَهْجُكُمْ، يَعْنِي قُرَيْشًا فَوَاللَّهِ لَهَجَاؤُكُمْ عَلَيْهِمْ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّهَامِ فِي غَلَسِ الظَّلَامِ أَهْجُكُمْ وَمَعَكُمْ جِبْرِيلُ رُوحُ الْقُدُسِ<sup>(١)</sup> . وَفِي كِتَابِ الْأَغَانِي مَا نَصَّهُ<sup>(٢)</sup> : «كَانَ يَهْجُوهُمْ يَعْنِي قُرَيْشًا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُجَبِّيُونَهُمْ : حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ . وَكَانَ حَسَّانُ وَكَعْبُ يِعَارِضَانِهِمْ بِمَثَلِ قَوْلِهِمْ بِالْوَقَائِعِ وَالْأَيَّامِ وَالْمَآثِرِ وَيَعِيرَانِهِمْ بِالْمَثَالِبِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَعِيرُهُمْ بِالْكُفْرِ وَيَنْسِبُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ شَرٌّ مِنَ الْكُفْرِ فَكَانُوا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَشَدَّ شَيْءَ عَلَيْهِمْ قَوْلُ حَسَّانَ وَكَعْبٍ؛ وَأَهْوَنُ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ قَوْلُ ابْنِ رَوَاحَةَ فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَفَقَّهُوا الْإِسْلَامَ كَانَ أَشَدَّ الْقَوْلِ عَلَيْهِمْ قَوْلُ ابْنِ رَوَاحَةَ . وَرَبَّمَا تَفَاخَرَ شُعْرَاءُ الْقُرَيْقِئَيْنِ وَخَطَبَاؤُهُمَا أَمَامَ النَّبِيِّ عَلَى جَرَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَمَا اتَّفَقَ حِينَ وَقَدَتْ بَنُو تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهَجْرَةِ . قَالَ ابْنُ مَعْدَانَ الْكَاتِبِ<sup>(٣)</sup> الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٣٠ : «فَقَالَ الْأَقْرَعُ [بْنُ حَابِسٍ مِنْ رُؤَسَاءِ بَنِي تَمِيمٍ] يَا مُحَمَّدُ ايْذَنْ لِي فَوَاللَّهِ إِنَّ جُهْدِي لَزَيْنٌ وَإِنَّ دَمِي لَشَيْنٌ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ كَذَبْتَ ذَلِكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ فَجَلَسَ وَخَطَبَ خُطْبِيَّهُمْ وَهُوَ عُطَارْدُ بْنُ حَاجِبٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ شِمَاسٍ أَجِبْهُ . فَأَجَابَهُ . ثُمَّ قَالُوا يَا مُحَمَّدُ

(١) المدة لابن رشيقي ج ١ ص ١٢ من طبعة مصر ١٣٢٥ وأنظر الأغاني ج ٤ ص ٧ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٥ ص ٢٩ من طبعة بولاق

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد في

WELSHAUSEN, *Skizzen und* [ الطبقات ج ١ قسم ٢ ص ٤٠ سطر ١٧ - ٢٤  
من طبعة ليدن ] ونص المطبعين والشعراء مروى في كتاب الأغاني ج ٤ ص ٨ - ٩ من طبعة بولاق  
وفي السيرة لابن هشام ص ٩٣٤ - ٩٣٨ من طبعة أوروبا وتاريخ الطبري ج ١ ص ١٧١٠ - ١٧١٧ من  
طبعة ليدن .

أَيْدَنَ لِشَاعِرِنَا . فَأَذِنَ لَهُ فَقَامَ الزُّبَيْرَانِ بْنِ بَدْرٍ فَتَأَنَّدَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ أَجِبْهُ فَأَجَابَهُ بِمِثْلِ شِعْرِهِ . فَقَالُوا وَاللَّهِ اخْطِيبُهُ أَبْلَغَ مِنْ  
خَطِيبِنَا وَلَشَاعِرُهُ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا وَلَهُمْ أَحْلَمُ مِنَّا . وَنُزِّلَ بِهِمْ <sup>(١)</sup> : « إِنَّ الَّذِينَ  
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » . - فَتَدْرُونَ أَنَّ الشَّعْرَ  
عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ فِي غُرَّةِ الْإِسْلَامِ قَدْ أَصْبَحَ ذَا شَأْنٍ عَظِيمٍ كَأَنَّهُ مِنْ  
وَسَائِلِهِمُ السِّيَاسِيَّةِ .

٢- أَمَّا شُعْرَاءُ الصَّنْفِ الثَّانِي أَيْ الَّذِينَ رَدُّوا الْقَتْلَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهَجَّوْا  
النَّبِيَّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَأَكْثَرَهُمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَتَأَنَّدَاوَهُمْ وَأَبْيَاتُهُمْ مَرْوِيَّةٌ فِي  
سِيَرَةِ الرَّسُولِ لِابْنِ هِشَامٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَصْنُفَاتِ الْقَدِيمَةِ فِي الْمَغَازِي وَالتَّارِيخِ .  
وَأَشْهُرُهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَضُرَّارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْفَيْهَرِيُّ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ  
ابْنُ الْمُخَيَّرَةِ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ .

٣- وَمِمَّنْ نَبِغَ مِنْ شُعْرَاءِ الصَّنْفِ الثَّالِثِ أَيْ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بِغَيْرِ أَنْ يُوَثَّرَ  
لِإِسْلَامِهِمْ فِي شِعْرِهِمْ تَأْثِيرًا شَدِيدًا جَلِيلًا وَأَغْلِبَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ مُتَمِّمُ بْنُ  
نُؤَيْرَةَ الْيَرْبُوعِيُّ صَاحِبُ الْمَرَاتِي الْمَشْهُورَةِ فِي أَخِيهِ مَالِكِ الَّذِي قُتِلَ فِي جُمْلَةٍ  
الْعَرَبِ الْمُرْتَدِّينَ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ . فَرَثَاهُ مُتَمِّمٌ بِأَشْعَارِ  
تُشِيرِ الْأَشْجَانِ وَتَقْدَحِ شَرَرِ النِّيْوَانِ فَضَرَبَتْ الشُّعْرَاءُ الْأَمْثَالَ بِهِ وَبِأَخِيهِ مَالِكِ  
فِي أَشْعَارِهِمْ . وَمِمَّا قَالَ <sup>(٢)</sup> :

أَبَى الصَّبْرَ آيَاتُ أَرَاهَا وَأَنْتَى      أَرَى كُلَّ حَبَلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا

(١) الْقُرْآنُ سُورَةُ ٤٩ (الْحُجُرَاتِ) آيَةُ ٤ .

(٢) الْمَفْضَلِيَّاتُ ج ٢ ص ٣٢ مِنْ طَبْعَةِ مِصْرَ ١٣٢٤ [ أَوْ عَدَدُ ٦٧ ، بَيْتُ ١٧ إِلَى ٣٥ ]

(مَا عَدَا بَيْتَ ١٩) مِنْ طَبْعَةِ أَكْسَفُورْدِ ١٩٢١ ] .

وَأَنْتَى مَتَى مَا أَذْعُ بِأَسْمَعِكَ لَا تُجِيبُ      وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتُسْمِعَا  
وَكُنَّا كَنَدَمَانِيَّ جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ      مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِلَا  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا      لِيَطُولِ اجْتِمَاعُ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا  
فَلِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقَنَ بَيْنَنَا      فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي يَوْمَ وَدَعَا  
أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ      وَغَيْثُ يَسُحُ الْمَاءِ حَتَّى تَرِيَعَا  
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكِ      دِهَابَ الْغَوَادِي الْمُذْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا  
وَأَذَرَ سَبِيلَ الْوَادِيَيْنِ بِدِيمَةٍ      تُرَشِّحُ وَتَسْبِيَا مِنَ التَّبَسُّخِ وَخَوْرَعَا

ومن النابغين أيضاً أبو مِخْجَنَ الثَّقَفِيِّ من فُرْسَانَ الْعَرَبِ شَهِدَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ  
سنة ١٦٧/١٦٧<sup>(١)</sup> وقصته فيه مشهورة. وكان مولعاً بالخمر الذي يدور عليه معظم شعره.  
ومن بين أبياته الشهيرة<sup>(٢)</sup> :

إِذَا مِتُّ فَأَذْفَنِي إِلَى أَصْلِ كَرَمَةٍ      تَرَوِي عِظَامِي فِي التُّرَابِ عَرُوقَهَا  
وَلَا تَذْفُونَنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي      أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذُوقَهَا

ومنهم جَرُّولُ بن أَوْسِ الْحُطَيْثَةِ « من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم  
متصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد  
في ذلك أجمع »<sup>(٣)</sup> ولكنه دنى في الطبع لثيم النفس كثير الطمع<sup>(٤)</sup> جعل  
الشعر متجراً فكان له من الهجاء معاش ومكسب لأن الناس كانوا يهدون  
له الهدايا خوفاً من شره فقال الأَصْمَعِيُّ : « كان الحطيط جشعاً سؤولاً

(١) أما تاريخ يوم القادسية فانظر ما قاله فيه WELLHAUSEN, *Prolegomena zur al-lasien Geschichte des Islam* ( *Skizzen und Vorarbeiten* VI), Berlin 1899, P. 72-74; GAETANI, *Annali dell'Islam*, III, P. 629-639.

(٢) ديوان ص ١٤ من طبعة ليدن ١٨٨٧ بمناية Abel و ص ٧٢ من طبعة ليدن ١٨٨٦  
(٣) في LANDBERG, *Primeurs arabes*, I ويعيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٨ من طبعة مصر  
١٣٢٤ [ أوج ١ ص ٣٨ من طبعة مصر ١٣٤٣ - ١٣٤٨ ] .

(٤) كتاب الأغاني ج ٢ ص ٤٣ من طبعة بلاق .

(٤) انظر أيضاً كتاب العمدة لابن رشيقي ج ١ ص ٥٠ من طبعة مصر ١٢٢٥ .

مُلْحِفاً دنىء النفس كثير الشر قليل الخير بخيلاً قبيح المنظر رث الهيئة  
مغموز النسب فاسد الدين وما تشاء أن تقول في شعرٍ شاعرٍ من عَيْبٍ إِلَّا  
وجدته وقُلماً تجدُ ذلك في شعره<sup>(١)</sup> . فمن غريب الاتفاق أن هذا الشاعر  
الموصوف بدناءة الخلق كان راوية كعب بن زهير بل إن صحَّ الخبر راوية  
زهير بن أبي سُلمى الذى شعره في طلب العُلا والمكارم . وكان الحُطَيْثَةُ قد  
ارتدَّ فيمن ارتدَّ بعد وفاة النبی وهجا حينئذ الخليفة أبا بكر في بيتين  
مشهورين<sup>(٢)</sup> ثم أسلم ثانية إِلَّا أَنَّهُ لم يزل يهجو أكابر الناس حتَّى أمر عمر  
ابن الخطَّاب بحبسهِ فقال في الحبس أبياتاً أشار فيها إلى حال أولاده الصغار  
المقيمين بذي مَرَّخ (وهو وادٍ من أودية اليمن)<sup>(٣)</sup> :

ماذا تقول لِأفواخِ بذي مَرَّخِ حُمُرِ الحواصل لا ماء ولا شَجَرُ  
أَلْقَيْتَ كاسِبَهُمْ في قَعَرٍ مُظْلَمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ يا عُمَرُ  
أَنْتَ الْأَمِينُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صاحِبِهِ أَلْقَى إِلَيْهِ مَقاليدَ النُّهى البَشَرُ  
لَمْ يُؤْثِرْوكَ بِها إِذْ قَدَّموكَ لَها لَكِنْ لأنفُسَهُمْ كانت بِها الخَيْرُ  
فعفا عمر عنه . ولا يُعرَف تاريخُ وفاته الذى جعله أبو الفداء سنة  
٦٩ بدون إيراد مصدر هذا الخبر . والمحقق إنما هو أَنَّهُ أدرك خلافة عثمان  
على الأقل . وكان الحطيثَةُ رقيق الإسلام فكثرت في ذلك الحكايات .

ومن معاصريه الشَّمَاخُ بن ضِرار الدُّبَيَّانِي صاحب ديوان طُيع بمصر سنة  
١٣٢٧ هـ بعناية الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطى وقيل إِنَّهُ أوصف الشعراء  
للحمير والقوس وأرجز الناس على البدية . وهو كثير الهجاء أيضاً مات بعد

(١) كتاب الأغاني ج ٢ ص ٤٦ من طبعة بولاق .

(٢) ديوان عدد ٣٤٤ بيت ٦-٥ من الطبعة بمناية Goldziher في Zeitschrift der deutschen morgen-  
ländischen Gesellschaft, 47, 1893, P. 43.

(٣) ديوان عدد ٤٧ من الطبعة المذكورة .



قتل عمر بن الخطاب . وكان له أخوان شاعران أعنى مزردًا وجزءًا اللذين لم يُنقل إلينا إلا مقطعات صغيرة من شعرهما .

ومن أشهر الشعراء المخضرمين أيضاً عمرو بن معديكرب الزبيدي من سادات أهل اليمن وأشجع العرب . أسلم في يدى النبي في السنة العاشرة وشهد وقعة القادسية فله فيها أثر . وعلى أرجح الأقوال مات ببلاد العجم في آخر خلافة عمر . وأكثر شعره في الحماسة وذكر الفتوح . ولشجاعته وشهرته كثرت فيه وفي سيفه المسمى الصنصامة وفي كبر سنه الحكايات المختلفة منها ما روى في كتاب الأغاني<sup>(١)</sup> فيه مع عيينة بن حصن في تحريم الخمر وتحليله<sup>(٢)</sup> . ومنهم أيضاً هذليان أحدهما أبو خراش خوئيلد بن مرة الذي مات في خلافة عمر بن الخطاب « وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحرومهم »<sup>(٣)</sup> . والثاني وهو أشعر منه أبو ذؤيب خوئيلد بن خالد الذي غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٦/٢٧ فأخذه الموت بعد انتهاء الغزاة سنة ٢٨ تقريباً . وله ديوان لم يُطبع بعد<sup>(٤)</sup> . ومما يُستجد من شعره قصيدة طويلة يرويها صاحب كتاب جمهرة أشعار العرب<sup>(٥)</sup> رثى بها بنيه

(١) كتاب الأغاني ج ١٤ ص ٣٠ - ٣١ من طبعة بولاق .

(٢) وفي ذلك الخبر ذى الإستاد الضعيف جداً ترون عمرو بن معديكرب ومدينة يتباحثان كأنهما فقيهان ويذكران المتكلف بمراعاة أحكام الدين وهذا لا يقبل في ذلك العهد عند رجلين فارسين في الحرب قليلي الإسلام بعيدين عن الميل إلى البحث عن أمور الدين فظاهر أن الخبر كله من الروايات التي اختلعت في أواخر أيام بني أمية لما أخذ أهل التقى والدين والفقهاء يذليون جهنم في النقيض من المنكر الشائع من شرب الخمر وإهمال الأحكام الشرعية في الحياة العادية فأشاع أولو الأغراض عدة حكايات مصنعة عنراً لأعيانهم وأعمالهم المكرومة . راجع - GOLDZIEHER *Misham* - *medamische Studien*, I, P. 30-31.

(٣) كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٥٤ . [ طبع ديوانه في مدينة ليبسك سنة ١٩٣٣ بنناية J. Hell في المصوعة *Neue Hudailliten-Diwan* ج ٢ ] .

(٤) [ طبع ديوانه في مدينة هانوفر سنة ١٩٢٦ بنناية J. Hell ] .

(٥) جمهرة أشعار العرب ص ١٢٨ - ١٢٣ من طبعة بولاق سنة ١٣٠٨ - ١٣١٠ [ ببغضليات =

الخمسَةَ أو الثمانية الذين قُتلوا له أو هلكوا بالطاعون في عام واحد .  
وأولها :

أمن المنون ورَبَّيْهَا تتَوَجَّعُ      والدهرُ ليس بمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ  
قالت أُمِّمَةُ ما لجسمك شاحِباً      منذ ابتذلتَ ومثلُ مالك ينفعُ  
أما ما لجسمك لا يلائم مَضْجَعاً      إلا أَقْضَ عليك ذاك المضجعُ  
فأَجَبَتْهَا أُمَّا لجسمي أَنَّهُ      أودى بنى من البلاد فودَّعوا  
أودى بنى فأعقبوني حُسرة      بعد الرقاد وعبرة ما تُقْلِعُ  
سَبَقُوا هَوًى وَأَغْنَقُوا لهوَاهُم      فتُخَرَّمُوا ولكلِّ جَنَبٍ مَضْرَعُ  
فغَبِرَتْ بعدهمُ بعيش ناصب      وإِخال أَنى لاجئٍ مستتبِعُ  
ولقد حَرَضْتُ بآنٍ أَدافع عنهمُ      وإذا المنيَّةُ أَقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ  
وإذا المنيَّةُ أَنشَبَتْ أَظْفَارَهَا      أَلْقَيْتَ كُلَّ نَمِيَةٍ لا تُنْفَعُ

ولو أردتُ سرِّدُ أسماء جميع الذين زهوا في ذلك العصر من شعراء الصنف الثالث لضاق المكان . فإن سأل سائل لأي سبب لا يُظهِر شعرهم على وفرة تأثير الدين الإسلامي في أفكارهم وعواطفهم وموضوع قريضهم كأنَّ أحوالهم ما تغيَّرت منذ انتهاء عصر الجاهلية قلتُ إنَّ أهلَ البادية كانوا من أبعد الناس عن روح الإسلام ولا ميل لهم إلى تأمل أمور الدين وفهمها فصعب دخول الإيمان في قلوبهم فلم يزالوا إلى أيامنا موصوفين بقلَّة عواطفهم الدينية . ونزل فيهم في سورة التوبة<sup>(١)</sup> : «الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا

عدد ١٢٦ من طبعة أكسفورد سنة ١٩٢١] وتوجد ١٥ بيتاً من هذه القصيدة في شرح شواهد المعنى للسيوطي ص ٩٣ - ٩٤ من طبعة مصر ١٣٢٢ وتروى ثلاثة عشر بيتاً في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٦٦٧ عدد ٢٩١٤ من طبعة حيدر آباد ١٣١٩ وفيه أيضاً ترجمة الشاعر (ص ٦٦٥ - ٦٦٧) و ٧ أبيات من شعر يركى أبو ذؤيب في النبي وفي آخر هذه الأبيات تفاعول يشبه تفاعول الجاهلية .  
(١) القرآن ٩ (سورة التوبة) : ٩٧ - ٩٩ فراجع أيضاً ٤٩ (سورة الحجرات) : ١٤ .

يَفْعَلُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ  
يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ  
عَلِيمٌ . وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ  
عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ . . . وَلَكِنْ قُلْتَ الْأَعْرَابُ

من هذا النوع الثاني فأغلب أهل الوبر لم يُسْلِمُوا إِلَّا كَارِهِينَ أو طامعين  
فما كانوا يرجونه من الربح والمنفعة والغنيمة فلم يعتبروا النبي إِلَّا كَأَنَّهُ مَلِكٌ  
من الملوك القادرين الأعزاء الذين لا يمكن مُعَادَاتُهُمْ . وحال أكثرهم كحال  
بنى عامر بن صعصعة الذين لما وفدوا على النبي قال رئيسهم<sup>(١)</sup> :  
يا محمد ما لي إن أسلمت ؟ قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين .  
قال أنتجعل لي الأمر من بعدك ؟ قال ليس ذلك لك ولا لقومك . قال أفنتجعل  
لي الوبر ولك المدر ؟ قال لا ولكنني أجعل لك أعنة الخيل فإنك امرؤ فارس .  
قال أوليست لي ؟ ألا ملأتها عليك خيلاً ورجالاً . ثم ولي<sup>(٢)</sup> . - ومع قطع  
النظر عما رأيناه من قلّة ميلهم إلى جلاله الدين لا شك في أنّ لكراحتهم  
تلك أسباباً خاصة . قد مر في إحدى الصحائف السابقة أن مراعاة سنة  
أجدادهم كانت عند عرب الجاهلية أفضل الفضائل ومُعَظَمُ الأدب فظهر  
لهم الإسلام بدعةً مكروهة لا يتبعها نبال الناس كما قالت زوجة العباس  
ابن مرداس حين بلغها خبر إسلامه<sup>(٣)</sup> : (من الطويل)

لَعَمْرِي لَشِنْ تَابَعْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ      وفارقت إخوان الصفا والصنائع  
لَبَدَلْتُ تِلْكَ النَفْسَ ذُلًّا بِعِزَّةٍ      غداة اختلاف المُرَهَقَاتِ القواطع

(١) وهو عامر بن الطفيل الشاعر المشهور .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد في ٤٢ (٢) WELLHAUSEN, skizzen und Vorarbeiten, [الطبقات ج ١ قسم ٢ ص ٥١ سطر ١٩ - ٢٣ من طبعة ليدن] .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٣ ص ٦٦ من طبعة بولاق فراجع أيضاً GOLDZIHNER

Muhammedanische studien, I, P. 9-10.

أو كما قال كعب بن زهير وهو حينئذ وثني يذم أخاه بجيراً حين  
أسلم<sup>(١)</sup> : (من الطويل)

ففارقت أسباب الهدى واتبعته على أى شيء ويب غيرك دلّكا  
على مذهب لم تلف أماً ولا أباً عليه ولم تعرف عليه أحاً لكاً

ففي تمسك العرب بسنن آبائهم نُزِلت بضع آيات منها في سورة البقرة<sup>(٢)</sup> :  
« إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا » .  
وفي سورة المائدة<sup>(٣)</sup> : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ  
قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا » . وفي سورة الأعراف<sup>(٤)</sup> : « وَإِذَا قِيلُوا  
فَاحْشَا قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا » . وفي سورة الزخرف<sup>(٥)</sup> :  
« بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ » . وفي سورة  
لقمان<sup>(٦)</sup> : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ  
آبَاءَنَا » . - وفي بعض الأشياء أن الشريعة الإسلامية خالفت سنن العرب  
القديمة مخالفة شديدة . كانت العرب أفخر الناس بأنسابهم محتقرين  
من لم يكن منهم أو كان مغموز النسب متكبرين بالحسب الطويل فجاء  
القرآن بما يدل على مساواة الناس عند الله<sup>(٧)</sup> : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ  
مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ  
أَتْقَاهُمْ » . - كان العرب يذلّون من لم يأخذ بأرأق آقاربه ولا يرد الشر  
بمثل له أو بأكثر منه كما قال عمرو بن كلثوم في معلقته<sup>(٨)</sup> :

(١) انظر شرح بانث سعاد الشيخ جمال الدين ابن هشام الأنصاري ص ٤ من طبعة ليبك  
سنة ١٨٧١ - ١٨٧٤ بمثابة I. Guidi .  
(٢) القرآن ٢ (سورة البقرة) : ١٧٠ .  
(٣) القرآن ٥ (سورة المائدة) : ١٠٤ .  
(٤) القرآن ٧ (سورة الأعراف) : ٢٨ .  
(٥) القرآن ٤٣ (سورة الزخرف) : ٢٢ .  
(٦) القرآن ٣١ (لقمان) : ٢١ .  
(٧) القرآن ٤٩ (الحجرات) : ١٣ .  
(٨) سلفه عمرو بن كلثوم بيت ٥٣ .

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا | فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

أما الإسلام فنصّح للناس بالعفو والحلم ومدح «الكَاظِمِينَ الْغَيْظَ»<sup>(١)</sup> والعافِينَ عَنِ النَّاسِ<sup>(٢)</sup> بل أمر المؤمن : «اذْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيَةِ»<sup>(٣)</sup>. وكان الأعراب مولعين بشرب الخمر ولعب الميسر فجاء القرآن بتحريمها وأمرهم بالصلاة والصيام وغير ذلك من الأحكام المتبعة لأبناء القياض . فخلاصة الأمر أنه كان البون الواسع بين قواعد المرأة على رأى الأعراب وبين كثير من أحكام الإسلام<sup>(٤)</sup> فلا عجب أن أهل البادية لم يعتنقوا الدين الجديد إلاّ رغماً عنهم .

٤ - ولإتمام هذا الوصف الإجمالى لأداب العرب فى أيام النّبى والخلفاء الراشدين يبقّى على أن ألمّح إلى نوع خاص من الشعر ثلّيق به تسمية شعر الفتوحات . قد تقدّم أن عرب الجاهلية كانوا يخلّدون مآثر قبائلهم وذكر أيّامهم فى أبيات توارثها أهل كلّ قبيلة خلفاً عن سلف . فكذلك لما فاضت الجيوش الإسلامية بأمواجها على ما هو خارج أنحاء جزيرة العرب ونفقت ألوية الجنود المظفرة فى أطراف النواحي الأعجمية وأقاصى الآفاق . أخذت الأعراب الكائنون فى جملة المجاهدين يقولون الشعر ويُنشدون القوافى وصفاً لما قاسوا من المتاعب وما شهدوا من الوقائع وما قطعوا من البلدان وما كان لهم من البأس وثبات الجنان . فقال مثلاً قيس بن المكشوح المرادى مفتخراً بقتله رستم أمير جيوش الفرس فى يوم القادسية سنة ١٦٧ هـ<sup>(٥)</sup> :

حَلَبْتُ الْعُذَيْلَ مِنْ صَنْعَاءَ تَرْدَى بِكُلِّ مُلْجَجٍ كَاللَّيْثِ سَامٍ

(١) القرآن ٣ (آل عمران) : ١٣٤ . (٢) القرآن ٢٣ (المؤمنون) : ٩٦ .

(٣) راجع ما قاله الأستاذ Goldziher فى المروة والدين فى كتابه *Muhammedanische Studien*

ج ١ ص ١ - ٣٩ .

(٤) فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٦١ من طبعة ليدن ١٨٦٦ .

إلى وادى القرى فديار كلب إلى اليوموك فالبلك الشام  
وجن القادسية بعد شهر مسومة دوايرها دوام  
فناهضنا هنادك جمع كسرى وأبناء المرازبة الكرام  
فلما أن رأيت الخيل جالت قصدت لموقف الملك الهمام  
فأضرب رأسه فهو صريعاً بسيف لا أفل ولا كهام  
وقد أبلى الإله هناك خيراً وفعل الخير عند الله نام

فلو جمعنا ما ورد من مثل هذه الأشعار في كتاب فتوح البلدان  
للبلاذرى في تاريخ الطبرى وفي كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى  
لألّفنا منها ديواناً .

٥ - ومن الكتب الكثيرة المتداول حتى في أيامنا ديوان محتوي على قصائد  
ومقطعات دينية منسوب إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب . لكنه كتاب  
مختلق وهو مما صنعه أهل الشيعة لأغراضهم الخاصة . وعلى قول بعض أهل  
السنة المتأدبين هو تأليف الشريف المرتضى أبي القاسم على بن طاهر التنوفى  
سنة ٤٣٦هـ . ونسبت أيضاً أحياناً إلى الخليفة على القصيدة الزينية في  
الحكم والمواعظ . التي من قريض صالح بن عبد القدوس المقتول في سنة  
١٦٧هـ في أيام المهدي . أما ما روى من شعر على بن أبي طالب في كتب  
التاريخ وفي كتاب العمدة<sup>(١)</sup> لابن وشيق فشئ يسير كله في الحماسة  
ووصف الحروب .

٦ - أما المنشور المستظرف في عهد النبي والخلفاء الراشدين فلم يخرج عما  
كان عليه في زمان الجاهلية من الحكم والمواعظ . والوصايا والحكايات ما عدا  
الأحاديث النبوية . ولم يدون في ذلك العصر كتاب وإن كان بعض الناس

(١) كتاب العمدة ج ١ ص ١٤ من طبعة مصر ١٣٢٥ .

يقيّدون في بطون الصحائف شيئاً من أحاديث النبي ومن الحكم . وفن الخطابة لم يزل في رونقه القديم حتى نبغ فيه نفس النبي والخلفاء فمرّ فيما سبق ذكر نص مأخوذ من كتاب ابن سعد دالّ على ارتفاع منزلة الخطيب البليغ عند عرب القبائل وأهل المدن . ولكن لقلّة استعمال الكتابة لتسجيل المنشور لم يصل إلينا من خطب ذلك العصر إلّا شيء يسير جداً وربما وقع في هذا القليل نقص أو زيادة أو تغيير أو اختلاق . فخطبة الوداع مثلاً على عظمة شأنها وعلو أفكارها ورفعة قائلها إنّما نقلت بروايات مختلفة وعلى قطع متفرقة . وأقبح الأمر ما عرض لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فإن أصحاب الأهواء من الفِرَق الإسلامية اجترءوا على تزوير أقواله وعزّوا إليه جمّاً غفيراً من المواظ . والحِكْم التي ليست له البتّة . فقال المسعودي في مروج الذهب <sup>(١)</sup> إنّ « الذي حفظ . الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونبّث وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً » ومما نُسب إليه أيضاً كتاب نهج البلاغة الذي اختلف فيه بعض أهل السنّة أهو للشریف المرتضى أبي القاسم عليّ بن طاهر المتوفى سنة ٤٣٦/١٠٤٤ أم لأخيه الشریف المرضي <sup>(٢)</sup> ، وعلى كل حال أنه ليس من كلام عليّ وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه . وقال أبو عبد الله محمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨/١٣٤٨ في كتاب ميزان الاعتدال <sup>(٣)</sup> : « ومن طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنّه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ (رضه) فلمنّ

(١) في الباب الرابع والثمانين ج ٤ ص ٤٤١ - ٤٤٢ من الطبعة الباريسية .

(٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان عدد ٤٥٤ من طبعة غوتنبرج أو عدد ٤١٦ من الطبقات المصرية .

(٣) كشف الظنون لحاجي خليفة ج ٢ ص ٦٢٢ من الطبعة القسطنطينية سنة ١٣١١ في مادة

« نهج البلاغة » .

فيه السبُّ الصريح والخطُّ على السيِّدين أبي بكر وعمر « . - وأحياناً  
عُزِيَ إليه كتاب الجُفَر والحِجاب العظيم وغير ذلك ممَّا هو برىء منه كلياً .  
ومن خطباء ذلك العصر سَحْبَان بن زُقَر الوائليّ من قبيلة وائل باهلة  
وُلِدَ في زمان الجاهليّة ومات مسلماً سنة ٥٤ هـ وصُرب به المثل في البلاغة  
والبيان فقليل أخطبُ مِنْ سَحْبَانٍ وَائِلٍ أو أَنْطَقُ مِنْ سَحْبَانٍ . وما رُوى عنه  
في كتاب الأمثال للمبيداني وفي شرح الشُّرَيْشِيِّ على المقامات الحريرية  
أشهر من أن أحتاجَ إلى ذكره هنا .



## الباب الرابع

### الشعر في عصر بني أمية

- ١ - الغزل في مدن الحجاز - ٢ - النسيب عند الأعراب - ٣ - الشعر على أسلوب فحولة الجاهلية - ٤ - الأراجيز - ٥ - شعر الجنود - ٦ - شعر الفتن السياسية والدينية - ٧ - شعر أهل الحضر في مدن العراق والشام - ٨ - الشعر القصصي البني - ٩ - المراثي .

فلنأقِ الآن نظرة على الآداب العربية في أيام دولة بني أمية .

لا ريب في أن نقل دار الخلافة من الحجاز إلى دمشق سنة ٤١١ هـ كان ذا عواقب متنوعة مهمة بصعب تقديرها حق القدر ولكن البحث عنها وبيانها يحق من يعنى بتاريخ الأمم الإسلامية . فاقصر هنا على ذكر أن ذلك النقل الذي غيّر به مركز السياسة الإسلامية ثم الفتن التي حدثت بين بني أمية وبين أهل الحجاز في أيام الحسين وعبد الله بن الزبير وتوسيع حدود المملكة واشتغال كثير من أهل البادية بالفتوح والقتال في الأنحاء البعيدة كانت سبباً في وقوع اختلاف محسوس بين سائر الآداب في جزيرة العرب لاسيما الحجاز وسيرها في الشام والعراق والجبال من قبل منتصف القرن الأول إلى أواخره . فلتحصيل الموضوع في هذا البيان المختصر أرى من المناسب تقسيم الشعر في أيام الدولة الأموية تسعة أقسام أو أصناف :

- ١ - الغزل في مدن الحجاز - ٢ - الشعر الغرائي والنسيب عند الأعراب .
- ٣ - الشعر على الأسلوب القديم المألوف عند فحول شعراء الجاهلية .
- ٤ - الأراجيز . ٥ - الشعر المتعلق بالاغتراب والفتوح وهو شعر الجنود .

- ٦- الشعر المتعلق بالفتن والخلافات الدينية والسياسية . ٧- الغزل والخمريات والمدح بدمشق . ٨- الشعر القصصى اليمى . ٩- المراثى . ١- فأبتدى بالصنف الأول أى الغزل فى المدن الحجازية .

إِنَّ مُحَبَّةَ لُفِّ النِّسَاءِ وَهَوَاهُنَّ وَفِرطَ الصَّبَابَةِ وَالشُّوقِ كَانَتْ فِي كُلِّ زَمَنٍ وَعِنْدَ كُلِّ أُمَّةٍ مَجَالًا وَاسِعًا وَمِيدَانًا أَفْتِيحَ لِقَرِيضِ الشَّعْرِ فَلَمْ تَعْلُ الْأُمَمُ السَّامِيَّةَ عَنْ أَشْعَارٍ مَعْبُورَةٍ عَمَّا فِي نَفُوسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْغَرَامِ أَوْ الْمِيلِ إِلَى التَّشْبِيبِ وَالتَّغْزَلِ بَلْ ضَرَبُوا فِي ذَلِكَ بِسَهْمٍ مُصِيبٍ كَمَا يَتَضَحُّ مَثَلًا مِنْ سِفَرِ نَشِيدِ الْأَنْشِيدِ الْمُدْرَجِ فِي كُتُبِ الْعِبْرَانِيِّينَ الْمُقَدَّسَةِ . فَمَنْ طَالَعَ أَشْعَارَ الْعَرَبِ الْقَدِيمَةِ اسْتَعْرَبَ قَلَّةٌ مَا فِيهَا مِنَ الْأَبْيَاتِ الْمُخْتَصَةِ بِالتَّشْبِيبِ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يُرْوَى مِنْ هَذَا الْبَابِ أَلَيْقَ بِتَسْمِيَةِ النَّسِيبِ مِنْهُ بِتَسْمِيَةِ الْغَزَلِ إِذَا امْتَثَلْنَا فِي تَعْرِيفِهِمَا قَوْلَ أَبِي زَكْرِيَاءَ يَحْيَى التَّبْرِيزِيِّ فِي شَرْحِ حِمَاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ <sup>(١)</sup> : « النَّسِيبُ ذِكْرُ الشَّاعِرِ الْمُرَاةَ بِالْحُسْنِ وَالْإِنْجَارُ عَنْ تَصَرُّفِ هَوَاهَا بِهِ وَلَيْسَ هُوَ الْغَزَلُ وَإِنَّمَا الْغَزَلُ الْأَشْتِهَارُ بِمَوَدَّاتِ النِّسَاءِ وَالصَّبُورَةِ إِلَيْهِنَّ وَالنَّسِيبُ ذِكْرُ ذَلِكَ وَالْخَبَرُ عَنْهُ » <sup>(٢)</sup> وَمِنْ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ فَحُولَ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يُفَرِّدُوا لِلنَّسِيبِ أَشْعَارًا طَوِيلَةً خَاصَّةً فَاقْتَصَرُوا عَلَى جَعْلِهِ فِي أَوَّلِ قِصَائِهِمْ يَشْكُونُ فِيهِ شِدَّةَ الْوَجْدِ وَالْأَلَمِ الْفِرَاقِ أَوْ يَصِفُونَ مَا لِمُعْشُوقَتِهِمْ مِنَ الْجَمَالِ . فَإِنْ ذَهَبَ أَحَدُهُمْ أَحْيَانًا إِلَى التَّغْزَلِ الْحَقِيقِيِّ حَصْرَهُ فِي بَيْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ مِنْ نَسِيبِ الْقَصِيدَةِ وَلَمْ يُدْرِجْهُ فِي وَسْطِهَا إِلَّا بِأَنْدَرِ النَّادِرِ كَمَا فَعَلَهُ عَنقَرَةُ بْنُ شَدَّادٍ فِي مَعْلَقَتِهِ حِينَ قَالَ نَحْوَ الْآخِرِهَا :

بِأَشَاءَ مَا قَنَصَ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ      حُرُمَتٌ عَلَى وَلَيْتِنَاهَا لَمْ تَحْرُمِ  
فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي فَقُلْتُ لَهَا أَذْهَبِي      فَتَجَسَّسِي أَخْبَارَهَا لِي وَأَعْلَمِي

(١) شرح التبريزي على حِمَاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ ص ٥٣٨ من طبعة بن أوج ٣ ص ١١٢ من طبعة بولاق .

(٢) راجع أيضاً فقد الشعر لِقَدَامَةَ ص ٤٢ - ٤٣ من الطبعة القسطنطينية سنة ١٣٠٢ .

قَالَتْ رَأَيْتُ مِنْ أَلْعَادِي غُرَّةً وَالشَّاءُ مُمَكِّنَةٌ لِمَنْ هُوَ مُرْتَمٍ  
وَكَأَنَّمَا أَلْتَفَتَتْ بِجِدِّ جَدَايَةٍ رَشَلُ مِنْ الْغَزْلَانِ حُرٌّ أَرْقَمٍ  
وبعد هذه الأبيات الأربعة يرجع موضوعُ المعلقة إلى غير الغزل والنسيب.  
أما مقطعات الشعر الجاهلي المختصةُ بالتشبيب المنقولةُ إلينا في كتب الأدب  
واللغة فقليلة جداً وهي كما قلته من باب النسيب لا من باب التغزل<sup>(١)</sup>.  
فلهذا الأمر الغريب على رأي سببان : الأول أن التعبير عما في القلب  
من الهوى والعشق والشوق يستدعي كلاماً لينا سهلاً المأخذ بعيداً  
عن الألفاظ الغريبة قريب المعاني فاستنكفت من جمعه علماء اللغة في القرن  
الثاني والثالث للهجرة لأنَّ غرضهم من لَمَّ الأشعار القديمة وحفظ شذراتها  
كان خصوصاً الغريب من الألفاظ والمهم من الأخبار . والسبب الثاني وهو  
الأخطر أن الشعر في التشبيب المحض كان على ظني عند حرب الجاهلية  
نوعاً عامياً تعاطاه أيضاً رعاُ الناس فأهانوه نوابغ الشعراء وأهملوه وامتنعوا  
عن قوله قانعين بوضع أبيات النسيب في أول قصائدهم . ولعل سبباً ثالثاً  
أيضاً عجل في كراهة الشعراء المعجدين المُفْلِقِينَ للغزل وهو علو منزلة النظم  
في حياة العرب الاجتماعية لأنَّ غاية الشعر العالي إنما كان عندهم تعظيم  
الأكابر وتخليد ذكر مآثر القبائل والافتخار بالحماسة أو المكرمات وهجاء  
الأعداء فلذلك لم يكن التشبيب المحض ممّا عُذُّ من مقاصد الشعر السامية .  
أمّا في خلافة علي بن أبي طالب وما يتبعها من الزمان فنجد بمكة والمدينة  
نوعاً جديداً من الشعر أخذ يزهو بهما بَغْتَةً بل يغلب على سائر الأنواع فكاد

(١) كذلك نجد في أبيات عامر بن الحارث الثوري الشاعر الجاهلي الملقب بجران العود غزلاً يشابه  
غزل عمر بن أبي ربيعة الشاعر الأموي الذي سيأتي ذكره، فراجع القصيدة المروية في آخر ديوان  
جبرير المطبوع بمصر سنة ١٣١٢ ج ٢ ص ١٩٩ - ٢٠١ [أو ديوان جرّان العود ص ١٣ - ١٩  
من طبعة مصر ١٣٥٠] وراجع أبياته المروية في أمالي القائل ج ٣ ص ١٠٣ - ١٠٤ من طبعة  
بغداد ١٣٢٤ [أو ج ٣ ص ١٠٢ من طبعة مصر ١٣٤٤] . أما سبب لقبه بجران العود فانظر  
مقاله عبد القادر البغدادي في خزائنه ج ٤ ص ١٩٨ وابن تقيّة في كتاب الشعر ص ٤٥٠ من طبعة ليون .

أَجُودُ الشعراء في مدن الحجاز لا يتعاطون غيره خلافاً لعرْفهم فيما قبل . وهذا النوع الجديد هو الغَزَل ولعلَّ أوَّلَ من اشتهر به أبو ذَهَبِلَ الجُمَحِي من أشراف الناس بمكَّة قال الشعر في آخر خلافة عليٍّ ومدح معاوية وعبد الله ابن الزبير وغيرهما من الأكابر . وهواه لعمرة مشهور قيل في كتاب الأغاني<sup>(١)</sup> "إنَّه كانت تتحدَّث به أشراف قريش في مجالسها وسوق الحجاز في أسواقها والسُّقاة في مواردها « وما صاغه أبو ذهبل من الشعر فيها رقيقٌ ظريف بعيد عن أسلوب نسيب أهل البادية المعروف . ويُروى أنَّه نظر عَرَضاً إلى عاتكة بنت الخليفة معاوية في حبَّتها وقال فيها أبياتاً شاعت بمكَّة وشُهرت فغنى فيها المغنون فلما صدرت عاتكة عن مكَّة « خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها فكانت تُعاهدُه بالبرِّ واللفظ حتَّى وردت دمشق وورد معها فانقطعت عن لقاءه<sup>(٢)</sup> » فأنشد شعراً مشهوراً بلغ معاوية الذي أحضر أبا ذهبل ولامه وقال له : « أمَّا من جهتي فلا خَوْفَ عليك لأنِّي أعلم صيانة ابنتي نفسها وأعرف أن فتیان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كلِّ من جاز أن يقولوه فيه وكل من لم يَجْزُ وإنَّما أكره لك جوار يزيد<sup>(٣)</sup> » وأخاف عليك وتبائنه . وإنَّما أراد معاوية أن يهْرُبَ أبو ذَهَبِلَ . وفي ذلك قصَّة طويلة وأشعار<sup>(٤)</sup> جارية مجرّى غير مجرى نسيب الجاهلية . ثم سلك غيره من زوابع الشعراء بمكَّة هذا المسلك المتدع فقليل : « كانت العرب تفضل قريشاً في كلِّ شيء إلا الشعر فلما نجم في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وأبو ذهبل وعبد الله بن قيس الرُّقِيَّات أقرَّت لها العرب بالشعر أيضاً<sup>(٥)</sup> » .

(١) كتاب الأغاني ج ٦ ص ١٥٦ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ٦ ص ١٥٨ - ١٥٩ من طبعة بولاق .

(٣) وهواين معاوية وأخوعاتكة .

(٤) كتاب الأغاني ج ٦ ص ١٥٩ - ١٦١ من طبعة بولاق .

(٥) كتاب الأغاني ج ٢ ص ١٠١ وراجع أيضاً ج ١ ص ٣٥ من طبعة بولاق .

وإن سألتموني عن سبب هذا التقلب الشديد في أساليب الشعر في المدن الحجازية قلت : لا يخفى على أحد أن أكثر رجال السياسة والحرب قد تركوا جزيرة العرب في أواخر خلافة علي بن أبي طالب فبقيت بالمدينة أهل التقى والعبادة والنسك من الأنصار والمهاجرين كأن الدنيا في الشام والمدين بمدينة النبي . وكثرت في ذلك العصر ثروة الحرمين ولا سيما مكة لتساع العلائق والمصارف التجارية ولزيادة الوافدين عليهما تأدية لفريضة الحج . فزيادة الثروة والنعمة واتساع العيش زاد أيضاً ما تنزع النفوس إليه من الشهوات والملاذ والتنعّم بأنواع الترفّ وفسدت أخلاق الشبان من البيوتات الكبيرة الذين لم يكن لهم بالحجاز مجال واسع للاعتناء بأمور السياسة والحرب ولا بالعلوم العقلية التي لم تنزل مجهولة عند العرب في ذلك الزمان فاشتد ميلهم إلى التطرّف والتغرّل وسماع الغناء وحضور الملاحى . وجلبت إلى مكة والمدينة القينات المغنيات بالروى أو بالفارسي ثم أخذت الموالى يغنون بالعربي أيضاً فقليل إن أصل الغناء أربعة نفر مكّيّان ومدنيّان فالمكّيّان ابن سريج وابن مخرز، والمدنيّان معبد ومالك [بن أبي السّمح] (١) ومنهم بل أقدمهم طويس المولود يوم وفاة النبي وهو أوّل من غنى بالعربي بالمدينة وأوّل من ألقى الخنث بها وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنساب أهلها (٢) ومنهم أيضاً الغريض المغنى بمكة والمدينة صاحب عمر بن أبي ربيعة

(١) كتاب الأغاني ج ١ ص ٩٨ من طبعة بولاق - وابن سريج كان مولده في خلافة عمر ابن الخطاب وأخذ يغنى في زمن عثمان بن عفان ومات في خلافة هشام بن عبد الملك  $\frac{100}{724} - \frac{120}{743}$  وابن مخرز معاصر له - ومعبد بن رهب غنى في أول دولة بني أمية ومات في أيام الوليد بن يزيد  $\frac{126}{744} - \frac{158}{770}$  بدمشق - ومالك بن أبي السّمح مات في أيام المنصور  $\frac{136}{754} - \frac{158}{770}$  .  
(٢) كتاب الأغاني ج ٢ ص ١٧٠ من طبعة بولاق - ويقال في كتاب الأغاني ج ٧ ص ١٨٨ أن سائب خاثر أول من غنى بالعربية ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يقرع بقصيب وأخذ عنه ابن سريج وجميلة ومعبد وعزة الميلاء وغيرهم - كان سائب مولد بني ليث وقتل في يوم الحرة  $\frac{64}{983}$  .

كثرت فيه الحكايات ومات في خلافة سليمان بن عبد الملك (٧١٥ - ٧١٧) ،  
ومنهم كثيرون لا أحتاج إلى سرد أسماهم هنا . ومما يدل على سعة العيش  
بمكة في النصف الثاني من القرن الأول ما يروى في كتاب الأغاني (١) أن  
عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله الجمحي قد اتخذ بيتاً فجعل فيه  
شظرنجات وذردات (٢) وقيرقات (٣) ودفاتر فيها من كل علم وجعل في الجدار  
أوتاداً فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جرّ دفتراً فقرأه أو بعض  
ما يلعب به فليعب به مع بعضهم . وفي وادي العقيق الذي كان منتزه  
أهل المدينة في أيام الربيع والمطر (٤) أو في منى وسائر نواحي مكة كان  
المتظرفون من الفتيان لا سيما في موسم الحج ينتظرون ويلتقون النساء  
والبنات الحياتر ويحدثون ويتغزلون بهن . فإن أردتم مثلاً ممّا كان قدر  
كريمات النساء عند أكابر مكة والمتغزلين فهاكم ما يروى في كتاب الأغاني  
من أخبار الحارث بن خالد بن العاص المخزومي وهو أحد نوابغ شعراء قريش  
الغزليين السابق ذكرهم أخو عكرمة بن خالد المخزومي وهو محدث جليل من  
وجوه التابعين . إن عبد الملك سنة ٧٥ ولي الحارث إمارة مكة فحج بالناس  
وحجّت عائشة بنت طلحة عامته وكان الحارث يهواها فأرسلت إليه أخبر  
الصلاة حتى أفرغ من طوافي . فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت  
من طوافها . ثم أقيمت الصلاة فصلى بالناس . وأنكر أهل الموسم ذلك من  
فعله وأعظموه فعزله وكتب إليه يؤنبه فيما فعل فقال ما أهون والله غضبه إذا

(١) كتاب الأغاني ج ٤ ص ٥٢ .

(٢) الثرد هو ما يعرف اليوم بالطولة .

(٣) قرقا جمع قرق وهو لعبة للصبيان فراجع لسان العرب ج ١٢ ص ١٩٨ من طبعة بولاق  
١٣٠٠ - ١٣٠٧ وأقرب الموارد لسميد الشرطوني ص ٩٩٠ من طبعة بيروت ١٨٩٩ .

(٤) كتاب الأغاني ج ٢ ص ١٧٢ سطر ٢٤ فراجع أيضاً ج ١ ص ٦٦ سطر ٧ من طبعة بولاق .

رَضِيَتْ وَاللَّهُ لَوِ لَمْ تَصْرُغْ مِنْ طَوَافِهَا إِلَى اللَّيْلِ لَأَخَّرْتُ الصَّلَاةَ إِلَى اللَّيْلِ»<sup>(١)</sup> .  
 وله في ذلك شعر مشهور<sup>(٢)</sup> . وربما كان فتیان مَكَّةَ من الأغنياء الظرفاء  
 يرنحلون إلى المدينة لالتقاء ظرفائها وظرائفها ومن هذا القبيل ما روى مُصَنَّبُ  
 الزَّيْبَرِيِّ قَالَ<sup>(٣)</sup> : «اجتمع نسوةٌ فذكرن عمر بن أبي ربيعة<sup>(٤)</sup> وشعره وظرفه  
 ومجلسه وحديثه فتشوقنَ إليه وتمنَّينه فقالت سُكَيْنَةُ [بنت الحسين بن علي  
 ابن أبي طالب] أَنَا لَكُنُّ بِهِ . فبعثت إليه رسولاً أَن يوافي الصَّوْرَيْنِ<sup>(٥)</sup> ليلةً  
 سمَّتها فوافاهنَّ على رواحله فحدثنَّ حتى طلع الفجر وحنَّ انصرافهنَّ . فقال  
 لهنَّ والله إِنِّي لمحتاجٌ إلى زيارة قبر النبي (صلعم) والصلاة في مسجده  
 ولكنني لا أخلط . بزيارتكنَّ شيئاً ثمَّ انصرف إلى مَكَّةَ فقال في ذلك شعراً  
 معروفاً<sup>(٦)</sup> . ومما يُروى أيضاً من هذا الباب<sup>(٧)</sup> : «واعد عمر بن  
 أبي ربيعة نسوةً من قریش إلى العقيق ليتحدثنَّ معه فخرج إليهنَّ ومعه الغريض  
 فتحدثوا ملياً ومُطَرُوا فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلموا عليهنَّ  
 بِحِطْرَةٍ<sup>(٨)</sup> وبرذَيْنٍ له حتى استترن من المطر حتى سكن ثمَّ انصرفن »  
 فقال عمر في ذلك أحد أشعاره<sup>(٩)</sup> . - وحسبنا هذا بياناً لأحوال عيشة  
 الظرفاء بالحرمين . فإن كان الأمر كذلك فلا عجب في ابتداء نوع جديد  
 من الشعر لم يسبق إليه فحولُ الجاهليَّة ولا أهلُ البادية ثمَّ لا عجب أنَّ

(١) كتاب الأغاني ج ٣ ص ١٠٣ وراجع ج ٣ ص ١١٣ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ٣ ص ١١٣ - ١١٤ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب الأغاني ج ١ ص ٤٧ . (٤) وهو مقيم بمكة .

(٥) الصوران موضع بجوار المدينة المنورة .

(٦) ديوان حمير بن أبي ربيعة عدد ٢١٨ من طبعة ليبسك ١٩٠٢ .

(٧) كتاب الأغاني ج ١ ص ٦٩ من طبعة بولاق .

(٨) رداء من خزمرم ذو أعلام .

(٩) ديوان عدد ٥٢ من الطبعة المذكورة .

أكثر شعراء المدن الحجازية لم يتجاوزوا الغزل إلى المديح ولا الهجاء وتبركوا أسلوب القصيدة القديمة . ثم شاع حب التشبيب في البلاد البعيدة عن الحجاز وغلب في شعر بعض من أراد حفظ الأساليب القديمة والتكسب بالمديح فيروى في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة<sup>(١)</sup> أن « بعض الرُّجَّاز أتى نصر بن سيار وإلى خراسان لبني أمية فمدحه بقصيدة تشبيها مائة بيت ومديحها عشرة أبيات فقال نصر : والله ما بقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً إلا وقد شغلته عن مديحي بتشبيبك فإن أردت مديحي فاقتصد في النسيب . فأتاه فأنشده :

هل تعرف الدارَ لأمِّ الغمرِ دَعُ ذا وخبرَ مِدْحَةٍ في نصر  
فقال نصر لا ذلك ولا هذا ولكن بين الأمرين » .

وأشهر شعراء الحرمين في ذلك العصر وأنسبهم عمر بن أبي ربيعة المخزومي المذكور وُلِدَ في ليلة قُتِلَ عمر بن الخطاب أَعْنَى في ٢٦ ذى الحجة من سنة ٢٣ ومات على القول الأرجح سنة ١٠١ . أما قول البعض إن عمر بن عبدالعزيز نفاه إلى جزيرة دهلك القريبة من مدينة مصوِّع على سواحل البحر الأحمر الغربية فخطأ نشأ من خلط . وقع بينه وبين صاحب الأُخوص . وكان عمر مفرطاً في التشبيب بالنساء فكلَّ جميلة رآها في الشوارع أو في الحجِّ وقعت في نفسه فذهب عقله عليها فلم يقل شيئاً من الشعر إلا في النسيب والغزل فكثيراً ما أظهر في أبياته أسماء الحرائر اللواتي هوهنَّ مثل زينب بنت موسى ولُبَّابة بنت عبد الله وكلثوم بنت سعد وفاطمة بنت عبد الملك وثريا بنت عليّ وبَغُوم وأسماء وغيرهنَّ وربما كاد يشين عرضهنَّ . وفي القرن

(١) ص ١٥ من طبعة لندن ، وراجع أيضاً كتاب العملة لابن رثيق ج ٢ ص ٩٩ من طبعة



الثاني خاف بعض الناس على الفتيات ما يمكن أن يهيجه شعره لقلوبهن فتُنسب في ذلك إلى الزبير بن بكار هذه الرواية<sup>(١)</sup> : « قال حدثني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مُصعب قالت : مررتُ بجَدِّك عبد الله بن مصعب وأنا داخلة منزله وهو بفنائنه ومعي دفتر فقال ما هذا معك ودعاني فجئته وقلت شعر عمر بن أبي ربيعة فقال ويحك تدخلين على النساء بشعر عمر ابن أبي ربيعة إن لشعري لَمَوْقِعاً من القلوب ومَدْحَلاً لطيفاً لو كان الشعرُ يسحرُ لكان هو فارجى به . قالت ففعلتُ » . ولكن قال أيضاً الزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ هـ : « أدركتُ مشيخة من قريش لا يزنون بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسب ويستحسِنون منه ما كانوا يستقبِحونه من غيره من مدح نفسه والتحلي بمودته والابتيار »<sup>(٢)</sup> . وجماعة من الأدباء أثَنُوا على شعره كلِّ الثناء وقالوا إنَّ عمر أشعر قريش لأنَّه « رَقٌّ معناه ولطفٌ مَدْحُهُ وسهلٌ مخرَجُهُ ومتنٌ حَشْوُهُ وتعطفُ حواشيه وأنارت معانيه وأعرب عن حاجته »<sup>(٣)</sup> . ومَن بلغ الغاية في الإطراء مُصعب بن عبد الله بن مصعب حيث قال<sup>(٤)</sup> : « راق عمر بن أبي ربيعة الناس وفاق نظرائه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر وحسن الوصف ودقة المعنى وصواب المصدر والقصد للحاجة واستنطاق الرُّبُع وإنطاق القلب وحسن المزاء ومخاطبة النساء وعفة المقال وقلة الانتقال وإثبات الحجَّة وترجيح الشكِّ في موضع اليقين وطلاوة الاعتذار وفتح الغزل ونهج العلل وعطف المَساةة على العُدال وحسن التفسُّع وبُخْل

(١) كتاب الأغاني ج ١ ص ٣٧ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ١ ص ٥٢ - ٥٣ من طبعة بولاق وقال صاحب كتاب الأغاني بعد هذا النص « والابتيار أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفخر به والابتهار أن يقول ما لم يفعل » .

(٣) كتاب الأغاني ج ١ ص ٤٨ من طبعة بولاق . وأمال القائل ج ٢ ص ١٧ من طبعة بولاق ١٣٢٤ [ أوج ٣ ص ١٥ من طبعة مصر ١٣٤٤ ] .

(٤) كتاب الأغاني ج ١ ص ٥٣ من طبعة بولاق .

المنازل واختصار الخبر وصدق الصفاء إن قدح أوري وإن اعتذر أبري وإن  
تشكى أشجى وأقدم عن خبيرة ولم يعتذر بغرة وأسر النوم وغم الطير وأغد  
السير وجير ماء الشباب وسهل وقول وقاس الهوى فأرني وعصى وأخلى وحالف  
بسمعه وطرفه وأبرص بنعت الرسل وحذروا أعلن الحب وأسر وبطن به وأظهره  
وألج وأسف الخ . ومن المجري بالاعتبار أن شعر عمر بن أبي ربيعة  
وأصحابه الحجازيين مع مداره على الغزل فقط . ومع قربه غير مرة من الخلاعة  
لم ينحط . أبداً إلى الفحش والمجون المحض الكثير وجوده في غزل شعراء عهد  
العباسيين ولكن ليس هنا موضع لإيضاح سبب ذلك . ثم من الجدير  
بالذكر أيضاً أن عمر بن أبي ربيعة وأكثر شعراء الحجاز لا سيما مكة في زمن  
الأمويين إلى أوائل القرن الثاني امتنعوا عن باب الخمريات في شعرهم امتناعاً  
تاماً ولم يذكروا الخمر إلا في التشابيه مثل قول عمر بن أبي ربيعة (١) :  
تَنَكَّلُ عَنْ وَاضِحِ الْأَنْثِيَابِ مُتَمَسِّقٍ عَذْبِ الْمَقْبَلِ مَصْقُولٍ لَهُ أَشْرُ  
كَالْمِسْكِ شَيْبَ بَدْوَبِ النَّخْلِ يَخْلِطُهُ تَلْجُ بِصُهْبَاءِ مِمَّا عَتَقَتْ جَدْرُ  
أو مثل قوله (٢) :

إِذَا ابْتَسَمْتُ قُلْتُ أَنْكَلَالُ غَمَامَةٍ خَفَى بَرَقُهَا فِي عَارِضٍ مَتَهَلِّلٍ  
كَأَنَّ سَحيقَ الْمِسْكِ خَالَطَ طَعْمَهُ وَرِيحَ الْخُرَامِ فِي جَنَدِيدِ الْقَرْنَفْلِ  
بِصُهْبَاءِ دِرْيَاقِ الْمُدَامِ كَأَنَّهَا إِذَا مَا صَفَا رَاوَوْقَهَا مَاءُ مَفْصِلِ

وذلك مع أن شرب الخمر غير مجهول في ذلك العصر بالمدينة (٣) فكان  
مثلاً الوليد بن عثمان بن عفان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن

(١) ديوان عدد ٤٥ بيت ١٣ - ١٤ من الطبعة المذكورة . وجادر قرية بين حصن وسامية تنسب  
إليها الخمر . انظر معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٣٩ من طبعة أوروبا .  
(٢) ديوان عدد ١٩٧ بيت ١١ إلى ١٣ من الطبعة المذكورة .  
(٣) راجع

LAMMENS, *Etudes sur le règne du calife omayyade Mo'awia Ier*, Beirut, 1908, P. 412-415.

ابن أُرْطَاة المعروف بابن سَيْحَان وَجُبَيْر بن أَيْمَن وغيرهم من الخواصِّ معافرين للخمر متنادمين على الشراب . بيدَ أَنَّهُ لم يذهب إلى مدحه إلاَّ من ليس من الفحول المشهورين مثل ابن سَيْحَان المذكور القاتل الشعر في الشراب والغزل والفخر والمديح وله مع ابن عمِّه في شرب الخمر قصَّة غريبة وأبيات <sup>(١)</sup> أو مثل عبد الله بن أَبِي مَعْقِل بن نَهْيَك بن إِسَاف الأنصاريِّ القاتل <sup>(٢)</sup> :

فلولا ثلاثُ هُنَّ من عيشة الفتي      وجدَّكَ لم أخفِلْ متى قامَ رامسُ  
فمنهنَّ سَبْقِي العاذلاتِ بِشَرْبَةِ      كَأَنَّ أَخَاهَا مَطْلِعَ الشَّمْسِ ناعسُ  
ومنهنَّ تجريدُ الكواعبِ كالدُّمَى      إذا أَبْتَزَّ عن أَكْفَالِهِنَّ الملبسُ  
ومنهنَّ تقريظُ الجوادِ عِنانَهُ      إذا استبقَى الشَّخْصَ الخَفِيُّ الفوارسُ  
ويروى مُحَمَّد بن سَلَام الجُمَحِيُّ ما نصَّه <sup>(٣)</sup> : «وكان السُّرَيُّ بن

عبد الرحمن ينادم [بالمدينة] عتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف وَجُبَيْر بن أَيْمَن بن أُمِّ أَيْمَن مولى النَّبِيِّ (صلعم) وخالد بن أَبِي أَيُّوب الأنصاريِّ وكانوا يشربون النِّبِيدَ وكلَّهم كان على ذلك . مقبول الشهادة جليل القدر مستوراً فقال السُّرَيُّ :

إذا أَنْتِ نادمتِ العتيرَ وذَا الندى      جَبِيْرًا ونازعتِ الرُّجاجةَ خالداً  
أَمِنْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ تُقَرَّعَ العصا      وَأَنْ يُنْمِيَهُوا مِنْ نَوْمَةِ السُّكْرِ راقداً  
فقالوا قَبِّحَكَ اللَّهُ ماذا أَرَدْتَ إلى التَّشْبِيهِ عَلَيْنَا وَالْإِذَاعَةَ لِمَسْرُونَا إِنَّكَ لَحَقِيقُ  
أَنْ لَا ننادمَكَ . قال والله ما أَرَدْتُ بِكَ سَوْءاً وَلَكِنَّهُ شَعْرٌ طَفَحَ فَقُشِّتُهُ عَنْ  
صدرِي . قال وخالد بن أَدِيٍّ أَيُّوبُ الَّذِي يَقُولُ :

(١) كتاب الأغاني ج ٢ ص ٨٦ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٣ من طبعة ليدن ، وراجع كتاب الأغاني ج ٢٠ ص ١١٨٠ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٨ ص ٦٦ من طبعة بولاق .

أَلَا سَقَى كَأْسِي وَدَغَ قَوْلَ مَنْ لَحَى      وَرَوَّ عِظَامًا قَصَرَهْنَ إِلَى بَلَى  
فَإِنَّ بَطْءَ الْكَاسِ مَوْتُ وَحَبَسَهَا      وَإِنَّ دِرَاكَ الْكَاسِ عِنْدِي هُوَ الْحَيَا  
فلنرجع إلى سياق الكلام . لو أردنا ذكر شيء من أخبار جميع الذين  
ذهبوا مذهب عمر بن أبي ربيعة في مدن الحجاز في العصر الأموي لاحتجنا  
إلى استغراق مدة دروس . فحسبنا ذكر أسماء بعضهم منهم الأخوص المدني  
الأنصاري الذي مات جده شهيداً يوم الرجيع في السنة الرابعة للهجرة ونخاله  
يوم أخذ فلماً سمع يوماً سُكَيْنَةَ بنت الحسين تفتخر بقرابتها بالنبي قال (١) :

فَخَرَّتْ وَانْتَمَتْ فَقُلْتُ ذَرِينِي      لَيْسَ جَهْلٌ أَتَيْتِهِ بِبَدِيعِ  
فَأَنَا ابْنُ الَّذِي حَمَتَ لَحْمَهُ الدُّبَّ      رُ قَتِيلِ اللَّحْيَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ  
غَسَلَتْ خَالِي الْمَلَائِكَةُ الْأَبَّ      رَارُ مَيْتًا طُوبَى لَهُ مِنْ صَرِيعِ  
ولكن إن قطعنا النظر عن مربيته لمعاوية التي قال فيها (٢) :

مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ مَبَارِكٌ      كَادَتْ لَهَيْبَتِهِ الْجِبَالُ تَزُولُ  
تُجَبِّي لَهُ بَلَخٌ وَدَجَلَةٌ كُلُّهَا      وَلَهُ الْفِرَاتُ وَمَا سَقَى وَالذَّيْلُ

وهن أبيات يعاتب بها عمر بن عبد العزيز (٣) ، لم يكن عيشه وشعره إلا  
في الغزل . فمن المعروف أن عمر بن عبد العزيز نفاه إلى جزيرة دَهْلَك لفرط  
تشبيهه بالنساء ذوات الأخطار من أهل المدينة . ثم عُقِيَ عنه . ومات بدمشق  
بعد المائة بسنين قليلة . ولسان حال عيشته ما قاله في أحد أشعاره (٤) :

أَلَا لَا تَلْعَنُ الْيَوْمَ أَنْ يَتَبَلَّدَا      فَقَدْ غَلِبَ الْمَحْزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا

(١) كتاب الأغاني ج ٤ ص ٤٣ من طبعة بولاق .

(٢) مريج الذهب للمسعودي في الباب الثاني والتسعين ج ٥ ص ١٥٨ من الطبعة الباريسية .

(٣) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٣٠ - ٣٣١ من طبعة لندن .

(٤) كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٣١ وكتاب الأغاني ج ١٣ ص ١٥٩ من طبعة بولاق .

وما العيش إلا ما تلذ وتشتهى وإن لام فيه ذو الشنان وفندا  
بكيت لصبأ جهداً فمن شاء لآنى ومن شاء وآسى فى البكاء وأسعدا  
ولآنى وإن عيرت فى طلب الصبا لأعلم أنى لست فى الحب أوحدأ  
إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبأ فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

ومن شعراء قريش بمكة المشهورين بالغزل الناحين نحو عمر بن أبى ربيعة  
فى ذلك المعجدين المرحب<sup>(١)</sup> وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن  
عفان من نسل عثمان أمير المؤمنين وهو أيضاً ممن ذكروا نساء قريش فى  
شعرهم وشببوا بالحاجات كما قال<sup>(٢)</sup> (من بحر الطويل) :

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأذنت على الخدين برداً مهلاً  
من اللاء لم يخججن يئفين حسبة ولكن ليقتلن البرى المغفلاً  
أو كما قال<sup>(٣)</sup> فى جديده أم محمد بن هشام أعنى أم خال الخليفة  
هشام بن عبد الملك (  $\frac{120}{774} - \frac{120}{743}$  ) :

عوجى علينا ربّة الهودج إنك إلا تفعلى نخرجى  
أنى أريحمت لى بىانية إحدى بنى الحرث من مدحج  
نلبث حولاً كاملاً كلّه ما نلتقى إلا على منهج  
فى الحج إن حجت وماذا منى وأمله إن هى لم تحجج

وذكر النساء فى الحج كثير فى أشعار أهل الحجاز أيام بنى أمية فمن

(١) مات بمكة فى أيام هشام بن عبد الملك .

(٢) كتاب الأغاني ج ١ ص ١٦١ من طبعة بولاق - ماط : أبعد . وحر الوجه : ما بدا من  
الوجه . وحسبة الأجر والثواب .

(٣) كتاب الأغاني ج ١ ص ١٦٢ وج ٣ ص ١١٦ من طبعة بولاق وفى الكامل للسرد ص ٣٩١  
من طبعة ليسك سنة ١٨٦٤ إلى ١٨٩٢ أوج ٢ ص ٢٥ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٤ الأبيات  
مروية بغير اسم الشاعر .

هذا القبيل شعر مشهور لمحمد بن عبد الله النُمَيْرِيّ من أهل الطائف قاله<sup>(١)</sup> في زينب بنت يوسف بن الحَكَم أَخْت الحجاج بن يوسف فاستحسنه الناس في ذلك الزمان ف قيل إِنَّ سَعِيدَ بنَ المسيَّب أحدَ الفقهاء السبعة بالمدينة المتوفى في أواخر القرن الأول مرّ في بعض أزقة مكة فسمع رجلاً يغني بذلك الشعر فلما وصل الغناء إلى البيت :

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةٍ عَطِرَاتٍ  
ضرب برجله وقال : هذا والله مما يلدُّ استماعُهُ<sup>(٢)</sup> . وللنُمَيْرِيّ أشعار كثيرة في زينب يتشبيب بها وله قطعة يرثيها فيها فلم يُعرف له مما غيرُ هذا الغزل إلا أبيات وصف فيها خوفهُ من الحجاج بن يوسف وهروبهُ منه إلى اليمن<sup>(٣)</sup> . ومن شعراء المدينة المشهورين بالغزل عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي وتروى له قصائد لغزال يراه « يَأْوِي إِلَى مَسْجِدِ الْأَحْزَابِ مُنْتَقِياً » وفيها أيضاً افتخار<sup>(٤)</sup> . ومن الحرى بالذكر أَنَّ الكَلَفَ بالنسيب وسامع الغناء قد عمَّ كلَّ أجناس النَّاسِ بحدن الحجاز فمن المشغوفين بهما غير واحد من الفقهاء الموصوفين بالعلم والفضل والنسك . فَيُنَشِّدُ لِعَبِيدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عُثْبَةَ بن مسعود الشهير بعبيد الله بن مسعود أحد الفقهاء السبعة بالمدينة من أعلام التابعين المتوفى سنة ١٠٢ وقيل ٩٩ وقيل ٩٨ هذه الأبيات المروية في حماسة

(١) كتاب الأغاني ج ٦ ص ٢٥ - ٢٦ و ٣٠ من طبعة بولاق والعقد لابن عيد ربه ج ٣ ص ١١٣ من طبعة مصر ١٣٠٥ ، ويوجد الشرق تمامه في NOELDEKE, *Delictus veterum carminum arabicorum*, p. 21-22.

(٢) كتاب الأغاني ج ٦ ص ٣٠ من طبعة بولاق ومعجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٦٤٧ - طبعة ليسك ١٨٦٦ - ١٨٧١ في مادة عرفت . أصيب هذا الشعر عائشة بنت طلحة ( الأغاني ج ٦ ص ٣٠ و ج ١٠ ص ٩١ ) وأهتز هارون الرشيد طرباً عند سماعه ( الأغاني ج ٦ ص ٣١ ) .

(٣) كتاب الأغاني ج ٦ ص ٢٨ من طبعة بولاق .

(٤) القصائد مروية في ديوان المدائني عدد ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ من طبعة برلين ١٨٨٤ .

أبي تمام<sup>(١)</sup> وفي كتاب الأغاني<sup>(٢)</sup> وفي وفيات الأعيان لابن خلكان<sup>(٣)</sup> :

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَأَمَ الْفُطُورُ  
تَغْلَغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ  
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

وله في عثمة هذه التي تزوجها أشعار كثيرة ، وله أيضاً في امرأة من هُذَيْل غاية في الجمال أتت المدينة وكادت تذهب بعقول أكثر الرجال أبيات يذكر فيها أسماء أشهر فقهاء المدينة ويستشهدهم على وفرة مودته لها<sup>(٤)</sup> . ونستفيد من عدة روايات قديمة نقلت في كتاب الأغاني أَنَّ سعيد بن المسيب السابق ذكره الذي قال فيه ابن خلكان<sup>(٥)</sup> : «لَمْ يَكُنْ سَيِّدَ التَّابِعِينَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ جَمَعَ بَيْنَ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ وَالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْوَرَعِ» «أَحَبُّ سَمَاعٍ الْغَنَاءَ وَإِنْشَادَ أَبِياتِ الشُّعْرَاءِ الْفَزْلِيِّينَ وَالْحُكْمَ فِي جَوْدَتِهَا فَقَالَ جَامِعُ بْنُ مُرْخَبَةَ الْكِرْلَانِيُّ فَكَاهَهُ»<sup>(٦)</sup> :

سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ مُقْبَى الْمَدِينَةِ هَلْ فِي حُبِّ ظَمِيَاءٍ مِنْ وَزِيرٍ  
فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ إِنَّمَا تُلَامُ عَلَى مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأَمْرِ  
وَعُرْوَةُ بْنُ أَذْيَنَةَ مِنْ أَعْيَانِ فَقَهَاءِ الْمَدِينَةِ وَالْمُحَدِّثِينَ رَوَى عَنْهُ مَالِكُ بْنُ  
أَنَسٍ وَغَيْرِهِ كَانَ أَيْضاً مِنْ شُعْرَاءِ غَزَلٍ مُقَدِّمِينَ وَلَهُ الْأَشْعَارُ الرَّائِقَةُ غَنَّى فِيهَا

(١) كتاب الحلي ص ٥٩٤ من طبعة بن أوج ٣ ص ١٦٧ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ٨ ص ٩٨ من طبعة بولاق وثليها ثلاثة أبيات أخرى .

(٣) كتاب وفيات الأعيان عدد ٣٦٣ من طبعة غوتنجن أو ٣٢٩ من الطبقات المصرية . - ومن الغريب أَنَّ البيت الأول ( وفيه صدحت بدلاً من شققت ) والثالث ينسب إلى قيس بن ذريح في كتاب الأغاني ج ٨ ص ١١٧ .

(٤) كتاب الأغاني ج ٨ ص ٩٦ - ٩٧ من طبعة بولاق . روى له ابن عبد ربه في عقده ج ٣ ص ١٠٠ بعض الأبيات في الفزل .

(٥) وفيات الأعيان عدد ٣٦١ من طبعة غوتنجن أو ٢٤٨ من الطبقات المصرية .

(٦) كتاب الأغاني ج ٨ ص ٩٦ .

المغنون ولم يقل في غير الغزل شيئاً سوى مرثية لأخيه بكر<sup>(١)</sup>.

ومن المفتونين بسماع الغناء والأشعار في التشبيب أبو السائب المخزومي من أهل المدينة قيل إنه كان «رجلاً صالحاً زاهداً متقلاً يصوم الدهر وكان أرق خلق الله وأشدّهم غزلاً»<sup>(٢)</sup> وقيل أيضاً إنه «كان يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة»<sup>(٣)</sup> وعلى ذلك له مع الشعراء والمغنين والمغنيات عدّة نوادر وروايات يطول ذكرها هنا فيكفيها ما روى عن مُصعب بن عبد الله بن مصعب<sup>(٤)</sup> : «قال حضر أبو السائب المخزومي مجلساً فيه بصّبص جارية يحيى بن نفيس فغنّت :

قلبي حبيس عليك موقوفٌ والعينُ عبّرى والدمع مذروفٌ  
والنفس في حسرة بغصتها قد شئتُ أرجاءها التساويفُ  
إن كنتِ بالعُسن قد وُصفتِ لنا فإِنني بالهوى لَمَوْصوفُ  
يا حُسرَتَا حُسرَةُ أُموتُ بها إن لم يكن لي الديك معروفُ

قال فطرب أبو السائب ونعر وقال لا أعرف الله قدره إن لم أعرف لك معروفك ثم أخذ قناعها عن رأسها وجعل يلطم ويبكي ويقول لها : يا بئى والله أنتِ لِمَئى لأرجو أن تكوفى عند الله أفضل من الشهداء لِمَا تُولّيناه من السرور

(١) راجع كتاب الأغاني ج ٢١ ص ١٦٢ - ١٧٢ وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٦٧ - ٣٦٨ من طبعة ليدن وحسامة أبي تمام ص ٥٦٩ من طبعة بن أريج ٣ ص ١٤٣ من طبعة بولاق ووفيات الأعيان لابن خلكان عد ٢٦٧ من طبعة غوتنجن أو عدد ٢٥٤ من الطبعات المصرية (ترجمة سكية بنت الحسين) والقدر لابن عبد ربه ج ٣ ص ١٠١ من طبعة مصر ١٣٠٥ .  
[ وكتاب المؤلف للأمدى ص ٥٤ - ٥٥ من طبعة مصر ١٣٥٤ والبيان للجاحظ ج ٣ ص ١٣٠ من طبعة مصر ١٣٥١ ] .

(٢) كتاب الأغاني ج ٧ ص ٣٠ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب الأغاني ج ١ ص ١٠٩ سطر ٨ .

(٤) كتاب الأغاني ج ١٣ ص ١١٨ من طبعة بولاق - سوف : مظهره وقال له مرة بعد مرة سوف أفلن نمر : صاح وصوت بخيشومه - لطم : ضرب بخلده أو صفحة جسده بالكف مفتوحة .



وجعل يصيح واغوثاه يا الله لِمَا يَلْقَى العاشقون « . - وكذلك عطاء بن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤ أو ١١٥ من أجلاء الفقهاء والزهاد بمكة كان يهتز طرباً حين سمع غناء ابن سُرَيْج والغريص في الأشعار الغزلية<sup>(١)</sup> فلم يستقبح إلا ما ورد أحياناً فيها من قلة احترام مناسك الحج<sup>(٢)</sup> . ومن المشهور أن عبد الرحمن بن أبي عمار الجشعي من قراء أهل مكة الملقب بالقس لعبادته لما سمع غناء سلامة من المولدات القيان افتتن وشغف بها وقال فيها الأبيات والقصائد<sup>(٣)</sup> . - وخلاصة القول أن سكان المدن الحجازية في أيام بني أمية إنما أرادوا من الشعر الغزل فلا عجب فيما رواه عبد الله بن مسلمة بن أسلم « قال لقيت جريراً فقلت له يا أبا حَزْرَةَ إِنَّ شعرك رُفِعَ إلى المدينة وأنا أحب أن تُسمِعني منه شيئاً . فقال إنكم يا أهل المدينة يُعجبكم النسب وإن أنسب الناس المخزومي يعني عمر بن أبي ربيعة »<sup>(٤)</sup>.

٢ - وهذا أو أن الشروع في الكلام على الصنف الثاني من الشعر في أيام بني أمية وهو النسب عند الأعراب . قد تقدم أن فحول شعراء الجاهلية لم يُفردوا للنسب والغزل أشعاراً خاصة وإنما أدرجوها في ضمن قصائدهم ولم يُطيلوها . أما نحو أواسط القرن الأول للهجرة وفيها يليها فأخذت بعض شعراء أهل الوبر المعدودين يقولون القصائد في مجرد النسب بل لا يتعاطون غيره وصناعتهم بعيدة عن أسلوب أشعار الجاهلية وعن منهج الغزليين

(١) كذلك كتاب الأغاني ج ١ ص ١٠٠ و ١٠٩ - ١١٠ و ١٢٦ إلخ من طبعة بولاق .

(٢) انظر بيتاً للرجي في الأغاني ج ١ ص ١٦٢ وج ٢ ص ١٢٢ وج ٣ ص ١١٦ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب الأغاني ج ٨ ص ٦ - ٩ من طبعة بولاق - ومن الفقهاء الناسكين الشعراء الذين كان نسبهم رقيقاً وتشبيهم عجباً عبد الله بن مبارك وشريح الذي كان قاضياً في أيام عل بن أبي طالب ومعاوية فانظر المقد لا بن عبد ربه ج ٣ ص ١٠١ من طبعة مصر ١٣٠٥ .

(٤) كتاب الأغاني ج ١ ص ٣٦ من طبعة بولاق .

من أهل المدر فإنهم لا يعشَقون إلَّا امرأة واحدة جعلوا عيشهم فداءها ولا يتغزَّلون ولا يفتخرون بنيل وصلها وإنما يُظهرون في شعرهم رقة القلب وشدة الحنو ويكثرُون في بيان الصَّابة وتوجُّع الكآبة وقلَّتْ الأشواق وألم الفراق وفَرَطَ الحُزن والغم واليأس وكلُّ ذلك مصوغٌ في قالب رشيق مترجم بلفظ رقيق وكلام لطيف عفيف لا يدخل فيه شيء من الخلعة والشهوة الدنيَّة . ومما استلفت أنظاركم إليه أنَّ هولاء الشعراء جميعهم من قبائل قاطنة في الحجاز أو شمالي اليمن ليست منازلها بعيدة عن أحد الحرمين فكانت مثلاً بنو عُقَيْل مقيمين بالتهامة عن جنوبي مكَّة وبنو لَيْث من كِنانة بظاهر المدينة وكانت بنو عُدرة يسكنون وادي القُرَى وما يليه في الطريق من المدينة إلى الحِجْر وتبوك . ثم ممَّا يجب تنبيهكم إليه أنَّ تلك القبائل إمَّا كانت بنواحي اليمن مقيمة أو من اليمن متأصلة كأنَّ رقة القلب أكثر في أهل اليمن منها في غيرهم<sup>(١)</sup> فورد في كتاب الأغاني<sup>(٢)</sup> عن المدائني ما نصه : « قال ابن دأب قلت لرجل من بني عامر أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئاً . قال أوقد فرغنا من شعر العقلاء حتَّى نروى أشعار المجانين إنهم لكثيرون . فقلت ليس هؤلاء أعنى إنما أعنى مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق . فقال هيَّهات بنو عامر أغلظ . أكباداً من ذاك إنما يكون هذا في هذه اليانية الضَّعافِ قلوبُها السَّخيفة عقولُها الصَّلعة<sup>(٣)</sup> رموشُها ، فأما نِزارُ فلا . ففى بعض الأشعار تلميحات إلى رقة قلب أهل اليمن ؛ ففى قصيدة

(١) قال ابن الفقيه المزداني في كتاب البلدان ص ٣٣ من طبعة ليدن ١٣٠٢ ما نصه : « ولما جاء أهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم أهل اليمن أرق قلوباً منكم وهم أهل من جاءنا بالمصافحة » .

(٢) كتاب الأغاني ج ١ ص ١٦٧ من طبعة بولاق وراجع أيضاً ج ١ ص ١٦٩ .

(٣) [مكلاً في طبعة بولاق وفي طبعة دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٣ : صلعة وهو الأصح] .

منسوبة إلى معجنون لَيْلَى العاشق الساكن في نَجْد<sup>(١)</sup> :

ولمَّا نَى بِمَائِى الْهَوَى مُنْجِدُ النُّوَى      سَبِيلَانِ أَلْقَى مِنْ خِلَافِهِمَا جَهْدًا

ولعل من أقدم من اشتهر من هؤلاء الشعراء العشاق الذين ضُربت بهم  
الأمثال وكثرت فيهم الحكايات والروايات الخيالية في كتب الأدب توبة  
ابن الحمير من قوم بنى عُقَيْل (وهى فرع من ربيعة بن عامر بن صعصعة)  
كان كثير الغارات على أعداء حيّه فقتل في إحدى غاراته في مدّة خلافة  
معاوية (٦٦١ - ٦٨٠). وعشقه لليلَى الأخيلية وشعره فيها مشهوران. ومن  
مُستجد شعره هذان البيتان<sup>(٢)</sup> :

لَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلَةَ سَلَّمَتْ      عَلَى وَدُونِ تَرْبَةٍ وَصَفَائِحُ  
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبِشَاشَةِ أَوْ زَقَا      إِلَيْهَا صَدَّامِنِ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ  
ومن أجود ما قاله قصيدة أولها<sup>(٣)</sup> :

نَأْتِيكَ بِلَيْلَى دَارُهَا لَا تَزُورُهَا      وَشَطَطُ نَوَاهَا وَأَسْتَمِرُّ مَرِيرُهَا

(١) كتاب الأغاني ج ٢ ص ١١ من طبعة بولاق. - وكان بنو عامر نزاريين وسكنوا في  
جبل السراة بأرض نجد.

(٢) البيتان مرويان في حسنة أبي تمام ص ٥٧٦ من طبعة بن أوج ٣ ص ١٥٠ من طبعة  
بولاق وفي الأغاني ج ١٠ ص ٨٢ من طبعة بولاق وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٧٠  
من طبعة لندن وفي الأغاني والحسنة يليهما بيت ثالث لا يتصل بمناه بما تقدم اتصالاً تاماً جلياً ويوجد  
في مكانه في كتاب ابن قتيبة وكتاب المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ (ص ١٨٩ - ١٩٠  
من طبعة لندن ١٨٩٨) البيت :

ولأن ليلَى في النساء لأصعدت      بطريق إلى ليلَى العين التوايح

صلى : طائر تقول عرب الجاهلية إنه يخلق من رأس المقتول ولا يزال يصيح في رأسه إذا لم يؤخذ بثأره  
يقول « اسقوني اسقوني» حتى يقتل قاتله .

(٣) أول القصيدة (٧ أبيات) في كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٢٦٩ - ٢٧٠ من طبعة  
لندن والباقي في كتاب الأغاني ج ١٠ ص ٦٩ من طبعة بولاق وبيتان في حسنة أبي تمام ص ٥٩٤  
من طبعة بن أوج ٣ ص ١٦٦ من طبعة بولاق وكل الأبيات في NOELDEKE, *Delictus veterum*  
*carminum arabicorum*, P. 5-6.

إِلَّا أَنَّهُ خَتَمَهَا بِأَبْيَاتٍ تَخْرُجُ عَنِ النَّسِيبِ وَتَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ قَطْعِهِ الْفِيَاثِ  
 الْهَائِلَةِ وَعَلَى اقْتِحَامِهِ الْأَخْطَارَ فَهِيَ عَلَى أَسْلُوبِ شِعْرِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ<sup>(١)</sup> :  
 وَأَذْمَاءُ مِنْ حَرِّ الْمَهَارَى كَأَنَّهَا      مَهَاةُ صَحَارٍ غَيْرُ مَا مَسَّ كُورُهَا  
 قَطَعْتُ بِهَا أَجَوَازَ كُلِّ تَنَوُّفَةٍ      مَخُوفٍ رَدَاهَا كَلِّمَا أَسْتَنْ مُورُهَا  
 تَرَى ضُعْفَاءَ الْقَوْمِ فِيهَا كَأَنَّهُمْ      دَعَامِبُضُ مَا جَفَّ عَنْهَا غَدِيرُهَا

أَمَّا سَائِرُ الَّذِينَ اشْتَهَرُوا مِنْ شِعْرَاءِ هَذَا الصَّنْفِ فَتَرَكَوْا كُلَّ شَيْءٍ مِنَ  
 الْحِمَاسَةِ وَوَصَفِ النَّاقَةِ وَالْقَفَارِ وَامْتَنَعُوا فِي قِصَائِهِمْ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ غَيْرُ وَصْفِ  
 حَالِ الْمَتِيمِ وَذَكَرِ حَرِّ الشَّوْقِ وَاللَّوْعَةِ . وَمِنْهُمْ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ الْكِنَانِيُّ اللَّيْثِيُّ  
 رَضِيعُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَاتَ سَنَةَ ٦٨ وَكَانَ مَنَزَلُ قَوْمِهِ فِي  
 ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ . وَمِنَ الْمَشْهُورِ أَنَّ لُبَيْنَ بْنَ بَنِي كَعْبٍ بْنَ خُزَاعَةَ وَهُمْ قَوْمٌ  
 أَصْلُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ وَسَكَنَاهُمْ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ بِسَرَفٍ<sup>(٢)</sup> ( بَيْنَ مَكَّةَ وَبَطْنِ مَرٍّ )  
 وَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ فَتَزَوَّجَهَا وَبَعْدَ مَلَّةٍ طَلَّقَهَا كَارِهًا فَذَابَ كَبِدُهُ وَجَدًّا عَلَيْهَا  
 وَصَبَابَةً بِهَا فَقَالَ فِيهَا الْقِصَائِدُ الْمُشْجِيَّةُ . فَعَلَى مَا يُرَوَّى<sup>(٣)</sup> « شُهِرَ أَمْرُ  
 قَيْسٍ بِالْمَدِينَةِ وَغَنَّى فِي شِعْرِهِ الْغَرِيضُ وَمَعْبَدٌ وَمَالِكٌ وَذُو وَهْمٍ فَلَمْ يَبْقَ شَرِيفٌ  
 وَلَا وَضِيعٌ إِلَّا سَمِعَ بِذَلِكَ فَطَاطَرَهُ وَحَزِنَ لَقَيْسٍ » . - وَمِنْ عُشَّاقِ الْعَرَبِ  
 الَّذِينَ قَتَلَهُمُ الْهَوَى عُرْوَةُ بْنُ حِزَامٍ الْمُعَذَّرِيُّ لَا يُعْرِفُ لَهُ شِعْرٌ إِلَّا فِي عَفْرَاءٍ وَهِيَ

(١) كتاب الأغاني ج ١٠ ص ٦٩ . آدم : أسمر - مها : نوع من البقر الوحشي - كور رجل -  
 أجواز جمع جوز وهو وسط الشيء - تنوفة المغازاة الواسعة - ردى يردى ردى هلك - استن اضطرب -  
 المور الغبار المتردد والتراب تثيره الريح - دعاميص جمع دعويس دويبه أو دودة سوداء تكون في التفران .  
 (٢) سرف بفتح السين المهملة وكسر الراء موضع على ستة أميال من مكة ( انظر معجم البلدان  
 لياقوت ج ٣ ص ٧٧ - ٧٨ من طبعة ليبسك ومعجم ما يستعجم للبكري ص ٧٧٢ - ٧٧٣ من طبعة  
 غوتنبيرج ١٨٧٦ ) وقيل في الأغاني ج ٨ ص ١١٣ من طبعة بولاق [ وكذا أيضاً في ج ٩ ص ١٨١ حاشية ١  
 من طبعة دار الكتب المصرية ] إن سرفاً على ستة أيام من مكة وهو تعريف .

(٣) كتاب الأغاني ج ٨ ص ١٢٨ من طبعة بولاق .

بنت عمّه كان تألفها إلفاً شديداً وهما صغيران يلعبان معاً فلما شبّا خطبها ولكن عمّه زوجها برجل من البلقاء تحملها إلى بلده عن شرق بحيرة لوط فتبعها نفسه واشتدّ وجداً بها حتى جُنّ فكان ذلك في أيام خلافة عثمان ابن عفّان (٢٣٢ - ٢٥٦) إن صحّ خبر مرتقٍ إلى الهيثم بن عدى<sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٢٠٦ أو ٢٠٧ أو ٢٠٩ فلذا كان عروة بن حزام أقدم الشعراء المتبعين المعروفين . وشعره لطيف ظريف لكننا لم نعثر على ذكر من غنّى فيه من المغنين قبل عهد بني العبّاس كأنّه لم ينتشر صيته إلّا نحو أواسط القرن الثاني .

ومن العذريّين أيضاً جميل بن عبد الله بن معمر وهو المقدّم على سائر شعراء النسيب من أهل البادية وقصته مثل قصّة عروة بن حزام أعنى أنّه «عشّق بُثينة [العذريّة] وهو صغير فلما كبر خطبها فردّها عنها فقال الشعر فيها»<sup>(٢)</sup> . وكان سكناه بنواحي تيماء ووادي القرى وقيل إنّّه مات سنة ٨٢<sup>(٣)</sup> وأشعاره مشهورة لحُسن اللفظ وصفااته وتديبج أجزائه ودقّة المعنى وهي صادرة عن قلب صادق الصباية والعشق . فمن أشهر أبياته قوله<sup>(٤)</sup> :

(١) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٩٧ من طبعة ليدن وكتاب الأغاني ج ٢٠ ص ١٥٧ سطر ٢ من طبعة بولاق وروج الذهب للمسعودي في الباب التاسع عشر بعد المائة (ج ٧ ص ٣٥٣ من الطبعة الباريسية) .

(٢) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٦٠ من الطبعة اليدنية .

(٣) قال ابن خلكان إنّ جيلاً توفي سنة ٨٢ هجرية في مصر (وفيات الأعيان عدد ١٤١ من طبعة فونتينج أو عدد ١٣٨ من الطبعات المصرية) وراجع حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ج ١ ص ٢٥٦ من طبعة مصر المطبوعة على الحجر - فاعني المستشرق الإيطالي Francesco Gabrieli جميع أبيات جميل العذري المتبذرة في كتب الأدب وغيرها وبسطها وانتادها (انظر مقالته *Giamil al-'Udri; studio critico e raccolta dei frammenti*, Rivista degli Studi Orientali, XVII, 1934, P. 40-71 et 133-172; *Contributi alla interpretazione di Giamil*, Riv. degli Studi Orientali, XVIII, 1939, P. 173-198. وفي نفس الوقت جمع بشير يموت أبيات جميل وطبعها بعنوان ديوان جميل في بيروت سنة ١٣٥٢) .

(٤) كتاب الأغاني ج ١ ص ٥١ وج ٣ ص ١٤٨ وج ٧ ص ٧٩ و ١٠٢ و ١٠٣ من طبعة بولاق وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٦٨ من طبعة ليدن .

خليلىّ فيما عِشْتُمَا هل رأيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى من حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي  
الذى أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ حِينَ قَالَ :

يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بَكَى من شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ

وَمَنْ الْغَرِيبَ أَنَّ صِبَابَتَهُ كَانَتْ سَبَبَ نُشُوبِ عِدَاوَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي الْأَحْبَبِ  
مِنْ عَذْرَةٍ وَهِيَ رَهْطٌ. بِشَيْئَةٍ فَهَجَّاهُمْ فَهَجَّرَهُ<sup>(١)</sup> وَهَذَا مِنْهُمْ لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ غَيْرُهُ  
مِنْ شُعْرَاءِ هَذَا الصَّنَفِ. وَلَمَّا أَشْتَدَّ التَّهَاجَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَوَّاسِ بْنِ قُطَيْبَةَ أَحَدِ  
بَنِي الْأَحْبَبِ تَنَافَرَا إِلَى يَهُودِ تَيْمَاءَ فِي قِصَّةٍ تَجَدُّدُنِهَا فِي كِتَابِ الْأَغَانِي<sup>(٢)</sup>.

أَمَّا مَنْ نَالَ فِي الشُّهُرَةِ الْغَايَةَ الْقُصُورَى مِنْ قَتْلِ الْهَوَى وَذَلِكَ لَوْفَرَةٍ مَا  
رَوَى فِيهِ مِنَ الْقِصَصِ الْمُتَّصِلَةِ وَالْمُنْقَطِعَةِ وَمِنَ الْأَخْبَارِ الْمُنْشُورَةِ وَالْمَنْظُومَةِ قَيْسُ  
ابْنِ الْمُلُوحِ الْعَامِرِيُّ الْمَلَقَّبُ بِالْمَجْنُونِ أَوْ مَجْنُونُ بَنِي عَامِرٍ أَوْ مَجْنُونُ لَيْلَى  
لِذَهَابِ عَقْلِهِ بِشِدَّةِ عَشْقِهِ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ الَّتِي كَرِهَ أَبُوهَا أَنْ يَزُوجَهَا لِإِيَّاهَا  
فَزُوجَهَا رَجُلًا آخَرَ. وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ الرِّوَاةَ ذَهَبُوا كُلُّ مَذْهَبٍ فِي نَقْلِ  
رَوَايَاتِهِ وَأَخْبَارِهِ وَفِي وَصْفِ شِدَّةِ وَجْدِهِ الَّذِي أَصْفَرَّ بِسَبَبِهِ وَشَحَبَ وَهَزَلَ وَأَخَذَ  
يَهِيمُ فِي الْقِفَارِ مَعَ الْبَهَائِمِ وَيَتَوَحَّشُ مَعَ الْوَحْشِ فِي الْبَرَارِىِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الْحِكَايَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ. فَزَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ قَطُّ. وَلَا عَرَفَ فِي الدُّنْيَا  
إِلَّا بِأَسْمِ الْمَجْنُونِ لِأَنَّهُ وَضَعَهُ الرِّوَاةَ فَيُعَزَّى إِلَى ابْنِ الْكَلْبِيِّ النَّسَابَةِ الشَّهِيرِ الْمُتَوَفَّى  
سَنَةَ ٢٠٤ أَوْ ٢٠٦ هَذَا الْقَوْلُ :<sup>(٣)</sup> «حَدَّثْتُ أَنَّ حَدِيثَ الْمَجْنُونِ وَشِعْرَهُ وَضَعَهُ  
فَتًى مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ كَانَ يَهُودِيَّ ابْنَةَ عَمٍّ لَهُ وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُظْهَرَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا  
فَوَضَعَ حَدِيثَ الْمَجْنُونِ وَقَالَ الْأَشْعَارُ الَّتِي يَرُويهَا النَّاسُ لِلْمَجْنُونِ وَنَسَبَهَا

(١) كتاب الأغاني ج ٧ ص ٩٣ و ٩٤ و ١٠١ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٩ ص ١١٢ - ١١٣ وقيل في كتاب الشعر لابن قتيبة (ص ٢٦١ من  
طبعة لندن) إن جواساً كان أخاً بشيئة وأحب أخت جميل وهذا على الأرجح غير صحيح .

(٣) كتاب الأغاني ج ١ ص ١٦٧ من طبعة بولاق .

إليه . « وفي قول يرتقى سندهُ إلى عَوَانة بن الحَكَم الكَلْبِي<sup>(١)</sup> المتوفى سنة ١٤٧ :  
 « المجنون اسم مستعار لا حقيقة له وليس له في بنى عامر أصل ولا نسب .  
 فسئل مَنْ قال هذه الأشعار فقال فتى من بنى أمية » . أما غيرهما من علماء  
 اللغة والأدب فما شكوا في وجود المجنون فقال الأصمعي<sup>(٢)</sup> المتوفى نحو سنة  
 ٢١٦ : « لم يكن مجنوناً ولكن كان فيه لُوثَة كلوثة أبي حية النَمِيرِي » .  
 وزاد فيه ابن قُتَيْبَة<sup>(٣)</sup> : « هو من أشعر الناس على أنهم قد نحلوه شعراً  
 كثيراً رقيقاً يُشَبِّه شعره » . فهذا أيضاً رأى الجاحظ . حيث قال<sup>(٤)</sup> :  
 « ماترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في ليلٍ إلا نسبوه إلى المجنون ولا شعراً  
 هذه سبيله قيل في لُبْنَى إلا نسبوه إلى قيس بن ذَرِيح » . فلذلك قال  
 صاحب كتاب الأغاني في ترجمة مجنون ليلى<sup>(٥)</sup> : « وأنا أذكر ممّا وقع إلى  
 من أخباره جُملاً مستحسنه متبرئاً من العُهدة فيها فإن أكثر أشعاره المذكورة  
 في أخباره ينسبها بعض الرواة إلى غيره وينسبها من حكيت عنه إليه وإذا  
 قدّمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعنٍ ومتبّعٍ للعيوب » . وعلى كلّ حال  
 لا شك أن شهرة المجنون وشعره قد ذاعت بعد منتصف القرن الأوّل للهجرة  
 إذ غنّى في شعره ابن مُحَرَّر والأخضر الجديّ من مُغنّى المدينة في ذلك العصر  
 فكان المجنون معاصراً لقيس بن ذريح إن صحّت الرواية المذكورة عن الهيثم  
 ابن عدى في كتاب الأغاني<sup>(٦)</sup> وكتاب الشعر والشعراء لابن قُتَيْبَة<sup>(٧)</sup> وكتاب

(١) كتاب الأغاني ج ١ ص ١٦٩ .

(٢) كتاب الأغاني ج ١ ص ١٦٧ وكتاب الشعر والشعراء لابن قُتَيْبَة ص ٣٥٥ من طبعة  
 لندن . لُوثَة : من الجنون .

(٣) كتاب الشعر ص ٣٥٥ من الطبعة المذكورة .

(٤) كتاب الأغاني ج ١ ص ١٦٩ من طبعة بولاق .

(٥) كتاب الأغاني ج ١ ص ١٧٠ من طبعة بولاق .

(٦) كتاب الأغاني ج ٢ ص ١٤ - ١٥ وأصحح ج ٢ ص ١٧ ( لقاء لقيس بن ذريح ) .

(٧) كتاب الشعر ص ٣٦٠ - ٣٦٣ من طبعة لندن .

مروج الذهب للمسعودي<sup>(١)</sup> ثم من المشهور أن أهل التصوف بعد القرن الخامس أحبوا قصة المجنون وليلى لما رأوا فيها من أسنى الكناية عن أسرار النفس البشرية ومن الرمز إلى اشتياق النفس الخالية عن الأهواء الدنية إلى الرجوع إلى الله والاقتران بذاته . فبقيس بن الملوّح المجنون وهواه مثلوا الذى وصل إلى أسنى منزلة من الطهر والعفاف وأشاروا إلى شدة حبه لله وشوقه إلى وصله . أما ليلي الطاهرة الموصوفة بغاية الرونق كأن جمالها لا يُحْتَمَلُ وجمالها منقطع النظر فصارت عندهم إشارة إلى بهاء اللاهوت ولألاء النور الأزلي فكثُر ذكر ليلي العامرية وعوالى نجد في ديوان عمر بن الفارض وذهبت شعراء القُرْس والتَّرك إلى نظم الأناشيد الطويلة المحتوية على ألوف أبيات بلُغَتهم يَقْصُصُون فيها قصّة أخبار ليلي والمجنون إشارة إلى أسرار الطُّرُق الصوفية .

ومن شعراء أهل القبائل المقدّمين المشتهرين بهذا النوع من النسيب أبو صخر الهذلي وكثير عزة ولكن بما أنهما ذهبا أيضاً إلى قول الشعر في المديح والهجاء والسياسة والمباحث الدينية وجالسا بنى أمية بدمشق أرى من المناسب عليهما من غير هذا الصنف .

٣ - فلننتقل إلى الكلام على شعر الصنف الثالث أعنى الشعر على أسلوب فحول الجاهلية .

قد تقدّم وصف كَلَف أهل المدن الحجازية في القرن الأول بنوع من الشعر كاد لم يسبق إليه مشاهير القدماء وهو الغزل الذى لم يتعاطَ غيره شعراء مكّة والمدينة والطائف في ذلك العصر . وتقدّم أيضاً أن شعراء أهل القبائل في الحجاز وما يليها من أراضى نجد واليمن اختصوا بالنسيب وأفردوا له

(١) في الباب التاسع عشر بعد المائة ج ٧ ص ٣٥٦ - ٣٦٠ من الطبعة البازيسية .



القصاصد الرائقة الطويلة خلافاً لعرف نوابغ الشعراء قبل الإسلام . فبالجملة وجدنا في الحجاز للشعر انقلاباً شديداً وانحرافاً ظاهراً عن أساليبه القديمة . ولكن إذا التفتنا إلى الشام وأمعنا النظر في حال الشعر بدمشق عند بنى أمية إلى آخر القرن الأول تعجبنا من وجود قريض الشعر هناك جارياً معجى فذون الشعر الجاهليّ وكون أكثر الشعراء الوافدين على الخلفاء الأمويين النائلين منهم الجوائز البهية الجزيلة مقتدين في نظمهم الجيد بن سبقتهم قبل ظهور الإسلام . وحسبنا ذكر الأخطل وجريز والقرزدق وذى الرمة . وما سبب بقاء الأساليب القديمة في نفس عاصمة الشام على تقلبها بأرض الحجاز ؟

أوضحت فيما تقدّم تغيير أحوال مدن الحجاز الاجتماعية بعد ظهور الإسلام وزيادة الثروة والرفاهية والتّرف فيها وقلة اشتغال أبنائها بالأغنياء بأمور الحرب والسياسة وعدم اعتنائهم بالعلوم النظرية العقلية المجهولة إذ ذاك للأمة العربية . فرأيت أنّ تلك الأحوال الخاصة كانت سبباً لحصر شعراء المدن الحجازية شعراً في النسيب والغزل ونهجهم في ذلك طرُقاً غير مألوقة عند نوابغ شعراء الجاهلية الذين كانوا جميعهم يسكنون بعيداً عن تلك المدن . أمّا أحوال الشام في القرن الأول فإنّها مختلفة عن أحوال الحرمين . كان معظم أهل الشام من غير الناطقين بالضاد فلم يمكنهم تعاطي الشعر العربيّ ولا فهم محاسنه فمن الضروريّ أن ينفرد به هناك العرب المقيمون ببادية الشام من زمان قديم أو المرتحلون عن الأنحاء الشامية في عهد الفتوح وبعدها . ومن جمع الأخبار المتفرقة في كتب العرب والروم وأعمل فيها الفكر تلقى أنّ مدن الشام الكبيرة مثل دمشق والقُدس وحِمص وأنطاكية بقيت إلى أواخر القرن الأول على ما كانت عليه قبل الفتح الإسلامي تقريباً

لقلّة مَنْ استوطنها من العرب فإنّهم اختاروا السُّكْنَى في المدن الصغيرة والقرى لا سيّما فيما يلي أطراف البادية مثل الرُّصَافَة وتَدْمُر وحَرَّارِين وجَابِيَة<sup>(١)</sup>. ثمّ إن قطعنا النظر عن رجال السياسة ورؤساء الجنود وهم كما تدرون أغلبهم من قُرَيْش مثل بنى أميّة وجدنا أنّ الذين أقاموا بالشام من العرب إنّما كانوا من أهل البادية والقبائل لا سيما من نجد واليمن لأنّ سكان مكّة والمدينة والطائف والمدن اليمنية الكبرى لم يفارقوا أوطانهم ذات ثروة ورخاء للاستقرار في بلاد بعيدة. ولعلّ اليمنيين والذين انتسبوا إلى قحطان فاقوا في الشام القيسيين عدداً فلم إليهم خصوصاً استند الأمويون لتأييد ملكهم<sup>(٢)</sup>. ثمّ زيدوا على ذلك أنّ الأوّل من خلفاء بنى أميّة لأغراضهم السياسية أحبّوا المصاهرة في كلّب وهم قبيلة عظيمة من أولاد قحطان القُضَاعِيّين سكنوا المفاوز الواسعة الواقعة بين نجد والعراق والشام فلمهم تَدْمُر وسَلِيمَة وتَبُوك ودُومَة الجَنْدَل وبادية السَّوَاة فتزوّج معاوية بن أبي سفيان امرأتين كليبتين أعنى نائلة بنت عمّار وميسون بنت بَحْدَل فولدت له ميسون يزيد الذي لما شبّ تزوّج امرأة كليبة أيضاً<sup>(٣)</sup>. فكانت أهل البدو يفدون إلى بنى أميّة أفواجا فلاحظهم الخلفاء وأنعموا عليهم ومن الجدير بالذكر أيضاً أنّ عبشة الصبريان والروم القاطنين بالمدن الشامية لم تنزل قليلة التأثير في أميال العرب وعوائلهم إلى نحو أواخر القرن الأوّل ولا فتنتهم ولا أخذت بمجامع قلوبهم كأنّ حُبّ البادية أشدّ من

H. LAMMENS, *Etudes sur le règne du calife omayyade Mo'awia Ier*, Beyrouth (١) 1908, P. 8; H. LAMMENS, *La Bâdia et la Hira sous les Omayyades*, Mélanges Faculté Orientale, Beyrouth 1910, IV, P. 91 n. 1 [ *Etudes sur le siècle des Omayyades*, Beyrouth 1930, P. 325].

A. VON KREMER, *Culturgeschichte des Orients unter den Califen*, Wien 1875-77, (٢) II, P. 141; LAMMENS, *Etudes sur ... Mo'awia Ier*, P. 8-9, 50-54.

(٣) أما مصاهرة معاوية يزيد في بنى كلّب فانظر ما قاله الأب لانس في كتابه :

*Etudes sur ... Mo'awia Ier*, P. 309-312, 418.

الرغبة في سعة العيش والتعرف ولذات المدن . وعلى ذلك دلائل متعددة اعتنى حديثاً بجمع أهمها الأب هنري لامنس<sup>(١)</sup> فقال إنَّ العرب بعد الفتح عند احتلالهم البلاد الممصرة « رأوا فيها أنفسهم كالعريب الذي اعتاد سكنى وطنه فلا يطبق العيشة في غيرها . وكذلك العرب فإنَّ مدن الشام مع سعتها ضاقت عليهم بعد توطنهم في البوادي يتجولون فيها كيف شاؤوا . وكانَّ عمر بن الخطاب شعر بما لقيه العرب من الجهد والعناء في سكنى المدن فأراد أن ينشئ لهم في العراق على طَرَف الصحراء دساكر<sup>(٢)</sup> يقطنوها ليعتادوا التمسير والعيشة المدنية تدريجاً كما يؤخذ من روايات فتوح البلدان للبلاذري [المتوفى سنة ٢٧٩] . وليس البصريتان في العراق أى البصرة والكوفة كما الفسطاط في مصر سوى مقامات كهذه متوسطة بين الحضرة والبدو . والحق يقال إنَّ العرب الأولين بعد خروجهم من مواطنهم البدوية واحتلالهم الأمصار كانوا يهيمون إلى البادية ويحشون إلى نوقها ليرتووا من ألبانها ، وذلك ما كانوا يدعون به بالعيمة أى شهوة اللبن وأن لا يصير عنه الإنسان . . . فكانت العيمة كالداء المعروف في أيامنا بداء الوطن . (nostalgie) ولنا على ذلك شواهد عديدة » . منها مثلاً ما يروى في مُسند أحمد بن حنبل<sup>(٣)</sup> أنَّ النبي خاف على أمته أنَّهم « يُحبُّون اللبن فيلِدَعُون الجماعات والجمع ويبدون » . ومما يروى في الشاعر الصباحي النابغة الجعدي أنَّه بعد قضاء أعوام في المدينة أَرَادَ الرجوع إلى قومه فدخل على عثمان بن عفان فقال أستودعك الله يا أمير المؤمنين قال وأين تريد يا أبا ليلى قال الْحَقُّ بلِئلى فأشرب من ألبانها

(١) LAMMENS, *La Bédia et la Hîra sous les Omayyades*, P. 91-119 [Études sur le siècle des

[Omayyades, PP. 925-950.] وراجع ملخص هذه المقالة في المشرق ج ١١ سنة ١٩٠٨ ص ٧٦٥-٧٧٣ .

(٢) الدسكرة : القرية العظيمة .

(٣) مسند ابن حنبل ج ٤ ص ١٥٥ من طبعة مصر ١٣١٣ .

فأوى مُنكر لنفسى فقال أتعرباً بعد الهجرة يا أبا ليلى ؟ ! أما علمت أن ذلك مكروه ؟ قال ما علمته وما كنت لأخرج حتى أُعْلِمَكَ . قال فأذن له وأجل له في ذلك أجلاً<sup>(١)</sup> . قال الأب لأمنس : « ففى إنكار عثمان على النابغة فعله نظر لأن الخليفة كان يجد فى شوق العرب إلى باديتهم خطراً على الدولة إذ أنهم لو رجعوا إلى مضاربهم لعدلوا عن ضبط الأمصار وأنفوا الجهاد فيبقى عليهم أعداؤهم ويسترجعون منهم الأمصار التى فتحوها بعد الحروب الطويلة والمشقات المصنّية . فملافة لهذا الخطر أمر الخلفاء الراشدين بالأبدى العطاء لغير المهاجرين . وفى صحيح البخارى ( ٤ : ١٨٥ ) أن الحجاج أخذ على بعض الصحابييين فى زمانه اعتزالهم عن المدن . والكتبة الأولون كانوا يفرقون بين العرب والمهاجرين فيدعون ساكنى المدن بالمهاجرين وسكنة البادية بالعرب ومنه قول القطامى فى اتفاق العرب على تسويد ربيعة :  
فليس من الأحياء إلّا مسودّ ربيعة أعرابية ومهاجرة  
« ولنا فى تفضيل العرب للبادية على الحضرة عدّة شواهد فى تاريخ النهضة الإسلامية فمن ذلك أن بنى كلب لما طردتهم قيس من مفاوز السماوة والجاتهم إلى سكنى سواحل الشام كانوا يعدّون أنفسهم هناك كالمنفيين يتوقون إلى مواطنهم البدوية . قال زفر بن الحارث<sup>(٢)</sup> :

يا كلب قد كلب الزمان عليكم وأصابكم منى عذاب مرسل  
إن السماوة لا سماوة فالحقى بالغور فالأفحاص بئس الموقل  
فجنوب عكا فالسواحل إنها أرض تلذّب بها اللقاح ونهزل

(١) كتاب الأغاني ج ٤ ص ١٣١ من طبعة بولاق [ راجع مقالة مريم نلينو an-Nabighah al-Ghazali e la sua poesia فى Rivista degli Studi Orientali, XIV, 1934, P. 983-984 .  
(٢) كتاب الأغاني ج ٢٠ ص ١٢٤ . لقاح جمع لقحة وهى الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

«وكانت هذه القبائل تُعدُّ واحة دُومة الجندل الغنَّاء وعاصمة الشام نفسها لقربها من الغوطة كمنازل وبيئة تنهك حُمَيَّاتُها قواهم» وذلك سبب قول الأخطل<sup>(١)</sup> :

كِرِهْنُ دُبابِ دُومة إِذْ عفاها      غَدَاةُ تِثَارُ لِمَمَوْنَى الْقُبُورِ  
وقوله<sup>(٢)</sup> :

سقى الله منه دارَ سَلَمَى بَرِيَّةٍ      على أَنَّ سَلَمَى لَيْسَ يُشْفَى سَقِيمُهَا  
من العربيات البوادي ولم تكن      تُلوِّحُهَا حُمَى دِمَشْقَ وَمُومِهَا  
وفي دُرَّةِ الْغَوَاصِ لِلْحَرِيرِيِّ وشرحها للخفَّاجي ومُعْجَم البلدان لياقوت عدَّة  
أشعار من نسيج أهل البادية تصف كراحتهم للإقامة بالمدن مغتربين وشدة  
شوقهم إلى البراري<sup>(٣)</sup> فمن أشهرها شعر يُنسب إلى مَبْعُوثٍ بنت بَحْدَلِ الْكَلْبِيَّةِ  
قالت لما تزوّجها معاوية وهو والى الشام وقيل لأنه ليسون بنت جندل الْفَزَارِيَّةِ<sup>(٤)</sup> .  
وما كان هذا الاستنكاف من عيشة المدن ممَّا اختصَّت به العوام بل إننا  
نجد في كل طبقات الناس حتَّى عند الأمراء والوجوه .

قال الأَبْ لَامَنْس : « ولَمَّا جعل معاوية كرسى ملكه في الفيحاء وترتب  
على الأمويين أَن يتخذوها كالمُنْبَرِ الْغَرْبِيِّ لم يزلوا يَحْتَوُّونَ إلى مفاوز البادية  
ولعلهم لم يسكنوها مطلقاً لولا بيعة الخلافة . وفي واقع الحال لا ترى من بنى  
أُمِيَّةً أَحَدًا أَطال الإقامة في دمشق إلَّا معاوية وعبد الملك . أمَّا الآخرون فكانوا

(١) ديوان الأخطل ص ٢٠٣ سطر ٤ من طبعة بيروت سنة ١٨٩١ [إلى ١٩٢٥] .  
الذباب : الطامون .

(٢) ديوان الأخطل ص ١٢١ سطر ٥ - ٦ من الطبعة المذكورة - لوح السفر أو العطش  
فلاناً غيره وسفع وجهه - المرم البرسام pleurésie

(٣) بعض هذه الأشعار مروية في NOELDEKE, *Delictus veterum carminum arabicorum*,

(٤) الأبيات مروية في كتاب دُرَّةِ الْغَوَاصِ لِلْحَرِيرِيِّ ص ٢٤ من الطبعة القسطنطينية سنة ١٢٩٩ .

يأنفون السكفي فيها فيُسرعون إلى البَيْداء ولا سيّما الوليد بن يزيد قال ابن عبد ربّه<sup>(١)</sup> : « فلما وَلِيَ الأمرَ جعل يكرهُ المواضع التي يراه الناس فيها فلم يدخل مدينة من مدائن الشام حتى قتل ولم يزل يتنقّل ويتصيّد » . وكان الأمويّون يقصّدون البادية أيضاً ليحافظوا على فصاحة العربيّة فلا يفسد لسانهم برطانة أهل المدن . وقد اختبر عبد الملك الأمر بابن الوليد فإن ابن عبد ربّه<sup>(٢)</sup> روى عنه أنّه تراخى في تأديب ولده فكان لحناً . وقال عبد الملك : أضررنا في الوليد حيناً له فلم نوجّههُ إلى البادية . ولمّا خلف الوليد أباه لم يشأ أن يكون ابنه رَوْح مثله فأنزله بين القبائل فنشأ في البادية فكانّه أعرابي . وعلى هذا المنوال صارت البادية كمدرسة للأمرء . وبالإجمال يمكن القول بأنّ الطبع الغريزيّ والوراثة الجديّة كانا يحمِلان العرب على الرجوع إلى منشأهم فيخرجون إلى البادية غاية إمكانهم وذلك في الشام كما في العراق وفي مصر كما في الحجاز فإنّ عبد العزيز [وهو أمير من بني أميّة] اتخذ له في مصر باديةً فجعلها في حلوان وكذا كان يفعل العلويّون في الحجاز بخروجهم إلى المساكن البدوية » .

كانت العرب تعنى بلفظ التّبَدّي خروج أشرفها إلى البريّة بعد انتهاء هطل الأمطار وإقامتهم بالصحرى بقيّة سنتهم كأنّ البرارى مصيف يعتزلون فيه عن ضوضاء المدن ويرتاحون ويتنزهون . فكانت هذه أيضاً عادة الأمويّين . قال الأب لأمّس : « أمّا النواحي التي كانوا يجلّون فيها فكانت غالباً في بادية الشام أو ما كان بجوارها فإنّ معاوية كان يشتمو

(١) كتاب العقدج ٢ ص ٢٧٢ من طبعة مصر ١٣٠٥ عن أبي الحسن علي بن محمد المدني المتوفى سنة ٢١٥ وقيل ٢٢٥ وقيل ٢٣١ .

(٢) كتاب العقدج ٢ ص ٢٥٨ من طبعة مصر ١٣٠٥ وانظر أيضاً ج ١ ص ٢٢٤ .

بالصنبرة<sup>(١)</sup> في الأردن . . وكذلك عبد الملك سكن الصنبرة مدة . إلا أن أكثر الأمويين اتخذوا لهم منازل في بادية الشام كما روى صاحب الأغاني والطبري وابن عساكر فإن هؤلاء المؤرخين وغيرهم أيضاً لا يكادون يذكرون خليفة منهم إلا ذكروا أيضاً تبديّة . فإن يزيد بن معاوية كان يقضى معظم سنته في حواريين<sup>(٢)</sup> . وسكن ابنه خالد في البلقاء في قصر فُذَيْن حيث كان أيضاً سعيد أحد أقاربه . وكان عبد الملك بعد رجوعه عن الصنبرة يقضى شهر آذار في العجاية وكان له منتزه آخر في دومة الجندل . وكان خلفاء عبد الملك مواظبين على التبديّة إلا عمر بن عبد العزيز [٩٩ - ١٠١] الذي سكن بلدة خُناصرة - أمّا منزل الخلفاء في البادية فكان يختلف فـعنهم من كان يكتفى بضرب الخيم والسكن في المضارب كما أخبر . . عن هشام ابن عبد الملك [١٠١ - ١٠٣] . . لكن تلك المنازل إنّما كانت مؤقتة فلم يوضع بها الخلفاء فآثروا بناء الدور الرخبة والقصور الجميلة . والمرجح أن بعضهم لم يعمدوا إلى أبنية جديدة واكتفوا بأن أصاحوا ما وجدوه من الأبنية القديمة في طرف البادية حيث كانت تُخوم الرومان . . ولما احتلوا تلك المباني التي سبقهم إلى تشييدها الروم زادوها جمالاً بما ألحقوا بها من المقاصير وزينوها بالزخارف والمحسنات فاتخذوا الحمامات وجعلوا فيها الأحواض وشيّدوا لها المشارب<sup>(٣)</sup> والعُلَيّات وازدانوا المعاهد بالنقوش والتصاوير .

ليس هذا موضع وصف قصور بني أمية في البادية لاسيما في البلقاء عن شرقي بُحَيْرَة لوط التي اكتشفها في العشر السنين الأخيرة علماء المشرقيات وألّفوا فيها الكتب الضخمة النفيسة . وبعض تلك الأبنية والقصور ورد

(١) الصنبرة موضع بين طبرية ونهر الأردن عند محل خروج النهر من بحيرة طبرية .

(٢) حواريين موضع بين دمشق وتدمر على مرحلتين من تدمر وبها مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ .

(٣) مشارب جمع مشربة وهي التروقة العلية .

أسمائها في نفس تأليفات العرب القديمة وأشعارهم مثل الموقر والقسطل والزيزاء  
 وفدّين وأباتر والتجّراء والأزرق والأغذف وبعضها لا نعرف إلا أسماءها المتداولة  
 في أيّامنا عند أهل تلك البراري وأفخرها وأفخمها قصير عمرة المزخرّف  
 حيطانها بالتصاوير الملوّنة العجيبة وهو ممّا بناه الوليد بن عبد الملك  
 (٨١٠ - ٩٦٠) والمشتى (أو المشتى على نطق الأعراب) ذو النقوش  
 البديعة المحفوظة الآن في أحد متاحف برلين وهو على الرأى المرجّح  
 المقبول قصر بناه يزيد بن عبد الملك (٧٢٠ - ٧٤٠) ليعيش فيه مع جاريته  
 حبابة ولم يُتِمّه لموت عشيقته الذي سبق قتله ببسبر<sup>(١)</sup>. فمن اعتبر تلك  
 الأبنية استجد قول عثمان بن الوليد بن عمارة القرشي بعدما ذكر فِعْلَ الدهر  
 بملوك بني أمية<sup>(٢)</sup>.

فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم فقروا سوى الذكر والآثار إن ذكرُوا  
 استلذت قليلاً بهذا البيان لأهميته ولا أرى في ذلك ضرراً لأنني في  
 هذا المختصر الصغير السابق للبحث المستقصى عن بعض المسائل الخاصّة  
 أحبّ إيجاز الكلام فيما هو معروف والإطناب فيما هو غير متداول وإن عُدّت  
 موازنة أجزاء البيان . - أمّا خلاصة ما شرحته في الصحف السابقة فإثبات  
 ما هو آتٍ: ١ أن معظّم الذين انتقلوا من جزيرة العرب إلى بلاد الشام للإقامة  
 بها في زمان الفتح وبعده كان من أهل القبائل لا سيّما اليمنية أو المنسوبة  
 أصلها إلى اليمن . ٢ أن رجال قريش المرتحلين إلى أنحاء الشام كانوا من

(١) خطأ جرجي أفندي زيدان حين نسب بناء المشق والقسطل وقصور غيرها إلى بني هاشم  
 (كتاب العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١٩٥ من طبعة مصر ١٩٠٨ ثم في مقاله في سوران المدرجة  
 في مجلة الهلال السنة التاسعة عشرة عدد ديسمبر ١٩١٠ ص ١٤٣ - ١٤٤) وإنما اخترت برسمه  
 دوسر (Dussard) في أول اكتشاف تلك المباني وهو ظن فاسد كما أظهره بعد روسو علماء الشرقيات .  
 (٢) حسنة البحري ص ١٣٤ سطر ١ من طبعة ليدن أو ص ٨٩ عدد ٤٠٠ من طبعة بيروت .



أهل العقد والحلّ مشغولين بأمور السلطان والسياسة والحرب لا يتعاطون الشعر على محبتهم له وتعظيمهم لقائليه . ٣ إنَّ سكَّان المدن الشامية الكبرى وهم سريان وروم لم يزلوا مدّة طويلة بعد الفتح قليلى المعرفة باللغة العربيّة غيرَ معتنين بشعرها وعلى مثل ذلك فى العراق إلّا أنّ سكَّانها الأصليين فرس وآراميون . ٤ إنّ الأعراب المهاجرين إلى الشام والعراق سواء كانوا من الخواصّ أم من العوامّ لم يزلوا هائمين ببوادى أوطانهم كارهين عيشة المدن والإقامة بها . — فإن كان الأمر كذلك لم نتعجّب أنّ الشعراء الوافدين إلى خلفاء بنى أميّة وأمراءهم فى القرن الأوّل صاغوا نظمهم فى قالب شعر من سلف من فحول شعراء الجاهليّة ونهجوا طُرُقهم فى عمل القصائد على الأسلوب القديم فى المديح والافتخار والحماسة والنسيب والهجاء وذكر الخمر .

أجمع علماء اللغة والأدب على أنّ الذين أدركوا أسمى منزلة فى الشعر العربى فى أيام بنى أميّة ثلاثة : الأخطل والفَرَزْدَق وجَرِير وهم من أهل القبائل ومن شعراء الصنف الثالث الذى نحن بصدده . وأقدمهم سنّا الأخطل<sup>(١)</sup> الذى لا نعرف سنة ولادته ولا سنة موته على وجه التحقيق<sup>(٢)</sup> وما يُستخرج من المصادر القديمة الموثوق بها إنّما هو أنّ الأخطل أخذ يشتهر فى الشعر وهو شابّ على عهد معاوية (٤١١ - ٦٨٠) كما يظهر أيضاً من ديوانه وأنّه مات فى خلافة الوليد بن عبد الملّا الذى تولّى الأمر من سنة ٧٠٥ إلى سنة ٧١٥ . وكان نصرانياً كمُعظم بنى تغلب<sup>(٣)</sup> وهم قبيلة عظيمة

(١) واسمه غياث بن غوث بن الصلت التغلبى .

(٢) قال الأب صالحى فى مقاله التى سماها الأخطل ومعلقة بن هبيرة (فى مجلة المشرق ج ١٤ سنة ١٩١١ ص ٨٤٣ - ٨٤٣) إنّ الأخطل ولد فى سنة ٦٣٠ - ٦٢٩ بالتقريب ومات سنة ٧١٠ تقريباً وفى هذه المقالة أيضاً بحث نقدى فى فن الأخطل .

(٣) وهم من الذين وصفوا المسيح بالطبيعة الإلهية فقط (Monophysites)

من ربعة سكنت في القرن الأول قسماً كبيراً من برية الجزيرة أعنى القسم المحدود بحدار الموصيل وسنجان شمالاً ونهر دجلة شرقاً ومدار تكويت وعانة ونهر الفرات جنوباً ونهر الخابور غرباً وهي برية متسعة جداً يقطعها نهر الدثار . ولكن لولا ما يروى في كتاب الأغاني من تمسكه يدينه ومن احترامه وخضوعه التام لرؤساء ديانتهم<sup>(١)</sup> ولولا الأبيات الثلاثة التي قالها إنكاراً لدعاه عبد الملك إياه إلى الإسلام<sup>(٢)</sup> ثم لولا ما قال فيه جرير معرضاً به<sup>(٣)</sup> حاجياً له لتشككنا فيه بعد مطالعة ديوانه أهو مسلم أم نصراني . فإنه مزج أحياناً الديانيتين فقال<sup>(٤)</sup> :

إني وربُّ النصراني عند عياليهم والمسلمين إذا ما ضمَّها الجُمعُ  
وربَّ كلِّ حبَّيس فوق صومعة يُمسي ولا همَّة الدنيا ولا الطمَعُ  
لقد ملَّختُ قُرَيْشاً واستعنتُ بهم إذا أنا ما صُحبتُ هَجَعُوا  
وقال يهجو بني أسد<sup>(٥)</sup> :

فأما تَمَنِّيكمُ قُرَيْشاً فإنَّها مصابيحُ يَرْمِيها بعينيهِ ناظِرُ  
فما أنتم منها ولكنكم لها عبيدُ العصا مادام للزيتِ عاصِرُ  
فما خُصِمَتْ أكنافُكمُ لنُبُوَّةٍ وأستاهُكمُ قد أنكرتْها المنايرُ

(١) كتاب الأغاني ج ٧ ص ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٣ من طبعة بولاق .

(٢) ديوان الأخطل ص ١٥٤ سطر ٢ - ٤ من طبعة بيروت سنة ١٨٩٢ [ - ١٩٢٥ ] .

(٣) ديوان جرير ج ١ ص ١١ سطر ٤ و ص ١١٧ و ١٣٤ ج ٢ ص ٢٩ و ٥٦ و ٨٠ و ١٤٩ من طبعة مصر ١٣١٣ [ أو ص ٢١ سطر ٢ و ص ٢٦٢ و ٢٩١ - ٢٩٢ و ٤١٤ و ٤٥٠ و ٤٧٤ و ٥٧٦ من طبعة مصر ١٣٥٤ ] .

(٤) ديوان ص ٧١ - ٧٢ من الطبعة المذكورة .

(٥) ديوان الأخطل ص ٣١٦ وانظر أيضاً حواشي الأب صالحاني ص ٥٠٠ . أما الشطر الثاني من البيت الثاني فراجع بيت جرير :

يا خزر تغلب إن اللؤم حالكم ما دام في ماردٍ الزيت يتصر  
في ديوانه ج ١ ص ١١٧ من طبعة مصر ١٣١٣ [ أو ص ٢٦٣ من طبعة مصر ١٣٥٤ ] .

وقال أيضاً<sup>(١)</sup> .

لَأَنى حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاغِصَاتِ وما أَضْحَى بِمَكَّةَ مِنْ حُجْبٍ وَأَسْتَارِ  
وبالْهَدْيِ إِذَا احْمَرَّتْ مَذَارِعُهَا في يَوْمِ ذَبْحٍ وَتَشْرِيقِ وَتَنْحَارِ  
وما يَزْمَزَمُ مِنْ شُمَطٍ مُحَلَّقَةٍ وما يَشْرَبُ مِنْ عُونٍ وَأَبْكَارِ  
لَأَلْجَأَنِي قُرَيْشٌ خَائِفاً وَجِلًّا وَوَلَّتَنِي قُرَيْشٌ بَعْدَ إِقْتَارِ  
وقال أيضاً<sup>(٢)</sup> :

وقد حَلَفْتُ بِمَيْمَنٍ غَيْرِ كَاذِبَةٍ بِاللَّهِ رَبِّ سُتُورِ الْبَيْتِ ذِي الْحُجْبِ  
وقال في الوليد بن عبد الملك<sup>(٣)</sup> :  
خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِسُنَّتِهِ الْغَيْثُ مِنْ عِنْدِ مَوْلَى الْعِلْمِ مُنْتَهَجِ  
وقال خالفاً<sup>(٤)</sup> :

حَلَفْتُ بِمَنْ تُسَاقُ لَهُ الْهَدَايَا وَمَنْ حَلَّتْ بِكَعْبَتِهِ النُّدُورُ  
ولعلَّ لِسَانَ حَالِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ فِي شِعْرِ الْأَخْطَلِ قَوْلُ الْقَاضِي عَبْدِ الْوَهَّابِ  
ابن عليّ البغداديّ في مدينة بغداد<sup>(٥)</sup> :

ظَلَّلْتُ حَيْرَانَ أَمْشَى فِي أَزْقَتِهَا كَأَنِّي مَصْحَفٌ فِي بَيْتِ زَنْدِيقِ  
ولكنّها وإنْ كَانَتْ مِنْ أَغْرَبِ الْغَرَائِبِ بَادِيٍّ نَظَرَ تُعْقَلُ إِذَا تَدَكَّرْنَا مَا  
شَرَحْتُهُ فِي إِحْدَى الصُّحُفِ السَّابِقَةِ مِنْ قَلَّةِ الْعَوَاطِفِ الدِّينِيَّةِ عِنْدَ أَهْلِ الْوَبَرِ

(١) ديوان ص ١١٩ - هدى ما أهدى إلى الحرم من النعم وقيل هو جمع هدى - مدارع قوائم - أشمط اللى شعر رأسه أبيض وأسود - اللون جمع اللون وهو المرأة النصف في سبأ والى كان لها زوج .

(٢) ديوان ص ١٨٤ .

(٣) ديوان ص ١٨٥ - يسته بوجهه وطرافقه - مولى العلم معطيه - منتخب بمعنى الله .

(٤) ديوان ص ٢٠٤ .

(٥) المتوفى سنة ٤٢٧ - البيت مروي في زفيات الأعيان لابن خلكان عدد ٤١١ من طبعة غوتنبرج ١٠٤٥ .

أو ٣٧٣ من الطبقات المصرية وفي فاكهة الخلفاء لابن هرير شاه ص ٢٠٨ من طبعة موصل سنة ١٨٦٩ .

ثم إذا افتكرنا في ورود مثل تلك العبارات والأيمان في شعر الأقدمين الذين أراد الأخطل أن ينهج مناهجهم ويحدو حذوهم ثم إذا لاحظنا أن جميع تلك الأبيات الإسلامية المذكورة وردت في قصائد في مدح بني أمية. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن عدى بن زيد العبادي النصراني الذي عاش في عهد الجاهلية حسب ما مر ذكره قد سبق الأخطل في مزج ديانتين حيث قال<sup>(١)</sup> :

سعى الأعداء لا يألون شراً عليك ورب مكّة والصليب

ويروي أبو الحسن علي بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢١٥ وقيل ٢٢٥ أو ٢٣١ أن بني بكر بن وائل بالكوفة كانت إذا تشاجرت في شيء وضيت بالأخطل وكان يدخل المسجد فيقدمون إليه<sup>(٢)</sup>. فمن هذا القبيل أيضاً قصة الأخطل مع عكرمة بن ربيع الفياض في مسجد الكوفة رواها صاحب الأغاني عن نفس المدائني<sup>(٣)</sup>، وليس ذلك بغريب في ذلك العصر لأن من أدمن الفكر في النصوص والشواهد القديمة عرف أن المساجد لم تُخصّص أولاً بالأمور الدينية بل كانت أيضاً مجالس للقوم وأندية يتباحث فيها الناس عن مصالح الجماعة السياسية وغيرها من الأمور الدنيوية فلم يُمنع النصاري عن المرور والوقوف بها<sup>(٤)</sup>. أمّا تخصيص المساجد بالصلاة وما يتعلق بالدين فابتدأ في أيام بني العباس وهو أيضاً زمان حضر الخطبة على المنبر في أمور الدين<sup>(٥)</sup>.

(١) كتاب الأغاني ج ٢ ص ٢٤ من طبعة بولاق أو شعراء النصرانية ص ٤٥١.

(٢) كتاب الأغاني ج ٧ ص ١٧٩. (٣) كتاب الأغاني ج ٧ ص ١٨٧.

(٤) راجع LAMMENS, *Etudes sur ... Mo'avia ler*, P. 8 n., 13 n., 58 n., 203 n., 372, 435-436.

(٥) راجع GOLDZIEHER, *Der Chatib bei den alten Arabern* (Wiener Zeitschr. der Kunde des Morgenlandes VI, 1892) P. 99-101; C.H. BECKER, *Die Kanzel im kultus des alten Islam* (Orientalistische Studien Th. Noldcke gewidmet, Gießen 1906) p. 331-351.

أما اتصال الأخطل بخلفاء بني أمية وأمرائهم فأشهر من أن أحتاج إلى وصفه في هذا المختصر فأقتصر على ذكر سبب ابتداء ذلك الاتصال لما فيه من الدلالة الواضحة على بقاء كثير من عوائد القدماء وأميالهم عند العرب المهاجرين إلى بلاد الشام في القرن الأول . قد تشبب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، الأنصارى أو بالأحرى أظهر أن يتشبه برملة بنت الخليفة معاوية وقال فيها شعراً مروباً في كتاب الأغاني <sup>(١)</sup> كاد يبتك به عِرْضُها والمرجح أنه فعل ذلك لبغضه للمؤمنين . فغضب يزيد بن معاوية وطلب من كعب بن جُعَيْل التغلبي أن يهجو الأنصار كلهم فبأنى خوفاً منهم ودن على الأخطل . فأحضره يزيد وأمره بهجاء الأنصار فقال فيهم أبيات المشهورة <sup>(٢)</sup> . وإن في ذلك لنظراً لأنكم لو سمعتم هذا الخبر مجرداً عن أسماء أصحابه لظننتم أنه من روايات عرب الجاهلية لما فيه من استعمال الهجاء مدافعة عن العرض بل من عم قوم الخصم قاطبة بالهجاء والإقذاع . وفي ديوان الأخطل أبيات أخرى يهجو بها الأنصار والسبب في ذلك سياسى لأن الأنصار سوى نفر قليلين تحزبوا لعلي بن أبي طالب وقتلوا معاوية في يوم صفين ثم لم يزالوا مبغضين بني أمية إلى أواخر القرن الأول .

إن الأقطاب التي يدور عليها ديوانه هي مدح الخلفاء والأمراء من بني أمية وهجاء أعدائهم من العلويين والأنصار وأصحاب عبد الله بن الزبير والافتخار بحروب جرت بين قومه وقوم القيسيين وذكر الخمر وما في شرها من اللذات . أما المراثي فلا يوجد منها في ديوانه إلا قطعة واحدة وهي أربعة

(١) كتاب الأغاني ج ١٣ ص ١٤٨ و ج ١٤ ص ١٢٢ من طبعة بولاق .

(٢) ديوان الأخطل ص ٣١٤ وسبب المراقبة المأينة ألغيت الأبيات في نسخ الديوان المطبوع غير المرسلة إلى أوروبا مع ورودها في الأغاني ج ١٣ ص ١٤٨ و ج ١٤ ص ١٢٢ وفي كتاب العقد الفريد ج ٣ ص ١١٢ من طبعة ١٣٠٥ فنقلها الأب لامنس إلى اللغة الفرنسية في مقاله *Le chantre des Ominades* (*Journal Asiatique*, sér. IX, t. IV, 1894) P. 195.

أبيات يرى بها يزيد بن معاوية وهذا عجيب<sup>(١)</sup> . ومن مدائحه الشهيرة القصيدة التي مطلعها<sup>(٢)</sup> :

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك أو بكروا وَأَزَعَجَتْهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ  
وهي أفخر ما قبل من الشعر باللغة العربية .

من المشهور أَنَّ الأَخْطَلَ كان معاقراً للخمر كأنه رأى أَنَّها تجوّد  
قريحة الشاعر فقال مرّة للمتوكّل اللَّيْثِيّ الشاعر : « لو نَبَحْتَ الخمرُ في  
جوفك كنتَ أشعر الناس » . وفي ديوانه ما نصّه<sup>(٣)</sup> : « قال له عبد الملك  
وما بلغ منك الشراب . قال يا أمير المؤمنين إذا شربتها فالموت أهونُ عليّ  
من شِشع نعلِي . فقال له قل فيه شعراً وإلاّ ضربتُ عنقك » . فقال<sup>(٤)</sup> .

إذا ما نَدِمَ عَلىّ ثم عَلىّ ثلاثُ زُجاجاتٍ لهن هَدِيرُ  
جعلتُ أَجرُ الدَّيْلِ مَنى كَأَنّى عليكَ أميرَ المؤمنين أميرُ

أما على ظنّي فالمرجّح أَنّه لم يتعاطَ الخمرِياتَ لمحضِ حبّه للخمر وأنّ غرضه  
في نعوت الحميّة وأوصافها كان أيضاً الاقتداءً بكثير من شعراء الجاهلية

(١) ديوان ص ٢٨٩ ونقلها الأب لامنس في مقاله المذكورة سابقاً ص ١٣٩ - ١٤٠ وأول  
من نبه إلى ذلك هو الأب أ . صالحاني ص ٣٤٥ في ترجمة الأخطل .

(٢) ديوان ص ٩٨ - ١١٢ . (٣) ديوان ص ١٥٤ .

(٤) ديوان ص ١٥٤ . والبيتان مرويان أيضاً في الألفاني ج ٢١ ص ٤ سطر ٢٢ - ٢٣ وفيه  
زياد (يعني زياد ابن أبيه المتوفى سنة ١٥٦ و ١٥٧) بدلا من نديم وزهراً بدلا من منى ومخرجت بدلا  
من جعلت و ص ٥ سطر ٨ - ٩ يروا في مخرجت وزهراً - ويوجد منى مثل معنى الشطر الأخير  
في بيتي المختل الإشكري من شعراء الحيرة (كتاب البيان للجاحظ ج ٢ ص ١٤٨ - ١٤٩ من طبعة  
مصر ١٣١٣ وشعراء النصرانية ص ٤٢٤ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٣٩ من طبعة ليدن وحسانة أبي  
تمام ص ٢٦٦ - ٢٦٧ من طبعة بن أوج ج ٢ ص ٤٨ من طبعة بولاق) :

فإذا سكرت فإني رب الخورق والسدير  
وإذا صحت فإني رب الشربة والبحير

أما جر ذيل المطرف فهو دليل على الغضب والافتخار فرأى ما يروى في كامل المبرد ص ٢٧  
من طبعة ليسك آر ج ١ ص ٢٢ - ٢٣ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٤ من الأبيات والأحاديث النبوية  
[وغير ذلك ما أورده الأستاذ نلينو في *Raccolta di scritti* ج ٢ ص ٢٦٠ حاشية ١] .

البارعين كما اقتدى بهم في سائر أفانين شعره . ولعلّه إلى ذلك أشار بقوله في  
أول إحدى خمريّاته (١) :

شربنا فمئتنا ميتة جاهليّة مضي أهلها لم يعرفوا ما محمد  
وعلى منوال القدماء التوابغ لم يأت بالنسب إلا في أوائل القصائد غير  
أنّه في نسيبه سلك أحياناً مسلكاً غير المألوف في قصائد الجاهليّة البارعين  
فبدلاً من أطلال قوم معشوقته ذكر فيه الفتيات ذوات شكل ودلال مثل قوله  
في قصيدة هجا بها جريراً وافتخر على قيس (٢) :

وتغولت ليرؤعنّا جنيّة والغايات يُرينك الأهوالاً  
يمدّدن من هفواتهنّ إلى الصبى سبباً يصيذن به الغواة طوالاً  
ما إن رأيت كمكّرهنّ إذا جرى فينا ولا كحبالهنّ جبالاً  
المهديّات لمن هوين مَسَبّة والمُحسِنات لمن قلّين مَقالاً  
يرعّين عهدك ما رأيتك شاهداً وإذا ملّيت يصرونّ عنك مذالاً...

ثم من الحرى بالاعتبار قول عمر بن شبّة المتوفى سنة ٢٦٢ : كان ممّا  
يقدم به الأخطل أنّه كان أخبرهم هجاء في عفاف من الفحش . وقال  
الأخطل ما هجوت أحداً قط بما تستحى العذراء أن تُنشده أباه (٣) . وهذا  
القول صحيح إن تركنا أربعة أو خمسة أبيات من هجائه فخالف  
الأخطل في عفافه هذا أساليب كثير من السلف ومعاصريه الشهيرين جرير  
والفرزدق والذين ملّوا هجاءهم ما يستنكف ذو أدب من إنشاده وتنهوا  
عنه الآذان .

(١) ديوان ص ٣٢١ .

(٢) ديوان ص ٤٢ - ٤٣ وانظر أيضاً ص ٩٩ - ١٠٠ في القصيدة التي قالها يملح بن أبيّة .

(٣) كتاب الأغانى ج ٧ ص ١٧٨ من طبعة بولاق .

قد سبق تلميح إلى نقائص الأخطل وجريز وكان سبب اضطراب نار  
العداوة بينهما متاضلة الأول عن الفرزدق لما أخذ جريز يهجه . والفرزدق  
واسمه هشام بن غالب كان من بني دارم حتى من تميم أقامت بنواحي البصرة  
بعد الفتح الإسلامي فولد في أواخر خلافة عمر بن الخطاب المتوفى سنة  $\frac{22}{44}$   
أما سنة مماته بالبصرة فاختلفت فيها الرواة فقال بعضهم سنة ١١٠ وبعضهم  
سنة ١١١ أو ١١٢ أو ١١٤<sup>(١)</sup> . وكان كأكثر أهل البادية رحلاً ينتقل  
من موضع إلى موضع ويكره الإقامة الطويلة بمحل ؛ فنجدته تارة بالبصرة وتارة  
بالكوفة ومرة بالمنبئة ومرة في أرض البلقاء من الشام وافداً على خلفاء بني أمية  
مثل الوليد وسليمان ابني عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . ويلوح مما جاءنا  
من أخباره وأشعاره العديدة أنه كان على جيد شعره دقة النفس فمدح  
من نال منه الجوائز وهجا من لم يشد منه ما رجا فربما بعد الثناء الوافر  
على أحد الكبار في قصيدة أخذ يشتمه شتماً قبيحاً في قصيدة أخرى . فطأراً  
مرة عمر بن هبيرة الفزاري وإلى العراق بعد موت الحجاج بن يوسف وعد  
مفاخر قومه ثم بذل المدح سبباً فقال فيه وفي بني فزارة شعراً بشعاً<sup>(٢)</sup> وهجا

(١) انظر وفیات الأعيان لابن خلكان عدد ٧٨٨ من طبعة غوتنبيرج أر عدد ٧٥٥ من الطبقات  
المصرية وقال صاحب كتاب الأغاني (ج ١٩ ص ٦) في رواية عن أبي زيد النحوي : « وتوفي  
الفرزدق في سنة عشر ومائة في خلافة هشام ( $\frac{120}{734} - \frac{100}{724}$ ) وجريز والحسن وابن سيرين في ستة أشهر .  
وحكى ذلك عن جماعة منهم الفلابي عن ابن عائشة عن أبيه » وقال في نفس الجزء (ص ٤) « وقال أبو زيد  
مات الحسن وابن سيرين والفرزدق وجريز في سنة عشر ومائة . . . وهذا غلط من أبي زيد وابن شبة لأن  
الفرزدق مات بعد يوم كاطمة وكان ذلك في سنة اثني عشرة ومائة وقد قال فيه الفرزدق الشعر وذكره في  
مواضع من قصائده ويقول ذلك أيضاً ما أخبرنا به وكيع قال : حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات  
قال : حدثني ابن النطاح عن المدائني عن أبي اليقطين وأبي همام الهاشمي أن الفرزدق مات سنة أربع عشرة  
ومائة » ثم قال في ص ٤٦ : « وقال ابن زكرياء الفلابي عن ابن عائشة قال : مات الفرزدق وجريز في سنة  
عشرة (كذا) ومائة ومات جريز بعده بستة أشهر ومات في هذه السنة الحسن البصري وابن سيرين »  
وفي ص ٤٨ : « قال أبو عبيدة ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة » . ويقال في كل الروايات إن جريزاً  
توفي بعد خصمه .

(٢) في المدح : ديوان ص ١٧٨ - ١٧٩ من طبعة باريس ١٨٧٠ بناية Boucher الذي  
نقل أيضاً القصائد إلى اللغة الفرنسية [أو ص ٢٨٠ - ٢٨٢ من طبعة مصر ١٣٥٤] ولا توجد  
هذه القصيدة في طبعة مصر ١٢٩٣ - في الهجاء : ديوان ص ١٧٩ - ١٨١ من طبعة باريس [أو ص  
٢٨٢ - ٢٨٦ من طبعة مصر ١٣٥٤] ولا توجد في طبعة مصر ١٢٩٣ . وروى التبريزي في شرحه على =



في بضع قصائد آل المهلب بن أبي صفرة الأزدي من أشهر بيونات البصرة  
وقال مثلاً<sup>(١)</sup>:

وَجَدْنَا الْأَزْدَ مِنْ بَصَلٍ وَثُومٍ وَأَذْنَى النَّاسِ مِنْ دَنْسٍ وَعَارٍ  
صَرَارِيُونَ يَنْضِجُ فِي لِحَاهُمْ نَفْيُ الْمَاءِ مِنْ خَشَبٍ وَقَارٍ  
مع ما يليها من الكلام القدير الذي يستقبح إيراده هنا . ولكن لم يمنع  
هذا وهجاء آخر مثله عن الثناء على آل المهلب حين تغيرت منزلته عندهم  
فقال مثلاً<sup>(٢)</sup>:

لَأَمْدَحَنَّ بَنِي الْمُهَلَّبِ مِدْحَةً غَرَاءَ ظَاهِرَةً عَلَى الْأَشْعَارِ  
مِثْلَ النُّجُومِ أَمَامَهَا قَمَرٌ لَهَا يَجْلُو اللَّجْجَ وَيُضِيءُ لَيْلَ السَّارِ  
وَرِثُوا الطَّعَانَ عَنِ الْمُهَلَّبِ وَالْقِرَى وَخَلَانِقًا كَتَدَفَّقُ الْأَنْهَارِ  
كُلَّ الْمَكَارِمِ عَنْ يَدَيْهِ تَقَسَّمُوا إِذْ مَاتَ رِزْقُ أَرَامِلِ الْأَمْصَارِ  
كَانَ الْمُهَلَّبُ لِلْعِرَاقِ سَكِينَةً وَحَيَا الرَّبِيعِ وَمَعْقِلَ الْفُرَارِ

وكان علويًا قلما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه والتقى في الطواف  
زين العابدين على بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقال هشام لا أعرفه

= حسانة أبي تمام (ص ١٩٢ من طبعة بن أوج ١ ص ٢٠٥ من طبعة بولاق) يبين من هذه القصيدة التي  
تحتوي على ٣٧ بيتاً .

(١) ديوان ص ٨٥ - ٨٦ من طبعة باريس أر ١٧٥ - ١٧٦ من طبعة مصر ١٢٩٣  
[أو ص ٢٥٢ - ٢٥٤ من طبعة ١٣٥٤] وانظر HELL, *al-Farazdak's Lieder auf die Muhallabiten* (*Zeitschrift der deutschen morgenlaendischen Gesellschaft*, 59, 1905, P. 595-600)  
et SCHWARZ, *al-Farazdak's Lieder auf die Muhallabiten* (*Zeitsch. d. deutschen morgenlaend.*  
*Gesell.*, 74, 1919 P. 80-85). - الصراري الملاح - أما الأزد فهم ساكنون على شاطئ البحر في ألهمان .  
(٢) ديوان ص ٤٦٥ من طبعة ليدن ١٩٠١ بنائية Hell [ص ٣٧٤ - ٣٧٥ من طبعة  
مصر ١٣٥٤] ولا تروى هذه القصيدة في الطبعتين الأخيرتين . وجمع J. Hell كل القصائد التي  
يمدح الفرزدق فيها آل مهلب أو يهجوهم في المقالة المسماة *al-Farazdak's Lieder auf die Muhallabiten*  
المطبوعة في المجلة *Zeitschrift der deutschen morgenlaendische Gesellschaft* ج ٩٥ ص ٥٨٩ - ٦٢١  
و ج ٩٠ ص ١ - ٤٨ . [وقد أثنى P. Schwarz على هذه المقالة في المجلة نفسها ج ٧٣ سنة ١٩١٩  
ص ٨٠ - ١٢٩] .

مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، قال الفرزدق وهو كبير السن قصيدة  
غراء مدح بها زين العابدين وأولها<sup>(١)</sup> :

هذا الذي تعرف البطحاء وطائته      والبيت يعرفه والحل والحرم  
هذا ابن خير عباد الله كلهم      هذا التقي النقي الطاهر العلم  
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله      بجده أنبياء الله قد ختموا  
وليس قولك من هذا بضائره      العرب تعرف من أنكرت والعجم

ومنها :

إذا رأت قريش قال قاتلها      إلى مكارم هذا ينتهي الكرم  
يغضي حياء ويغضي من مهابتها      فما يكلم إلا حين يبتسم

فغضب هشام وحبس الفرزدق بين مكة والمدينة . بيد أن ميله هذا إلى  
العلويين وعبد الله بن الزبير لم يمنعه عن سبك الأشعار الرائقة في مدح  
الأُمويين ووصفهم أحياناً فيها بعبارات دينية أصبحت كأنها ضالة في أثناء  
مثل تلك القصائد المنسوجة على أساليب عرب الجاهلية . فقال في سليمان

(١) ديوان ص ١٩٨ - ١٩٩ من طبعة مصر ١٢٩٢ (٢٧ بيتاً) [أو ص ٨٤٨ - ٨٤٩  
من طبعة سنة ١٣٥٤ (٦ أبيات)] ولا توجد هذه القصيدة في طبعة باريس فانظر أيضاً كتاب الأغاني  
ج ١٩ ص ٤٠ - ٤١ (٢٠ بيتاً) ووفيات الأعيان لابن خلكان عدد ٧٨٨ من طبعة غوتنبيرج أو ٧٥٥  
من طبعات مصر (٢٧ بيتاً وقرئها غير ترتيب أبيات الديوان) ومن الغريب أن هذه القصيدة منسوبة إلى  
الحزبين اللقي (وهو عمرو بن عبد بن وهيب) الذي « قالها في حل بن الحسين بن علي بن أبي طالب » في  
حماسة أبي تمام ص ٧١٠ - ٧١١ من طبعة ابن أو ج ٤ ص ٨٢ - ٨٣ من طبعة بولاق (٦ أبيات)  
وكتاب الأغاني ج ١٤ ص ٧٧ (٣ أبيات) ولكن صاحب الأغاني في نفس هذا الجزء ص ٧٨ يقول إنها  
للفرزدق ويروي ٧ أبيات فقال التبريزي في شرحه على الحماسة : « ويقال إنها للفرزدق » .

وروي بيتان منها في كتاب الشعر لابن تينية ( ص ٧ من الطبعة اليدنية ) هكذا : « كقول  
القاتل » وقيل في بعض النسخ : « في بعض بني أمية » والأبيات مروية أيضاً لدارود بن سلم أو خالد  
ابن يزيد في قثم بن العباس أو حل بن الحسين ( كتاب الأغاني ج ١٤ ص ٧٨ - ٧٩ ) وروي إلخاظ في  
كتاب الحيوان ج ٣ ص ٤١ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ أربعة أبيات قالها « الشاعر في بعض بني  
مروان » .

ابن عبد الملك (  $\frac{99}{720} - \frac{96}{717}$  ) (١) :

وبالمسجد الأقصى الإمام الذي أختدى به من قلوب المُمْتَرِينَ ضلالُها  
به كشف الله البلاء وأشرقت له الأرض والآفاق نحس هلالها  
ومنها :

وَجَدْنَا بَنِي مروان أوتادَ ديننا كما الأرض أوتادَ عليها جبالها  
وَأُنْثِمَ لهذا الدين كالقيلة التي بها أن يضلَّ الناسُ يَهْدَى ضلالُها

وقال يمدح هشام بن عبد الملك (  $\frac{120}{724} - \frac{100}{724}$  ) (٢) :

وما تركتُ كَفًّا هشامَ مدينةً بها عَوَجٌ في الدين إلا تَقَوَّمَا  
يُودَى إليه الخرجَ مَنْ كان مشركاً ويرضى به مَنْ كانَ لله مُسْلِمًا

وقال في يزيد بن عبد الملك (  $\frac{100}{724} - \frac{101}{724}$  ) (٣) :

ورثت ابنَ حرب وابنَ مروانَ والذي به نصَرَ الله النبيَّ مُحَمَّدًا  
ترى الوحشَ يَسْتَحْيِيَنَّهُ إذ عَرَفَنَّهُ له فوق أركانِ الجرائمِ سُجَّدًا  
ومنها :

ولو صاحِبَتُهُ الأنبياءُ ذُوو النُهَى رَأَوْهُ مع المَلِكِ العَظِيمِ المَسْوَدَا

وقال يمدح هشام بن عبد الملك (٤) :

رَأَيْتُ بَنِي مروانَ يَرْفَعُ مُلْكُهُمْ ملوكُ شَبَابٍ كالأسودِ وشيْبُها

(١) ديوان ص ١٣ و ص ١٦ مطر ٩ - ١٠ من طبعة باريس أو ص ١٤٣ و ١٤٤ من طبعة مصر ١٢٩٣ [أو ص ٦١٩ و ٦٢٣ من طبعة ١٣٥٤] .

(٢) ديوان ص ٣٢ من طبعة باريس [أو ص ٧٥١ من طبعة ١٣٥٤] ولا توجد القصيدة في طبعة ١٢٩٣ .

(٣) ديوان ص ١٨٤ من طبعة باريس [أو ص ١٦٩ - ١٧٠ من طبعة ١٣٥٤] والقصيدة غير موجودة في طبعة ١٢٩٣ .

(٤) ديوان ص ١٥٤ من طبعة باريس [أو ص ٦٣ من طبعة ١٣٥٤] الميدان منبر النبي وصاه .

بِهِمْ جَمَعَ اللَّهُ الصَّلَاةَ فَأَصْبَحَتْ قَدْ اجْتَمَعَتْ بَعْدَ اخْتِلَافِ شَعُوبِهَا  
وَمَنْ وَرِثَ الْمُعَوِدِينَ وَالْخَاتَمَ الَّذِي لَهُ الْمَلِكُ وَالْأَرْضُ الْفَضَاءُ رَحِيْبُهَا  
أَمَّا سَائِرُ مَدَائِحِهِ ابْنِي أُمِيَّةَ فَجَارٍ فِي قَالِبِ الْمَدْحِ الْجَاهِلِيِّ الْخَالِصِ وَرَبِّمَا  
اجْتَرَأَ الْفَرَزْدَقُ بِهِجَاءَ نَفْسِ الْخُلَفَاءِ مِثْلَ قَوْلِهِ حِينَ أَعْطَى مَعَاوِيَةَ الْخُتَاتَ بْنَ  
يَزِيدَ الْمَجَاشِعِيَّ مِنْ أَصْدِقَاءِ الشَّاعِرِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَلَمْ يَخْرُجِ الْخُتَاتُ مِنْ  
دِمَشْقَ حَتَّى مَاتَ فَرَدُّ الْمَالِ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ (١) :

أَدَا كُلُّ مِيرَاثٍ الْخُتَاتِ ظِلَامَةً وَمِيرَاثُ حَرْبٍ جَامِدٌ لَكَ ذَائِبَةٌ  
أَبُوكَ وَعَمِي يَا مَعَاوِيَ أَوْرَقًا تَرَاثَا فَيَحْتَازُ التَّرَاثُ أَهْلَابُهُ  
فَاوْ كَانَ هَذَا الدِّينُ فِي جَاهِلِيَّةٍ عَرَفَتْ مِنَ الْمَوْتِ الْقَلِيلُ حَلَابَةٌ  
وَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي غَيْرِ مُلْكِكُمْ لَأَبْدَيْتُهُ أَوْ غَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ  
وَكَمْ مِنْ أَبٍ لِي يَا مَعَاوِيَ لَمْ يَكُنْ أَبُوكَ الَّذِي مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ يُقَارِبُهُ  
إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ السَّفِيهَ غَرِيبٌ جَدًّا مِنْ رَجُلٍ جَعَلَ شَعْرَهُ مَكْسَبًا وَطَعِيمَ فِي  
هَدَايَا الْمُلُوكِ وَالْأَكَابِرِ وَلَكِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ مَعْقُولٌ إِذَا تَأَمَّلْنَا أَحْوَالَ الْمُلْكِ  
وَالْمُسْلِمِينَ الْمُنْتَظَلِينَ إِلَى أَرْضَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ بَعْدَ الْفَتْوحِ . كَانَ مُعْظَمُ الْعَرَبِ  
الْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ الْأَنْحَاءِ مِنْ أَهْلِ الْقَبَائِلِ فَلَمْ يَزَالُوا هُنَاكَ عَلَى مَا كَانُوا اعْتَادُوهُ  
مِنْذَ الزَّمَانِ الْقَدِيمِ مِنَ الْعَوَائِدِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَفْكَارِ وَالْآرَاءِ سِوَى الدِّينِيَّةِ  
فَمَا بَرِحَ يَنْبِضُ عَنْهُمْ عِرْقُ الْعَصَبِيَّةِ فَمَا فَتَشُوا مَوْلَعِينَ بِالْحَرِيَّةِ وَالْإِسْتِقْلَالِ  
التَّامِّ قَلْبِي الطَّاعَةَ غَيْرَ مُتَقَادِينَ لَا يَفْهَمُونَ وَجُوبَ قُوَّةٍ شَدِيدَةٍ وَجَبْدَةٍ وَأَمْرٍ

(١) ديوان ص ٧٠ من طبعة باريس أو ص ١٦٧ - ١٦٨ من طبعة ١٢٩٣ [أو ص ٤٩ من طبعة ١٣٥٤] وراجع أيضاً كتاب الأغاني ج ١٩ ص ٣٧ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٩٧ من طبعة لندن . ويرى في ديوان ص ١٢٤ من طبعة باريس أو ص ١٩٢ من طبعة مصر ١٢٩٣ [أو ص ٧٨١ من طبعة ١٣٥٤] بيتان يهجو بهما هشام بن عبد الملك الذي تولى الأمر وهو ابن أربع وثلاثين سنة ولذلك قال الشاعر إنه « غلام » .

متين مطاع لإثبات مملكة واسعة محتوية على أمم مختلفة ولدفاع سطوات العدو عنها . إنهم كانوا يعتبرون منزلة الخليفة في جملة الأئمة الإسلامية كمنزلة السيد البدوي في قومه أعنى أن أمير المؤمنين على رأسهم إنما كان رجلاً وكَلَّتُهُ الجماعة به بالسؤدد وتوَلَّى مصالحها فلا يطاع إلا بما رَضِيَتْ الجماعة به . فلو أراد الخليفة إلزامهم مثل ما ألزم أهل الحضرة المتمدينين لما بلغ مَرَامُهُ بل أثار الفتن والعُصيان وعَرَضَ المملكة على خطر عظيم . وفطَنَ بذلك معاوية لما جُبِلَ له من البراعة والحيلة في أمور السياسة فتحمل من أعرابه ما لم يتحمّله من غيرهم كما يتضح من عدة أخبار متفرقة في كتب قديمة مثل تأليفات الجاحظ . وعيون الأخبار لابن قتيبة والعقد الفريد لابن عبد ربّه وتاريخ الطبريّ وغيرها . فجعل الحلم والصبر أساس معاملته الأعراب كأنَّ حكمة سيرته القول المنسوب إلى عليّ بن أبي طالب : « حلمك على السفينة يُكثِرُ أنصارك عليه »<sup>(١)</sup> . ولكنَّ حلمه ذلك الذي وُصِفَ به في القصائد والكتب لم يكن عنده الشفقة والرحمة بل إنما كان العقل وقهر الغضب كلّما صلح له قهره فلهذا السبب لم يكن يحقّ إن خاطبه أحد الأعراب قائلاً يا ابن عَمِّي مكان يا أمير المؤمنين لمصاهرة معاوية في قبائل قيس وكلب ولا غضب إذا ردّ كلامه بما يُحمَلُ على قوانين أدب أهل البادية وإن لم يُحمَلْ على مقتضى أدب المتمدينين . وكان معاوية يقول : « لأنّي لا أحملُ السيفَ على مَنْ لا سيفَ معه وإن لم تكن إلا كلمةً يَشْتَفِي بها مُشْتَفٍ جعلتها تحت قَدَمِي وَدَبَّرَ أُذُنِي »<sup>(٢)</sup> . والحق يقال إنَّ هذا النوع من الحلم كان له أوْثَقُ الوسائل وأنفعها لاستمالة أهل القبائل وقيادتهم والنجاح

(١) انظر العقد لابن عبد ربّه ج ١ ص ١٦٥ من طبعة مصر ١٣٠٥ .

(٢) كتاب الكامل للبرد ص ٤٠ من طبعة ليسك أوج ١ ص ٣٣ من طبعة مصر ١٣٢٣ -

فيما لم ينجح فيه قبله علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup> . فاقتدت به كثير من الخلفاء  
والأمراء الأمويين فقال عبد الله بن الزبير الشاعر في بشر بن مروان<sup>(٢)</sup> :  
وطأنت لنا دين النبي محمد  
بعلمك إذ هرت سفاهاً كلابها  
وقال أيضاً<sup>(٣)</sup> :

أقام لنا الدين القويم بعلمه ورأي له فضل على كل قائل  
فإذا يعقل إمكان قول الفرزدق المذكور سابقاً ويعقل أيضاً قول الأخطل  
لما شكاً إلى عبد الملك بن مروان  $(\frac{٦٥}{٦٨٠} - \frac{٨٦}{٧٠٠})$  إغارة سليمان على تغلب يوم  
البشر<sup>(٤)</sup> :

لقد أوقع الحجاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعلول  
فسائل بني مروان ما بال ذمة وحبل ضعيف لا يزال يوصل ..  
فإن لا تغيرها قريش بملكها يكن عن قريش مستماز ومزحل  
فلنرجع إلى الفرزدق . ومن الجدير بالذكر من شعره لندرة ورود مثله  
في قصائد شعراء هذا الصنف أبيات دينية أدرجها في قصيدة مدح بها الوليد  
ابن عبد الملك  $(\frac{٨٦}{٧٠٠} - \frac{٩٦}{٧١٠})$  وذكر هذمهبيعة النصارى بدمشق وجعله  
إياها مسجداً<sup>(٥)</sup> :

فرقت بين النصارى في كنائسهم ، والعابدين مع الأشجار والعتم  
وهم معاً في مصلاهم وأوجههم شتى إذا سجدوا لله والصنم  
وكيف يجتمع الناقوس : يضربه أهل الصليب مع القراء لم تنم

(١) راجع LAMMENS, *Études sur ... Mo'allaqat* , chap. V, P. 66-108.

(٢) كتاب الأغاني ج ١٣ ص ٤٥ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٣ ص ٤٥ .

(٤) ديوان الأخطل ص ١٠ - ١١ ، الحجاف شاعر بني سليم ورئيسهم - يرجع الضمير  
في يديرها إلى حال محروق - استأز انتقل من مكان إلى مكان .

(٥) ديوان ص ١٠٨ من طبعة باريس أو ص ١٨٥ من طبعة مصر ١٢٩٣ [أو ص ٧٦٨  
من طبعة مصر ١٣٥٤] - الملك المهدي هو سليمان (عم) فراجع القرآن سورة ٢١ (الأنبياء) ٧٨ - ٧٩ .

فُهَمَّتَ تحويلها عنهم كما فُهَمَا إِذْ يَحْكُمَانِ لَهُمْ فِي الْحَرْثِ وَالْقَنَمِ  
 دَاوُدَ وَالْمَلِكُ الْمَهْدِيُّ إِذْ حَكَمَا أَوْلَادَهَا وَاجْتَزَا الصُّوفِ بِالْجَلَمِ  
 فَهَمَكَ اللَّهُ تحويلاً لبيعتهِم عن مسجدٍ فيه بُتِلَ طَيْبُ الْكَلِمِ  
 وخلافاً للأنحطال قد تعاطى الفرزدق الرثاء وسبك فيه عدّة قصائد . وعذله  
 جرير<sup>(١)</sup> لحبه لشرب الخمر ولكنه لم يقل فيها إلّا شعراً قليلاً جداً أعنى  
 ثلاثة أبيات وردت في ديوانه<sup>(٢)</sup> وتُشَبِّه خمرينات أبي نواس ثم أربعة أبيات  
 رويت في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة<sup>(٣)</sup> وخزانة الأدب لعبد القادر  
 البغدادي<sup>(٤)</sup> . أمّا الغزل فله فيه قصيدة طويلة<sup>(٥)</sup> ومقطعتان<sup>(٦)</sup> غير أنها  
 جميعها في غاية الخلاعة والفسق لا سيما المقطعتان الشبيهتان بمجون  
 أبي نواس . فحتم القصيدة قائلاً<sup>(٧)</sup> :

فيا ربُّ إن تغفر لنا ليلة النقا فكلُّ ذنوبي أنتَ ياربُّ غافرة

(١) ديوان ج ١ ص ١٢٢ سطر ٢٠ من طبعة مصر ١٣١٢ [أو ص ٢٧١ سطر ٢ من طبعة ١٣٥٤] والتناقض ص ٥٤٣ سطر ١٥ من طبعة لندن .

(٢) ديوان ص ٦٦ من طبعة باريس أو ص ١٦٥ - ١٦٦ من طبعة مصر ١٢٩٢ [أو ص ١٥ من طبعة ١٣٥٤] وهذا نص الأبيات :

وإِجَانَةُ رَيَّا الشُّرُوبِ كَأَنَّهَا إِذَا اغْتَمَسَتْ فِيهَا الزُّجَاجَةُ كَوَكْبُ  
 مَخْتَمَةٍ مِنْ عَهْدِ كَسْرَى بْنِ هُرْمَزٍ بَكَرْنَا عَلَيْهَا وَالْفَرَارِيجُ تَنْعَبُ  
 سَبَقَتْ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ دَنَا وَمَا لِلصُّبَا بَعْدَ الْقِيَامَةِ مَطْلَبُ  
 (٣) ص ٢٩٤ من طبعة لندن .

(٤) ج ٢ ص ٩٠ من طبعة بولاق ١٢٩٩ . وراجع أيضاً لسان العرب ج ١٨ ص ٦ من طبعة بولاق .

(٥) ديوان ص ٩٩ - ١٠٢ من طبعة باريس أو ١٨٢ - ١٨٤ من طبعة مصر ١٢٩٣ [أو ٢٥٥ - ٢٦٢ من طبعة مصر ١٣٥٤] .

(٦) ديوان ص ٢٢٩ - ٢٣٠ من طبعة باريس [أو ٣٠٨ - ٣٠٩ و ٨٩٤ - ٨٩٥ من طبعة مصر ١٣٥٤] ولا توجد المقطعتان في طبعة مصر ١٢٩٣ .

(٧) ديوان ص ١٠٢ سطر ٥ من طبعة باريس [أو ص ٢٦٢ من طبعة مصر ١٣٥٤] وهذا البيت غير موجود في طبعة مصر ١٢٩٣ .

وربما افتخر بقبيلته وهي تميم فجعلها فوق سائر الناس حتى قال<sup>(١)</sup> :  
وأفْضَلُ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ حِينَا وَمَا ضَمِنَتْ فِي الدَاهِبِينَ قَبُورُهَا ...  
وَلَوْ أَنَّ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ يَحُوطُهَا سِوَانَا مِنَ الْأَحْيَاءِ ضَاعَتْ ثَغُورُهَا  
لَنَا الْجَنُّ قَدْ دَانَتْ وَكُلُّ قَبِيلَةٍ يَدِينُ مُصَلُّوْهَا لَنَا وَكُفُورُهَا  
وأراد أيضاً الفخر بنفسه فحيث إنه كان من أجبن الناس لم يقدر  
على تخليد ذكر مآثره في الحرب فاكتفى بوصف ذبحه الغنم للقرى كأنه  
واصف قتالاً شديداً وملحماً هائلاً مُرْعِباً<sup>(٢)</sup> . وكان الفرزدق من أهجى  
الشعراء فكاد الهجاء مِلاً نصف ديوانه وهو هجاء بشيع قبيح كله شتم سافل  
وتعيير وإبتهار في الأخوات والأمهات وقذف للمُحْصَنَاتِ الغافلات توافق  
بداعة ألفاظه دَنَاءةَ معانيه . ولعلّه تاب إلى الله أحياناً وهو مُسِنٌّ في سوء هجائه  
فيروى في ديوانه أَنَّ رجلاً من موالى باهلة يقال له حُمَامٌ أعطى الفرزدق  
نحيباً من سَجَنٍ بشرط أن يَهَبَ له أعراض قومه ففعل الفرزدق وهجا إبليس  
في قصيدة كأنه<sup>(٣)</sup> مُلْهِمٌ ما قد مرّ من أهاجيه . ومن هذه القصيدة :

أَلَمْ تَرَكِي عَاهِدْتُ رَبِّي وَلِئَنِّي لَبَيْنُ رِنَاجٍ قَائِمٌ وَمَقَامٌ  
عَلَى قَسَمٍ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي سُوِّهِ كَلَامٌ  
أَلَمْ تَرَكِي وَالشَّعْرَ أَصْبَحَ بَيْنَنَا دُرُوءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ ذَاتُ حَوَامٍ ...

(١) ديوان ص ١٦٧ من الطبعة الباريسية [ أو ص ٢٧٣ من طبعة مصر ١٣٥٤ ] ولا تروى القصيدة في طبعة مصر ١٢٩٣ .

(٢) ديوان ص ٥٨ من طبعة باريس أو ص ١٦٣ من طبعة مصر ١٢٩٣ [ أو ص ٨٩٢ من طبعة مصر ١٣٥٤ ] . (٣) ديوان ص ١٠٩ - ١١١ من طبعة باريس أو ١٨٦ - ١٨٧ من طبعة مصر ١٢٩٣ [ أو ص ٧٦٩ - ٧٧١ من طبعة مصر ١٣٥٤ ] ويروى البيت الأول والثاني والثالث في ديوان جرير (ج ٢ ص ٦٩ من طبعة مصر ١٣١٣) وفي شرح اليزيدي على النفاثص ج ١ ص ١٢٦ من طبعة ليدن أما الأحوال التي قال الشاعر فيها هذه القصيدة لما يحكى فيها في الديوان تختلف عما يحكى في النفاثص . - الرناج الباب العظيم وهنا باب الكعبة ومقام إبراهيم - دروء جمع دره وهو نادر يندر من الجبل - حوام جمع حامية ، ونحى زق السم .



ومنها :

لعمري لنعم النحي كان لقومي عشيّة غبّ البيع نحي حُمام  
بتوبة عبدٍ قد أناب فبؤاده وما كان يُعطي الناس غير ظلام  
أطعنتك يا إبليس سبعين حجة فلما انتهى شبي وتمّ تهاى  
فررتُ إلى ربّي وأيقنتُ أنّي مُلاقٍ لآيام المَنونِ حِمَامِي...

ومنها :

ألا طال ما قد ريتُ يُوضِعُ ناقِي أبو الجنّ إبليسُ بغير خِطام  
يَظَلُّ يُمنّني على الرُّخلِ فاركا يكون ورائي مَرّةً وأماي  
يبشُرني أن لنْ أَموتَ وأنه سيُخلِدُنِي في جَنّةٍ وسلام  
ولكن لا شكّ أنّ إبليس عاد يزور الشاعر بعد مدّة قليلة لأنّه لم يزل  
يهجر الناس إلى مماته .

قال يونس بن حبيب النحوي المتوفى سنة ١٣٢ أو ١٣٣ : «لولا شعر  
الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب»<sup>(١)</sup> . والحق يقال إنّ شعره أوفر ألفاظاً من  
شعر الأخطل<sup>(٢)</sup> . إلّا أنّ الفرزدق كان أيضاً أكثر الشعراء تنحلاً فسرق  
أبيات السابقين والمعاصرين . بدون حياء بل اضطرّ أحياناً بعض الشعراء إلى  
ترك شيء من شعرهم له<sup>(٣)</sup> كأنّه أحقّ به .

لا يتصور الكلام على الأخطل والفرزدق بدون ذكر معاصريهما وخصمهما

(١) كتاب الأغاني ج ١٩ ص ٤٨ .

(٢) J. HELL, *al-Farazdak's Lieder auf die Muhallabiten* (Zeitschrift der deutschen morgenlandischen Gesellschaft, 59, 1905) p. 590, 2.

(٣) انظر كتاب الأغاني ج ١٦ ص ١١٦ وج ١٩ ص ٢٢ - ٢٣ ( فيه أربعة أبيات للى الرمة )  
وج ١٩ ص ٣٦ ( بيت لشردل ) وج ١٩ ص ٧ ( بيتان لابن ميادة ) والمعدة لابن رثيق ج ٢  
ص ٢١٨ - ٢١٩ من طبعة مصر ١٣٢٥ ( الفرزدق وجميل ) .

الشهير أعنى جريراً . وهؤلاء الثلاثة كلهم من شعراء الصنف الثالث على ترتيبنا وهم الذين حكم لهم لإجماع أهل الأدب بحوز قصب السبق في أيام بني أمية . وجرير بن عطية بن الخطفي من بني كليب حتى من تميم كان على المحتمل من أهل البصرة<sup>(١)</sup> وبها مات وقبره ولكنه عاش على الغالب بالبصرة وغيرها من مدن العراق ولازم الحجاج بن يوسف وكان من جملة الشعراء الذين أكرموا الثناء عليه . واختلف في تاريخ مماته فقيل إنه توفي سنة ١١٠ وقيل سنة ١١١ وقيل أيضاً إنه مات بعد الفرزدق بشهور قليلة<sup>(٢)</sup> . ومن الموثبت<sup>(٣)</sup> أنه قد صاغ أشعاره الأولى في مدة خلافة معاوية بن أبي سفيان ( ٤١ - ٦١ ) في قصيدة نسجها في هذه المدة وصف نفسه كأنه قد أدرك آخر الشباب<sup>(٤)</sup> :

لقد خبرتني النفس أنني مُزِيلٌ شَبَابِي وَوَضَلَ الْمُتَفِيسَاتِ الْأَوَانِسِ

وموضوع جميع ديوانه ثلاثة : الهجاء والمديح والرثاء . والرثاء يسير وكل مقطعة منه لا تشتمل إلا على أبيات قليلة لا تتجاوز أحياناً عدد اثنين أو ثلاثة<sup>(٥)</sup> . والمديح في الحجاج بن يوسف حين كان والياً على العراق بعد أن

(١) كتاب الأغاني ج ١٩ ص ٤٦ : « وضعت جريراً إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من البصرة وقبر جرير بالبصرة وبها مات » .

(٢) كتاب وفيات الأعيان عدد ١٢٩ من طبعة غوتنبج أو ١٢٧ من الطبقات المصرية وكتاب الأغاني ج ١٩ ص ٦ و ٤٥ و ٤٦ والنظر أيضاً ما قلته في تاريخ موت الفرزدق ص ١٥٨ حاشية ١ .

(٣) كتاب الأغاني ج ٧ ص ٥٩ من طبعة بولاق وبقدمة الأستاذ Bevan للنفاض ص ١٧ حاشية ١ .

(٤) لنفاض عدد ١٦ بيت ٢ ( ج ١ ص ٢٦ ) وديوان جرير ج ١ ص ١٥٣ سطر ٤ من طبعة مصر ١٣١٣ [ أو ص ٣٢٨ من طبعة مصر ١٣٥٤ ] - النفس كل شيء له قدر وخطر وقال شارح النفاض إن المنفسات هي المنظيات الأقدار .

(٥) ديوان ج ١ ص ٨٢ و ٩٢ - ٩٣ و ٩٦ و ٩٨ و ١٢٥ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٥١ - ١٥٢ و ١٦٩ - ١٧٠ و ج ٢ ص ٢١ - ٢٢ و ٣٩ و ٤١ و ١٠١ و ١١٣ من طبعة ١٣١٣ [ ورويت في طبعة مصر ١٣٥٤ اثنتان وعشرون مرّة فانظر ص ٥ من الفهرست ] .

أطفأ لهيب الفتن هناك فقال فيه جرير مثلاً<sup>(١)</sup> :

دعا الحجاجُ مثلَ دعاء نوحٍ      فاستمعَ ذا المعارجِ فاستجابا...  
ولو لم يرَضَ ربُّك لم يُنزلْ      مع النصر الملائكة الغضابا  
إذا سَعَرَ الخليفةُ نارَ حربٍ      رأى الحجاجُ أثَقَبَهَا شهابا  
ترى نصرَ الإمامِ عليك حقًّا      إذا لبسوا بدينهم ارتيابا...  
عفاريثُ العراقِ شُفِيَتَ منهمُ      فأمسوا خاضعين لك الرقابا

وأعاد تشبيه الحجاج بأحد الأنبياء المنذرين في قصيدة أخرى قال فيها<sup>(٢)</sup> :

رأى الحجاجُ عافيةً ونصرًا      على رغمِ المنافقِ والحسودِ  
دعا أهلَ العراقِ دعاءَ هودٍ      وقد ضلُّوا ضلالةَ قومِ هودٍ  
كَانَ المُرْجِفينَ وهمُ نَشَاوِي      نصارى يلعبون غداة عيدِ  
وظنُّوا في اللقاءِ لهمُ رواحًا      وكانوا يصعقون من الوعيدِ

ومدح عبد الملك بن مروان  $(\frac{70}{78} - \frac{81}{79})$  وَمَنْ خَلَفَهُ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي  
أُمِيَّةٍ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ  $(\frac{15}{74} - \frac{25}{74})$  فَأَدْرَجَ فِي تِلْكَ الْمَدَائِحِ أَحْيَانًا  
عِبَارَاتٍ دِينِيَّةً وَإِشَارَاتٍ قُرْآنِيَّةً مِثْلَ مَا فَعَلَ الْفَرَزْدَقُ فَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَا قَالَ  
فِي عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ<sup>(٣)</sup> :

خليفةَ اللَّهِ ماذا تُأْمُرُونَ بِنَا      لَسْنَا إِلَيْكُمْ وَلَا فِي دَارٍ مُنْتَظَرِ  
أَنْتَ الْمُبَارَكُ وَالْمُهْدَى سِيرَتُهُ      تَغْصِي الْهَوَى وَتَقُومُ اللَّيْلَ بِالسُّورِ  
أَصْبَحْتَ لِلْمَنْبَرِ الْمَعْمُورِ مَجْلِسُهُ      زَيْنًا وَزَيْنَ قِبَابِ الْمُلْكِ وَالْحَجَرِ  
نَالَ الْمَخْلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا      كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

(١) ديوان ج ١ ص ٩ من طبعة مصر ١٣١٢ [أوص ١٦ من طبعة ١٣٥٤].

(٢) ديوان ج ١ ص ٤٦ من طبعة ١٣١٣ [أوص ١٢٠ من طبعة ١٣٥٤].

(٣) ديوان ج ١ ص ١٢٥ من طبعة ١٣١٣ [أوص ٢٧٥ من طبعة ١٣٥٤].

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك<sup>(١)</sup> :

فَأَنْتَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ خَلِيفَةٌ      وَلِيٌّ لِعَهْدِ اللَّهِ بِالْحَقِّ عَارِفٌ  
هَذَاكَ الَّذِي يَهْدِي الْخَلَائِقَ لِلتَّقَى      وَأَعْطَيْتَ نَصْرًا لَمْ تَنْلُهُ الْخَلَائِفُ  
وَأَدَّتْ لِيْلِكَ الْهِنْدُ مَا فِي حَصُونِهَا      وَمِنْ أَرْضِ صِيْنِستانَ تُجِبِّي الطَّرَائِفُ  
وَأَرْضَ هِرَقْلٍ قَدْ قَهَرْتَ وَدَاهِرًا      وَتَسْتَعِي لَكُمْ مِنْ آلِ كَسْرَى النُّوَاصِفُ  
وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ الَّذِي جُمِعَتْ لَهُ      صَدُوفُ الْمُصَلَّى وَالْهَيْدِيُّ الْعَوَاكِفُ  
وَفِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى يَمْدَحُ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَيْضًا قَالَ<sup>(٢)</sup> مَعْرُضًا بِهِدَمِ

كَنِيسَةِ النَّصَارَى بِهِدَمِ الَّذِي تَقْدَمُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ فِيهَا :

وَلَقَدْ سَمَوْتَ إِلَى النَّصَارَى سَمَوَةً      رَجَفَتْ لَوَقَعَتِهَا جِبَالُ الدِّيْلَمِ  
إِنَّ الْكَنِيسَةَ كَانَ هَذَا بِنَائِهَا      نَصْرًا فَكَانَ هَزِيمَةً لِلْأُخْرَمِ  
فَأَرَاكَ رَبُّكَ إِذْ كَسَرْتَ صَلَيبَهُمْ      نَوْرَ الْهَيْدِيِّ وَعَلِمْتَ مَا لَمْ تَعْلَمِ

ولكن أكثر مدائحه لا تنفك أن تجرى مجرى شعر الجاهلية في مدح  
سادة القبائل والأشراف . ومما نتعجب منه في نظم شاعر مثل جرير هو نوع  
الافتخار الوارد في إحدى قصائده بعد ما ذكر فخر الفرس والروم بملوكهم  
السالفين فقال وهو افتخار إسلامي محض فريد في ديوانه المصوغ في قالب  
القدماء<sup>(٣)</sup> :

(١) ديوان ج ٢ ص ١٣ - ١٤ من طبعة ١٣١٣ [أوس ٢٨٤ - ٢٨٥ من طبعة ١٣٥٤]  
ونجد مثل هذه العبارات الدينية في قصائد قالها في الخلفاء وأمرائهم (راجع ديوان ج ١ ص ٦١ و ٦٥ و ٧٣  
و ١٠٧ من طبعة ١٣١٣ [أوس ١٥٣ و ١٥٩ و ١٧٦ و ٢٤٣ من طبعة مصر ١٣٥٤] .  
(٢) ديوان ج ٢ ص ٨٥ من طبعة ١٣١٣ [أوس ٤٩٣ من طبعة ١٣٥٤] - أخرم الذي شق  
وترق أنه وهو لقب ملك من ملوك الروم واسمه Justinianus الثاني فليراجع مايجكي المسموع في الباب  
السادس والستين من مروج الذهب (ج ٥ ص ٣٨١ - ٣٨٢ من طبعة باريس) في هدم البيعة والأخرم .  
(٣) ديوان ج ١ ص ١٠٧ من طبعة مصر ١٣١٣ [أوس ٢٤٣ من طبعة ١٣٥٤] أو النفاثس  
عدد ١٠٤ بيت ٢٧ - ٢٤ ج ٢ ص ٩٩٤ - ٩٩٥ من طبعة ليدن .

أَبُونَا أَبُو إِسْحَاقَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا      أَبٌ كَانَ مَهْدِيًّا نَبِيًّا مَطْهَرًا  
وَمَنَا سَلْبَانُ النَّبِيِّ الَّذِي دَعَا      فَأَعْطَى تَبْيَانًا وَمُلْكًا مَسْخَرًا  
وَمُوسَى وَعِيسَى وَالَّذِي خَرَّ سَاجِدًا      فَتَأْتَتْ زَرْعًا دَمْعُ عَيْنِهِ أَخْضَرًا  
وَيَعْقُوبُ مِنَّا زَادَهُ اللَّهُ حِكْمَةً      وَكَانَ ابْنُ يَعْقُوبَ أَمِينًا مَصُورًا  
فِيَجْمَعُنَا وَالْغُرَّ أَبْنَاءَ سَادَةٍ      أَبٌ لَا نَبَالَى بَعْدَهُ مِنْ تَعَلُّرًا  
أَبُونَا خَلِيلُ اللَّهِ وَاللَّهُ رَبُّنَا      رَضِينَا بِمَا أَعْطَى الْإِلَهَ وَقَدَّرًا  
بَنَى قِلْعَةَ اللَّهِ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا      فَأَوْرَثَنَا عِزًّا وَمُلْكًا مَعْمَرًا  
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ هَذَا الْقَوْلِ وَبَيْنَ الْاِئْتِخَارِ الْمَعْتَادِ فِي سَائِرِ أَشْعَارِ جَرِيرِ الْمُقْتَنِيِّ  
أَشْرَ الْأَقْدَمِينَ مِثْلَ أَبْيَاتِهِ فِي الْأَخْطَلِ<sup>(١)</sup> :

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبًا      جَعَلَ النَّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا ...  
مُضَرُّ أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ      يَا خُزْرُ تَغْلِبَ مِنْ أَبٍ كَابِينَا  
هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دَهْشَقٍ خَلِيفَةً      لَوْ شِئْتُ سَاقِكُمْ إِلَى قَطِينَا  
وَكَمِثْلُ الْأَخْطَلِ لَمْ يَصْنَعْ جَرِيرُ الشَّعْرِ فِي الْغَزْلِ أَبَدًا لِبَعْدِهِ عَنْ أَسَالِيبِ  
أَهْلِ الْقِبَائِلِ فَبُرِوِي فِي كِتَابِ الْأَغَانِي<sup>(٢)</sup> أَنَّهُ قَالَ فِي شَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :  
شَعْرُ تِهَامٍ إِذَا أَنْجَدَ وَجَدَ الْبَرْدَ . وَسَمِعَ مَرَّةً بَعْضَ الْأَبْيَاتِ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ  
فَأَعْجَبَتْهُ فَقَالَ : مَا زَالَ هَذَا الْقُرْشِيُّ يَهْتَدِي حَتَّى قَالَ الشَّعْرَ . وَهَذَا يُوَافِقُ  
مَا أَوْضَحْتُ فِي إِحْدَى الصَّفَحَاتِ السَّابِقَةِ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ شَعْرِ الْمَدَنِيِّ الْحِجَازِيِّ وَشَعْرِ  
أَهْلِ الْوَبَرِ فِي الْقُرُونِ الْأَوَّلِ لِلْهَجْرَةِ . - أَمَّا النِّسْبُ فِي أَوَائِلِ الْقِصَائِدِ  
فَحَاطَادُ جَرِيرِ فِي الْأَغْلِبِ عَلَى مَنْوَالِ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ وَذَكَرَ الْأَطْلَالُ وَالْمَدَنِيُّ

(١) ديوان ج ٢ ص ١٥١ من طبعة مصر ١٣١٣ [أوص ٥٧٨ - ٥٧٩ من طبعة ١٣٥٤] وانظر أيضاً الكامل للبرد ص ٥٢٦ من طبعة ليسك أوج ٢ ص ١١٩ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٤ .  
(٢) كتاب الأغاني ج ١ ص ٣٨ و ٧٢ من طبعة بولاق وراجع المقدم لابن عبد ربه ج ٢ ص ١٣٣ سطر ٢ - ٤ من طبعة مصر ١٣٠٥ وفيه تحريف - تهاى يعنى مكيا ومن المشهور أن مكة في التهمة ، وعلى تكلم بغير معقول لمرض أو غيره .

والأسمى والعاذلات ولكنه ربما عدل عنه كأنه مقتد ببعض قصائد الأخطل

فجاء بذكر الغواني الفائنات ذوات دلال وجمال . ومن هذا القليل<sup>(١)</sup> :

إن الغواني قد قطعن مودتي بعد الهوى ومنعن صفو المشرب  
وإذا وعدتك نائلاً أخلفته وجعلن ذلك مثل برق الخلب  
يُبديين من خلل الحجال سوافاً بيضاً تُزين بالجمان المذهب  
أعناق عاطية الغصون جوازيً يبحثن بالأذى عروق الخلب

ولعل ثلثي شعر جرير في الهجاء وهو في الأغلب هجاء لاذع جداً  
لا تخلو إحدى مقطعاته أو قصائده عن قذف النساء بالفواحش وعن الكلام  
السافل البذيء المستقبح مثل الوارد في أهجى الفرزدق . قال ابن رشيق  
القيرواني في كتاب العمدة<sup>(٢)</sup> : «وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح  
لأتساع الظن في التعريض وشدة تعلق النفس به والبحث عن معرفته وطلب  
حقيقته فإذا كان الهجاء تصريحاً أحاطت به النفس علماً وقبلاًته يقيناً  
في أول وهلة فكان كل يوم في نقصان لِنسيان أو ملل » . ولكن لم يكن  
هذا رأى شعراء الصنف الذي نحن بصدده فقال نفس ابن رشيق : «وجميع  
الشعراء يرون قصر الهجاء أجود وترك الفحش فيه أضوب إلا جريراً فإنه  
قال لبنيه إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة وإذا هجوتهم فاختصروا » . ومن المشهور

(١) ديوان ج ١ ص ١٠ من طبعة ١٣١٣ [أوص ١٨ - ١٩ من طبعة ١٣٥٤] - الخلب  
السحاب لا مطر فيه كأنه يندفع الشائم ويقال لمن يعد ولم ينجز : إنما أنت كبرق خلب ( كبرق الخلب )  
خلل جمع خلعة وهي الثقب - حجال جمع حجلة وهي ستر العروس في جوف البيت وفي الصحاح :  
«بيت زينب بالثياب والأسرة والستور» - سواف جمع سافة وهي صفة العنق وقيل ناحية مقدمها من  
لادن معلق القرط إلى قلت الترقوة وهما سالفان - الجوازي الوحش بأمره لاستغنائها بالكلا عن كثرة الماء -  
الأدس موضع في أواسط جزيرة العرب - حلب نبت ينبت في القيط بالقيعان وشطآن الأودية ويلق بالارض  
حتى يكاد يسوخ وإنما يأكله الشاء والظباء ويدبخ بها . وفي البيت الثالث قرأت « بالجمان » بدلا من  
« بالجمال » كما في الديوان - فانظر نسباً ثانياً في ديوانه ج ١ ص ١١٢ من طبعة ١٣١٣ [أرس ٢٥٤  
من طبعة ١٣٥٤] .

(٢) كتاب العمدة ج ٢ ص ١٤١ من طبعة مصر ١٣٢٥ .

أَنَّ جريراً لم ينفك يهجو غيره من الشعراء وعشائهم طولَ عمره فقال الأصمعي<sup>(١)</sup> : « كان ينفسه ثلاثة وأربعون شاعراً فينفذهم وراء ظهره ويرى بهم واحداً واحداً ومنهم من كان ينفخه<sup>(٢)</sup> فيرى به وثبت له الفرزدق والأخطل . فذكر بضع أخصامه من الشعراء في قصيدة قال فيها<sup>(٣)</sup> :

خزى الفرزدق والأخطل قبله      والبارق وراكب القصواء  
ولأعورى نهبان كأس مرة      ولتيم برزة قد قضيت قضائي  
ولقد تركت أبالك يا ابن مسح      حطيم القوائم داي السيساء  
والمستنير أجبر برزة عائداً      أمسى بالأم منزل الأحياء  
وبنو البعيث ذكرت حمرة أمي      فشفيت نفسي من بني الحمراء

ولإذا تأملنا حكاية ابتداء التهام التهاجي بين جرير والفرزدق خلناها من روايات زمان الجاهلية . فهي أَنَّ الأهاجي كانت تدور بين جرير والبعيث من بني مجاشع رطط الفرزدق فلما أحست بنو مجاشع بغلبة جرير على شاعرهم وبلغهم فحش جرير ينسائهم اضطروا الفرزدق إلى الدخول بينهما ففعل كارهاً فاكتفى أولاً بالدفاع عن عشيرته بدون ذكر جرير ولا تشتم بني كليب فأجابه جرير وصاولة وعشيرته صولة شديدة فالتهب نيران

(١) كتاب الأغاني ج ٧ ص ٤٠ من طبعة بولاق .

(٢) [ وفي طبعة دار الكتب المصرية ج ٨ ص ٨ يتفحه بالحاء المهملة بدلاً من ينفخه بالحاء المعجمة وهو على الظن الأصح ] .

(٣) ديوان ج ١ ص ٦ من طبعة ١٣١٣ [ أو ص ١١ من طبعة ١٣٥٤ ] . — البارق موزقة ابن مرداس البارق — القصواء ناقة لفرار بن منقل من بني العلوية ( انظر كتاب الأغاني ج ٧ ص ٤٦ ) — أعور نهبان اسمه نعيم بن شريك وقيل حريث بن غناب وقيل سمعة بن نعيم وقيل سمع بن شريك ( انظر التفاضل ج ١ ص ٣١ — ٢٢ ) والاشتقاق لابن دريد ص ٢٣٦ سطر ٦ ولسان العرب ج ١٧ ص ٢١٥ — تيم برزة يعني صربين لجأ التيمي وبرزة اسم أمه ( انظر لسان العرب ج ٧ ص ١٧٤ سطر ٦ ) — المستنير بن صبرة العبدي — البعيث الهاشمي ويقال له ابن حمراء العجاني ( انظر نقائض عدد ٣٣ بيت ٢٩ و ٣١ و ٣٦ و ٦٣ و ٦٥ مثلاً ) .

شَرَّ العداوة بين الشاعرين . ومن بعض الأخبار ونفس القصائد يُستخرج أنَّ ابتداء ذلك كان بعد موت يزيد بن معاوية  $\frac{64}{683}$  بقليل وقد مضى لكليهما عُنفُوان الشَّباب<sup>(١)</sup> . أمَّا مدَّة هذا التهاجى بينهما فأطوَّل من أربعين سنةً لأنَّنا نَعثر في إحدى قصائد الفرزدق فيه على ذكر خلافة هشام بن عبد الملك الذي ابتداءً يتربَّى الأمر سنة  $\frac{100}{721}$ <sup>(٢)</sup> .

من المشهور أنَّ نقائض جرير والفرزدق قد جُمعت بعناية أبي عُبَيْدَةَ مَعْمَر بن المثنى النُشَيمِي المتوفى سنة ٢٠٧ ثمَّ انكبَّ على شرحها غيره من علماء اللغة حتَّى وصلت إلينا يشرح أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي المتوفى سنة ٣٠٠ روايةً عن الحسن بن الحسين السُّكَّرِي المتوفى سنة ٢٧٥ عن أبي جعفر محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥<sup>(٣)</sup> . فلا أحد يجهل أنَّ النقيضة في اصطلاح علماء اللغة والأدب هي قصيدة ينسجها شاعر نقضاً لما قاله شاعر آخر بشرط أن يحفظ بَحْرَ وروى القصيدة التي يخالفها ويعارضها . ونقائض جرير والفرزدق بالرواية المذكورة عبارة عن كتاب ضخيم يتضمَّن ١١٣ قصيدة منها ٦٢ لجرير و ٣٨ للفرزدق و ٦ للبيعت المجاشعي و ٥ لغسان بن ذُهَيْل وواحدة لعُقبة بن مُلَيْص وواحدة لنُعَيْم بن شَرِيك ، وذلك ما عدا الأشعار العديدة المروية في الشرح الوافي الوافر الآتي بِقِصَصِ الحوادث وأيام العرب الوارد ذكرها في متن النقائض . وأكثر هذه النقائض لا توجد في ديوانَي الشاعرَيْن . وأهميتها تتجاوز حدود علم الآداب لأنَّ الشاعرَ في مثلها دفاعاً عنه وعشيرةً وهُجوماً على أخصامه « يضطرُّ إلى

(١) انظر مقاله الأستاذ Bevan في مقدمته للنقائض ص ١٧ .

(٢) انظر مقدمة النقائض ص ١٨ - ١٩ .

(٣) انظر مقدمة النقائض ص ١١ - ١٣ . وأدخلت بعض النقائض في ديوان جرير المطبوع بمصر سنة ١٣١٣ فراجع مقاله Bevan في ص ١٩ - ٢٠ من مقدمته [ وأدخل محمد إسماعيل عبد الله الصاري كل نقائض جرير والفرزدق الشاعرين في ديوانيهما اللذين اعنى بطبعهما سنة ١٣٥٤ ] .



تعداد مساوي أعدادهِ وذَكَر الأَيَّامَ الَّتِي تَوَالَتْ بَيْنَ قَوْمِهِ وَقِبَائِلِ الَّذِينَ يَهْجُوهُمُ مَوْضِعاً مَا آلَتْ إِلَيْهِ أُمُورُهُمُ مِنَ التَّضَعُّعِ . فَمِثْلُ هَذِهِ الْقِصَائِدِ هِيَ كِتَابِيخُ مِنْهَا نَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ وَنَطَّلِعُ عَلَى أَخْبَارِهِمْ وَنَعْرِفُ رِجَالَهُمُ الْمَشْهُورِينَ وَفِرْسَانَهُمُ الْمَذْكُورِينَ وَنَتَحَقَّقُ الْأَزْمَنَةَ وَالْأَمَكْنَةَ الَّتِي عَاشَوْا فِيهَا . فَكَمْ مِنَ الْأَمَاكِنِ وَالْبُلْدَانِ وَالْجِبَالِ وَالْوُدْيَانِ وَالْمِيَاهِ وَالْقُرَى وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي تِلْكَ الْقِصَائِدِ وَكَمْ مِنَ الْأَبْطَالِ لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ أَسْمَاءَهَا لَوْ لَمْ تُعْلِنِهِمْ لَنَا النِّقَاطُصُ (١) .

وَفِي مَكْتَبَةِ جَامِعِ بَايَزِيدَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ نَسْخَةٌ خَطِّيَّةٌ مِنْ نِقَاطُصِ الْأَخْطَلِ وَجَرِيرِ جَمْعِهَا وَشَرْحِهَا شَرْحاً صَغِيراً أَبُو تَمَّامٍ صَاحِبُ الْحِمَاسَةِ الْمُتَوَفَّى عَلَى الْقَوْلِ الْمَرْجُوحِ سَنَةَ ٢٢٨ هـ (٢) . وَلَكِنْ خِلَافاً لِمَجْمُوعَةِ نِقَاطُصِ الْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرِ لَا يَتَضَمَّنُ هَذَا الْكِتَابُ إِلَّا قِصَائِدَ مُثَبَّتَةً فِي دِيَوَانِ الشَّاعِرِينَ لَمْ يَتَضَحَّ أَنَّهَا مِنَ النِّقَاطُصِ إِذَا رَاجَعْنَا كُلَّ دِيَوَانٍ عَلَى حِدَّةٍ . - وَمِمَّا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ أَنَّ جَرِيرًا فِي نِقَاطُصِهِ لِلْأَخْطَلِ كَثِيراً مَا اسْتَعْمَلَ عِبَارَاتٍ وَإِشَارَاتٍ إِسْلَامِيَّةً كَأَنَّهُ مِنْ أَتَقَى النَّاسِ وَسَبَّ دِينَ النَّصَارَى فَقَالَ مِثْلًا (٣) :

لَعَنَ الْإِلَهَ مِنَ الصَّلِيبِ إِلَهُهُ وَاللَّابِسِينَ بِرَانَسَ الرُّهْبَانِ

(١) قَالَ الْأَبُ أَنْطُونِ صَالِحَانِ فِي مَجَلَّةِ الْمَشْرِقِ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ ١٩١٠ ص ٩٧ :

(٢) رَاجِعْ مَا قَالَ فِيهَا N. RHODOKANAKIS, über einige Handschriften der öffentlichen Bibliotheken in Konstantinopel (Orientalische Studien Th. Noeldke...gewidmet, Giessen

1906, P. 385-392) وَالْأَبُ صَالِحَانِ فِي مَقَالَتِهِ الْمَسَاءَ بِنِقَاطُصِ جَرِيرِ وَالْأَخْطَلِ فِي الْمَشْرِقِ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ ١٩٠٥

ص ٩٧ - ١٠٧ [ وَطُبِعَتْ نِقَاطُصُ جَرِيرِ وَالْأَخْطَلِ عَنْ نَسْخَةِ الْأَسَاطِنَةِ الْوَحِيدَةِ فِي بَيْرُوتِ سَنَةِ ١٩٢٢ ] .

(٣) دِيَوَانُ ج ٢ ص ١٤٩ مِنْ طَبْعَةِ ١٣١٣ [ أَوْص ٥٧٦ مِنْ طَبْعَةِ ١٣٥٤ ] . أَمَا مَارِجِسُ

الْمَذْكُورُ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ فَهُوَ قُدَيْسُ أَكْرَبِيهِ بَنُو تَغْلِبَ أَنْظَرَ دِيَوَانَ جَرِيرِ طَبْعَةُ ١٣١٣ ج ١ ص ١٣٤ سَطْر

١٧ وَص ١٣٥ سَطْر ٨ ( حَجَّ بَنِي تَغْلِبَ لِمَارِجِسِ ) وَص ١٤٣ سَطْر ١٥ ( اسْتَنْصَرَ بَنُو تَغْلِبَ

بِمَارِجِسِ وَابْنَهُ ) ثُمَّ ج ٢ ص ٢٩ سَطْر ١٠ ( اسْتَنْصَرَ التَّغْلِبِيُّونَ بِمَارِجِسِ ) وَص ٥٦ السَّطْرُ الْأَخِيرُ

( دَعَا الْأَخْطَلُ مَارِجِسَ ) [ وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي طَبْعَةِ ١٣٥٤ ص ٢٩٢ سَطْر ١ وَص ٢٩٣

سَطْر ٢ وَص ٣٠٨ سَطْر ٣ . وَص ٤١٤ سَطْر ٣ وَص ٤٥١ سَطْر ٢ ] . وَرَاجِعْ أَيْضاً بَيْتَ الْأَخْطَلِ

فِي دِيَوَانِهِ ص ٣٠٩ :

والدّابحين إذا تقارب فضحهم  
من كلّ ساجي الطرف أعصل نايه  
تغشى الملائكة الكرام وفاتنا  
يُعطي كتاب حساب بهياله  
أيصدّقون بما سرجس وابنه  
ويكذبون محمد الفرقان

وغير مرّة عيب الفرزدق لما كان بينه وبين الأخطل من الصداقة فجعله  
من الكفار على أنّه مسلم<sup>(١)</sup> :

إنّ الفرزدق حين يدخل مسجداً  
إنّ الفرزدق لا يبالي محرماً  
إنّ الفرزدق في جلال كرج  
رهط الفرزدق من نصارى تغلب  
حجّوا الصليب وقربوا قربانكم  
ومن هذا الضرب أيضاً<sup>(٢)</sup> :

ألا قبح الله الفرزدق كلّما  
فلا يقربن المروتين ولا الصفا  
فإنك لو تعطي الفرزدق درهماً  
على دين نصرانيّة لتنصراً

— لا رأونا والصليب طالعا ومار سرجس وبما ناقما

فيسب جرير دين النصارى أيضاً في أبيات أخرى فراجع ديوانه ج ١ ص ١١ و ١١٦ و ١١٧ و ١٣٤ و ١٣٥ و ج ٢ ص ٥٦ و ٨٠ و ٨١ من طبعة ١٣١٣ [أر ص ٢١ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٩١ و ٢٩٣ و ٤٥٠ و ٤٧٤ و ٤٧٦ من طبعة ١٣٥٤] . وكل الأبيات موجودة في قصائد يهجو فيها الأخطل .

(١) ديوان ج ١ ص ٨١ من طبعة ١٣١٣ [أو ١٩٣ - ١٩٤ من طبعة ١٣٥٤] .

(٢) ديوان ج ١ ص ١١٠ من طبعة ١٣١٣ [أو ص ٢٤٨ من طبعة ١٣٥٤]

وقوله <sup>(١)</sup> :

وقد لحق الفرزدق بالنصارى لِيَنْصُرَهُمْ وليس به انتصارٌ  
ويسجد للصليب مع النصارى وَأَفْلَجَ سَهْمُنَا فَلَنَا الْخِيَارُ  
ولكن واضح أنَّ مثل هذا الكلام عند جرير تعصب قوي في الحقيقة  
لا تعصب ديني .

اختلفت العلماء في تفضيل بعض هؤلاء الثلاثة على بعض وفي أيهم  
المتقدم وأغزرهم بحرًا وأرقهم شعرًا وأهتكمهم لعدوه، فلو أردت إيراد جميع  
أقوالهم لاحتججت إلى إفراد درس لهذا الموضوع بغير أن نحصل بعده على  
نتيجة لا تنازع في صحتها <sup>(٢)</sup> . والذي يجتمع على رأي من مراجعة دواوينهم  
ونقائضهم أنَّ الأخطل فاق معاصريه في التصرف في النسب الخالي عن  
التكلف الصادر عن القلب ثم في فخر المدائح وفي العقاف عن الفحش .  
وهو انفرد بتعاطي الخمريات لأنَّ ما للفرزدق من هذا الضرب إنما شيء قليل  
جداً كاد لا يُذكر، وله الفضل أيضاً في وصف المناظر الطبيعية بصورها  
بغاية الإتيان والقوة في التعبير مع وجيز الكلام فيخال القارى أن يشاهدها  
فلم يُدرك الفرزدق ولا جرير براعته في ذلك <sup>(٣)</sup> . والفرزدق فاق سائر الثلاثة  
في وفرة المراثي وجودتها ورشاققتها ثم في التصرف في اللغة لكنه أخبثهم فيما  
يُمجّه الذوق السليم من الكلام القلج وأوقعهم تنحل أبيات غيره ؛ أما هجاء  
الفرزدق وجرير فقيل إنَّ أهاجى جرير كلها تدور على أربعة أشياء هي

(١) ديوان ج ١ ص ١٠٥ من طبعة ١٢١٢ [أرص ٢٣٨ من طبعة ١٣٥٤] .

(٢) راجع الحكاية الغريبة عن تشاجر الناس في عسكر المهلب بن أبي صفرة ( حين كان يقا تل  
الأزارقة بقراس ) في مسألة أجرير أشعرام الفرزدق ( كتاب الأغاني ج ٧ ص ٣٩ و ٥٥ من طبعة بولاق ) .

(٣) انظر في الديوان ص ١٥ مثلاً وصف الأتق الوحشية تقرب من مجرى المياه العذبة وألحظها  
إلى النيفة حيث تقفئ الصياد متوارياً يفرصها وفي ص ٢٣٥ سطر ٢ إلى ٢٣٦ سطر ١ وصف الحبير  
الوحشية وفي ص ٢٣٠ سطر ٢ إلى ٢٣١ سطر ٧ وصف رحلة الثور في الليل وقتاله للفراء .

الْقَيْنَ<sup>(١)</sup> والزناء وضرب الروى بالسيف<sup>(٢)</sup> والنَّفَى من المسجد<sup>(٣)</sup> ولا يهجو الفرزدق بسوى ذلك . فهو حَكَمٌ غير منصف قد سبق إلى إبطاله ضياء الدين نصر الله بن الأثير الجَزَرِيُّ وإن بالغ قليلاً في مدافعتة عن جرير<sup>(٤)</sup> .

ومن الشعراء المُجِيدِينَ من هذا الصنف الثالث غِيلَان بن عُقْبَةَ الشهير بذي الرِّمَّة الذي حُكِمَ له في الشعر بمنزلة لا تنحط عن منزلة الثلاثة المتقدمين إلا بشيء يسير . والمعروف من أحوال حياته قليل جداً أعني أنه كان من قبائل أواسط جزيرة العرب وكان يأتى الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة ومدح بلال بن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعرى وشبب في شعره بمَيَّة وخرقاء . أمَّا موته فقال صاحب كتاب الأغاني<sup>(٥)</sup> : إنَّ ذا الرِّمَّة توفى في خلافة هشام ابن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٤) وهو ابن أربعين سنة وقال ابن خلكان<sup>(٦)</sup> : إنَّه مات سنة ١١٧ . ودُفِنَ بِرِمَال حُزَوَى في وسط الدهناء بأرض اليمامة . وله ديوان وصل إلينا بروايتين كبيرى وصغرى وكلتاها غير مطبوعتين<sup>(٧)</sup> والكبرى عبارة عن نحو ثمانين قصيدة ومقطعة وعشر منها أراجيز .

(١) لقب جرير الفرزدق وأصحابه بالقَيْن أى الحداد احتقاراً لهم وفي النقاظ عدد ٣٣ بيت ٤٩ اتقن العراقى هو البعيث الهجاشى .

(٢) أشار إلى الحكاية المروية في كتاب الأغاني ج ١٤ ص ٨٥ - ٨٨ من طبعة بولاق حين ضرب الفرزدق أسيراً رويماً ضربات بالسيف فلم يصنع شيئاً : انظر أبيات جرير والفرزدق في حساسة البحرى ص ٧١ من طبعة ليدن أوس ٤٤ - ٤٥ من طبعة بيروت (عدد ٢٠٣ و ٢٠٥) والنقاظ ص ٤١٣ من طبعة ليدن ويفتح العلوم لسكاكى ص ٣٠٤ من طبعة مصر ١٣١٧ .

(٣) ديوان ج ١ ص ٥٠ من طبعة ١٣١٣ [أوس ١٢٨ من طبعة ١٣٥٤] .

(٤) مثل السالرق أدب الكاتب والشاعر ص ٤٩٠ - ٤٩١ من طبعة بولاق ١٢٨٢ أوس ٣١٥ - ٣١٧ من طبعة مصر ١٣١٢ .

(٥) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ١٢٦ من طبعة بولاق .

(٦) وفيات الأعيان لابن خلكان عدد ٥٣٥ من طبعة غوتنجن أو ٤٩٦ من الطبقات المصرية .

(٧) طبعت رواية الديوان الكبرى في مدينة Cambridge سنة ١٩١٩ بعناية G.H.M. Macartney وطبع أيضاً الديوان في بيروت سنة ١٣٥٢ بعناية بشير عمت .

قال أبو عمرو بن العلاء النحوي<sup>(١)</sup> المتوفى سنة ١٥٤ : « إِنَّ الشعر فُتِحَ بامرئ القيس وَخُتِمَ بِذِي الرِّمَّةِ » وَيُنْسَبُ أَيْضاً إِلَى أَبِي عمرو بن العلاء هذا القول<sup>(٢)</sup> : « إِنَّمَا شعره نُقِطَ عروس تَضَمُّجِلُ عَمَّا قَالِيلُ وَأَيْعَارُ ظِبَاءٍ لَهَا شَمٌّ فِي أَوَّلِ شَمِّهَا ثُمَّ تَعُودُ إِلَى أَرْوَاحِ الْأَيْعَارِ »<sup>(٣)</sup> . وَلَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ كَيْفَ يَجْتَمِعُ هَذَانِ الْقَوْلَانِ مَعَ مَا فِيهِمَا مِنَ التَّنَاقُضِ الظَّاهِرِ . فَأَقُولُ : الْوَاضِحُ عَلَى ظَنِّي أَنَّ أَبَا عمرو بِقوله الْأَوَّلِ إِنَّمَا أَرَادَ الشعرَ عَلَى مَنْوَالِ قِصَائِدِ الْأَعْرَابِ فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنْ كَانَ هَذَا مُرَادَهُ أَصَابَ قوله لِأَنَّ ذَا الرِّمَّةِ آخِرُ الذَّرَابِغِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِأَسَالِيبِ الْقَرِيضِ الْقَدِيمِ لُغَةٍ وَمَعْنَى وَمَوْضِعاً . فَلَوْ قُرِئَ مِثْلًا أَحَدُ قَصِيدَتِهِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا<sup>(٤)</sup> :

مَا بِالْ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ      كَأَنَّهُ مِنْ كَلَى مَقَرَّةٍ سَرَبُ  
وَفَرَاغٍ غَرْفِيَّةٍ أَشْأَى خَوَارِزَهَا      مِثْلُ شَلٍّ ضِيعَتِهِ بَيْنَهَا الْكُتُبُ

وَلَمْ يَعْرِفْ اسْمَ قَائِلِهَا لِخَالِهَا مِنْ نَسَجِ فَحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ . فَبَيْنَ شعرِ ذِي الرِّمَّةِ وَبَيْنَ شعرِ الْأَخْطَلِ وَالْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرِ فَرْقٍ لَا يُنْكَرُ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ مَتَوَسِّطُونَ بَيْنَ مَسَلِكِ الْقَدَمَاءِ الْمَشْهُورِ وَطَرِيقَةِ الَّذِينَ عَاشُوا بَعْدَ ابْتِدَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَعَلَى أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقِبَائِلِ أَخَذُوا مِنْ عَوَاطِفِ أَهْلِ الْحَضَرِ شَيْئاً فَأَتَوْا أَحْيَاناً بِعَاجٍ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهَا شِعْرَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ وَوَصَفُوا مَا لَمْ يَصِفْهُ الْقَدَمَاءُ لَعَدَمَ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ ، وَعَدَّلُوا عَنْ أَنْوَاعِ التَّوَحُّشِ فِي كَثِيرٍ مِنْ

(١) كتاب البيان للجاحظ ج ٢ ص ١٨٤ من طبعة مصر ١٣١٣ (أوج ٣ ص ٢٧٢ من طبعة مصر ١٣٥١) والوفيات لابن خلكان في الموضع المذكور سابقاً .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ١١٥ (مرتين) وفي الوفيات لابن خلكان في الموضع المذكور .

(٣) قال صاحب خزائن الأدب ج ١ ص ٥٢ من طبعة بولاق : « قَالَ الْمُبَرِّدُ مَعْنَى قوله نُقِطَ عروس كَرَامُجَةِ الْمَسْكِ فَإِذَا غَبَ ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْهُ . . . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ إِنَّ شعرَ ذِي الرِّمَّةِ حُلُوٌّ أَوَّلُ مَا تَسْمَعُهُ فَإِذَا كَثُرَ إِنْشَادُهُ ضَعُفَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنٌ » .

(٤) جمهرة أشعار العرب ص ١٧٧ - ١٧٨ من طبعة بولاق ١٣٠٨ .

أبياتهم ولينوا كلامهم وإن كانت مُعْظَمُ أشعارهم تدور على المدار القديم. أما ذو الرمة فلم يزل بدوياً محضاً فأفكاره وأمياله وأنواع وصفه ومواقع كلامه جارية مجرى أمثالها عند أعراب الجاهلية لا غير فتعثرون في شعره على كثير من الوحش وغريب الألفاظ. وتجدون فيه أحياناً التراكيب الصعبة الفهم لما فيها من التقديم والتأخير مثل قوله <sup>(١)</sup> :

كَأَنَّا عَلَى أَوْلَادٍ أَحْقَبَ لَاحَهَا وَرَمَى السَّفَا أَكْفَالَهَا بِسَهَامٍ  
دَبُورٌ ذَوَتْ عَنْهَا التَّنَاهَى وَالْحَقَّتْ بِهَا يَوْمَ ذَبَاتُ السَّبِيبِ صِيَامٌ  
وتعاطى الأراجيز مع القصائد وذلك دلالة أخرى على سلوكه مسلك القدماء حسبما يأتى بيانه عند الكلام على شعراء الصنف الرابع . وكل قصيدة له لا تخلو عن الوقوف على المنزل الدائر والرسم العافى وعن ذكر الأسى على ذهاب القوم بعشوقه الشاعر واتسجام الدموع لذلك ثم عن الكلام على السفر الشاق الطويل في الرمال والكثبان والمفاوز الهائلة مع الإطناب في وصف المهامير والليل المرعب وعزيف الجن <sup>(٢)</sup> في البوادي والحمير الوحشية والصيد والناقة والأنساع والأزمة وهلمَّ جرأً ؛ فبعد ذلك يبتدئ الشاعر بالمديح أو الهجاء .  
وخلاصة القول أنه لم يخرج عن مناهج فحول الشعراء الوثنيين إلا في النادر

(١) البيتان مرويان في شرح التبريزى على حسنة أبى تمام ص ٥١١ من طبعة بن أوج ٣ ص ٨٧ من طبعة بولاق - أما معناها فكان الشاعر قال : « كأننا على أولاد أحقب لاحها دبور ذوت عنها التناهى ورمى السفا أكفالها بسهام وألحقت بها يوم صيام ذبات السبيب » - لاحه غيره - ذوى ذبل - ثناء جمع التنية من الوادى حيث يتسهى إليه الماء من حروفه - مفا شوك البهى والبهى نبت يشبه الشعر - سهام حر السوم - أكفال جمع كفل وهو الردف أو العجز - سبيب شعر الذنب والعرف - ويوجد أحياناً مثل هذا التركيب الغريب في شعر الفرزدق فراجع ما قاله Noeldeke في كتابه *Zur Grammatik der klassischen Arabisch*, Wien 1896, P. 86-87

(٢) جمع الجاحظ في كتابه الحيوان (ج ٦ ص ٥٤ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥) أبياتاً قالها ذو الرمة في عزيف الجن وانظر أيضاً GOLDZIHNER, *Abhandlungen zur arabisch Philologie*, Leiden 1896, I.P. 211.

حين قال مثلاً في آخر أرجوزة <sup>(١)</sup> :

فقلت لا والمُبْدِي المَعِيدِ اللهُ أَهْلِي الحَمْد والتَّحْمِيدِ  
ما دون وقتِ الأَجَلِ المَعْدُودِ موعودِ رَبِّ صَادِقِ الوَعْدِ  
هَلْ أَغْدُوْنَ فِي عَيْشَةٍ رَغِيدِ وَاللَّهُ أَذْنَى لِي مِنَ الْوَرِيدِ  
والمَوْتُ يَلْقَى أَنْفُسَ الشُّهُودِ

فمن عرف نوع شعر ذى الرمة وصناعته وأفكاره لم يصدق صحة البيتين المرويين لدى الرمة في كتاب المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ. خطأ <sup>(٢)</sup> :

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ  
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لَمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

ولدى الرمة المحظ. الأوفر في التشبيه الجيد فاق فيه أكثر الشعراء وإن كان ربما يُطِيلُهُ بِإِفْرَاطٍ . وكان مثل الفرزدق كثير أخذ الأبيات من غيره فوفرة سرقاته مشهورة <sup>(٣)</sup>.

ثم من شعراء هذا الصنف الثالث عُبَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ (وقبل عُبَيْدُ بْنُ معاوية) من بني نُمَيْرٍ لُقِبَ بِالرَّاعِي أَوْ رَاعِي الْإِبِلِ لكثرة وصفه الإبل وجوده نعتة إِيَّاهَا . كان في الأغلب يسكن فيما هو قريب من البصرة ووالده وأهل بيته سادة وأشراف بالبادية . وكان مائلاً إلى الفرزدق فهجاء جرير . وأجاد المديح والهجاء ولكن ما عدا قصيدة طويلة يمدح بها عبد الملك بن مروان

(١) كتاب مشارف الأتوايز في محاسن الأراجيز بمناية R. Geyer عد ٢٢٣، بيت ٧٩ - ٨٥ من طبعة ليسك ١٩٠٨ .

(٢) في باب محاسن الزمخشري ١٨٣ من طبعة ليدن ١٨٩٨ .

(٣) راجع كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٣٨ - ٣٤٠ من طبعة ليدن وكتاب الأغاني

ج ١٦ ص ١٢١ من طبعة بولاق .

( $\frac{70}{980} - \frac{47}{710}$ )<sup>(١)</sup> ما وصل إلينا من شعره إلا قليل متفرق في كتاب الأغاني وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وخزانة الأدب لعبد القادر البغدادي وحماسة أبي تمام وحماسة البُخترى وغيرها<sup>(٢)</sup>. ومن المشهور أن غير بيت له سرقة لوجوده بعض الشعراء لا سيما الطرمّاح<sup>(٣)</sup>.

ومن معاصري الفرزدق وجريير أيضاً مرة بن مَحْكَان السَّعْدِي سَيِّد بَنِي رَبِيعَ قَتله صاحب شُرَط مُصْعَب بن الزُّبَيْر، افتخر في أشعاره بالتضييف والوجود فمن قوله<sup>(٤)</sup>:

أَلَا فَاسْقِيَانِي قَبْلَ أَغْبَرَ مُظْلَمٍ      بَعِيدٍ عَنِ الْأَحْبَابِ مَنْ هُوَ نَازِلُهُ  
رَأَيْتُ الْفَنَى يَبْلَى وَيَتَلَفُ مَالُهُ      وَتَتَكَبَّرُ أَزْوَاجُ سِوَاهُ حَلَالَتُهُ  
دَرِينِي أَنْعَمَ فِي الْحَيَاةِ مَعِيشَتِي      فَأَكُلُ مَالِي دُونَ مَنْ هُوَ آكِلُهُ

ومتهم العَدِيل بن الفَرَخ العِجْلِي الذي هجا الحَجَّاج بن يوسف ففرَّ خوفاً منه إلى بلاد الروم ثم طلب منه العفر بأبياته المشهورة<sup>(٥)</sup>:  
فَلَوْ كُنْتُ فِي سَلَمَى أَجَا وَشِعَابَا      لَكَانَ الْحَجَّاجُ عَلِيٌّ ذَكِيلُ

(١) القصيدة مروية في جمهرة أشعار العرب ص ١٧٢ - ١٧٦ من طبعة بولاق وفي ذيل ديوان جرير ج ٢ ص ٢٠٢ - ٢٠٥ من طبعة مصر ١٣١٣ وروى صاحب خزانة الأدب (ج ١ ص ٥٠٢ - ٥٠٣ من طبعة بولاق) بيتاً لها وقال إنها من ٨٠ بيتاً - أما الأبيات المروية في الجمهرة فهي ٨٥.

(٢) راجع حماسة أبي تمام ص ٦٦٠ - ٦٦٢ و ٦٦٣ - ٦٦٤ من طبعة بن أوج ٤ ص ٣٥ - ٣٧ و ٣٨ من طبعة بولاق.

(٣) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٤٦ - ٢٤٧ من طبعة لندن.

(٤) حماسة البُخترى ص ٣٤٤ من طبعة لندن أو ص ٢٢٨ عدد ١٢٩٩ من طبعة بيروت. وأبيات مروية له في كتاب الأغاني ج ٢٠ ص ٩ - ١١ وفي كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٤٣١ - ٤٣٢ من طبعة لندن وحماسة أبي تمام ص ٦٨٧ من طبعة بن أوج ٤ ص ٥٩ - ٦٣ من طبعة بولاق [ومعجم الشعراء للمريزباتي ص ٣٨٣ من طبعة مصر ١٣٥٤].

(٥) رويت له أبيات في كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٢٤٥ من طبعة لندن وكتاب الأغاني ج ٢٠ ص ١٣ وحماسة أبي تمام ص ٣٤٧ - ٣٥١ من طبعة بن أوج ٢ ص ١٢٦ - ١٣٠ من طبعة بولاق والفرخ بفتح أوله وسكون الثاني راجع مقاله الأستاذ De Goeje في حاشية I من ص ٢٤٤ من كتاب الشعر والشعراء.



خليلُ أمير المؤمنين وسيفهُ لكلِّ إمامٍ مصطفَى وخليلُ  
 بنى قبة الإسلام حتى كأنما هدى الناس من بعد الضلال رسولُ  
 ومنهم العجيز السلولي الذي مدح عبد الملك بن مروان وأهله أدرك خلافة  
 هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) وكان من المشهورين بالإشراف<sup>(١)</sup>. -  
 ومنهم عقيل بن علفة المرمي<sup>(٢)</sup> من أشراف قومه فكانت قريش ترغب  
 في مصاهرته فتزوج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء. - ومنهم البهث  
 المجاشعي الذي كان خصماً من خصوم جرير وخطيباً بليغاً<sup>(٣)</sup>. - ومنهم  
 الصلتان العبدى<sup>(٤)</sup> واسمه قثم بن خبيثة الذي اجتمع إليه في الحكم بين  
 جرير والفرزدق. - ومنهم عمر بن لجأ<sup>(٥)</sup> وهو من خصوم جرير أيضاً وكان  
 راجزاً مقصداً. - ومنهم يعلى الأخول بن مسلم اليشكري الأزدي الذي

(١) كتاب الأغاني ج ١١ ص ١٥٢ - ١٥٩ وحملته أبي تمام ص ٤١٦ - ٤١٧ و ٧٠٦ -  
 ٧٠٧ من طبعة بن أوج ٢ ص ١٩٣ - ١٩٤ و ج ٤ ص ٧٩ - ٨١ من طبعة بولاق والبيان للباحظ  
 ج ١ ص ٥٣ من طبعة ١٣١٣ [أوج ١ ص ١١٦ من طبعة ١٣٥١ وفي الحاشية أبيات أخرى للشاعر]  
 أو أمالي القالي ج ١ ص ٢٧٨ من طبعة مصر ١٣٢٤ [أوج ١ ص ٢٧٥ من طبعة مصر ١٣٤٤ وطبقات  
 الشعراء لابن سلام ص ١٣٤ - ١٣٥ من طبعة ليدن ١٩١٦].

(٢) كتاب الأغاني ج ١١ ص ٨٥ - ٩٣ من طبعة بولاق وحملته أبي تمام ص ١٩٦ - ١٩٨  
 و ٤٤٥ - ٤٤٦ و ٥١٠ من طبعة بن أوج ١ ص ٢٠٩ و ج ٣ ص ٢٣ - ٢٤ و ٨٦ من طبعة بولاق  
 وطبقات الشعراء لابن سلام ص ١٤٥ - ١٤٦ من طبعة ليدن).

(٣) كتاب الشعراء لابن قتيبة ص ٣١٢ - ٣١٣ من طبعة ليدن وأبيات مروية له في كتاب الحيوان  
 للباحظ ج ٥ ص ١٢ و ١٦٩ و ج ٦ ص ٥٧ و ١٣٩ من طبعة مصر ١٣٢٢ - ١٣٢٥ فراجع كتاب  
 البيان لنفس الباحث ج ٢ ص ١٨٤ من طبعة مصر ١٣١٣.

(٤) كتاب الشعراء لابن قتيبة ص ٣١٤ - ٣١٦ من طبعة ليدن وراجع كتاب الأغاني ج ١٤  
 ص ١٠٢ - ١٠٣ و ج ٢١ ص ٤١ ورويت أربعة أبيات من مراثيه المغيرة المهلب في أمالي المرتضى  
 (ج ٤ ص ١٠٧ - ١٠٨ في المجلس الثامن والستين) من طبعة مصر ١٢٢٥ (راجع J. KRENKOW,  
*The Elegy upon al-Mughirah ibn al-Muhallab (Islamica, II, 1927, P. 344-354)*)

(٥) كتاب العمدة لابن رشيح ج ١ ص ١٢٣ من طبعة مصر ١٣٢٥ وكتاب الشعر لابن قتيبة  
 ص ٤٢٨ - ٤٢٩ من طبعة ليدن (وطبقات الشعراء لابن سلام ص ١٣١ - ١٣٢ من طبعة ليدن).

كانت عيشته تُشبه عيشة الشَّنْفَرَى ونَابِطَ شَرًّا لَأَنَّهُ « كان لصاً فاتكاً خارباً وكان خليعاً يجمع صعاليك الأزد وتُخلعها فيغير بهم على أحياء العرب ويقطع الطريق على السابلة » فيروى له قصيدة قالها وهو محبوس بمكة في خلافة مروان بن الحكم (٦٤٤ - ٦٨٥) <sup>(١)</sup>. - ومنهم عُوَيْفُ القَوَافِي الفَزَارِيُّ من ساكني الكوفة وبيته من بيوتات العرب المقدمة، تعاطى الهجاء والمديح والرثاء في أيام عبد الملك بن مروان ومن تبعه من بني أمية حتى أدرك خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١) <sup>(٢)</sup>.

إن سرّحتم أنظاركم في كتاب حماسة البُحْتَرِيِّ عشرتم على ثلاثة أبواب <sup>(٣)</sup> مترجمة بهذه التراجم: الباب الحادى والسبعون والمائة فيما قيل في مَظَلّ الديون وكُسُرها على الغراء. الباب الثانى والسبعون والمائة فيما قيل في اليمين وامتناعهم منها بدءاً ليغرّوا غرماهم بذلك ثمّ مسامحتهم بها وتسهيلها عليهم عند المطالبة وتصميمهم عليها. الباب الثالث والسبعون والمائة فيما قيل فيمن تنجّج باليمين وبذلها لغريمه من غير تمذّع. - وأكثر الشعراء المروية أبياتهم في هذه الأبواب الثلاثة غير مذكورين في سائر المصادر ولكن يتّضح من الإشارات الإسلامية الواردة في عدّة أشعار ومن ذكر الكوفة وفُرس العراق

(١) كتاب الأغاني ج ١٩ ص ١١١ - ١١٢.

(٢) كتاب الأغاني ج ١٧ ص ١٠٥ - ١١٨ وحماسة أبي تمام ص ١٢٧ - ١٢٨ و٢٦٣ و٢٧٢ من طبعة بن أوج ١ - ص ١٣٩ - ١٤٠ ج ٢ ص ٤٤ ج ٤ ص ٤٨ من طبعة بلاق وحماسة البُحْتَرِيِّ ص ٢٦ و١٦٠ و٣٧٨ من طبعة ليدن أوس ١٤ و١٠٨ و٢٦٣ (عدد ٢٨ و٥٠٠ و١٤١٥) من طبعة بيروت (وكتاب البيان للجاحظ ج ١ ص ٢٨٨ من طبعة ١٣٥١).

(٣) حماسة البُحْتَرِيِّ ص ٢٧٦ - ٣٨٧ من طبعة ليدن أوس ٢٦١ - ٢٦٨ عدد ١٤١٠ - ١٤٣٤ من طبعة بيروت فراجع (Bulletin de LAMMENS, La république marchande de la Mecque (L'Institut d'Egypte, V série t. IV, 1911, P. 38-40). [LAMMENS, La Mecque A la veille de l'Idgira, Beyrouth 1924, P. 145 388.]

ومن الأسماء الإسلامية أنهم كانوا بعد ظهور الإسلام وأن قسماً منهم أدرك  
أواخر القرن الأول أو تجاوزها وعلى كل حال هم بأمرهم من أهل البادية  
فيلقى بهم جعلهم في هذا الصنف الثالث من الشعر . وأبياتهم حرة بالاعتبار  
لما فيها من الدلالة على بعض الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في جزيرة  
العرب وما يليها من العراق في القرن الأول . « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا  
الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً » (١) : هذا هو الحكم الصالح الكريم الوارد في القرآن  
الشريف . ولكن أولئك التجار من أهل الحضر الذين اعتادوا الربح العظيم بقرض  
المال في زمان الجاهلية لم يرضوا بالامتناع عما كان يعود عليهم بالفائدة  
المالية العظمى فأتوا بالحيل للحصول على ما قد حرمه دين الإسلام فعند  
البيع لا سيما بالدين صاروا يغشون أهل البادية مراراً لما وجدوا فيه من  
الاحتياج إلى المال ومن السذاجة والجهل . وبما أن الخداع كثيراً ما يدعو  
الخداع صار أهل البدو يُبغضونهم ويحاولونهم ويردون الغش بالغش  
مفتخرين بعملهم هذا لا سيما إن كان رب المال من غير أولاد العرب .  
وكل ذلك موصوف في الأشعار المشار إليها بصفة أن يجعلوا التجار المختدعين  
هذفاً لفصح السامعين (٢) .

٤- فلننخض الآن في الكلام الموجز على الشعر من الصنف الرابع في أيام  
الدولة الأموية أعني الأراجيز . إن هذا النوع من الشعر لا يختلف عن شعر  
الصنف الثالث من حيث اللغة والموضوع والمعاني والمبدأ والخروج والاستطراد  
والنهاية فلما الفرق بينهما في القالب الذي صيغ فيه وهو بحر الرجز المشطور

(١) القرآن ٣ (آل عمران) : ١٣٠ .

(٢) ومن ألفت هذه الأشعار ما قاله ردي بن عيسى القفمي مرتجياً ، فراجع حماسة البحري

ص ٢٨٦ - ٣٨٧ من طبعة لندن أو ص ٢٦٨ عدد ١٤٣٤ من طبعة بيروت .

لأشعار الصنف الرابع وسائر الأبحر لأشعار الصنف الثالث . فلكم أن تعترضوا على سائلين أهذا الفرق المحدود في جنس العروض يستلزم لإثبات صنفين على اتفاقهما في أغلب الأمور . فأقول إن الذي حملنى على مثل هذا التمييز ثلاثة أشياء : ١<sup>١</sup> إن أراجيز هذا الصنف الرابع نوع خاص لم يسبق إليه شعراء الجاهلية ولا استعمله شعراء الدولة العباسية . ٢<sup>٢</sup> إن أكثر الذين تعاطوا الأراجيز انفردوا بها عن سائر أنواع الشعر . ٣<sup>٣</sup> إن اتخاذ الرجز أثر في صناعة الشاعر وأوجب فيها أساليب خاصة لا يوجبها أحد الأعاريف الباقية المشتمل كل بيت منها على مصراعين .

لا يخفى أن أغلب علماء صناعة الشعر ميزوا الرجز والشعر (أو القريض) تمييزاً تاماً وذلك ابتداءً من لغوى القرن الثامن مثل أبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ وتلامذته حسبما يتضح من عدة نصوص قديمة<sup>(١)</sup> . ففي كتاب النوادر المشهور فرّق دائماً أبو زيد الأنصارى المتوفى سنة ٢١٤ أو ٢١٥ أو ٢١٦ ما بين باب شعر وباب رجز . ثم لا أحد يجهل أن نوايغ الشعراء في زمان الجاهلية قلما استعملوا الرجز كأنه ليس أهلاً لمنزلتهم ففي ديوان امرئ القيس لا نعثر إلا على أربع مقطعات صغيرة منه أعنى اثنتين من المشطور واثنين من غير المشطور<sup>(٢)</sup> . وأكثر من امرئ القيس ارتجاًزاً لبيد ابن ربيعة من الذين أدركوا الإسلام تُنسب إليه خمس عشرة مقطعة في

(١) راجع النصوص المروية في J. GOLDZIEHER, *Abhandlungen zur arabischen Philologie*, I, p. 75 n. 2 وكتاب البيان للجاحظ ج ٢ ص ١٨٤ من طبعة ١٣١٣ [أرج ٣ ص ٢٧٢ من طبعة ١٣٥١] وكتاب الأغاني ج ٢١ ص ٨٩ ولسان العرب ج ٧ ص ٢١٦ - ٢١٧ وكتاب العدة لابن رشيح ج ١ ص ١٣١ - ١٣٢ من طبعة مصر ١٣٢٥ فيز أيضاً الأغلب المعجل الرجز والقريض في بيت مروى في لسان العرب ج ٩ ص ٨٤ .

(٢) عدد ٤٤ و ٦٠ (رجز غير مشطور) و ٥٣ و ٥٤ (رجز مشطور) من طبعة بمتاية Ahlwardt.

الرجز المشطور<sup>(١)</sup> تدور على المفاخرة والحكمة والمعاتبة والمديح والثناء وتشتمل إحداها وهي أطولها على ستة عشر بيتاً .

أما دواوين النابغة الذبياني<sup>(٢)</sup> وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد<sup>(٣)</sup> وعلقمة الفحل فلا شيء فيها من الرجز . وعلى كل حال لم يكن الارتجاز في زمان الجاهلية إلا بصفة قطع صغيرة يقولها الناس غالباً في الهجاء أو في الحرب وعند اللقاء . أما في القرن الأول للهجرة فأخذ بعض الشعراء من الفحول ينظمون الشعر في ذلك البحر المحتقر فلم يلب هذا التغير أشار ابن رشيقي القيرواني في كتاب العمدة حين قال<sup>(٤)</sup> : « قال أبو عبيدة إنما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك إذا حارب أو شاتم أو فاجر حتى كان العجاج أول من أطاله وقصده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب عليها ووصف ما فيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة كما فعلت الشعراء بالقصيد ؛ فكان في الرجز كأمري القيس في الشعراء . وقال غيره أول من طوّل الرجز الأغلب العجلي وهو قديم وزعم

(١) راجع *Die Gedichte des Lebdi ... aus dem Nachlasse von A. Huber herausgegeben von*

C. Brockelmann, Leiden 1891. عدد ٢٦ و ٣١ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٤٥ ومقطعات عدد

١ و ١١ و ١٢ و ١٤ و ٢٣ و ٢١ و ٢٢ .

(٢) وفي كتاب الأغاني ج ٩ ص ١٧٦ من طبعة بولاق تنسب إلى النابغة خمسة أبيات في بحر الرجز المشطور قالها مرتجلاً مادحاً جود النعمان بن النضر والأبيات أيضاً في عدد ١٠ من ذيل ديوان النابغة المطبوع في المجموعة المسماة *The Divans of the six ancient Arabic poets* بمناية Ahlwardt فراجع (٤) R. GEYER, *Beiträge zum Dialect des Ru'bah* Wien 1910, P. 2 فقال المستشرق Geyer إن موضوع هذه الأبيات يشابه موضوع القصائد .

(٣) أما طرفة فتنسب إليه أيضاً أبيات في بحر الرجز المشطور قالها وهو صبي ولعله استشهد بها فقط وتنسب هذه الأبيات إلى غيره ( إلى كليب أخى مهلهل مثلاً ) فراجع شعراء النصرانية ص ٢٩٨ وعدد ١١ من ذيل ديوان طرفة في المجموعة المذكورة في الحاشية السابقة .

(٤) كتاب العمدة ج ١ ص ٥٦ من طبعة مصر ١٣٢٥ وهذا القول كله مروي في المزهري للسيوطي

نوع ٤٩ ج ٢ ص ٣٠١ من طبعة مصر ١٣٢٥ .

الْجَمْحَى<sup>(١)</sup> وغيره أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ رَجَزَ وَلَا أَظُنُّ ذَلِكَ صَحِيحاً لِأَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّمَ) وَنَحْنُ نَجِدُ الرَّجَزَ أَقْدَمَ مِنْ ذَلِكَ .

ولكن لا شكَّ في وقوع سَهْوٍ في آخر كلام ابن رشيقي لِأَنَّهُ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْجَمْحَى إِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ اسْتِعْمَالَ بَحْرِ الرَّجَزِ فِي نَظْمِ الشَّعْرِ مِثْلَ الْقَصَائِدِ فَلَيْسَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ رَجَلًا عَالِمًا بِتَارِيخِ الشَّعْرِ وَدَقَائِقِهِ مِثْلَ الْجَمْحَى جَهْلَ مَا هُوَ مُتَدَاوِلٌ عِنْدَ كُلِّ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الرَّجَزَ مِنْ أَقْدَمِ فَنُونِ الشَّعْرِ عِنْدَ عَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ . وَقَوْلُ الْجَمْحَى صَوَابٌ تَوَيَّدَهُ عِدَّةُ نصوصٍ مِنْهَا شَهَادَةُ الْعَجَّاجِ مِنْ أَشْهُرِ شُعْرَاءِ الْأَرَجِيزِ الَّذِي قَالَ مُفْتَحِرًا<sup>(٢)</sup> :

وإِنْ يَكُنْ أَمْسَى شَبَابِي قَدْ حَسَرَ  
وَقَتَرْتُ مِنِّي الْهَوَانِي وَقَتَرْتُ ...  
إِنِّي أَنَا الْأَغْلَبُ أَضْحَى قَدْ نُشِرَ

يعنى أَنَّهُ أَحْيَا طَرِيقَةَ شَعْرِ الْأَغْلَبِ . وَهُوَ الْأَغْلَبُ بْنُ جَشَمٍ الْعَجَلِيُّ عَاشَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَدَّةً وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ وَلَهُ شَعْرٌ فِي سَجَاحٍ لَمَّا تَزَوَّجَتْ مُسَيِّلِمَةُ الْكَذَّابِ . قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي : « كَانَ فِيمَنْ تَرَجَّهَ إِلَى الْكُوفَةِ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَتَزَلَّهَا وَاسْتَشْهَدَ فِي وَاقِعَةِ نَهَاوَنْد<sup>(٣)</sup> فَقَبِرَهُ هُنَاكَ فِي قُبُورِ الشُّهَدَاءِ وَيُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ رَجَزَ الْأَرَجِيزِ الطُّوَالَ مِنَ الْعَرَبِ . . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ<sup>(٤)</sup> كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ الرَّجَزَ فِي الْحَرْبِ وَالْحِدَادِ وَالْمَفَاخِرَةِ وَمَا جَرَى

(١) يعنى محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ . ( انظر كتاب طبقات الشعراء ص ١٤٨ من طبعة ليدن ) .

(٢) انظر مجموع أشعار العرب : الجزء الثاني المشتمل على ديواني الأراجيز للعجاج والزباني بناتية Abilwardt من طبعة برلين ١٩٠٣ ص ٧٦ عدد ١٥ من الأبيات المفردات ، فالبيت الثاني مروي في لسان العرب ج ١٨ ص ١٠٤ والثالث مروي في كتاب الأغاني ج ١٨ ص ١٦٤ وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٨٩ من طبعة ليدن .

(٣) في سنة ٢١ هجرية فراجع J.WELHAUSEN, *Prolegomena zur ältesten Geschichte des Islams* (Skizzen und Vorarbeiten, Band VI, Berlin 1899) P. 108 n. 2; L. CAETANI, *Annali dell' Islam*, IV, P. 474-505.

(٤) يعنى أبا جعفر محمد بن حبيب الهاشمي المتوفى في ذي الحجة سنة ٢٤٥ .

هذا المجرى فتأتى منه بأبيات يسيرة فكان الأغلب أول من قصّد الرجز ثم سلك الناس بعده طريقته « . وقال ابن قتيبة <sup>(١)</sup> : « وهو أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله » . وفي الحقيقة كلّ ما وصل إلينا من شعره وهو قليل جداً منظوم في الرجز . فالواضح أنّ الذي ابتدعه الأغلب الأرجوزة أعنى القصيدة المصوغة في بحر الرجز المشطور وهي غير الأرجاز القديم استعمالها عند العرب .

والمحتمل أنّ نوابغ الشعراء امتنعوا عن سلوك أسلوب الأغلب مدّة ولم يذهبوا إلى نظم الأراجيز إلّا في منتصف القرن الأوّل أو بعده بقليل فإلى ذلك الفتور في هذا النوع من النظم لمّح على المحتمل المعجّاج في أبياته المذكورة آنفاً . وعلى كلّ حال ما عثرتُ على ذكر شعراء أراجيز سوى الأغلب والشماخ بن ضرار <sup>(٢)</sup> فيما قبل خلافة يزيد بن معاوية . أمّا بعد منتصف القرن الأوّل فكثيرون اتخذوا بحر الرجز لسبب القصائد مع قطع النظر عن

(١) كتاب الشعر والشعراء ص ٣٨٩ من طبعة ليدن . انظر أيضاً ما قيل فيه في كتاب الأغاني ج ١٨ ص ١٦٤-١٦٧ وكتاب الممرين للسجستاني ص ٩٨ عدد ١٠٧ من طبعة ليدن ١٨٩٩ وخزانة الأدب ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٣٤ من طبعة بولاق وأسد الغابة لابن الأثير ج ١ ص ١٠٥ من طبعة مصر ١٢٨٠ وفعولة الشعراء للأصمعي ( في مجلة *Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft* ج ٦٥ سنة ١٩١١ ) ص ٤٩٦-٤٩٧ .

(٢) وقال أيضاً قصائد غير مرتّجة . أما أراجيزه فهي مروية في ديوانه المطبوع في مصر سنة ١٣٢٧ وأيضاً في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٧ - ٢٨ و ١٧٨ - ١٧٩ من طبعة ليدن وفي مشارف الأقاويل في محاسن الأراجيز (*Altarabische Diklamben* بعناية R. Geyer عدد ٤٧ و ٤٨ و ٥١ و ٥٢ من طبعة ليبسك ١٩٠٨ وقال الشماخ كلها إما هاجياً وإما مرثيلاً في السفر فتضمن هذه الأخيرة كل الأشياء الموحدة في القسم الأوّل من القصائد كالنسب وذكر ما مضى من الزمان ووصف الناقة وذكر الرحلة والطرد والافتخار . قال ابن قتيبة ( ص ٢٧ ) إن الشماخ ارتجل مرة بالرجز هـ ثم قطع به الروى وتعلل عليه فتركه وسمع بغيره على أثره فظن الأستاذ Geyer (P. 105-107) أن تلك الأبيات ليست من قصيدة وحيدة بل من قصيدتين ولذلك قسمها في عدد ٤٧ و ٤٨ . غير أننا نجد تغير الروى في رجز منسوب إلى بعض الأعراب في كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ١٥١ - ١٥٢ .

الذين ارتجزوا قليلاً في الهجاء مثل الأخطل<sup>(١)</sup> والفرزدق والبعيث<sup>(٢)</sup> فهم أصحاب أرجاز لا أصحاب أراجيز . وبعض الذين اتبعوا مسلك الأغلب تعاطوا القصيدة والأرجوزة مع غلبة الأول على الثانية عندهم وهم جرير<sup>(٣)</sup> وذو الرمة<sup>(٤)</sup> وعمر بن لُجأ<sup>(٥)</sup> السابق ذكرهم . ومنهم أيضاً الشمرذل بن شريك اليربوعي<sup>(٦)</sup> من معاصري الفرزدق كان ذا كَلَفٍ بالصيد فقال في الصقر والكلب والقنص أراجيز كثيرة . وبعض الشعراء غلب فيهم الأراجيز على القصائد ومنهم حميد بن مالك بن ربيع التميمي المعروف بحميد الأزقط<sup>(٧)</sup> معاصر الحجاج بن يوسف (المتوفى سنة ٩٠/٧١٤) ومنهم

(١) ديوان الأخطل ص ٣٠٧ - ٣١٠ و ٣١٠ و ٣١١ .

(٢) انظر كتاب البيان والتبيين للجاسط ج ٢ ص ١٨٤ من طبعة ١٣١٣ (وج ٣ ص ٢٧٢ من طبعة ١٣٥١) .

(٣) جمع R. Geyer ما اشتهر من رجز جرير في مشارف الأقاويذ في محاسن الأراجيز (*Altarabische Dilemben*) عدد ٢٥ - ٤٤ وكلها مقطعات أرجوزة كما قال Geyer ص ٣ - ٤ وراجع أيضاً كتاب أراجيز العرب ص ٥٥ - ٥٦ من طبعة مصر ١٣١٣ (فيها مطبع) .

(٤) جمع R. Geyer ماثر عليه من رجز ذي الرمة في كتابه المالكور عدد ١٥ - ٢٤ فالأعداد ١٩ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ كلها أرجوزة كاملة أما غير هذه الأعداد فهي مقطعات وبعضها مروية في أراجيز العرب ص ٥ - ١٠ و ٣٩ - ٤٨ و ٦٢ - ٧٠ و ٩٧ - ٩٨ و ١٣٨ - ١٣٩ (أي خمسة أعداد) .

(٥) قال الجاسط في كتاب الحيوان ج ٤ ص ٨ إنه « من جمع الرجز والقصيد » وقال ابن رشيقي في كتاب العملة ج ١ ص ١٢٣ : « وكذلك عمر بن لجأ كان راجزاً وقصداً » .

(٦) وهو المذكور في كتاب الأغاني ج ١٢ ص ١١٧ - ١٢٣ وكتاب الشمر لابن قتيبة ص ٤٤٢ من طبعة لندن - وتروى له في الأغاني ج ١٢ ص ١٢٢ أرجوزة تشابه الطرديات وفي ص ١٢٢ - ١٢٣ أرجوزة يذكر فيها ذليلاً « قد لازم مرعى غنم الشمرذل فلا يزال يفرس منها شاة بعد الشاة فوصده ليلة حتى جاء لعادته ثم رماه يسهم فقتله » .

(٧) انظر خزائن الأدب ج ٢ ص ٤٥٤ من طبعة بولاق وكتاب البيان للجاسط ج ٢ ص ١٨٤ من طبعة مصر ١٣١٣ (أوج ٣ ص ٢٧٢ من ١٣٥١) وكتاب العملة لابن رشيقي ج ١ ص ١٢٣ من طبعة مصر ١٣٢٥ ولنبهولة الشعراء للأصمعي (في المجلة الألمانية المذكورة) ج ٦٥ ص ٤٩٩ . - تروى له أراجيز في كتاب الحيوان للجاسط ج ٥ ص ٤٢ وحجامة أبي تمام ص ٧٩٥ - ٧٩٦ من طبعة بن أوج ٤ ص ١٦١ - ١٦٢ من طبعة بولاق .



أَبُو النَّجْمِ الْعِجْلِيَّ<sup>(١)</sup> واسمه الفضل بن قدامة كان ينزل بسواد الكوفة ويُجيد القصيد والأرجوزة ويُراجز العجّاج وهو القائل في نفسه<sup>(٢)</sup> :

لَمْنِي وَكُلُّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرِ شَيْطَانُهُ أَنْتِي وَشَيْطَانِي ذَكَرْتُ  
فَمَا رَأَيْتُ شَاعِرًا إِلَّا أَسْتَقَرَّ فَعَلَ نَجُومَ اللَّيْلِ عَيْنَ الْقَمَرِ

وعاش في أيام عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٨٠٦) وخلّفاه وأدرك خلافة هشام بن عبد الملك (٧٢٤ - ٧٤٣) واستعمل الرجز في المديح والهجاء ووصف الصيد والفهود وغير ذلك فبعد ذلك من الشعراء النوايح .

أما بعض الشعراء فتركوا سائر الأعاريض كلياً ولم يصوغوا القصيدة إلاّ بقلب الرجز . ولعلّ أول من فعل ذلك أبو الشعثاء عبد الله بن روبة بن لبيد من بني سعد تميم الشهير بالعجّاج الذي وُلد على المحتمل في أوائل خلافة عثمان بن عفّان (٧٤٤ - ٧٥٦)<sup>(٣)</sup> وأدرك خلافة سايان بن عبد الملك (٧١٥ - ٧١٧)<sup>(٤)</sup> . ومدار ديوانه على المديح والمفاخرة والافتخار بنفسه

(١) راجع كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٨١ - ٣٨٦ من طبعة ليدن ونخزاة الأدب ج ١ ص ٥٠ من طبعة بولاق وكتاب البيان للجاحظ ج ٢ ص ١٨٤ من طبعة مصر ١٣١٢ وكتاب الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٨ وج ٦ ص ٧٠ وكتاب الأغاني ج ٩ ص ٧٧ - ٨٣ وج ١٨ ص ١٤١ ونحوه الشعراء للأصمعي ص ٤٩٩ و ٥٠٣ . (وطبقات الشعراء لابن سلام الجعفي ص ١٤٨ و ١٤٩ - ١٥٠ من طبعة ليدن) . تروى بعض أراجيزه في شرح التبريزي على حماسة أبي تمام وفي كتاب الحيوان للجاحظ ج ١ ص ١٣٥ و ١٣٦ وج ٣ ص ١٤٩ وج ٤ ص ٤ و ٩٠ و ١٠٢ الخ وج ٦ ص ٥٧ و ٥٨ و ٧٠ وفي شرح شواهد المفني للسيوطي ص ١٨٥ - ١٨٦ من طبعة مصر ١٣٢٢ وكتاب العقد لابن عبد ربه ج ١ ص ٤٨ - ٤٩ من طبعة ١٣٠٥ .

(٢) كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٨٢ من طبعة ليدن ونخزاة الأدب ج ١ ص ٥٠ من طبعة بولاق والبيت الأول مروى أيضاً في كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٧٠ .

(٣) قال الأصمعي ( فعلة الشعراء في المجلة المذكورة ج ٦٥ ص ٤٩٩ ) إنه مولود قبل الإسلام .

(٤) لا نكاد نجد في تصانيف العرب أخبار حياة العجّاج وكل ما آتى به ختمه Ahlwardt في ص ١٣ - ١٧ من مقدمة كتابه الذي سيأتي ذكره وجمع Ahlwardt نفسه أثمار العجّاج في الجزء الثاني من مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديواني الأراجيز للعجّاج والزفيان (Sammlungen alterarabischer Dichter. II) =

مع ما يتعلّق بذلك على عادة القدماء من النسب وذكر مخاوف الغياي ومشايق  
 قطع المهامه ووصف المعشوقة الجميلة والناقة والحصان الوحشي والليل العم الهائل  
 ولذة الشباب وما أشبه ذلك . وربّ نسب له في شكايّة الغواي ذوات الدلال  
 قليلات الوفاء مائلات عمن شاب رأسه مثل بعض النسب الوارد في قصائد  
 الأنطال وغيره من معاصريه فمن هذا القبيل أكثر أرجوزته التي مطلعها<sup>(١)</sup> :

إِنَّ الْغَوَايَ قَدْ غَنَيْنَ عَنِّي وَقُلْنَ لِي عَلَيْكَ بِالتَّغْنَى  
 عَنَّا فَقُلْتُ لِلْغَوَايَ إِنِّي عَلَى الْغِنَى وَأَنَا كَالْمُظَنِّ  
 لَمَّا لَبَسَنَ الْحَقَّ بِالتَّجَنِّي غَنَيْنَ وَأَسْتَبْدَلْنَ زَيْدًا مِنِّي  
 غُرَانِفًا ذَا بَشَرٍ مُكْتَنٍ يَرْضَى وَيَرْضِيهِنَّ بِالتَّمْنَى  
 إِذْ شَابَ رَأْسِي وَرَأَيْنَ أَنِّي حَتَّى قَنَاقِ الْكِبَرِ الْمُحْنَى  
 وَالْدَهْرُ حَتَّى صِرْتُ مِثْلَ الشَّنِّ أَطَرَّ الثَّقَافِ خُرُصَ الْمُقْنَى  
 وَصِرْتُ مِثْلَ الْبَازِلِ الْقِسُونِ وَقُلْنَ لِي أَفْنَاكَ طُولُ الشَّنِّ  
 وَبُرْهَةٌ مِنْ دَهْرِكَ الْمُقْنَى مَعَ الْهَوَى وَقَلَّةُ التَّوْنَى

ذكر أيضاً في أرجوزة الزمان الذي كان فيه مُتَرْفِئاً بالديار ويشرب الخمر

طول الليل بعد غروب الشمس فقال<sup>(٢)</sup> :

كَأَنَّ ذَا قَدَامَةٍ مُنْطَفَأَ قَطُفَ مِنْ أَغْنَابِهِ مَا قَطَفَا

سليح بربلن سنة ١٩٠٢ (وأشير إليه بديوان المعاج) وانظر أيضاً كتاب أراجيز العرب من ١٠-٢١ و ٤٨-٥٤ و ٧١-٧٩ و ٨٥-٩٦ و ١٠٩-١١٣ و ١١٤-١٢١ و ١٥٧-١٥٨ و ١٧٤-١٨٤، M. BITTNER, *Das erste Gedicht aus Diwan des arabischen Dichters al-Agga*, Wien 1896 (cf. NOELDEKE, ZDMG, 50, 1896, P. 523-528); R. GEYER, *Beiträge zur Kenntnis altarabischer Dichter*, 3. Bd. 'Ajjāz und al-Zafayn (Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, 23, 1909, 74-101).

ويقطع له مروية في مشارف الأقاير (GEYER, *Altarabische Diwānen*, عدد ٢-١).

(١) ديوان المعاج عدد ٣٩ بيت ١-١٥ وانظر أيضاً عدد ١٠.

(٢) ديوان المعاج عدد ٣٥ من الأبيات المفردات بيت ١٥-٢٢ وأراجيز العرب من ٤٩-٥٠ من طبعة مصر ١٣١٣ وبعض هذه الأبيات مروية في كتاب القرآن لأبي العلاء المعري ص ١١ من طبعة مصر ١٣٢١-١٣٢٥.

فَشَنَّ فِي الْإِبْرِيْقِ مِنْهَا نَزَقًا      مِنْ رَصَفٍ نَازَعَ سَيْلًا رَصَفًا  
حَتَّى تَنَاهَى فِي صَهَارِيحِ الصَّفَا      فَغَمَّهَا حَوْلَيْنِ ثُمَّ اسْتَوَدَقَا  
صَهْبَاءَ خُرْطُومًا عُقَارًا قَرَقَمًا      خَالَطَ مِنْ سَلَمَى خِيَاشِيمٍ وَقَا

وله أيضاً أرجوزة تبتدى بعبارات دينية ثم تخرج إلى ذكر متاعب الشاعر ويأسه من العمر الطويل ومنها <sup>(١)</sup> :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَقَلَّتْ بِإِذْنِهِ السَّمَاءُ وَأَطْمَأَنَّتِ  
بِإِذْنِهِ الْأَرْضُ وَمَا تَعَثَّتْ وَحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ  
وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ رَبُّ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ الثَّقَّتِ  
وَالْجَاعِلُ الْغَيْثَ غِيَاثَ الْمُسْنِنِ وَالْجَامِعُ النَّاسَ لِيَوْمِ الْمَوْقِفِ  
بَعْدَ السَّمَاتِ وَهُوَ مُحْيِي الْمَوْتِ يَوْمَ تَرَى النَّفُوسُ مَا أَعْدَتْ  
مَنْ نُزِّلَ إِذَا الْأُمُورُ غَبَّتِ مِنْ سَعْيِ دُنْيَا طَالَ مَا قَدْ مُدَّتْ  
حَتَّى أَنْقَضَى قَضَائُهَا فَادَّتْ إِلَى الْإِلَهِ خَلْقَهُ إِذْ طَمَّتْ

وفي أرجوزة ثانية <sup>(٢)</sup> أيضاً مطلع ديني صاغه العجاج ليخرج بعده إلى مدح عمر بن عبيد الله بن معمر الذي قاتل الحروريين وانتصر عليهم وقتل رئيسهم أبا فديك سنة ٧٣/٦٩٣ . ولكن في سائر أراجيزه إنما اقتدى بالأفكار والمعاني المتعارفة عند شعراء الجاهلية من أهل البادية . ومن الغريب عدم الهجاء فيما وصل إلينا من شعره مع أنه يفتخر بحدِّ لسانه الذي أسكت به أخصامه وأفعهم <sup>(٣)</sup> :

لَمَنَى إِذَا مَا عُصْبَةٌ أَنْتَابُهَا ظَالِمَةٌ قَدْ سَرَنِي سِبَابُهَا

(١) ديوان العجاج عدد ٣ بيت ١ - ١٣ وكتاب خزائن الأدب ج ٣ ص ٥٠٩ .

(٢) ديوان العجاج عدد ١١ بيت ١ - ١٦ .

(٣) ديوان العجاج عدد ٢ بيت ١٥ - ٢١ .

أَصْدَقُهَا التُّنْمُ وَلَا أَهَابُهَا حَتَّى تُرَى جَاخِرَةٌ كِلَابُهَا  
إِذَا الْقَوَافِ حُسِرَتْ أَثْوَابُهَا وَجَدَتْهَا مَفْتَحًا أَبْوَابُهَا  
مُقْبِلَةً بِسَيْلِهَا شِعَابُهَا

فقال ابن قتيبة <sup>(١)</sup> : « قيل للعجاج إنك لا تُحَسِّنُ الهِجَاءَ فَقَالَ إِنَّ  
لَنَا أَحْلَامًا تَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نَنْظِمَ وَأَحْسَابًا تَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نُظَلِّمَ وَهَلْ رَأَيْتَ بَانِيًا  
لَا يُحَسِّنُ أَنْ يَهْدِمَ » . - والرُّثَاءُ أَيْضًا لَا أَثَرُ لَهُ فِي دِيَوَانِهِ كَأَنَّهُ عَسَرَ عَلَيْهِ  
فَاسْتَنَكَفَ مِنْهُ . - وبعض أراجيز العجاج طويلة جدًا تُذَكِّرُ إِحْدَاهَا <sup>(٢)</sup> عدد  
مائتي بيت وتشتمل أخرى <sup>(٣)</sup> على ٢٢٩ بيتًا، والعجاج متين العبارة جيّد  
الالفاظ. كثير التصرُّف في الوصف وإن كانت الأشياء الموصوفة ممَّا كثر  
ذكره عند الشعراء المتقدمين . أمَّا عيوب شعره فنلتمَّح إليها بعد الكلام على  
أراجيز ابنه رُوْبَة .

تقدّم أن الكتب العربيّة المعروفة الآن لا تُفيدنا أخبار حياة العجاج  
سوى النوادر التي لا طائلَ فيها فهذه أيضاً حالة رُوْبَة بن العجاج الذي  
وُصِفَتْ حَيَاتُهُ فِي كِتَابِ الْأَغَانِي بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ <sup>(٤)</sup> : « نَزَلَ الْبَصْرَةَ  
وَهُوَ مِنْ مَخْضَرِي الدَّوْلَتَيْنِ مَدَحَ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ وَمَاتَ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ » .  
وَيُخْبِرُنَا صَاحِبُ الْأَغَانِي فِي مَوْضِعٍ آخَرَ <sup>(٥)</sup> عَرَضِيًّا بِأَنَّ رُوْبَةَ حَجَّ مَعَ سَلِمَانَ  
ابن عبد الملك وشعرائه منهم الفرزدق (وذلك سنة ١٧٧/٧١٦) . وقال ابن خلكان <sup>(٦)</sup>

(١) كتاب الشعر والشعراء ص ٢٨ و ٢٧٥ من طبعة ليدن وكتاب الأملال للغال ج ٢  
ص ٤٩ من طبعة بولاق ١٣٢٤ [ أ ر ج ص ٤٧ من طبعة ١٣٤٤ ] .

(٢) عدد ٤٠ من ديوان العجاج . (٣) ديوان العجاج عدد ٨ .

(٤) كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٨٤ .

(٥) كتاب الأغاني ج ١٤ ص ٨٥ من طبعة بولاق وراجع أيضاً نقائض جرير والفرزدق  
ص ٣٨٢ - ٣٨٤ من طبعة ليدن .

(٦) وفيات الأعيان لابن خلكان عدد ٢٣٧ من طبعة غوتنجن أو عدد ٢٢٤ من الطبعات  
المصرية وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٧٦ - ٣٨٠ من طبعة ليدن .

إنَّ رُوْبَةَ توفى سنة ١٤٥/٧٦٣ وهو مُسنَّ . هذا جميع ما يُستخرج من الكتب الواصلة إلينا مع أنَّ كتاب الفهرست <sup>(١)</sup> يفيدنا أنَّ حمَّاد بن إسحاق بن إبراهيم من علماء القرن الثالث قد ألَّف كتاب أخبار رُوْبَةَ . ولكن من اطلَّع على ديوان أراجيزه <sup>(٢)</sup> التقط . منه فوائد شتى يتوصَّل بها إلى معرفة حقيقة حال الشاعر <sup>(٣)</sup> . فيتَّضح من نظمه أنَّه كان مدَّة من أهل الوبَر مثل أبيه العجَّاج وأخذ يَجول في البلاد ويسافر إلى النواحي القاصية حتَّى قصد أكابر الناس والأُمراء في خراسان وكرمان ليملحهم بأراجيزه فينال منهم الجوائز لأنَّ الشعر كان له ولعياله الكثير مَكْسَبًا . فلمَّا انكدرت أحوال المملكة بسبب الفتن التالية لانتهاة دولة بني أُمَيَّة ١٣٢/٧٥٦ فكسدت أسواق الشعر في جملة من الأتقاء اختار الإقامة بالبصرة ليسهل عليه (وهو كبير السنَّ) الوفد على أهل العقد والحلَّ ونيلُ ما كان يرجو منهم من المال .

ويذكر أحياناً ما قد مرَّ عليه من الزمان السعيد والتعرف <sup>(٤)</sup> :

فقد أَرَانِي أَرْحَلُ المَراحِلَ في الوفدِ أو ذا حاجةٍ مُناضِلًا  
أو زيرَ بِيضٍ تَرَقُّلُ المَرافِلَ أنضغُ مِسواكِي وأغْدُو هامِلًا  
مختبِطًا ولاعبًا مُهازِلًا وأتقى الفَحْشاءَ والنَّاطِلًا

(١) كتاب الفهرست ص ١٤٣ سطر ٢ من طبعة ليسك ١٨٧١ - ١٨٧٢ .

(٢) الجزء الثالث من مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رُوْبَةَ بن العجاج طبع ببرلين سنة ١٩٠٣ بعناية Ahlwardt (*sammilungen aller arabischer Dichter*) (وأرسل إليه بديوان رُوْبَةَ) وأراجيز العرب ص ٢٢ - ٢٨ و ٥٦ - ٦٢ و ٧٩ - ٨٥ و ٩٨ - ١٠٩ و ١٢٢ - ١٣٤ و ١٣٨ - ١٣٩ و ١٥٥ - ١٥٩ و ١٧٢ - ١٨٥ و ١٨٨ و مقطعات له مروية في مشارف الأقاوي في محاسن الأراجيز (*Aljarabische Diwanen*) عدد ٣ - ١٤ (١٩٩) بيتا) وراجع أيضاً R. GEYER, *Beiträge zum Dialect der Ru'bah*. (*Sitzungsberichte der Akademie*) *der Wissenschaften*, philos. hist. Klasse, 163 Band, 9. Abh. 1910 وفيه ٥٨ أرجوزة .

(٣) راجع مقدمة ديوان رُوْبَةَ ص ٢٢ - ٣٣ .

(٤) ديوان رُوْبَةَ عدد ٤٥ بيت ٩٧ - ١٠٢ .

ويشكو ثَقَلَ قَتَبِ الدِّينِ وَلَوْمْ زَوَّجْتَهُ لَدَلَّكَ (١) :

وَحَمَلَ الدِّينُ عَلَى الْبِرِّكََا وَجَرَ أَرْحَاهُ دَهَكَنَ دَهَكََا  
أَهْلَكَنِي أَلَا يَزَالُ يَلْكََا صَاحِبُ دَيْنِي لَا يَنْبِي وَجْهَكََا  
أَعْرُكُهُ عَنِّي فَيَأْتِي الْعَرْكََا سَوَقَ الْأَجِيرِ الْمُتَعَبِ الْأَفْكََا  
وَلَمَّا يَلْعَقُ الرَّجَاءُ عَنِ اشْتَهَرَ نَدَى يَدَيْهِ فَلَمَّاهُ يَلْتَجِي الشَّاعِرُ (٢) :

وَيَعْتَرِي مَنْ يَطْلُبُ الْوَسَائِلَا وَجَهَ الْكَرِيمِ وَالْجَرَادَ الْبَاذِلَا  
وَيُبْخِضُونَ الصَّمْعَرَى الْبَاخِلَا فَقُلْتُ إِذْ عَالَجْتُ دَيْنًا شَاغِلَا  
لَا بُدَّ مِنْ قَوْلِي وَكُنْتُ قَاتِلَا يَمُّمُ مُلَيْمَانَ تَجِدُهُ وَاصِلَا  
أَعَانَ مِنْهُ حَسْبًا وَنَائِلَا مُحْتَسِبَ الْأَجْرِ كَرِيمًا فَاعِلَا  
فَكثِيرًا مَا يَشْكُو إِلَى الْأَكَابِرِ مَصَائِبَ الدَّهْرِ وَشِدَّةَ الْفَقْرِ (٣) :

إِلَيْكَ أَشْكُو عَضَّ دَهْرٍ مَكْسِرٍ أَبْقَى خُدُودًا كَالْحَرِيقِ الْمِشْرِ  
أَرْسَلَ فَاسْتَمَلَى بِأَمْرِ مُنْكَرٍ يَلْهَوِي وَحَشْرًا قَبْلَ يَوْمِ الْمَحْشَرِ  
طَرَحَ مِنْ نَأْيٍ تَفْرِيقِهِ الْمِثْلَرِ مَوْتِي وَأَحْيَاءَ بَشَرٍ مُوقَرٍ  
يَشْكُونَ فَقْرًا لَيْسَ بِالتَّفَقُّرِ

فِيَطْلُبُ مِنَ الْكِرْمَاءِ الْهَدَايَا الْعِزِّيَّةَ فَقَالَ مَثَلًا فِي أَرْجُوزَةٍ مَدَحَ بِهَا نَصْرَ  
ابْنِ سَيَّارٍ وَابْنِ خِرَاسَانَ وَالسَّعْدَ (٤) :

يَا نَصْرُ أَذْرِكْنِي بَغِيْثُ يُجْدِي يَرْحُضُ آثَارَ السَّنِينِ الْجُرْدِ

(١) ديوان رؤية عدد ٤٤ بيت ٢٣ - ٢٨ .

(٢) ديوان رؤية عدد ٤٥ بيت ١٠٥ - ١١٢ . وصليان بن علي هو عم الخليفة السفاح .

(٣) ديوان رؤية عدد ٢٢ بيت ٢٢٤ - ٢٣٠ - خلود جمع خد وهو الحفرة المستطيلة في الأرض فيراجع بيتا رؤية في ديوانه عدد ٤١ بيت ٨٧ - ٨٨ أو أواجيز العرب ص ١٠٤ يقول الشاعر فهما إن الناقة :

أَبَقْتُ أَخَادِيدَ وَأَبَقْتُ حَلَقَا بِصُحُصْحَانِ مُطَرِّقٍ وَفَلَقَا

(٤) ديوان رؤية عدد ١٩ بيت ٦ - ١٠ ويشير فيها إلى أهله الذين يتربعون على العمام .

إِنْ بَلَّ أَرْضِي لَمْ يُصِنِّي وَحَدَى      قَدْ كُنْتُ فِي الْوَعْدِ وَعِنْدَ الْعَهْدِ  
والخير يأتي منك قبل الكدِّ

ثم قال<sup>(١)</sup> :

وَمَا تَزَالُ مِدْحِي مِنْ نَجْدٍ      تَأْتِيكَ فَأَذْكُرُ صَلَاتِي وَرَقْدِي  
عِنْدَكَ خَيْرٌ يُبْنِغِي وَعِنْدِي      أَبْقَى وَأَقْضَى مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ  
أَدْرَكْتُ مَنْ قَبْلِي فَمَنْ ذَا بَعْدِي      يَنْسُجُ نَسْجِي أَوْ يَقْدُ قَدِّي

فلا عجب أن يكون معظم ديوانه في مديح الخلفاء والأمراء والأكابر  
الموصوفين بالجود إلا أن المدح الحقيقي في أراجيزه قصير جداً مشتمل على أبيات  
قليلة لأن باقي الأرجوزة جارية مجرى كل القصائد القديمة دائرة على ذكر  
الذم والموافاة السفر والنسب ووصف البرارى والسراب والمناهل والقوس  
والسهام والصيد والثاقا وهلم جرا فضلاً عن الحماسة والافتخار بقومه وبنفسه.  
ومن مدائحه أرجوزة محتوية على ٢٧٢ بيتاً أنشدها بحضرة مروان بن محمد  
آخر خلفاء بني أمية (١٣٧ - ١٣٢) ومبدؤها<sup>(٢)</sup> :

أَرْقَى طَارِقُ هَمْ أَرْقَا      وَرَكَضَ غُرْبَانٍ غَدَوْنَ نَغَمًا

ومدارها هذا : يبتدىء روبة بذكر رسوم الأطلال في موضع سكنته  
زوجته أَرْوَى في الزمان الماضي وهو في رَيْعَان الشَّبَاب ثم يشكو إلام الشيب  
برأسه وينصرف في وصف فيافي متسعة طامسة الأعلام هائلة قطعنها العيساء  
في لُجَّ الليل وهو راكبها كأنه راكب زَوْزَقًا أو نَعَامَةً أو حمارًا وحشيًا . وبعد  
ذلك يذكر تشبيهه بنساء قومه غاية الجمال ويفخر بحماسة قبيلته وعلى

(١) ديوان روبة عدد ١٩ بيت ٣٧ - ٤٢ .

(٢) ديوان روبة عدد ٤١ وأراجيز العرب ص ٩٨ - ١٠٩ وفي هذا الكتاب ١٨٣ بيتاً فقط .

وجه الاستطراد ينظم ٤٠ بيتاً في تفضيل شعره على أقوال خصومه من الشعراء  
فبنتهى إلى نحو ثلاثة أرباع من الأرجوزة قبل أن يخرج إلى ذكر الخليفة<sup>(١)</sup>  
وظفّره على أصحاب الفتن في الشام والعراق بعون الله فيلعن الثائرين ويثنى  
على جود مروان . ثم يرجع إلى الافتخار بقبيلته تميم ويهدد ربعة لميلها إلى  
الدعوة العباسية التي عنده كُفّرُ فيختم الشعر بتصريح صدق وفائه وإخلاصه  
لمروان .

ولكن لم يمنعه هذه الأرجوزة عن إطرأه بنى العباس لما تولوا الخلافة  
وتأليف أرجوزة تحتوى على ٤٠٠ بيت<sup>(٢)</sup> في مدح السفّاح ختمها بطلب  
الهدايا بل في أرجوزة أخرى مدح بها الخليفة المنصور  $(\frac{136}{754} - \frac{158}{775})$  لم  
يستح من أن يسب الدولة الأموية<sup>(٣)</sup> التي قد أثنى عليها في أيامها السعيدة<sup>(٤)</sup> :

فترَكُوا مستسلمين جُنْحًا وَحَوْتِكَاتٍ وَنِسَاءً نُوحًا  
وَمُهْلِكِينَ فِي الْجَحِيمِ كُلَّمَا وَعَادَ مُلْكُ اللَّهِ مُلْكًا مُرْدَحًا

واحتذى رؤية مثال أبيه العجاج في إغفال تعاطى الرثاء والهجاء فقال<sup>(٥)</sup> :

إِنِّي أَمْرٌ لِلنَّاسِ غَيْرُ سَبَابٍ لِلْقُرْبِ الْأَذَى وَلَا لِلْأَجْنَابِ  
أَجْتَنِبُ الْعَيْبَ اتَّقَاءَ الْأَعْيَابِ وَالْقَوْلُ يُلْقَى بَعْضُهُ فِي الْأَتَابِ  
مَاضِيهِ أَمْضَى مِنْ حِدَادِ الشَّابِ وَالْقَوْلُ يَنْجِي بَعْدَ غِبِّ الْإِغْيَابِ

ومما يستحق الذكر قوله في القدرتين في أرجوزة مدح بها مسلمة بن  
عبد الملك بن مروان (المتوفى سنة  $\frac{121}{737}$  أو  $\frac{121}{739}$ ) بعد أن أحمد نيران الفتنة

(١) ديوان رؤية عدد ٥٥ وأراجيز العرب ص ١٣٩ - ١٥٥ .

(٢) ديوان رؤية عدد ١٤ بيت ٢٧ - ٤٩ .

(٣) ديوان رؤية عدد ١٤ بيت ٤٧ - ٥٠ .

(٤) ديوان رؤية عدد ٢ بيت ٢٩ - ٣٤ وأراجيز العرب ص ١٦٠ - ١٦١ .



نحو سنة ١٠٢ و قتل يزيد بن المهلب من رؤساء الثائرين . فقال<sup>(١)</sup> :

فلقتُ والمُملِي حفيظُ الكتابِ      والقَدَرِيونَ بقولِ مُرتابِ  
والقَدَرِيونَ بحَبْلِ جَذابِ      بقَدَرٍ في حَلَقَاتِ الْأَسبابِ  
يَنْزِعُهُنَّ مِنْ شَاهِدٍ وَغِيَابِ      جَذَبَ الْمُعَلِّينَ دِلَالُ الْأَكْرَابِ  
سَيِّفُونِ الْحَقَّ عِنْدَ الْمِيجَابِ      دَعَاهُمْ سَيْلُ قَرُونِ أَعَدَّ الْحُسَابِ  
وَالْأَمْرُ يُقْضَى فِي الشُّقَا لِلْخِيَابِ

ولرؤية حِكَمِ جملة نسجها في أرجوزة لها ٣٧ بيتاً في معاتبة ابنه  
عبد الله<sup>(٢)</sup> منها :

وَأَصْدُقْ إِذَا قُلْتَ قَوْلًا وَأَقْصِدْ      فَلَيْسَ مَنْ جَارَ كَهَادٍ يَهْتَدِي  
إِنَّ السَّعِيدَ عَامِلٌ لِلْأَسْعَدِ      وَالرُّشْدُ فَاغْلَمُهُ طَرِيقُ الْأَرْشَدِ  
وَزَادُ تَقْوَى أَفْضَلُ التَّرَوُّدِ

وحِكَمُ أخرى كثيرة وردت متفرقة في أراجيزه . ثم من الجدير بالذكر  
ورود عبارات في شعره تدلُّ على ابتداء رواج الأقوال بعلم أحكام النجوم عند  
العرب في أوائل عهد الدولة العباسية<sup>(٣)</sup> فقال ملمحاً إلى انقراض الأمويين<sup>(٤)</sup> :

مروانُ لما أنْ نَهاوَتْ أَنْجُمُهُ      وَخَانَهُ فِي حُكْمِهِ مُنْجُمُهُ  
كَانَ رُؤْيَا يَقدِّرُ شَعْرُهُ قَدْرًا عَظِيمًا      فَلَوْ أَرَدْنَا جَمْعَ كُلِّ مَا قَالَهُ مَدْحًا

(١) ديوان رؤية عدد ٢ بيت ٤٢ - ٥٠ وهذه الأبيات غير موجودة في كتاب أراجيز العرب .

(٢) ديوان رؤية عدد ٢٠ بيت ٣٠ - ٣٤ ونقل Ahlwardt كل هذه الأرجوزة إلى اللغة الألمانية في ص ٣١ - ٣٢ من مقدمته .

(٣) قال رؤية ( الديوان عدد ٥٥ بيت ٨٢ أو أراجيز العرب ص ١٤٥ ) إن السفاح

« فاز بنجم سَعْدِهِ مُنْجُمُهُ » ( وفي الديوان « بنجمي » ) .

(٤) ديوان رؤية عدد ٩٢ من الأبيات المفردات بيت ١٧ - ١٨ وكتاب الأغاني ج ٢١ ص ٨٩ .

لصنعته في أراجيزه لا ضطررنا إلى إيراد أكثر من مائة بيت . فهاكم بعض الأمثلة من ذلك<sup>(١)</sup> :

قلتُ والأقوالُ ممّا يَنْبَرِي      ما أنا بالفاني ولا الْمُغْمَرِ  
أَنْسِجَ نَسِجَ الصَّنْعِ الْمُحْبَرِ      كَيْفَ تَرَانِي أَنْتَ حَيَّ فِي الدَّفْتَرِ  
على قضيبِ الذاهباتِ الشُّبْرِ      لا ينظرُ النحوى فيها نظري  
وإن لوى لَخْيِيه بالتَحَكُّرِ      وهو دَهِى العِلْمِ والتَّعَبْرِ  
حَتَّى اسْتَقَامَتْ بِي عَلَى التَّيْسِرِ

وهذه أبيات من أرجوزة مدح بها القاسم بن محمد الثَّقَفِيُّ الذي توفى سنة ٩٥ وهى مهمة لما فيها من أقدم التعريض في الشعر بعلم النحو . - ومما قال في مدح أبياته<sup>(٢)</sup> :

قلتُ ولا يبلُغُ وَصْنِي وَاصْفُ      لَأَمْدَحَنَّ والعَروْفُ عارفُ  
بمستجداتِ لها طرائفُ لها سيرُ      ولها مواقفُ  
أَسَّسَهَا صَنَعٌ بَهْنٌ قَائِفُ

وقال أيضاً<sup>(٣)</sup> :

ما كان تَحْبِيرُ اليَمانِ البرَّادُ      يرجو وإن داخلَ كلُّ وِصَادُ  
نَسْجِي وَنَسْجِي مُجَرَّهْدُ الجُدَادُ

إن من تأمل أشعار العجّاج ورؤية تعجّب من جودة صناعتها ومهارتهما في صوغ الأراجيز الطولى على روى صعب سالمة من الإقواء والإكفاء والإيطاء . فقد لاحظ. مثلاً يونس بن حبيب<sup>(٤)</sup> أن العجّاج قال أرجوزته التى مطلعها

(١) ديوان رؤبة عدد ٢٢ بيت ١٣٤ - ١٤٢ .

(٢) ديوان رؤبة عدد ٣٩ بيت ١٦ - ٢٠ .

(٣) ديوان رؤبة عدد ١٦ بيت ٢٥ - ٢٨ .

(٤) كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٨٩ .

«قد جَبَرَ الدِّينَ الإِلَهُ فَجَبَرَ» وهي ٢٢٩ بيتاً موقوفة القوافي ولو أُطْلِقَتْ قوافيها كانت كلها منصوبة وكذلك عامة أراجيزهما . ولهما التوسع العجيب في اللغة لا سيما لرؤية ، فأصاب من قال فيه إنه كان بصيراً باللغة قبيماً بحوثيئها وغريبها<sup>(١)</sup> . فلكنرة الألفاظ الغريبة الموجودة في أبيانها احتجّت بها أهل اللغة كثيراً وإن كانوا أحياناً لا يفهمون معناها بالضبط . فغلطوا في تفسيرها . ومثال ذلك ما قالت علماء اللغة من العرب في أبيات رؤبة<sup>(٢)</sup> :

لَمَّا أَرْدَرْتُ نَقْدِي وَقُلْتُ إِنِّي تَأَلَّقْتُ وَأَتَصَلْتُ بِمُكَلِّ  
خِطْبِي وَهَزَّتْ رَأْسَهَا تَسْتَبِلِي تَسَالَّنِي مِنَ السِّنِينَ كَمْ لِي  
فَقُلْتُ أَوْ عُمَرْتُ سِنَّ الْجِسْلِ أَوْ عُمَرَ نُوْحٍ زَمَنَ الْفِطْحَلِ  
وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ صَرْتُ رَهِينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلٍ

قال الجاحظ . في كتاب الحيوان<sup>(٣)</sup> : « وهذا الشعر يدلّ على طول عمر الجِسل لأنّه لم يكن ليقول « أَوْ عُمَرَ نُوْحٍ زَمَنَ الْفِطْحَلِ » والصخر مبتلّ

(١) كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان عدد ٢٣٧ من طبعة غوتنجن أو عدد ٢٢٤ من الطبقات المصرية وكتاب شرح شواهد التلخيص المسمى معاهد التنبه لعماد الدين ابن عبد الرحمن ابن أحمد الباسي ص ٨ من طبعة مصر ١٢٨٤ .

(٢) ديوان رؤبة عدد ٤٦ بيت ٩ - ١٦ ( فراجع ما قاله فيها Ahlwardt في مقدمته ص ١٣ - ١٥ ) وكتاب أراجيز العرب ص ١٢٢ - ١٢٣ والأبيات مروية في لسان العرب ج ١٣ ص ٧٢ و ج ١٤ ص ٤٣ و تاج العروس ج ٨ ص ٦٤ و مصباح الجوهري ج ٣ ص ٢٢٧ من طبعة بولاق ١٢٨٢ ( تنسب فيه إلى المجاج ) ويجمع الأشكال للميداني ج ٢ ص ٦٢ - ٦٣ من طبعة مصر ١٣١٠ ( في المثل : كان ذلك زمن الفطحل ) والمزهر للسيوطي ( في النوع الخمسين ) ج ٢ ص ٣١٤ من طبعة مصر ١٣٢٥ وبلغ الأدب في أحوال العرب للألوسي ج ٢ ص ٢١٩ - ٢٢٠ من طبعة بغداد ١٣١٤ وحياة الحيوان للمعري ج ١ ص ٢٠٣ من طبعة مصر ١٣١١ والكامل للمبرد ص ٢٤٨ من طبعة ليسانس وثمار القلوب للشالبي ص ٥١٥ - ٥١٧ من طبعة مصر ١٣٢٦ وكتاب الحيوان للجاحظ في المواضع التي سيأتى ذكرها في الحواشي التالية .

(٣) كتاب الحيوان ج ٦ ص ٣٥ - ٣٦ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ ولا يذكر اسم الشاعر ( راجع أيضاً ج ٤ ص ٦٧ و ٨ ) .

كطين الوحل . إلا وعمر الحسل عنده أطول الأعمار . وروى ابن الأعرابي عن بعض الأعراب أن سنّ الضبّ واحدة أبداً وعلى حال واحدة أبداً فكأنه قال لا أفعلها ما دام سنّها كذلك لا تنقص ولا تزيد . وقال زيد بن كثرية سنّ الحسل ثلاثة أعوام وزعم أن قوله مثلاً لا أفعله سنّ الحسل غلط . ولكن الضبّ طويل العمر إذا لم يعرض له أمرٌ وسنّ الحسل مثل سنّ القلوص ثلاث سنين حتى يلقح . ولو كانت سنّ الحسل على حالة واحدة لمعرف الأعراب الفتي من الزكّي وقد يكون الضبّ أعظم من الضبّ وليس بأكبر منه سنّاً . وقال الجاحظ . في موضع آخر <sup>(١)</sup> :

« وقد يمكن أن يكون الحسل لا يبنى ولا يرفع فتكون أسنانه أبداً على أمر واحد ويكون قول العجاج <sup>(٢)</sup> في طول عمره حقاً ويدلّ على أن أسنانه على ما ذكروا قول الفرزاري :

وجدناكم رباباً بنى أم فرقة كآسنانٍ حسلٍ لا وفاء ولا غدَر

يقولون لا زيادة ولا نقصان » . - وقال في موضع ثالث <sup>(٣)</sup> : « ومن أمثالهم لا آتيك سنّ الحسل وقال العجاج : ثُمّت <sup>(٤)</sup> لا آتيه سنّ الحسل . كأنه قال حتى يكون ما لا يكون لأنّ الحسل لا يستبدل بأسنانه آسناناً » . وفي كتاب لسان العرب <sup>(٥)</sup> ما نصّه : « وقولهم في المثل لا آتيك سنّ الحسل أي أبداً لأنّ سنّها لا تسقط . أبداً حتى تموت <sup>(٦)</sup> وأنشد ابن برّي ثُمّت لا

(١) كتاب الحيوان ج ٦ ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) في الطبعة العجاج - ومن المحتمل أن الجاحظ ينسب إلى العجاج أبيات رؤبة التي ذكرناها آنفاً أو أنه يشير إلى بيت العجاج المروي في ج ٦ ص ٦٢ .

(٣) كتاب الحيوان ج ٦ ص ٤٢ . (٤) في الطبعة : ثمة .

(٥) لسان العرب ج ١٣ ص ٦١ من طبعة بولاق .

(٦) هكذا أيضاً في مصاح الجوهري ج ٢ ص ١٧١ من طبعة بولاق ١٢٨٢ .

أَرْسَلَهَا سِنَّ الْحِجْلِ . — وقال أحد الحديثين وهو السيد محمد توفيق البكري الصديقي شارحاً أبيات روبة<sup>(١)</sup> : «الحسل ولد الضب تنفق عنه البيضة وقد خرجت سنة فلو بقي دهرًا لم يتغير عما هو عليه . يقول فلو عمرت لا أتغير كان آخر حال الموت » .

ولكن هذه التفاسير جميعها بعيدة عن حقيقة الأمر فإن من قال بطول عمر الضب ومن قال بعدم تغير أسنانه إنما استخرج قوله على وجه الحدس والتخمين من نفس بيت روبة والمثل السائر المذكور فلم ينتبه لغرابة استعمال لفظ الحسل في مثل هذا التشبيه الدالّ عنده على طول العمر أو عدم التغير إذ كان الحسل اسم الضب حين يخرج من بيضته أعنى وقت ولادته<sup>(٢)</sup> . فشرح الأبيات الحقيقي هذا<sup>(٣)</sup> لا يخرج الحسل من بيضته إلا بعد ما ثقب قشرتها بسن بارزة من فمه تسقط منه بعد المولد . فقال روبة لو عُمِرْتُ ما خرج الحسل من بيضته بواسطة تلك السن الخاصة يعني ما كان في الدنيا ضب أي دائماً . فقوله من باب قول الشاعر<sup>(٤)</sup> :

عليك سلامُ الله ما هيئت الصباً وما قرقر القيرى في ورق السدر

أو من باب قول العرب : «لَا أَفْعُلُهُ السَّمَرُ وَالْقَمَرُ»<sup>(٥)</sup> أي ما كان سمر والقمر أي أبداً .

(١) كتاب أاجيز العرب ص ١٢٣ .

(٢) قال أبو زيد الأنصاري (المتوفى سنة ٢١٥ أو ٢١٤ أو ٢١٦) في النوادر في اللغة ص ٩٢ من طبعة بيروت ١٨٩٤ «يقال لفرخ الضب حين يخرج من بيضته حسل ثم يكون خيذاً ثم يكون مطيحاً ثم يكون ضباً مدركاً» كذا أيضاً في كتاب المختص لابن سيدة ج ٨ ص ٩٦ من طبعة بولاق ١٣١٢-١٣٢١ .

(٣) راجع مقالة Ahlwardt لديوان روبة ص ١٤ - ١٥ .

(٤) انظر كتاب الطرون والظرفاء (أو كتاب الموشى) لأبي الطيب محمد بن إسحاق الوشاء ص ١٣٠ من طبعة مصر ١٣٢٤ .

(٥) كتاب الأمل للقال ج ١ ص ٢٣٧ من طبعة بولاق ١٣٢٤ .

أما قول روية : أو عُمَرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطْحَلِ \* وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ  
الْوَحْلِ ، فهو أيضاً ممّا لم يتوصّل إلى شرحه علماء اللغة . قال أبو نصر  
الجوهري المتوفى في أواخر القرن الرابع في كتاب الصحاح <sup>(١)</sup> : « الْفِطْحَلُ  
على وزن الهَزِيرِ زَمَنٌ لَمْ يُخْلَقِ النَّاسُ فِيهِ بَعْدُ . قال الجَزْزِيُّ <sup>(٢)</sup> سَأَلْتُ  
أبا عُبَيْدَةَ <sup>(٣)</sup> عنه فقال الأعراب تقول إنّه زمن كانت الحجارة فيه رَطْبَةً .  
وَأَشَدُّ لِلْعَجَاجِ [كذا] : وقد أَتَانَا زَمَنُ الْفِطْحَلِ \* وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ  
الْوَحْلِ » . - وفي لسان العرب <sup>(٤)</sup> ما نصّه : الْفِطْحَلُ على وزن الهَزِيرِ دهرٌ  
لم يُخْلَقِ النَّاسُ فِيهِ بَعْدُ وَزَمَنُ الْفِطْحَلِ زَمَنُ نُوحٍ النَّبِيِّ على نبينا وعليه  
الصلاة والسلام . وسئل روية عن قوله زمن الفِطْحَلِ فقال أيام كانت الحجارة  
فيه رطاباً . وروى أنّ روية بن العجاج نزل ماء من المياه فأراد أن يتزوج  
امرأة فقالت له المرأة ما سِدُّكَ ما مَالُكَ ما كَذَا فَأَنْشَأَ يقول : [الأبيات] .  
وقال بعضهم \* زَمَنُ الْفِطْحَلِ إِذَ السَّلَامِ <sup>(٥)</sup> رِطَابٌ \* وقال أبو حنيفة <sup>(٦)</sup>  
يقال أَتَيْتُكَ عَامَ الْفِطْحَلِ وَالْهَدْمَلَةِ <sup>(٧)</sup> يعنى زمن الخِصْبِ والريِّف . . .

(١) كتاب الصحاح ج ٢ ص ٢٢٧ من طبعة بولاق ١٢٨٢ .

(٢) وهو أبو عمر صالح بن إسماعيل الجرجاني المتوفى  $\frac{245}{88}$  فانظر G.FLUEGEL, *Die grammatischen Schulen der Araber*, Leipzig 1862, p. 81-82.

(٣) يعنى أبا عبيدة معمر بن المثنى من النحويين البصريين واختلف في تعيين سنة مائة بين

٢٠٨ و ٢١٢ . (٤) لسان العرب ج ١٤ ص ٤٢ - ٤٣ .

(٥) سلام جمع سلمة أى الحجر .

(٦) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة  $\frac{282}{89}$  .

(٧) قال الجوهري في الصحاح : « الْهَدْمَلَةُ الرملة الكثيرة الشجر » وقيل في لسان العرب ج ١٤  
ص ٢١٧ : « وَالْهَدْمَلَةُ الدَّهْرُ الَّذِي لَا يَقُوفُ عَلَيْهِ لَطُولُ الْقِتَادِمِ وَيَضْرِبُ مِثْلًا لِلَّذِي فَاتَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ  
بَعْضٌ كَانَ هَذَا أَيَّامَ الْهَدْمَلَةِ قَالَ كَثِيرٌ :

كَانَ لَمْ يَدْمَنْهَا أَنْيَسُ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بَعْدَ أَيَّامِ الْهَدْمَلَةِ عَامِرٌ

وراجع أيضاً كتاب معجم البكري ص ٨٢٨ من طبعة غوتنبيرج ١٨٧٦ .

والفِطْحَلُ السَّيْلُ وَجَمَلُ فِطْحَلٍ ضَخْمٌ مِثْلُ السَّبْحَلِ قَالَه الْفَرَّاءُ<sup>(١)</sup> . - وفي كتاب مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ<sup>(٢)</sup> المتوفى سنة ٥١٨ : كَانَ ذَلِكَ زَمَنَ الْفِطْحَلِ . قالوا هو زمن لم يُخْلَقِ النَّاسُ . قال الجَرْمِيُّ سَأَلْتُ أَبَا عبيدة عنه فقال : الْأَعْرَابُ تَقُولُ ذَلِكَ زَمَنُ كَانَتِ الْحِجَارَةُ فِيهِ رَطْبَةٌ وَأَنْشُدِ الْعَجَّاجَ [كذا] : وَقَدْ أَتَانَا زَمَنُ الْفِطْحَلِ \* وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ . قلتُ روى غيره لروية : [الأبيات] «<sup>(٣)</sup>» . - وعلى هذه الصفة أيضاً شرح البيت السَّيْدُ مُحَمَّدٌ تَوْفِيقُ الْبَكْرِيِّ حَيْثُ قَالَ<sup>(٤)</sup> : «وَالْفِطْحَلُ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ إِذَا قِيلَ لِلْأَعْرَابِ مَا أَرَادَ بِالْفِطْحَلِ قَالُوا زَمَنُ السَّلَامِ رَطَابٌ يَرِيدُ زَمَنَ الْحِجَارَةِ حِينَ كَانَتِ رَطْبَةً » .

فالواضح أنَّ علماء اللغة لم يعثروا على تلك اللفظة بذلك المعنى إلا في بيت رؤية والمثل المشتق منه ولم يعرفوا حقيقة معناها فتكلفوا شرحها من نفس البيت على وجه التخمين . فلا عجب في عدم الإصابة إذ كان أصل اللفظ بعيداً جداً مأخوذاً من اعتقادات المندائية وهم فرقة دينية خاصة قديمة الأصل سكنت أصحابها بطائع العراق لا سيما نواحي البصرة في عهد بنى أمية ويسمَّون الآن عند العامة بالصُّبَّةِ . وهم أخذوا كثيراً من آرائهم من مذاهب gnostiques<sup>(٥)</sup> فزعموا أنَّ أصل جميع الأشياء بيِّراً ربِّاً أى اللجَّة العظيمة الذى شاركه أَيْرْزِيْفَا رَبِّاً أى الأثير المصْنُوع العظيم وَمَنَا رَبِّاً أى

(١) أبو زكرياء يحيى بن زياد المتوفى ٢٠٧ هـ من التحويين الكيفيين فليراجع ٨٢٣-٨٢٢

FLUEGEL, *Die grammatischen Schulen der Araber*, s. 129-136.

(٢) كتاب مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٦٢ - ٦٣ من طبعة مصر ١٣١٠ والظاهر أن القطعة الأولى كلها منقولة من صحاح الجوهري .

(٣) فراجع أيضاً كتاب المزمع للسيوطي في النور الخمسين ج ٢ ص ٣١٤ من طبعة مصر ١٣٢٥ .

(٤) كتاب أراجيز العرب ص ١٢٣ .

(٥) أو من مذاهب أصحاب المعرفة العليا .

الروح العظيم فأصبحوا معاً على صفة ثالث لثلاثية إلهية . وماذا ربنا هو المسمى أيضاً نفس العالم أو ملك النور (مَلَكًا دَنْهُورًا) وَلَقَّبَ بالحياة الأولى (هَيَّيْ قَدَمَانِي) لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ أَخَذَتْ تَصْدُرَ عَنْهُ وَذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْفَيْضِ وَهُوَ يَسْكُنُ عَالَمًا نَوْرَانِيًّا (أَلَمَّا دَنْهُورًا) . فَأَوَّلُ مَنْ فَاضَ مِنْهُ الْحَيَاةُ الثَّانِيَّةُ (هَيَّيْ تَنْيَانِي) أَوْ يَرْشَامِينَ ثُمَّ مَعْرِفَةُ الْحَيَاةِ (مَنْدَاذْهَيَّيْ الْمَنْسُوبُ إِلَيْهِ اسْمُ الْمُنْدَاثِيَّةِ) الَّذِي يَظْهَرُ فِي الْعَالَمِ الْمَرْتَنِيِّ أَيْ الْأَسْفَلِ بَعْدَ تَجَسُّدَاتِ أَقْدَمِهَا الْإِخْوَةُ الثَّلَاثَةُ هَيْيلُ وَشَيْتِلُ وَأَنْوُشُ<sup>(١)</sup> . أَمَّا الْحَيَاةُ الثَّانِيَّةُ أَوْ يَوْشَامِينَ فَصَدَرَ عَنْهُ الْحَيَاةُ الثَّلَاثَةُ (هَيَّيْ تَلِيَتَانِي) الْمُسَمَّى أَيْضًا أَبَانُورَ فَلَمْ يَكُنْ تَحْتَهُ أَصْلًا إِلَّا فَرَاغٌ جَسِيمٌ فِي قَعْرِه مَاءٌ أَسْوَدٌ . وَأَرَادَ أَبَانُورُ مُشَارَفَةَ تِلْكَ الْأَعْمَاقِ فَرَأَى فِي الْمَاءِ صُورَتَهُ فَانْقَلَبَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ صُورَةَ ابْنِهِ غَيْرِ الْمَوْجُودِ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ وَكَانَتْ صُورَةُ خَادِعَةٍ كَاذِبَةٍ أَوَّلًا ثُمَّ تَصَلَّبَتْ فَأَصْبَحَتْ ابْنُهُ بَتَاهِيلُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ طَبِيعَةِ الْمَادَّةِ . وَمَرَاعَاةً لِمُطْلَبَةِ أَبِيهِ خَلَقَ بَتَاهِيلَ الْأَرْضِ ثُمَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ لَكِنَّهُ لَمْ يَتِمَّكَزْ مِنْ إِعْطَاءِ الْجَسَدِ الْمَخْلُوقِ نَفْسًا تُحْيِيهِ فَأَرْسَلَ الْحَيَاةَ الْأُولَى (أَيَ مَاذَا رَبِّيًّا) هَيْيلَ وَشَيْتِلَ وَأَنْوُشَ لِيَنْفُخُوا فِي الْجَسَدَيْنِ رُوحًا مِنْهُ . أَمَّا بَتَاهِيلُ فَحَرَّمَ سُلْطَتَهُ عَلَى الْبَشَرِ وَحُكْمَ عَلَيْهِ بِالنَّفْيِ عَنْ عَالَمِ النُّورِ وَالْبَقَاءِ فِي مَوْضِعٍ تَحْتَهُ مَصْفًى بِالسَّلَاسِلِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . — فَالْوَاضِحُ أَنَّ رُؤْيَا عِنْدَ إِقَامَتِهِ الطَّوِيلَةَ بِالسَّوَادِ وَالْبَصْرَةَ سَمِعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَعْتِقَادَاتِ الْمُنْدَاثِيَّةِ وَعَرَّبَ بَتَاهِيلَ بِالْفَيْطَحْلِ (وَهُوَ فِي الْعَرَبِيَّةِ الضُّخْمُ مِنَ الْإِبِلِ)<sup>(٢)</sup> حَسْبَمَا هُوَ

(١) وَالْوَاضِحُ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الثَّلَاثَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَابِيلَ وَشَيْثَ وَأَنْوُشَ .

(٢) وَنَجِدُ عِنْدَ الْمُؤَلِّفِينَ الْمَعَاصِرِينَ لَنَا الْفَيْطَحْلَ بِمَعْنَى كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْبَاهِزِيُّ لِسَائِلِ (فِي مَجَلَّةِ الْفِيَاهِ ج ٣ ص ٢٠٨) : « وَأَمَّا اسْتِمَالُ الْفَيْطَحْلِ » بِالْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْتُمُوهُ فَهُوَ مِنْ مَوَاضِعَاتِ الْعَامَّةِ وَلَا شَيْءَ مِنْهُ فِي كِتَابِ الْفَلَسَفَةِ . وَاسْتَحْسِنَ الشَّيْخُ بَعِيثُ الْخَضِرِيِّ هَذَا الْاسْتِمَالُ وَقَالَ (فِي مَجَلَّةِ الْمَشْرِقِ ج ٤ ص ١٩٠١ - ٢٣٢ - ٢٣٤) : « هُوَ مِنْ مَوَاضِعَاتِ الْفَصِيحَاءِ وَالْبَلْغَاءِ قَدْ اسْتَعْمَلُوهُ بِهَذَا الْمَعْنَى مِنْ بَابِ -



الغالب في التعريب من تشبيه الألفاظ. الأعجمية بالألفاظ. والأوزان العربية وزعم رؤبة أن بتاهيل أو الفطحل اسم رجل عاش في الزمان القديم وعاصر نوحاً فذكر في البيت لرغبته المعروفة في استعمال الكلمات والأسماء الغريبة . أما الشراح وعلماء اللغة فحاروا في تفسيره اعدم معرفة لهم يديانة المندائية ولم يُذكر كوا أنه اسم علم فاستنتجوا من القرائن خطأ أن معناه دهر لم يُخلق الناس فيه بعد وكانت الحجارة فيه رطبة فقيّدوا في القواميس معنى لا يوجد حقيقة في اللغة .

وهذا الغلط. من قبيل ما وقع فيه بعض قدماء أهل اللغة لما أرادوا شرح لفظ. الأندرين الوارد في المطلع المعزوم إلى معلّقة عمرو بن كلثوم<sup>(١)</sup> . فأنهم لجهلهم أن أندرين<sup>(٢)</sup> موضع بالشام عن جنوب حلب على طرف البادية ذهبوا إلى أن ذلك اللفظ. اسم جنس لا اسم علم فقال الخليل في كتاب العين<sup>(٣)</sup> « الأندريّ ويُجمع الأندرين يقال هم الفتيان يجتمعون من مواضع شتى » . ثم قال صاحب لسان العرب<sup>(٤)</sup> : « والأندرون فتيان من مواضع شتى يجتمعون للشرب قال عمرو بن كلثوم : ولا تُبقي خموراً أأندريناً » . فجاء في القاموس تعريف اللفظ. على هذه الصفة : « الأندرون

= الهجاز لأن من معاني الفطحل الضخم من الإبل فتقلوه إلى معنى العظيم أو الكبير من العلماء كما نقل العرب القدماء مثل ذلك في كثير من الألفاظ ومن ذلك الكيش . . . والوعل . . . والسنور . . . والفحل . . . والقنعاس فإن معناه في الأصل معنى الفطحل بتمامه . . . والقرم » .

(١) وهو مطلع منحول ما فراجع ما قاله TH. NOELDEKE, *Fünf Mo'allagat*, I, Wien 1899 P. 13-15.

(٢) وأندرين (كذا ويدرن لام التعريف) اسم القرية إلى أيامنا والاسم القديم Andron راجع معجم ما استعجم للبكري ص ١٠٨ ومعجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٢٧٣ - ٣٧٤ من طبعة ليبسك وشرح التبريزي على القصائد العشر ص ١٠٩ من طبعة كلكتة ١٨٩٤ و Noeldeke ص ٣٢ - ٣٣ من الكتاب المذكور في الحاشية المتقدمة .

(٣) الحروي في كتاب معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٣٧٣ من طبعة ليبسك .

(٤) لسان العرب ج ٧ ص ٥٣ - ٥٤ من طبعة يولات .

فتيان شتى يجتمعون للشرب»<sup>(١)</sup>. فأخذه من القاموس بطرس البستاني في محيط المحيط<sup>(٢)</sup> وسعيد الخوري الشرتوني في كتاب أقرب الموارد<sup>(٣)</sup> فهما فرقا ما بين الموضع بالشام واسم الجنس فقالا : «الأندرين» فتيان شتى يجتمعون للشرب و «أندرين» قرية «فتخمين خاطئ صار لفظاً مقيداً في كتب اللغة .

أما البيت «والصخرُ مبتلُ كطين الوَحْلِ» فلإشارة إلى قول بعض العرب برطوبة الحجارة فيما قبل الطوفان أو بعده بمدة وعليه تدلّ الأبيات المنسوبة إلى أمية بن أبي الصلت<sup>(٤)</sup> :

ولاذ هم لا لبوس لهم نقيهم ولإذ صم السلام لهم رطابُ  
عشية أرسل الطوفان يجري وفاض الماء ليس له جرابُ

وقال الجاحظ. في كتاب الحيوان<sup>(٥)</sup> : «وأنشدني عبد الرحمن بن كيسان :

فكان رطيباً يومَ ذلك صخرُها وكان خضيداً طَلَحُها وسيالُها

«فزعم كما ترى أنَّ الصخور كانت ليثة وأنَّ الأشجار الطلع والسيال كانت خضيدة لا شوك عليها. وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار أن

(١) القاموس ج ١ ص ٤٥٧ من طبعة بولاق ١٢٧٢ .

(٢) محيط المحيط ج ٢ ص ٢٠٥٥ - ٢٠٥٦ من طبعة بيروت ١٨٦٧ - ١٨٧٠ .

(٣) أقرب الموارد ج ٢ ص ١٢٨٥ من طبعة بيروت ١٨٨٩ .

(٤) يروي البيهقي وغيرهما في كتاب البدء والتاريخ السطهر بن طاهر المقدسي ج ٣ ص ٢٥ من طبعة باريس ١٨٩٩ - (١٩١٩) وفيها : «ولاذ صخر السلام» وهو تصحيف ويوجد البيت الأول وغيره في كتاب الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٦٥ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ وفي بلوغ الأرب للألويسي ج ٣ ص ٢٢٠ من طبعة بغداد ١٣١٤ (وكل الأبيات مروية في ديوان أمية عدد ٣٠ من طبعة ليبسك ١٩١١ أو ص ١٨ من طبعة بيروت ١٣٥٢) فراجع أيضاً ثمار القلوب للشمالي ص ٥١٦ من طبعة مصر ١٣٢٦ .

(٥) كتاب الحيوان ج ٤ ص ٦٨ - ٦٩ .

الشوك إنما اعتراها في صبيحة اليوم الذي زعمت النصراني فيه أنَّ المسيح ابن الله . وكان مقاتل يقول حدثنا بذلك أبو عقيل السواق وكان أحد رواة الحاملين عنه أنَّ الصخور كانت لينة وأنَّ قَدْحِي إبراهيم عليه السلام أثرتنا في تلك الصخرة كتأثير أقدام الناس في ذلك الزمان . إلَّا أنَّ الله تعالى توفى تلك الآثار وعنى عليها ومسحها ومحاهها وترك أثر مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم والحجة إنما هي في إفراده بذلك ومحور ما سواه من آثار أقدام الناس ، ليس أنَّ إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان وطئ على صخرة بابسة فأثر فيها .

فبعد هذا الاستطراد الطويل نرجع إلى سياق الكلام على رؤية . -  
لا شكَّ أنَّ فرط قصد الغريب من الألفاظ في أشعار العجاج ورؤية سبب استعجابها الشديد على القارئ فلولا عناية صاحب الصحاح وصاحب لسان العرب وصاحب تاج العروس بجمع أقوال اللغويين القدماء لبقى كثير من أبيات تلك الأراجيز كأنها ألغاز لا يمكننا التوصل إلى حلِّ معانيها . - ثمَّ من خصائص صناعة العجاج ورؤية شدة ميلهما إلى أنواع المجانسة لا سيَّما التجنيس المحقق أو المستوفى الذي اتفقت فيه الحروف دون الوزن رجع إلى الاشتقاق أم لم يرجع<sup>(١)</sup> والجناس المضارع أو المضارعة الكائنة بتقارب مخارج الحروف مع تقديم وتأخير أو مع زيادة ونقصان . وللمجانسة محلٌّ عال في علم البيان ولكنَّ الإفراط في استعمالها (والأمثلة منها ألوف في أراجيز ذينك الشاعرين)<sup>(٢)</sup> يُسْتَنْقَلُ فيُضَرَّ جودة الشعر . - ومن خصائصها

(١) إلى استنفيد من الاصطلاحات المستعملة في كتاب السبعة لابن رشيق ج ٢ ص ٢٢٠ -

٢٢٤ من طبعة مصر ١٣٢٥ .

(٢) انظر الأمثلة المروية في مقدمتي Abulwardt لديوان العجاج ص ٤٨ - ٥٠ وديوان

رؤية ص ٩٣ - ٩٧ .

أيضاً وفرة إدارج فِقَر وَجْهٍ في سياق الكلام<sup>(١)</sup> فيضطرب أحياناً المعنى ويستغلق على القارئ. وقد سبق مثال ذلك في الأبيات المروية (ص ١٧٨ - ١٧٩) ومن هذا القبيل قول روبة بعد وصف حماسة قومه<sup>(٢)</sup> :

عَبَلِ الْمَدَاوِسِ مُنِيفِ الشُّنْخَابِ      أَخْزَمَ تَخْشَاهُ قُهْوبُ الْأَنْهَابِ  
يَخْطِرْنَ مِنْ خَشْيَتِهِ بِالْأَذْنَابِ      وَالْجَزْلُ أَبْغَى مِنْ قُمَاشِ الْأَخْطَابِ  
وَالهَمْ لَا يُقْضَى كَسْلُ الْأَوْصَابِ      أَرْجُو أَنْتِسَانِي بِقُرُوبِ الْأَقْرَابِ  
وَرُؤْيَى قَبْلَ اعْتِيَاقِ الْأَعْطَابِ      وَجَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّابِ

ومن هذا الباب قول روبة<sup>(٣)</sup> :

إِنَّ لِرَيْعَانِ الشُّبَابِ غَيْهَقًا      كَانَ بِي مِنْ أَلْقَى جِنٌّ أَوْلَقَا  
وَلَا أُحِبُّ الْخُلُقَ الْمُمَدَّقَا      وَالْغِرُّ مَغْرُورٌ وَإِنْ تَلَهَوْقَا  
وَشَرُّ آلَافِ الصُّبَا مَنْ آتَقَا      بَلْ أَبْصَرْتَ شَيْخًا وَنَى وَأَشْفَقَا  
وَاضْطَرَبَ الدَّهْرُ بِهِ فَرَقَقَا      وَاللَّهْرُ إِنْ لَمْ يُبْدِلْ طَوْلًا عَوَقَا

وحب الغريب حمل روبة أحياناً على الإسهاب الممل في الوصف والتشبيه مثل قوله في ذكر الطلال<sup>(٤)</sup> :

كَأَنَّهُ بَعْدَ رِيَّاحٍ تَذْهَمُهُ      وَمُرْتَعِنَاتِ الدُّجُونِ تَشِيمُهُ  
إِنْجِيلُ أَخْبَارٍ وَحَى مُنْمِنُهُ      مَا خَطَّ فِيهِ بِالْيَدَادِ قَلَمُهُ  
إِذَا نَهَجَى قَارِئٌ يَهْيِنُهُ      أَخْرَجَ أَسْمَاءَ الْبَيَانِ مُعْجَمُهُ

(١) راجع مقدمتي Ahlwardt لديوان العجاج ص ٤٦ - ٤٧ وديوان روبة ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) ديوان روبة عدد ٢ بيت ١٧٧ - ١٨٤ من طبعة برلين وأراجيز العرب ص ١٧٠ .

(٣) ديوان روبة عدد ٤١ بيت ١٧ - ٢٤ وكتاب أراجيز العرب ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٤) ديوان روبة عدد ٥٥ بيت ١٣ - ٢١ وأراجيز العرب ص ١٤١ .

ارثعن المطر كثر - وحيث الكتاب أى كتبه .

وَحَلَقَ التَّرْقِينَ أَوْ مُوسَّسَهُ يُبْدِي لِعَيْنَيْ عَابِرٍ نَفْهَةً  
مَا فِيهِ لَوْلَا أَنَّهُ يُتَرْجَمَةُ

وربما غير روية وزن الألفاظ. لضرورة القافية فانتقد عليه الأصمعي<sup>١</sup>  
انتقاداً مدققاً مروباً في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة<sup>(٢)</sup>. - هذه عيوب  
شعر روبة وهي على كل حال أقل من فضائله بكثير.

ومن شعراء الأراجيز المشهورين دُكَيْنَ الراجز وهو دُكَيْنَ بن رَجَاء من بني  
فُقَيْم الذي لم نقف على تعيين عصره إلا بما رواه ابن قتيبة<sup>(٣)</sup> وصاحب  
الأغاني<sup>(٤)</sup> من مدحه لعمر بن عبد العزيز وقت توليه المدينة أعنى قبل  
سنة ٩٩/٧١٧. ولم يصل إلينا من أراجيزه إلا أبيات قليلة جداً<sup>(٥)</sup>. - ومن شعراء  
الأراجيز أبو نُحَيْلَةَ الحِمَافِي الراجز<sup>(٦)</sup> الذي تناثر العجاج في الشعر وأقام  
مدةً بالشام ومدح هشام بن عبد الملك (١٠٠/٧٢٤ - ١٢٥/٧٤٣) بأرجوزة ذكر بعض

(١) كتاب الشعر ص ٣٧٨ - ٣٨٠ من طبعة ليدن.

(٢) كتاب الشعر والشعراء ص ٣٨٧ - ٣٨٩ من طبعة ليدن.

(٣) كتاب الأغاني ج ٨ ص ١٥٥ من طبعة بولاق وراجع أيضاً العقد الفريد لابن عبد ربه

ج ١ ص ١١٤ - ١١٥ من طبعة ١٣٠٥.

(٤) ويروى بعض أبياته في كتاب الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ١١٢ من طبعة مصر ١٣٢٣ -

١٣٢٥ وخزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ج ٢ ص ٤٨٨ و ج ٣ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ من طبعة

بولاق - (قال ياقوت في إرشاد الأريب ج ٤ ص ٢٠٠ من طبعة لندن ١٩٢٧ ما قصه : « دُكَيْنَ بن

سعيد الدارمي القيسمي الراجز وهو غير دُكَيْنَ بن رَجَاء المتقدم واشتهر على ابن قتيبة في طبقات الشعراء

فجعلهما واحداً ودُكَيْنَ بن سعيد هذا هو الذي كان منقطعاً إلى عمر بن عبد العزيز حين كان والياً

بالمدينة . . . مات دُكَيْنَ سنة ١٠٩ هـ . أما دُكَيْنَ بن رَجَاء الفقيمي فقال ياقوت (ج ٤ ص ١٩٨ - ٢٠٠)

إنه وفد على الوليد بن عبد الملك ومدح مصعب بن الزبير ومات سنة ١٠٥ هـ . وفي كتاب العقد في الموضع

المذكور يشب مديح عمر بن عبد العزيز إلى دُكَيْنَ بن رَجَاء الفقيمي كما في كتاب الشعر لابن قتيبة أما

صاحب كتاب الأغاني فقال إن مديح عمر بن عبد العزيز لدُكَيْنَ الراجز بغير تعيين اسم أبيه ونسبه ) .

(٥) كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٨١ من طبعة ليدن وكتاب الأغاني ج ١٨ ص ١٣٩ - ١٤٢

من طبعة بولاق وكتاب الإبانة لأبي سعيد محمد بن أحمد العميد ص ٥٧ - ٥٨ من طبعة مصر بغير تاريخ

الطبع .

أبياته في كتاب الأغاني<sup>(١)</sup> وخزانة الأدب لعبد القادر البغدادي<sup>(٢)</sup>، فلما انتقلت الخلافة من بني أمية إلى بني العباس سنة ١٣٢/٧٥٢ نقلها إلى السفاح فبقيت في ديوانه منسوبة إلى هذا الخليفة العباسي. ومات بعد بيعة المنصور أعنى بعد سنة ١٣٦/٧٥٤. وشعره لئن الألفاظ مجرد عن الغريب مصوغ في بحر الرجز المشطور للأشياء قليل جداً ورد على غير قالب الأرجوزة. - ومنهم أبو مرقال عطاء بن أسيّد السعديّ المعروف بالزفّيان الذي لم يرد ذكره في أكثر كتب الأدب والتراجم مع أنّ مؤلّف كتب اللغة ربّما احتجّوا بأبياته لا سيّما صاحب تاج العروس الذي روى نحو ثلاثين بيتاً من أراجيزه. وسنة ١٩٠٣م جمع المستشرق الألمانيّ أهلوذت<sup>(٣)</sup> هذه الأبيات المفردة المتفرقة ونشرها مع عشر مقطّعات من أراجيزه موجودة في نسخة خطيّة محفوظة في المكتبة الخديويّة. ولم نعرف من أخباره إلّا ما يستفاد من بقايا ديوانه أعنى أنّه كان في قيد الحياة نحو سنة ٧٣ وقت ثورة أبي فديك بهجر من أعمال البحرين. وشعره غير مُقَرِّط في استعمال الغريب مجرد عمّا ذكرناه آنفاً من وفرة المجانسة والإدراج وهو يدور على ما تدور عليه سائر الأراجيز أعنى وصف الغرام وتوجّع الفراق والنساء والشباب والنوق والحمير الوحشيّة والفيافي والصيد وجميع ذلك تمهيداً للخروج إلى مدح قومه أو أمير أو أحد أكابر الناس يُرجّى منه الجوائز. - ومنهم أيضاً عقيب بن روبة بن العجاج على ما يُستنتج من حكاية مروية في كتاب الشعراء لابن قتيبة<sup>(٤)</sup> ومن كتاب الأغاني<sup>(٥)</sup>.

(١) كتاب الأغاني ج ١٨ من ١٤١.

(٢) كتاب خزانة الأدب ج ١ ص ٧٨ - ٧٩ من طبعة بولاق.

(٣) الجزء الثاني من مجموع أشعار العرب المذكور وهذا الجزء مشتمل على ديوان الأراجيز العجاج والزفّيان فراجع أيضاً R. GEYER, Beiträge zur Kenntnis altarabischer Dichter: 3 al-Ajjāz und al-Zafayān (Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, 23. Band, 1909) P. 100-101.

(٤) كتاب الشعر ص ٤٧٧ من طبعة ليدن.

(٥) كتاب الأغاني ج ٣ ص ٣٧ من طبعة بولاق.

إن رؤبة بن العجاج آخِر التوابع الذين قالوا الأراجيز الحقيقية أعنى القصائد الجارية مضمونها على الأسلوب القديم مع أنها مصوغة في بحر الرجز المشطور . وبعده بقليل اندرس هذا النوع من الشعر تماماً ونُحِمَ بِأَبِي العباس محمد بن دُوَيْبِ القُفَيْمِيِّ المعروف بالعماني<sup>(١)</sup> الذي نظم بالرجز أكثر قصائده<sup>(٢)</sup> . وكان من أهل البدو ومدح يزيد بن الوليد  $\frac{١٢٦}{٧٤٤}$  والخلفيتين الأخيرين من الدولة الأموية ثم السفاح والمنصور والمهدي وهارون الرشيد  $(\frac{١٧١}{٧٨٩} - \frac{١٩٣}{٨٠٩})$  .

إذا قطعنا النظر عن أصحاب الأراجيز الحقيقية وجدنا أن شعراء القرن الأول وأوائل الثاني حصروا استعمال الرجز المشطور في المقطعات الدائرة على مواضيع خاصة وإن كانوا يستعملون فيها أيضاً سائر الأعاريف . فنراهم يرتجزون في وصف أحوال شخصية ارتجالاً<sup>(٣)</sup> أو في الرثاء والهجاء ووصف الحيوان والصيد وفي المُلح والحكايات لا سيما المُصْحِكَة . ومن هذا الباب

(١) راجع كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٧٥ - ٤٧٦ من طبعة ليدن وكتاب الأغاني ج ١٧ ص ٧٨ - ٨٢ من طبعة بولاق وكتاب الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٨ (آيات له من الرجز في ج ٢ ص ٦١ و ج ٦ ص ٣٠ و ٦٧) وكتاب البيان للجاحظ ج ٢ ص ١٨٤ من طبعة ١٣١٣ (١ و ج ٣ ص ٢٧٢ من طبعة ١٣٥١) وكتاب خزائن الأدب ج ٤ ص ٢٩٢ من طبعة بولاق .

(٢) إن الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٤ سطر ٢٣ عد بشار بن برد (المقتول سنة ١٦٧ في خلافة المهدي) من الذين جمعوا القصيد والرجز مثل أبي النعم وحيد الأرقط والماني . - ولكن من جملة أشعاره التي نقلت إلينا لا نجد إلا أرجوزة واحدة قالها في مدح عقبة بن سلم (ولا ين مسلم « كما في الأغاني ج ٣ ص ٣٧ من طبعة بولاق) فيوضح من رواية ابن قتيبة (ص ٤٧٧ من طبعة ليدن) والأغاني (وانظر أيضاً البيان للجاحظ ج ١ ص ٢٣ من طبعة ١٣١٣ (أ و ج ١ ص ٥٧ من طبعة ١٣٥١) أنه إنما اتخذ بحر الرجز لنسجها لأن عقبة بن رؤبة قد أنكر في حضرة عقبة بن سلم قدرة بشار على إحسان الأراجيز .

(٣) أو بلا ارتجال كالآيات (٢٠ رجزاً) التي نسجها أبو حمزة عمر بن مسلم بن أبي طرانة الهذلي داعياً الله أن يأذن له في الاشتراك في غزو أبي لطف . راجع : J. WELLHAUSEN, *Letzter Teil der Lieder der Hudhailiten*, Berlin 1884, No. 997.

الأخير رجز رَدَيْتَنِي بن عَبَسَ الْفَقْعَسِي<sup>(١)</sup> في ذكر طريقة تخلصه من دفع ما كان عليه من الدَّيْن لتاجر فارسي بالكوفة ومنه أيضاً قصّة العذافر بن الرِّيَّان الكِنَانِي<sup>(٢)</sup> في تنجّحه لخيانة غُرمائه بيمين « كمثل سبلر جاء من رأس جَبَلٍ » . ومن هذا الباب أيضاً الأبيات الاثنان والعشرون من الرجز التي قالها مسعود بن كبير الجَرْمِي في حمار اشتراه فوجده على خلاف ما وصفه به النَّخَّاس<sup>(٣)</sup> أو مخاطبة الأعرابي والضُّبُع التي أكلت شاهه<sup>(٤)</sup> أو قول الرجل الذي سُرِق له الدَّلْو<sup>(٥)</sup> وهلمَّ جرّاً . وقد سبق (ص ١٩٠) ذِكر ما قاله الشَّمرُذَل بن شُرَيْك اليربوعي بعد منتصف القرن الأول من الأرباز العديدة اللطيفة في الصَّقر والكلب والصيد فتُروى لعُوف بن ذِرْوَة تسعة أبيات من الرجز في وصف الجراد<sup>(٦)</sup> ولعبد الله بن كُرَاع من شعراء النصف الأول من القرن الأول أرباز في وصف الضُّبُع<sup>(٧)</sup> ولأَحْيَحَة بن الجُلَاح الأُمَوي أشعار من بحر الرجز في الكلاب<sup>(٨)</sup> ولبعض<sup>(٩)</sup> الأعراب من القرن الأول أرباز في

(١) حسانة البحرى ص ٣٨٦ - ٣٨٧ من طبعة ليدن أو ص ٢٦٨ عدد ١٤٣٤ من طبعة بيروت .

(٢) حسانة البحرى ص ٣٨٤ - ٣٨٥ من طبعة ليدن أو ص ٢٦٧ عدد ١٤٣٢ من طبعة بيروت .

(٣) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ١٢٦ - ١٢٧ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ ولم أجد ذكره في كتاب الأدب ولكنه إسلامي بغير ارتياب .

(٤) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ١٥١ - ١٥٢ وهو من شعراء الإسلام والراوى هو أبو زياد الكلابي من معاصري إسماعيل الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥ .

(٥) حسانة أبي تمام ص ٨٠٠ - ٨٠١ من طبعة ابن أَرَج ص ١٦٥ - ١٦٦ من طبعة بولاق .

(٦) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٥ ص ١٦١ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ والتوارد في اللغة لأبي زيد الأنصاري ص ٤٨ من طبعة بيروت ١٨٩٤ (عن الأصمعي) وكتاب أراجيز العرب ص ٧٩ من طبعة مصر ١٣١٣ ونصه يطابق نص التوارد مطابقة تامة - ولا يذكر الشاعر في كتاب الخزانة ولا في كتاب الألفاظ ولا في كتاب الشعر لابن قتيبة ولا في الأصمعيات ولا في حسانة أبي تمام ولا في حسانة البحرى .

(٧) كتاب الحيوان ج ٦ ص ١٦٠ .

(٨) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٢ ص ٢٠ - ٢٢ .

(٩) كتاب الحيوان ج ٧ ص ٥٦ .



صفة الفيل واليربوع<sup>(١)</sup> وغيرها من الحيوان<sup>(٢)</sup>. ولا أحتاج إلى ذكر أمثلة من استعمال الرجز في الرثاء والهجاء.

ومن الحرى بالاعتبار أن شعراء الدولة العباسية لا سيما في القرن الثاني والثالث والرابع اتبعوا هذا المنهج في حصر استعمال الرجز المشطور في مواضع خاصة معينة فكثرت عندهم الأرجاز في الطرديات وهي وصف القنص وحوادثه وجوارح الصيد مثل الكلاب والفهود والبيزان فكاد يغلب الرجز على سائر الأعاريف في هذا النوع من الشعر الذي تعاطاه كثير من النوابغ مثل الفضل ابن عبد الصمد الرقائشي<sup>(٣)</sup> من شعراء هرون الرشيد وأبي نؤاس الحسن بن هاني<sup>(٤)</sup> المتوفى في العشر السنين الأخيرة من القرن الثاني والثاني الأكبر المتوفى سنة ٢٩٣ وابن المعتز<sup>(٥)</sup> المتوفى سنة  $\frac{296}{908}$  وأبو فراس الحمداني<sup>(٦)</sup> المتوفى سنة ٣٥٧ وغيرهم. ومن المشهور رجز عبد الصمد بن المعتز من شعراء القرن الثالث في وصف العقرب المروي في كتاب الكامل للمبرد<sup>(٧)</sup>.

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ١٣٠.

(٢) روى في كتاب الحيوان ج ٢ ص ٨٢ رجز في وصف السمك لابن أبي العنبر بن أبي نخيلة الراجز.

(٣) روى له الجاحظ في كتاب الحيوان ج ٦ ص ١٦١ (١٨ بيتاً) و ص ١٦١ - ١٦٢ (١٣ بيتاً) أراجيز في وصف الفهد.

(٤) روى له في كتاب الحيوان ج ٢ ص ١٠ - ١٥ أراجيز في الكلاب والطرود فراجع ديوانه في باب الطرد.

(٥) ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ٩٥ من طبعة مصر ١٨٩١ (في باب الطرد).

(٦) تروى له طردية مزدوجة في W. AHLWARDT, *Ueber Poesie und Plastik der Araber*, Gotha 1856, P. 2-4.

(٧) الكامل في اللغة للمبرد ص ٥١٩ من طبعة ليبسك أو ج ٢ ص ١١٤ - ١١٥ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٤ وعاش عبد الصمد بن المعتز في العصر العباسي فتوجد ترجمته في الأغاني ج ١٢ ص ٥٧ - ٧٢ ويروى له فيه قصيد لا رجز - نقل المبرد (المتوفى سنة ٢٨٥) عنه قول الأصمعي (المولود سنة  $\frac{122}{740-739}$  المتوفى  $\frac{216}{832-831}$ ) وإسحاق بن إبراهيم الموصل (المولود سنة  $\frac{150}{797}$  والمتوفى  $\frac{235}{918}$ ). راجع الكامل ص ٥١٩ و ٣٨٧ سطر ١٣ من طبعة ليبسك.

وسببُ حفظهم هذا العروض في الطردِيَّات وصفات الحيوان ظاهر وهو أنَّ هذا النوع من الشعر كان أصله بدوياً ومضمونه أقرب إلى أحوال أهل الوبر منه إلى عيشة سُكَّان المدن وأهل الحضَر .

وربَّما اتخذوا بحر الرجز أيضاً في نسج الرثاء <sup>(١)</sup> وذكر المُلح واللطائف والحكايات فضلاً عما ذهبوا إليه مبتدعين من استعمال الرجز لا سيما المزدوج لتأليف المنظومات الطولى في الأخبار التاريخية أو شرح الفنون والعلوم ولكنهم في الغالب امتنعوا عن الاقتداء بالسلف في الارتجاز في الهجاء ، ولا شك أنَّ سبب هذا الاستثناء كان ما وقع في الهيئة الاجتماعية العربية من التقلُّب العظيم بعد انقراض دولة بني أمية حيث زال النظام القديم المنسج على قسمة الناس في القبائل فلهذا الزوال وللتغيُّر الداخِل في الأخلاق والأُمُيَّال حُمِلت الشعراء ضرورياً على سلوك طريقة جديدة في الهجاء غير الطريقة المسلوكة في أيام الجاهلية وعند الأعراب لأنَّ هجاء قبيلة العدو وأقارب الخصم أضحى شيئاً لا أساس ولا معنى له .

كان الرجز في القرن السابق للإسلام وفي القرن التالي لظهوره البحر العادي في أشعار العامة من أهل البادية لسهولة ومناسبته لمقتضى الارتجال . فقدَّرت انتشاره عندهم ظاهر ظهور الشمس من العدد الوافر من أبيات الرجز المنسوبة إلى الأعراب الواردة في كتب الأدب واللغة جماً غفيراً حتَّى إنَّ أبا زيد الأنصاري المتوفى نحو سنة ٢١٥ الذي قد سبق ( ص ١٨٦ ) أنَّه ميَّز في كتاب النوادر في اللغة أبواب الشعر وأبواب الرجز قال في نوطته كتابه ما نصُّه <sup>(٢)</sup> : « ما كان فيه ( أى في » الكتاب » من شعر القصيد فهو

( ١ ) ومن هذا الباب مرتبة أبي نواس في خلف الأحمر راجع W. AHLWARDT, *Chalef elahmar's*

*Qasida*, Greifswald 1859, P. 414

( ٢ ) كتاب النوادر في اللغة ص ١ من طبعة بيروت ١٨٩٤ .

سَمَاعِي من المفضل بن محمد الضُّسِّي وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سَمَاعِي من العرب ». فالمحتمل على ظنِّي أَنَّ الذين صاغوا القصائد في ذلك العروض فقط. واخترعوا الأرجوزة بمعناها الخاص (وهم كما تقدّم كلهم من أهل القبائل) إنما أرادوا الاجتهاد في رفع شأن الشعر العائى البدويّ كأنّ هذا الاجتهاد ردٌّ على أساليب الشعر المدنيّ فأداروا الأراجيز على مجرد المواضيع المألوفة عند سكّان البرارى وماؤها ألفاظاً غريبة خاصة لأهل البادية بعيدة عن متعارف أهل الحضر<sup>(١)</sup>.

أما أسباب فناء نوع الأراجيز الحقيقيّة وزوالها في أوائل الدولة العبّاسيّة فأظنّها من ضربين : صناعيّة وطبيعيّة والصناعيّة عُسْر حفظ. روى واحد في الأشعار الطولى ذات أبيات قصيرة جداً من مشطور الرجز ثمّ الملل الناشئ عن هذا الرويّ الوحيد للأبيات القصيرة إن طال الشعر ثمّ صعوبة حصر معنّى تامّ في بيت من الرجز المشطور وما ينتج منها من الاضطراب إلى تقسيم المعنى الواحد على بيتين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر ، وذلك يضرّ وضوح المعنى ويسبب التعقيد . أما السبب الطبيعيّ فهو ما تقدّم أنّ الأرجوزة الحقيقيّة إنّما كانت من مخترعات شعراء البادية لم يذهب إلّ بها أحد من الحضريّين وهى شعر بدويّ محض لغة وموضوعاً فاستنكف عنه شعراء الدولة العبّاسيّة لأنّهم بعداء عن عيشة الأعراب فمن المعروف أنّ الإنسان في الأغلب لا يتكلّف ما لا يكون معهوداً في طبعه ولا موجوداً من خلقه .

هـ - قد قسمنا الشعر العربيّ في أبّام بنى أُميّة تسعة أقسامٍ أو أصناف وفرغنا من ذكر الأصناف الأربعة الأولى أعنى الغزل في مدن الحجاز والنسيب والشعر الغراميّ عند الأعراب والشعر على الأسلوب القديم المتداول عند فحول

(١) ولم يكن ذلك رجعاً إلى الأسلوب القديم كما يظنّ N. Rhodokanakis

الجاهلية والأراجيز . فنبتدئ الآن الكلام الوجيز على شعر الصنف الخامس وهو الذى يتعلّق بالاغتراب والفتوح والحروب أى شعر الجنود فى خارج جزيرة العرب .

إنّ الحرب لم تزل تدور رحاها فى عهد الأمويين سواء فى الثغور لتوسيع حدود المملكة الإسلامية غرباً وشرقاً وشمالاً أم فى داخل نفس دار الإسلام بسبب عصبية الأقوام العربيّة أو الفتن السياسيّة والدينيّة . لا أحد يجهل أنّ عرب البادية لم يألّفوا أبداً نظاماً اجتماعياً سياسياً غير القبائل المستقلّة فأقصى ما انتهوا إليه إنما كان تحالف جملة من القبائل مدّة ما بصفة ألاّ يُفسد به استقلالها فلم يتمكنّ الدين الإسلامى على ما أتى به من تعليم مساواة المؤمنين ولا جهلّ الخلفاء لاسيّما عمر بن الخطّاب ومعاوية بن أبى سفيان من استئصال عصبيتهم وإزالة ما جُبل لهم من كراهة الانقياد والنظام المتين . ولم تبرح تغلب فيهم روحُ المنافرة والمشاجرة فنشبت بين أقوامهم الحروب بل زاد استعارها بعد منتصف القرن الأوّل حين أخذ ينمو تضادّ النزاريين واليمينيّين الذى لا يقدر تأثيره فى تاريخ الأمم الإسلامية وأحوال الخلافة فى المشرق فى الأندلس . لا يخفى أنّ دوزى الهولاندى<sup>(١)</sup> وكُلّذيه<sup>(٢)</sup> المجرى أفرغاً كنانة جهدهما فى البحث عن أسباب ذلك التضادّ وكيفيّة نموّه وشرّ نتائجهِ ولكن ليس هذا محلّ الخوض فى هذا الموضوع الذى يُخصّ بيانهُ بأستاذ التاريخ الإسلامى . فيكفينى إيراد ما قاله المسعودى فى الباب

(١) راجع R.P. DOZY, *Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides* (٧١١ - ١١١٥), Leyde ١٨٥١, 4 vol. [2ème édition, revue et mise à jour par E. F. Lèvi-Provençal. Leyde ١٩٩٢, 3 vol.]

(٢) راجع I. GOLDZIEHER, *Muhammedanische Studien*, Hall. a. S. ١٨٨٨-١٨٩٥, vol. I. P. ٧٨-١٠٥ الذى يصحّح بعض أقوال دوزى ويكذب رأى العرب أن هذه المضادة جاهلية .

الثالث بعد المائة من كتاب مروج الذهب<sup>(١)</sup> : « افتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق بما له من المناقب وتحزبت الناس وثارَت العصبية في البدو والحضر فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدي<sup>(٢)</sup> وتعصبه لقومه من نزار على اليمن وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم » .

فإن اعتبرتم أن معظم الذين ارتحلوا إلى الثغور مجاهدين كانوا من عرب القبائل وأنه منهم أيضاً كان أكثر المقاتلين في الحروب الداخلية القومية ثم إن تذكرتم ما سبق بيانه غير مرة من بقاء الأعراب في القرن الأول والثاني على أغلب ما كانوا عليه في الجاهلية من الأهواء والأميال والعوائد ما استغربتم وجود نوع من الشعر سمّيته شعر الجنود لأنه زها في العسكر . إن مثل هذا الشعر في أمة غير العربية لم يكن إلا شيئاً قليلاً جداً ذق القدر حقيراً أما عند الأعراب فلم يكن الأمر كذلك لولوعهم المشهور بالشعر وهزارهم به كأنه من غريزة خاصهم وعامهم . فبدل بعض الأخبار دلالاً مبيّناً على شدة كلف الجنود بالشعر وتعظيمهم إيّاه . منها ما يروى في كتاب الأغاني<sup>(٣)</sup> نقلاً عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني من رواة القرن الثاني قال : « بينا المهلب بن أبي صفرة ذات يوم بفارس وهو يقاتل الأزارقة<sup>(٤)</sup> إذ سمع المهلب في عسكره جلبة وصياحاً فقال ما هذا ؟ قالوا جماعة من العرب تحاكموا إليك في شيء فأذن لهم فقالوا : «إنا اختلفنا في جرير والفرزدق فكل فريق منا يزعم أن أحدهما أشعر من الآخر وقد رضىنا بحكم الأمير . فقال كأنكم

(١) مروج الذهب ج ٦ ص ٤٥ من طبعة باريس .

(٢) يعنى آخر الأمويين الذي تولى الأمر من سنة ١٢٧ إلى سنة ١٣٢ .

(٣) كتاب الأغاني ج ٧ ص ٥٥ ورواية أخرى في الأغاني ج ٧ ص ٣٩ - ٤٠ من طبعة بولاق .

(٤) وهم من الخوارج .

أردتم تعرضوا لهذين الكلبين فيمزقان جلدن لا أحكم بينهما ولكني أدلكم على من يهون سؤال جرير وسؤال الفرزدق ، عليكم بالأزارقة فإنهم قوم عرب يبيضون الشعر ويقولون فيه بالحق ٥ . ففعلوا كما قال وسألوا في الغد أزرقياً قد خرج دعاهم إلى المبارزة . - وفي تاريخ الطبري<sup>(١)</sup> عثرت على خبر آخر مهم لما نحن فيه وهو أن عتّاب بن ورقاء الرياحي قبل الواقعة التي حدثت بينه وبين شبيب الخارجي سنة ٧٧ سار في الناس يحرضهم على القتال . قال الطبري عن أبي مخنف لوط بن يحيى المتوفى نحو سنة ١٣٠ عن أحد العساكر : « وقف [عتّاب] علينا فقص علينا قصصاً كثيراً كان ممّا خِفظت منه ثلاث كلمات قال : يا أهل الإسلام إن أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه المصابرين ، ألا ترون أنّه يقول : أضبروا إن الله مع الصّابرين<sup>(٢)</sup> فمن حمد الله فعلمه فما أعظم درجته . وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغي ، ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه لا يرون إلا أن ذلك لهم قرينة عند الله فهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار أين القصص ؟ قال ذلك فلم يجبه والله أحد منّا فلما رأى ذلك قال أين من يروى شعر عنثرة ؟ قال فلا والله ما ردّ عليه إنسان كلمة . فقال إنّا لله كاتى بكم قد فررتم عن عتّاب بن ورقاء وتركتموه نسفى في استه الرياح ٥ أراد أنّه يشس من الظفر إذ لم يكن أحد يشجع قلوب الناس ويحثهم على القتال بقصص الروايات عن أيام العرب المشهورة وبإنشاد قصائد عنثرة في الحماسة . فقيسوا على ذلك قدر الشعر الجيد من قواد الأعراب في الحرب .

(١) تاريخ الطبري الجزء الثاني ص ٩٥٠ - ٩٥١ وبالاختصار في تاريخ ابن الأثير ج ٤ ص ٣٤١ من طبعة ليدن ١٨٥١ - ١٨٧٦ (في سنة ٨٧٧ هـ) .

(٢) القرآن سورة ٨ (الأنفال) : ٤٧ .

وصلت إلينا الأشعار من هذا النوع متفرقة في عدة كتب لا سيما تاريخ الطبري وكتاب الأغاني وهي تدور على خمسة أمور : الحماسة والمفاخرة وهجاء العدو ورتاء القتلى وحزن الاغتراب مع الشوق إلى الوطن البعيد<sup>(١)</sup>. ومن الحرى بالاعتبار أن الهجاء قليل لأنهم لم يتعاطوه في الغالب إلا إذا كانت المحاربة بين أقوام عربية كأنه عندهم من خصائص أولاد عدنان وقحطان فربما هذا متعلق بأصل الهجاء ومنصبه عند قدماء العرب حسبما سنبينه إن شاء الله بعد الفراغ من هذا التمهيد العام فإن الهجاء لم يُعقل عندهم إلا إذا رد عليه جواب فمن الواضح أن هذا الرد مستحيل إذا كان العدو من العجم .

إذا دارت المحاربة بين أقوام من العرب أصبحت أشعارهم شبيهة بما ورد منها في الحكايات المطولة عن أيام العرب في الجاهلية فترون شعراء فريق يردون على شعراء خصمهم بأبيات أخرى حسبما كان عادة الأعراب منذ الزمان القديم . ومثال ذلك ما جرى من الأشعار بين زُقر بن الحارث العامري من أصحاب مُضْعَب بن الزَيْتَر وبين جَوْاس بن قَعْطَل وغيره حين وقعت مَرَج راحط. سنة ٦٥ وهى مروية في تاريخ الطبري<sup>(٢)</sup> وكتاب الأغاني<sup>(٣)</sup> فلولا الأخبار المتعلقة بها لحرنا في الحكم أهي من عهد الجاهلية أم من زمان الإسلام . قال مثلاً زفر بعد انهزامه من أبيات كثيرة<sup>(٤)</sup> :

(١) وقد أشرت إلى شعر الاغتراب والشوق إلى الوطن عند ما تكلمت عن شعر الأعراب الذين كانوا خارج أنحاء جزيرة العرب (١١٥ - ١١٧) .

(٢) كتاب تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨٣ - ٤٨٦ من طبعة ليدن وقاريخ ابن الأثير ج ٤ ص ١٢٥ - ١٢٧ من طبعة ليدن .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٧ ص ١١٠ - ١١٣ .

(٤) مروج الذهب للمسعودي ج ٥ ص ٢٠٣ من طبعة باريس (في الباب الثالث والتسعين) وراجع أيضاً التنبيه للمسعودي ص ٣٠٩ - ٣١٠ من طبعة ليدن ١٨٩٤ وقاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨٣ -

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْقَتْ وَفِيعَةُ رَاهِطُ .  
 فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى  
 أَرِيْنِي سِلَاحِي لَا أَبَا لَكَ إِنَّنِي  
 أَنْذَهَبُ كَلْبًا لَا تَنْلُهَا رِمَاحُنَا  
 فَلَمْ تَرِ مِنِّي نَبْرَةً قَبْلَ هَلْدِي  
 عَشِيَّةَ أَغْدُو فِي الْفَرِيقَيْنِ لَا أَرَى  
 أَيُّنْهَبُ يَزْمُ وَاحِدٌ إِنْ أَسَاتُهُ  
 أَبَعَدَ ابْنِ عَمْرُو وَابْنِ مَعْنٍ تَتَابَعَا

وكلام الشعر من هذا النوع في الأغلب بسيط. مثل قول عُوَيْج الطائي  
 يمتدح كلباً وَحَمِيدَ بْنَ بَخْدَلٍ<sup>(١)</sup> :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ وَقَعَ ابْنُ بَخْدَلٍ  
 يَقُودُونَ أَوْلَادَ الْوَجِيهِ وَلاحِقُ  
 فَهَذَا لِهَذَا ثُمَّ إِنِّي لِنَافِضُ  
 فَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَأَصْبَحْتُ  
 وَأُخْرَى عَلَيْهِمْ إِنْ بَقِيَ سُبُعُهَا  
 مِنَ الرِّيفِ شَهْرًا مَا يَنْبَنِي مَنْ يَقُودُهَا  
 عَلَى النَّاسِ أَقْوَالًا كَثِيرًا حَدُودُهَا  
 قِضَاعَةَ أَرْبَابًا وَقَيْسُ عَبِيدُهَا

أو مثل قول سحران وائل (وهو غير الخطيب الشهير) يذكر قتال  
 المسلمين بِخُجَنْدَةَ سَنَةَ ٩٤ ويمدح رئيسهم قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ<sup>(٢)</sup> :

فَسَلَّ الْفَوَارِسُ فِي خُجَنْدَةَ تَحْتَ مُرْهَقَةٍ الْعَوَالِي  
 هَلْ كُنْتُ أَجْمَعُهُمْ إِذَا هُزِمُوا وَأَقْلِمُ فِي قِتَالِي

— ٤٨٤ تاريخ ابن الأثير ج ٤ ص ١٢٥ - ١٢٦ من طبعة لندن كتاب الأغاني ج ١٧ ص ١١٢ وسيم  
 البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢٤٤ .

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨٧ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢٥٧ (في سنة ٩٤) وتاريخ ابن الأثير ج ٤ ص ٤٦٠ من  
 طبعة لندن .



أَمْ كُنْتُ أَضْرِبُ هَامَةً أَلَا هَانِي وَأَصِيرُ لِلْعَوَالِي  
هَذَا وَأَنْتَ قَرِيعُ قَبِي بِسَ كُلُّهَا ضَخْمُ النُّوَالِ  
وَفَضَلْتَ قَيْسًا فِي النَّدَى وَأَبُوكَ فِي الْحِجَجِ الْخَوَالِي  
وَلَقَدْ تَبَيَّنَ عَذْلُ حُكْمِكَ أَلَا فِيهِمْ فِي كُلِّ مَالٍ  
تَمَّتْ مُرُوءَتُكُمْ وَنَا آغَى عِزُّكُمْ غُلْبَ الْجِبَالِ

لكنه شعر صادر من تلقاء القلب بدون تكلف وتصنع معبر عما في الصدر حقيقة فكثيراً ما يُعجِبُنَا وَإِنْ قَلَّ تَنْمِيقُهُ . ومن نسج القريض من هذا الصنف بعض الشعراء المُعْجِدِينَ الْبَارِعِينَ أَيْضاً فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ الشَّعْرِ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الْمَعْرُوفُ بِأَعَشَى مَمْدَانَ<sup>(١)</sup> وهو شاعر فصيح كوفي قيل إِنَّهُ «شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم»<sup>(٢)</sup> . وكان ممن أغزاه الحجاج بن يوسف بلاد الدِّيلَمِ القريبة من شطِّ بحر الْخَزَرِ الجنوبي فأسر وبني أسيراً في أيدي الدِّيلَمِيِّينَ مدَّةً ثُمَّ سار في جيش أهل الكوفة إلى بلاد مَكْرَانَ<sup>(٣)</sup> وطال مقامه بها . وذكر في قصائده ما لحقه من أسر الليليم وما شهد من الوقائع<sup>(٤)</sup> :

وَأَغِيرُ غَارَاتٍ وَأَشْهَدُ مَشْهَدًا أَلَا قَلْبُ الْجَبَانِ بِهِ يَطِيرُ وَيَرْجُفُ  
وَأَرَى مَغَانِمَ لَوْ أَشَاءُ حَوَيْتُهَا فَيَصُدُّنِي عَنْهَا غِنَى وَتَعَفُّفُ  
وله قصيدة رائقة وصلت منها إلينا ٥٧ بيتاً يشكو بها ما قاساه من المشاقِّ

(١) وهي قبيلة من قبائل جنوب جزيرة العرب .

(٢) كتاب الأغاني ج ٥ ص ١٥١ من طبعة بولاق .

(٣) مكران ولاية في جنوب بلاد الفرس على شاطئ خليج عمان .

(٤) كتاب الأغاني ج ٥ ص ١٤٨ من طبعة بولاق [ وديوان أعشى همدان في ذيل ديوان أعشى

ميمون الذي طبع بلندن سنة ١٩٢٨ عدد ٣٢ بيت ٣٤ - ٢٥ ] .

والمرض في مكران<sup>(١)</sup> ومبتدوها :

طلبت الصبا إذ علا المكبر وشاب القذال وما تقصير  
وبان الشباب ولذاته ومثلك في الجهل لا يُعذر  
ثم يذكر فيها العواذل ويشكو لوهمهن فيقول :

كأنني لم أرَ تحل جصرة ولم أجفها بعد ما تضر  
فأجشمها كل ديمومة ويعرفها البلد المغير  
ولم أشهد البأس يوم الوعى على المفاضة والمغير  
ولم أغرق الصف حتى تدي ل دراعة القوم والحسر  
وتحتي جرداء خيفانة من الخيل أو سابح مجفر  
أطاعن بالرمح حتى الليا ن يجرى به العلق الأحمر

ويخرج إلى ذكر ما كان عليه من رخاء العيش وتعيمة :

وإذ أنا في عنفوان الشبا بر يعجبي اللهو والسمر  
أصيد الحسان ويصطدنتي وتعجبي الكاعب المغير  
وبعد الإطناب في الكلام عن تغزله وقت شبابه بصفة يلوح منها أنه  
كان من سكان المدن يأخذ يشكو شر حاله في العسكر في البلاد البعيدة التي  
بُعث إليها كارهاً وذلك في أبيات كثيرة .

وفي سنة ٨٣ لما خرج عيد الرحمن بن الأشعث على الحجاج بن يوسف  
وحشد معه أكثر الكوفيين كان أعشى همدان ممن خرج معه وجعل يقول  
الشعر في مدح ابن الأشعث ولا يزال يحث أهل الكوفة بأشعاره على القتال  
حتى أسر فقتل صبراً بأمر الحجاج<sup>(٢)</sup> . وله أيضاً شيء من الشعر يخرج

(١) كتاب الأغاني ج ٥ ص ١٤٩ - ١٥٠ (والديوان عدد ٢٠) .

(٢) كتاب الأغاني ج ٥ ص ١٥٩ - ١٦١ من طبعة بولاق ومروج الذهب للمسعودي في الباب  
الخامس والتسعين ج ٥ ص ٣٥٥ - ٣٥٨ من طبعة باريس .

عن هذا الصنف ويدخل في الصنف السادس لمداره على الاختلافات الدينية منه الأبيات المروية له في كتاب الحيوان للجاحظ.<sup>(١)</sup> يثلب فيها أصحاب المختار من أهل الشيعة .

ومن هذا الصنف أكثر أشعار عُمَيْر بن سُيَيْم التغلبي المشهور بالقطائي<sup>(٢)</sup> المتوفى سنة ١١٠ كان نصرانياً كنه معظم التغلبيين ثم أسلم وقال أغلب شعره في ذكر الحروب الجارية بين قبائل العرب لا سيما بين تغلب وقيس عيلان إلى أن أُسِر في واقعة ماكسين فأخذت إبله . فنجاه زُفَر بن الحارث رئيس القيسيين ونحى سبيله ورد عليه مائة ناقة فمدحه القطائي في عدة أشعار . ومما يستحق الذكر في شعره من حيث اللغة ما ذهب إليه أحياناً من جزم عين الفعل الثلاثي في الماضي حتى قال نَشَبَتْ وتُرَكَّت بدلاً من نَشَبَتْ وتُرَكَّت<sup>(٣)</sup> ولعل ذلك لغة تغلب لأنه غير نادر أيضاً في ديوان الأخطل .

ومن هذا الصنف أيضاً ما يُروى لكعب الأشقرى<sup>(٤)</sup> في غزوات قتيبة ابن مسلم في بلاد خوارزم<sup>(٥)</sup> سنة ٩٣ أو قصيدته الطولى التي وصف فيها وقائع الجند مع المهلب بن أبي صفرة في بلد حين محاربة الأزارقة ببلاد العجم<sup>(٦)</sup> - فترون أن هذا النوع من شعر عهد الأمويين يتصل بما سميناه شعر الفتوحات في أيام الخلفاء الراشدين وبالأشعار المشهورة في أيام العرب في الجاهلية .

٦- أما الصنف السادس من شعر الدولة الأموية وهو شعر الفتن السياسية

- 
- (١) كتاب الحيوان ج ٢ ص ٩٩ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٣٥ .  
 (٢) راجع ترجمته في كتاب الأغاني ج ٢٠ ص ١١٨ - ١٢١ وديوانه مطبوع ببلد سنة ١٩٠٢ بناية J. Barth .  
 (٣) انظر كامل المبرد ص ٥٣٧ من طبعة ليبك .  
 (٤) راجع ما قاله فيه صاحب كتاب الأغاني في ج ١٣ ص ٥٦ - ٦٤ من طبعة بولاق .  
 (٥) كتاب الأغاني ج ١٣ ص ٦٣ - ٦٤ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٠٠٨ - ١٠١٧ .  
 (٦) كتاب الأغاني ج ٣١ ص ٥٧ .

والدينية فهو من وجهٍ ليس ببعيد عن الصنف السابق بيانه لأنَّ قسماً غير يسير منه يتعلّق أيضاً بأحوال الحروب والثورات . فحِزْتُ مدّة في أيّ شيء أوفّقُ : أَجْمَعُ الصنفين أم التفريق بينهما ؟ وفضلت التفريق اعتباراً لما أت شرحه . إنّ الاتّصال بالغزوات والحروب ضروريّ للشعر من النوع المتقدّم وليس ضرورياً للشعر من الصنف السادس . ثمّ الحروب التي يتعلّق بها الصنف السابق ضربان بالأخصّ : أحدهما الجهاد في حدود المملكة الإسلامية أو خارجها والآخر غارات قبائل الأعراب بعضها على بعض لأسباب خاصّة لها لا يمسّ أغلبها الأحزاب السياسية الحقيقية ولا المذاهب الدينية اللهمّ إلّا عَرَضاً . أمّا الصنف السادس من الشعر فإذا ارتبط . قوله بالحروب كانت هذه الحروب من جنس غير الجنسيتين السابقين لأنّها إمّا حروبٌ دائرة بين حزبين سياسيين أو حروب من النوع المسمّى عند الفقهاء بحروب المصالح لا سيّما في قتال المرتدين وأهل البغى <sup>(١)</sup> . ثم إنّ الصنف السادس يحتري أيضاً على أشعار مدارها على مذاهب سياسية ودينية من دون تعلّق بأيّ جنس كان من الحروب .

قلت مذاهب سياسية ودينية لتكون العبارة عن فكرى أوضح بالإضافة إلى أحوال زماننا الحاضر ولكن حقيقة الأمر في القرن الأول والثاني بعد خلافة عثمان بن عفّان أنّ كلّ حزبٍ سياسي كان عند المسلمين مذهباً دينياً أيضاً لعدم تمييز الدنيا والدين في أمور الحكومة على أحكام الشريعة الإسلامية؛ وذلك واضح إن قابلتم نظام الأمة الإسلامية بنظام الأمم الإفرنجية سواء في الزمان القديم أم في القرون الوسطى أم في العصر الجديد . عند الأمم

(١) راجع الأحكام السلطانية لماوردى في الباب الخامس من ٤٤ - ٥٣ من طبعة مصر

١٣٢٧ أو من ٨٩ - ١٠٧ من طبعة بن ١٨٥٣ .

الإفريقية لا يتأسس النظام الاجتماعي السياسي على العقائد وإن كانت العقائد تؤثر فيه أحياناً كما تؤثر في الأميال والأهواء والأخلاق والآداب . فعلاقة المُلْك بأُمور الدين عندهم كعلاقته بأخلاق الأُمَّة ونفْسُها أعنى على وجه طبيعى محض إذ لا يقوم مُلْكٌ من غير وجود أُمَّة ولا تُعْقَلُ أُمَّةٌ ليست لها آراء وأهواء وأميال وحاجات خاصّة . فإن كانت مثلاً جملة من الباباوات في الزمان السالف شملوا سلطة دينيّة وسلطة دنيويّة في أيديهم كان هذا الجمع عَرَضِيّاً لا جوهريّاً لأنهم كانوا أئِمّة جميع النصارى الكاثوليك في أمور العقائد ولم يكونوا ملوكاً إلّا على سَكّان مملكتهم غير الواسعة ثمّ ما كان هذا المُلْك ممّا يستوجبه الدين النصرانيّ . وكذلك كانت القياصرة في القرون الوسطى والملوك غير الدستوريين في العصر الجديد يقولون إنّ سلطنتهم من الله ولكن معنى قولهم هذا أنهم قياصرة أو ملوك بإرادة الله ومَنْدُ وَأَنَّ سلطانهم حقّ لم يتوصّلوا إليه بالاغتصاب والتعنّى فلا تجوز للأُمَّة المعضيّة عليهم . - وكذلك لا علاقة عندهم بين الأحكام الدينيّة وبين أصول التشريع إلّا عَرَضاً فليس لهم فقه بحصر معناه المصطلح عليه عند الفقهاء وإنّما لهم أحكام سلطانيّة وقوانين أُثْبِتَتْ قواعدها بالاجتهاد من غير استخراجها من شريعة منزّلة أو سنن أنبياء . فواضح أنّ مسألة اختيار الدولة وهيئة الحكومة عندهم مسألة سياسية محضة متجرّدة عن العقائد والأحكام الدينيّة . وكذلك ما اُشتق إليه في القرون الوسطى من جمع كل النصارى في مملكة واحدة يتولّى أمرها قيصرٌ لم يكن من توابع قواعد النصرانية .

أمّا الإسلام القديم فلا فرقٌ بائن فيه بين تولّى أمور الدنيا وتولّى أمور الدين ومسألة الإمامة مسألة شرعية مثل سائر مباحث الفقه . قال أبو الحسن الماوردي<sup>(١)</sup>

( ١ ) الأحكام السلطانية ص ٢ من طبعة مصر ١٣٢٧ أو ص ٢ من طبعة بن .

إن الإمامة أصل تستقرّ عليه قواعد الملة وتنتظم به مصالح الأمة ثم<sup>(١)</sup> إنَّها موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا . فمنصب الخليفة أي الإمام دنيوي من حيث قيامه بمصالح جميع سكان دار الإسلام والمسلمين المقيمين بدار الحرب وهو ديني من حيث كونه ولاية الله على الأرض لحفظ الإسلام البدع والفساد ولإبقاء وحدة الأمة الإسلامية على مقتضى الشريعة . وبما أنَّ الأحزاب السياسية في عهد الأمويين إنَّما تشاجرت فيمن تكون الإمامة من حقِّه فكانت هذه المسألة فقط . سبب الحروب سوى الجهاد وغزوات الأعراب وفتن أهل البدع ، ظاهر أننا لا نتمكن من التفريق فيما بين الأشعار في حروب الأحزاب السياسية والأشعار في الاختلافات الدينية .

إنَّ الشعر من هذا الصنف السادس ذو شأن خطير سواء لنفس قيمته الأدبية أم لما يستفيدة منه من أراد البحث العميق الدقيق المنصف عن تاريخ المشرق الإسلامي في ذلك العصر . لا يخفى عليكم أنَّ القدماء الذين صنفوا الكتب في الأخبار والسير قلَّما ذهبوا إلى إيضاح الأحوال الاجتماعية والأغراض العاملة في الحوادث وإنَّما اقتصروا أو كادوا على ذكر ما يظهر من التقلبات والوقائع والحروب والأخبار من دون الإفادة عن أسبابها الباطنة الخفية مثل آراء طبقات الناس وأهوائهم وأمالهم ومصالحهم فأصبح أكثر ما أُلِف إلى الآن [يعني إلى سنة ١٩١١] بالعربية من تواريخ بلاد الإسلام أقرب إلى الأخبار البرقية المنشورة في الجرائد منها إلى ما يُعتبر الآن غاية التاريخ الحقيقي الباحث عن علل الحوادث وتسلسلها وعن انقلابات الأحوال الاجتماعية والأفكار . ثمَّ من آفات الكتب العربية في التاريخ أنها

(١) . الأحكام السلطانية ص ٣ من طبعة مصر ١٣٢٧ و ص ٣ أيضاً من طبعة بن .

في الغالب لم تستسق إلا من المصادر الرسمية أو روايات الفريق الفائت على غيره فبعد الاطلاع عليها كثيراً ما نُضحي كحكم سمع أحد الخصميين فقط فلا يتمكن من الإنصاف في الحكم . وغير مرة تساعدنا الأشعار من الصنف السادس على تدارك هذا الخلل . فلها قامت في عصرها مقام الجرائد والمناقشات الدائرة الآن في المجالس العمومية وهي في الغالب لم تكن ترجمان فكر قائلها فقط . بل كانت صوت جميع الحزب أو المذهب المنتسب الشاعر إليه . فإنَّ العرب في ذلك العصر الذي لم يُعرَف فيه فنُّ الطباعة بعدُ اتخلوا الشعر وسيلةً لنشر آرائهم وأفكارهم وعواطفهم لأنَّ الشعر أَسِير على ألسنة الناس وأوقع في قلوبهم من الكلام المنشور العادى . فالراوى المرتحل من بلد إلى بلد يُنشد الأشعار كان لهم بمنزلة الجريدة المُشيعَة آراء حزبا في الجمهور . فكفى ذلك دلالة على أهمية تلك الأناشيد لمن أراد الوقوف التام على حياة العرب الاجتماعية وعلى الأهواء والعواطف التي لا غنى عن حق معرفتها لمن عزم التلقيب عن حوادث الزمان السالف وإزالة الشك واللبس في تقدير عللها .

لَمَّا قُتِلَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانٍ يَوْمَ الْأَضْحَى مِنْ سَنَةِ ٢٠٦ هـ اضْطُرَّتِ النَّاسُ اضْطِرَاباً شَدِيداً فَذَهَبَ قَوْمٌ غَيْرُ يَسِيرٍ مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَدْ شَارَكَ الْقَاتِلَ فَأَنْكَرُوا بَيْعَتَهُ وَمِنْهُمْ أَعْنَى مِنَ الْعُمَانِيَةِ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ شَاعِرُ النَّبِيِّ سَابِقاً الَّذِي رثَا عُمَانُ فَقَالَ فِي مَرثِيَةِ الْأَبْيَاتِ الشَّهِيرَةِ (١)

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ٩٨ من طبعة تونس أو عدد ٢٠ ص ٢٢ من طبعة ليدن - أما البيت الأول فهو ناقص في طبقات الديوان ولكنه موجود في كتاب العقد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٠٦ من طبعة مصر ١٣٠٥ وفي بيان الجاحظ ج ١ ص ٩٠ سطر ٧ من طبعة ١٣١٣ وفي كتاب التنبية للمسموعي ص ٢٩٢ من طبعة ليدن وفي خزائن الأدب ج ٤ ص ١١٨ من طبعة بولاق وفي تاريخ ابن الأثير ج ٣ ص ١٥١ من طبعة ليدن وكل الأبيات مروية في NOELDEKE, *Delatus veterum carminum arabicorum* ص ٧٧ - أما عنوان السجود فانظر القرآن ٤٨ (سورة النتح) : ٢٩ .

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ غُنَوَانِ السُّجُودِ بِهِ  
 بَلْ لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرُ يُخْبِرُنِي  
 لَتَسْمَعُنَّ وَشَيْكَا فِي دِيَارِكُمْ  
 وَقَدْ رَضِيتُ بِأَهْلِ الشَّامِ زَاوِرَةً  
 إِنِّي لَمِنْهُمْ وَإِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا  
 صَنَرًا فِدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدْتُ  
 شُدُّوا السُّيُوفَ بِشْنِي فِي مَنَاطِقِكُمْ  
 لَعَلَّكُمْ أَنْ تَرَوْا يَوْمًا بِمَغْبِطَةٍ  
 يُقَطِّعُ اللَّيْلَ نَسِيحًا وَقُرْآنًا  
 مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَأَبْنِ عَفَّانَا  
 اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَا  
 وَبِالْأَمِيرِ وَبِالْإِخْوَانِ إِخْوَانَا  
 حَتَّى الْمَمَاتِ وَمَا سُمِّيتُ حَسَانَا  
 قَدْ يَنْفَعُ الصَّبِيرُ فِي الْمَكْرُوهِ أَحِبَانَا  
 حَتَّى يَحِينَ بِهَا فِي الْمَوْتِ مَنْ حَانَا  
 خَلِيفَةَ اللَّهِ فِيكُمْ كَالَّذِي كَانَ

فكانت هذه الأبيات كأنها مقدمة المعرفة بالمستقبل فتداعت أصوات  
 من طلب نأر عثمان وجاوبتها الأصدااء لاسيما في الأنحاء الشامية فاشتعلت  
 نار الحرب وتصلصلت الدروع من وقع البيض وتامت العداوة بين أهل العراق  
 وأهل الشام كما قال كعب بن جُعيل التغلبي شاعر الشاميين (١):

أَرَى الشَّامَ تَكَرَّرَهُ مُلْكُ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِنَا  
 وَكُلًّا لِصَاحِبِهِ مُبِغِضًا يَرَى كُلُّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دِينَا  
 وَكُلُّ يُسْرٍ عِنْدَهُ يَرَى غَتًّا مَا فِي يَدَيْهِ سَمِينَا  
 إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمْ وَدِنَاهُمْ وَمِثْلَ مَا يُفْرَضُونَا  
 فَقَالُوا عَلِيٌّ إِمَامٌ لَنَا فَقُلْنَا رَضِينَا أَبْنَ هِنْدٍ رَضِينَا  
 وَقَالُوا نَرَى أَنَّ تَدِينُوا لَنَا فَقُلْنَا لَهُمْ لَا نَرَى أَنَّ نَدِينَا

(١) كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ١٧٠ - ١٧١ من طبعة ليدن ١٨٨٨  
 و NOLDEKE, *Delatus veterum carminum arabicorum*, P. 79-80. وأجابه النجاشي (راجع كتاب  
 الأخبار الطوال ص ١٧١ وكتاب Noldeke ص ٨٠ وانظر أيضاً F. SCHULTHEISS, *Ueber den*  
*Dichter al-Nagāṣī und einige Zeitgenossen*, *Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft*,  
 54, 1900, P. 64).



ومن دُونِ ذَلِكَ خَرَطُ الْقَتَادِ وَضَرْبُ وَطْفُنْ يُقَرُّ الْعُيُونَا  
وَمَا فِي عَلِيٍّ لِمُتَسَخِّدِثٍ مَقَالٌ سِوَى عِصْمَةِ الْمُحَدِّثِينَا  
وَلِإِسَارِهِ لِأَهَالِي الذُّنُوبِ وَرَفْعِ الْقِصَاصِ عَنِ الْقَاتِلِينَا  
إِذَا سِيلَ عَنْهُ زَوَى وَجْهَهُ وَعَمِيَ الْجَوَابُ عَلَى السَّائِلِينَا  
فَلَيْسَ بِرَاضٍ وَلَا سَاخِطٍ. وَلَا فِي النُّهَاءِ وَلَا الْإِمْرِينَا  
وَلَا هُوَ سَاءٌ وَلَا سَرُّهُ وَلَا بُدٌّ مِنْ بَعْدِ ذَا أَنْ يَكُونَا

كان المسلمون بعد قتل عثمان إلى أيام صفين منقسمين إلى فريقين كبيرين متحاربين : العثمانية وشيعة علي . وبينهما ناس يكرهون سفك دماء المؤمنين ويتجنبون التحزب وهم المسمون بالمعتزلة<sup>(١)</sup> منهم أبو موسى الأشعري وسعد بن أبي وقاص والمغيرة بن شعبة وغيرهم . ثم رضى علي باقتراح التحكيم في خلافته في صفر سنة ٣٧ هـ (أغسطس ٦٥٧م) كان سبب فتنة في شيعته لأن قوماً من أصحابه استقبحوا تحكيم الرجال في دين الله أي تفويض حل مسألة الإمامة إلى رجلين لقرلهم لأنه لا حكم إلا لله فخرجوا عن جيشه إلى حروراء<sup>(٢)</sup> فسَمُوا الحرورية أو الخوارج<sup>(٣)</sup> - وفي سنة ٣٨/٦٥٨ التقى الحكمان وهما أبو موسى الأشعري وعمر بن العاص بأفروح في أرض

(١) (أما علاقة هؤلاء المعتزلة بالمعتزلة المشهورين في تاريخ علم التوحيد الإسلامي وأصل اسم هؤلاء المعتزلة الآخرين فراجع C.A.NALLINO, *Raccolta di scritti editi e inediti*, vol. II, 1940, P. 146-169.

(٢) وهو موضع غير بعيد عن الكوفة .

(٣) هذا أصل الاسم فاصموا به - كما يقال - لأنهم خرجوا على حل . فراجع ألى حلقه

بسورة النساء : ١٠١ R. BRUNNOW, *Die Charidschiten unter den ersten Omayyaden*, Leiden 1884, P. 28,

J. WELLHAUSEN, *Die religio-politischen Oppositionsparteien im alten Islam*, Berlin 1901, P. 40.2., (F. GABRIELI, *Sulla origine del movimento Kharijita* (R. Accademia d'Italia, Rendiconti classe scienze morali, 8e série, vol. 3, PP. 110-177); M. GUIDI, *Sui Kharijiti* (Rivista degli Studi Orientali, XXI 1944, P. 1-14).

البلقاء فنتيجة الأمر المرجو منه توافقُ النفوس واطمئنانُ القلوب إنما خلَعَ على معاوية معاً . قد دهش كثير من أهل العراق والحجاز أي دهش حين سمعوا خبر ذلك الحكم الذي أسرع على في إنكاره فلسفة استغرابهم وبغضهم لمعاوية أنشئت عندهم وذاعت الرواية المتداولة حتى الآن عن الخيانة المنكرة القبيحة التي دبرها وارتكبها عمرو بن العاص . أما الحقيقة التي لم يتوصل إلى كشفها إلا من رجع إلى المصادر الأصلية القديمة وأدمن فيها النظر والبحث فإن عمرو بن العاص ما أثبت معاوية أليته ولكن بما عهد له من الدهاء والمهارة في أمور السياسة قد بلغ مرامه ورام معاوية حين حمل أبا موسى الأشعري على الرضى بالتفخض عن حقوق كل من الخصمين كأنهما متساويا القدر وكان خليفة بايعة جملة وافرة من المؤمنين لا يُفَضَّل على من كان والياً على الشام فقط . فنتيجة الحكم أي خلَعَ كلا الخصمين إنما كان أن علياً عُزل عن الخلافة فلم تبق له إلا ولاية العراق أما معاوية فخلَعَ مما لم يكن له فبني على ما كان عليه قبلاً بل زاد حظوة عند أصحابه إذ ساواه الحكم بمن كان مدته أعلى منه بكثير<sup>(١)</sup> .

فبالجملة كان أمر الحكمين سبب أكثر الاختلافات التي حدثت في الأمة الإسلامية بعد موت عثمان إلى أواخر القرن الثاني . خرجت الخوارج عن شيعة علي لمجرد قبوله لاقتراح التحكيم وبعد خروجهم بأربع وعشرين سنة اختلفوا في جواز السكنى في غيرهم من المسلمين ووجب مجاهدتهم على الدوام فافترقوا وصاروا على أربعة أضرب : الأزاقة والصفرية والبيسية والإباضية<sup>(٢)</sup> . - أما ختام أمر الحكمين ففرق بين المسلمين تفريقاً عظيماً

LAMMENS, *Etudes sur ... Mo'awia* 1, P. 125-140.

(١) راجع

(٢) هذا تفرقهم القديم في سنة ٦١ هـ تقريباً . انظر الكامل في اللغة للمبرد ص ٦٠٤ من طبعة ليبسكس لوج ٢ ص ١٧٢ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٤ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٧٩٧ .

لم يزل إلى الآن فإن العلويين قالوا بتوارث الإمامة في أهل البيت فنكر الآخرون ذلك وقالوا بانهقاد الإمامة باختيار أهل الحل والعقد أو بعهد من قبل . وزاد اليون بين الفريقين نحو أواخر القرن الأول للزيادة معارضة الموالى من الفرس لشيعه على فهم أدخلوا في مذهبهم اعتقادات غريبة ويدعوا من بقايا آرائهم ودياناتهم القديمة . - وحدث أيضاً بعد أمر الحكامين حزب المُرَجَّة ومنزلتهم فيما بين شيعه العلويين وشيعه بنى أمية كمنزلة المعتزلة المشار إليهم فيما تقدم (ص ٢٣١) بين العثمانيين وأصحاب علي بن أبي طالب . - ومن عواقب الحكم أيضاً حزب الزُّبَيْرِيِّين لا سيما في الحجاز والعراق فإنه من المشهور أنَّ عبد الله بن الزُّبَيْرِ ادَّعى الخلافة بعد موت الحسين سنة ٦١/٦٨ وتولَّى الأمر بمكة إلى سنة ٧٢/٦٩ . - ثم في أوائل القرن الثاني ابتدأت الدعوة العباسية بخراسان فقام فريق سادس من المسلمين يدعون الخلافة لبني هاشم لقرباتهم من علي بن أبي طالب . - فكلُّ هذه الأفرقاء شعراء كانوا يدافعون عن أغراضهم وعمَّا ادَّعى الفريق من الحقوق .

كثُر ذكر شعراء الخوارج وخطبائهم في كتب الأدب القديمة مثل كتاب البيان والتبيين للجاحظ<sup>(١)</sup> وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه<sup>(٢)</sup> بل أفرد المبرِّد لأخبار الخوارج قسماً غير صغير من كتابه المسمّى بالكامل في اللغة والأدب<sup>(٣)</sup> . وشعرهم شعر نخلناه في الغالب من نظم أهل البادية أسلوباً ولغة

(١) كتاب البيان والتبيين ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٧ من طبعة مصر ١٣١٢ (أوج ٣ ص ١٦٥ - ١٦٦ مع طبعة ١٣٥١) .

(٢) كتاب العقد ج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٧ من طبعة مصر ١٣٠٥ .

(٣) الكامل ص ٥٢٧ - ٦٠٠ من طبعة ليلسك أوج ٢ ص ١١٩ - ٢٣٩ من طبعة مصر ١٣٢٢ - ١٣٢٤ (ونقل الأستاذ Rescher هذا القسم إلى اللغة الألمانية وطبعه بالمعنوان :

*Die Kharidschitenkapitel aus den Kāmil, Stuttgart 1922*).

(واضح الأستاذ Gabrieli يجمع أشعار الخوارج الذين عاشوا في عصر بني أمية :

F. GABRIELI, *La poesia khāridgita nel secolo degli Umayyadī* (Rivista degli Studi Orientali, vol. XX, 1943, P. 331-372).

وهو فصيح العبارة دائر أكثره على الحماسة والحرب . فلو أردنا الحكم فيهم بناء على شعرهم لقلنا إنهم أقرب بكثير إلى أهل الوبر منهم إلى أهل المدر . ولكن إذا راجعنا النصوص التاريخية القديمة وجدنا جمًّا غفيراً من الأخبار عن تقاهم ونسكهم وشدة عنايتهم بقراءة القرآن وإقامة الصلاة ليلاً ونهاراً وغير ذلك ممّا يخالف آميال الأعراب وشعائرهم . فما الحقيقة في تناقض هذين الأمرين ؟

لا شك أن الذين رأسوا خروج الحروريين عن جيش علي بن أبي طالب لم يكونوا أعراباً بل كانوا قراءاً من أهل الحضرة منهم مسعر بن كذا التميمي وزيد بن حصين الطائي وذلك لأنهم رأوا التحكم لإفساد الدين . هذا الثابت في جميع الأخبار . فترون أن أصل الخروج إنما كان مسألة نظرية لا يمكن أن نهّم ناساً مثل الأعراب . ولكن بعد قليل أكثر أهل القبائل الذين كانوا هاجروا من بلادهم في أواسط جزيرة العرب وأقاموا بالكوفة والبصرة بعد الفتح الإسلامي اتبعوا القراء لسببين أحدهما مجاوزتهم لهم من حيث السكنى والآخر موافقتهم لهم في مسألة الخلافة . لا يخفى عليكم أن القطب الذي يدور عليه مذهب الخوارج هو وجوب انعقاد الإمامة بالاختيار غير المحدود لأن كل مسلم صالح يمكن عندهم أن يقلد الخلافة وحق الاشتراك في الاختيار مطلق عندهم على الجماعة بأسرها ولا يختص بأهل الحل والعقد . فعلى هذا الرأي كان منصّب الخليفة في الأمة الإسلامية كمنزلة السيد في القبيلة فرضى به الأعراب طبعاً لما لهم من حب الاستقلال والتمسك بعاداتهم القديمة والكراهة لكل نظام مخالف نظامهم الخاص . فعن جمع هذين العنصرين المختلفين القراء والأعراب صدر التناقض الظاهري المواءم إليه فيما سبق .

ومن شعراء الخوارج وخطبائهم قَطَرِيٌّ بن الفُجَّاءة رئيس الأزارقة الذي خرج على ولاية العراق فبقى ٢٠ سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة حتى قُتل سنة ٧٧<sup>(١)</sup> ومن أشعاره الأبيات الشهيرة المروية في حماسة أبي تمام<sup>(٢)</sup> :

أقول لها وقد طارت شِعَاعاً      من الأبطال وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعِي  
فلَمَّا نَكَّ لو سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ      على الأَجَلِ الذي لك لَمْ تُطَاعِي  
فصَبِرًا في مَجَالِ الموتِ صَبِرًا      فما نَيْلُ الخُلُودِ بِمِستطَاعِ  
ولا ثُوبُ البقاءِ بثوبِ عِزٍّ      فيُطَوَّى عن أَخِي الخَنْعِ البِرَاعِ  
سبيلُ الموتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ      فدَاعِيهِ لِأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِي  
وَمَنْ لَا يُعْتَبِطُ يَسَامُ وَيَهْرَمُ      وتُسَلِّمُهُ المَدُونُ إِلَى أَنْقِطَاعِ  
وما للمرءِ خَيْرٌ في حَيَاةٍ      إِذَا مَا عُدَّ من سَقَطِ المَتَاعِ

قال ابن خلكان<sup>(٣)</sup> : «وهي تشجع أجبن خلق الله وما أعرف في هذا الباب مثلها وما صدرت إلا عن نفس أبيه وشهامة عربية» . - ومن شعرائهم المقدّمين عِمْرَانُ بن حِطَّانِ السُّدُوسِيّ<sup>(٤)</sup> كان من علماء الصُّفَرِيَّةِ وخطبائهم فحين أَسَنَ وضعف عن الحرب اقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه . وهو

(١) كذا في تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٠١٨ وقال ابن خلكان (وفيات الأعيان عدد ٥٥٦ من طبعة غوتنبرج أو عدد ٥١٧ من الطباعات المصرية) أنه قتل في سنة ٧٨ هـ .

(٢) حماسة أبي تمام ص ٤٤ من طبعة بن أوج ١ ص ٤٩ - ٥٠ من طبعة بولاق ووفيات الأعيان لابن خلكان عدد ٥٥٦ من طبعة غوتنبرج أو عدد ٥١٧ من الطباعات المصرية وشرح الشواهد الكبرى لمين ج ٣ ص ٥١ - ٥٣ من طبعة بولاق جامش خزانة الأدب .

(٣) وفيات الأعيان في الموضوع المذكور .

(٤) راجع الكامل للمبرد ص ٥٣٠ - ٥٣٤ من طبعة ليبسك أو ج ٢ ص ١٢١ - ١٢٤ من مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٤ وكتاب الأغاني ج ١٦ ص ١٥٢ - ١٥٧ وكتاب البيان والتبيين لتبناحظ ج ١ ص ٢٢ و ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٧ من طبعة ١٣١٣ [أو ص ٥٥ و ج ٣ ص ١٦٦ من طبعة ١٣٥١] وكتاب العقد لابن عبد ربه ج ١ ص ٦٢ من طبعة مصر ١٣٠٥ .

من الذين مدحوا ابن مُلْجَم قاتل عليّ بن أبي طالب وقوله في ذلك مشهور<sup>(١)</sup>. وأطرده الحجاج بن يوسف وليّ في طلبه فنجا منه هارباً منتقلاً في القبائل حتى مات في قبيلة الأزد ببلاد عمان . وكان ممن عاصر الفرزدق ولكن شتان ما بينهما فإن الفرزدق لم يزل يمدح الأكابر والرؤساء طمعاً في هداياهم وعمران بن حِطّان يرى من مثل ذلك وهو القائل<sup>(٢)</sup> (من بحر الخفيف) :

أيها المادح العباد ليُعْطَى      إنَّ الله ما بأيدي العباد  
فاسأل الله ما طلبت إليهم      وأزج فضل المقسم العواد  
لا تقل في الجواد ما ليس فيه      وتسمى البخيل باسم الجواد

ومن شعرائهم معاذ بن جُوَيْن بن حُصَيْن الخارجي سجنه المؤيرة بن شُعبه والى الكوفة (٤١١ - ٤٧٠) فقال في الحبس يحرض أصحابه على الخروج<sup>(٣)</sup> :

ألا أيها الشارون قد حان لامرئ      شمرى نفسه لله أن يترحلاً  
أقمتم بدار الخاطئين جهالة      وكل أمرئ منكم يشاد ليقتلاً  
فشدوا على القوم العداة فإنها      أقامتكم للذبح رأياً مضللاً  
ألا فاقصِدوا يا قوم للغاية التي      إذا ذكرت كانت أبر وأعدلاً  
فيا ليتني فيكم على ظهر سابح      شديد القصيرى دارعاً غير أغزلاً  
ويا ليتني فيكم أعادى عدوكم      فيسقيى كأس المنيّة أولاً  
يعز على أن تخافوا وتطردوا      ولما أجرد في المحلين منصلاً

(١) الأبيات مروية في الكامل المبرد ص ٥٣١ من طبعة ليبسك أوج ٢ ص ١٢٢ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٤ وكتاب الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٦٣ من طبعة مصر ١٣١٧ - ١٣٢١ بهامش كتاب الملل والأهواء والنحل لابن حزم أو ص ٩٠ من طبعة لندن ١٨٤٦ .  
(٢) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ١٥٦ و ج ٧ ص ٦ وقيل فيه إن الأبيات منسوبة إلى السيد الحميري في رواية أخرى .  
(٣) تاريخ الطهري ج ٢ ص ٣٦ من طبعة لندن .

ولمّا يُفَرِّقْ جَمْعَهُمْ كُلُّ مَا جِدَ إِذَا قُلْتَ قَدْ وَلَّى وَأَذْبَرَ أَقْبَلَا  
 مُشِيحاً يَنْصُلُ السَّيْفَ فِي حَمْسِ الْوَعَى يَرَى الصَّبْرَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ أَمْثَلَا  
 وَعَزَّ عَلَى أَنْ تُضَامُوا وَتُنْقَصُوا وَأُضْبِحَ ذَا بَثٍّ أَسِيرًا مُكْبَلَا  
 وَلَوْ أَنِّي فِيكُمْ وَقَدْ قَصَدُوا لَكُمْ أَثَرْتُ إِذَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ قَسْطَلَا  
 فَيَا رَبِّ جَمِّعْ قَدْ فَلَلْتُ وَغَارَةً شَهِدْتُ وَقَرْنِي قَدْ تَرَسَّكْتُ مُجَدَّلَا  
 ومنهم الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ المشهور أيضاً لبراعته في الخطابة <sup>(١)</sup> كان على

قول صاحب الأغاني <sup>(٢)</sup> « من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحاهم ومنشؤه بالشام وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع من وردها من جيوش أهل الشام واعتقد مذهب الشراة الأزارقة » . وروى في الأغاني أيضاً <sup>(٣)</sup> : « كان الكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ صديقاً للطَّرِمَاحِ لَا يَتَكَادَانِ يَفْتَرِقَانِ فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِمَا فَقِيلَ لِلْكُمَيْتِ : لَا شَيْءَ أَعْجَبَ مِنْ صَفَاءِ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الطَّرِمَاحِ عَلَى تَبَاعُدِ مَا يَجْمَعُهُمَا مِنَ النِّسَبِ وَالْمَذْهَبِ وَالْبِلَادِ وَهُوَ شَائِي قَمْطَانِي وَأَنْتَ كَوَيْ نَزَارِي شَيْعِي فَكَيْفَ اتَّفَقْتُمَا مَعَ تَبَايُنِ الْمَذْهَبِ وَشِدَّةِ الْعَصِيَّةِ ؟ فَقَالَ اتَّفَقْنَا عَلَى بُغْضِ الْعَامَّةِ » . وقبل انضمامه إلى الخوارج قد مدح أمراء الأمويين وهجا قبيلة تميم هجاء مُفَرِّطاً فِي الشُّتْمِ وَالْإِحْتِفَارِ رَوَاهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي كِتَابِ الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ <sup>(٤)</sup> . ومن شعره بعد تملُّهه بالخوارج <sup>(٥)</sup> :

(١) كتاب البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ١٨٤ من طبعة مصر ١٣١٣ (أرج ٢ ص ٢٧٢ من طبعة ١٣٥١) .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٠ ص ١٥٦ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٠ ص ١٥٦ و ج ١٥ ص ١١٣ وراجع أيضاً كتاب البيان للجاحظ ج ١ ص ٢٢ من طبعة مصر ١٣١٣ (أرج ١ ص ٥٤ - ٥٥ من طبعة ١٣٥١) .

(٤) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٧٢ و ٢٧٣ من طبعة لندن . وتروى أربعة أبيات من الهجاء الأول بغير اسم الشاعر في الباب السابع بعد المائة من مروج الذهب للمسعودي ج ٦ ص ١٢٨ من طبعة باريس .

(٥) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٧٢ - ٢٧٤ من طبعة لندن وراجع أيضاً كتاب الأغاني ج ١٠ ص ١٦٠ (و ديوان الطرماح عدد ٣٥ من طبعة لندن ١٩٢٧) .

فيا ربَّ لا تَجْعَلْ وَفَاتِي إِنْ دَنَتْ      على شَرَجٍ يُعْلَى بِدُسْنِ الْمَطَارِفِ  
ولكنْ أحنْ يَوْمَ شَهِيدَا وَعُصْبَةٍ      يُصَابِرِينَ فِي فَيْجٍ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ  
عصائبُ من شَتَّى يُؤَلَّفُ بَيْنَهُمْ      هُدَى اللَّهِ نَزَالُونَ عِنْدَ الْمَوَاقِفِ  
إِذَا فَارَقُوا دَنِيَاهُمْ فَارَقُوا الْأَذَى      وصاروا إلى مَوْعِدٍ مَا فِي الْمَصَاحِفِ  
فَأَقْتَلَ قَعَصًا ثُمَّ يُرْمَى بِأَعْظَمِي      كَضِغْتِ الْخَلَائِيقِ الرِّيحِ الْعَوَاصِفِ  
وَيُضْجِحُ لَحْمِي بَطْنَ طَيْرٍ مَقِيلُهُ      دَوَيْنَ السَّمَاءِ فِي نُسُورٍ عَوَافِفِ  
يَذْكُرْنَا الْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ تَوْحُّشَ      بعضِ أشعار الجاهلية لا سِيَّما أشعار  
الشَّنْفَرَى وَنَابِطَ. شَرًّا إِلَّا أَنَّ سَبَبَ التَّوَحُّشِ      عِنْدَ هَذَيْنِ الشَّاعِرِينَ يَخْتَلِفُ  
عَنْ سَبَبِهِ عِنْدَ الطَّرْمَاحِ فَإِنَّ هَمْجِيَّةَ      بعضِ شعراء الجاهلية صدرت عن أحوال  
حَيَاتِهِمُ الْقَرِيبَةِ مِنْ أحوالِ الصَّعَالِيكِ اللَّصُوصِ      وَقُطَّاعِ الطَّرِيقِ أَمَّا مَا وَرَدَ مِنْهَا  
فِي شَعْرِ الطَّرْمَاحِ فَصَادِرٌ عَنْ مَذْهَبِ الْأَزَاقَةِ      الَّذِينَ رَأَوْا الْمَوْتَ فِي الْحَرْبِ وَقَتْلَ  
مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْخَوَارِجِ أَهْوَنَ الْأَشْيَاءِ      عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَزَالُوا مُقَاتِلِينَ إِلَى انْقِرَاضِ  
فِرْقَتِهِمْ مُخْطَرِينَ أَنْفُسَهُمْ بِجَرَاةٍ عَجِيبَةٍ      لَا نَظِيرَ لَهَا كَانَتْهُمْ مُشْتَاقُونَ إِلَى  
الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَكَانُوا أَيْضاً أَصْحَابَ الْاسْتِعْرَاضِ      أَيْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ بِإِطَاحَةِ  
قَتْلِ جَمِيعِ النَّاسِ مِنَ الْمُخَالَفِينَ فِي أَيٍّْ      وَقَتٍ وَبِدُونِ تَمْيِيزِ الرِّجَالِ وَالْأَطْفَالِ  
وَالنِّسَاءِ . فَلِذَلِكَ إِنَّ مَعَانِي مِثْلِ الْوَارِدَةِ      فِي أَبْيَاتِ الطَّرْمَاحِ لَيْسَتْ نَادِرَةً فِي  
أَشْعَارِ الْخَوَارِجِ فَقَالَ قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ<sup>(١)</sup> :

أَلَا أَيُّهَا السَّاعِي الْبِرَازَ تَقَرَّبْنِ      أَسَافِكَ بِالْمَوْتِ الدَّعَافِ الْمُقَشَّبَا  
فَمَا فِي تَسَاقِيِ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ سُبَّةٌ      عَلَى شَارِبِيهِ فَاسْقِنِي مِنْهُ وَأَشْرَبَانِي  
وَقَالَ عَمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ لَمَّا قُتِلَ أَبُو يَلَالٍ مِرْدَاسُ بْنُ أَدْيَةَ<sup>(٢)</sup> :

(١) حماسة أبي تمام ص ٣٣١ من طبعة بن أوج ٢ ص ١١١ من طبعة بولاق .  
(٢) الكامل للبرد ص ٥٣٠ من طبعة ليبسك أوج ٢ ص ١٢١ من طبعة مصر ١٣٢٣-١٣٢٤



لقد زاد الحياةَ إلى بُغْضَا وَحُبًّا للخروج أبو بلالٍ  
أحاذر أنْ أموتَ على فراشي وأرجو الموتَ تحت دُرَا العوالى  
ولو أننى علمت بأنَّ حَتَّى كحُتِفَ أبى بلالٍ لم أبال  
فمن يكْ همُّه الدنيا فلننّى لها والله ربَّ البيت قال

هذا أمر الخوارج . أما الشيعة فأغلبهم قليلو الميل إلى الحرب مستنكفين من جفاء الخوارج فشعرهم بعيد عن توحُّش شعر الأزارقة كثيرُ المدار على مدح أهل البيت وبيان الاختلافات الدينية . ومن شعرائهم كثيرُ بن عبد الرحمن الخزاعي المتوفى سنة ١٠٥ المعروف بكثير عزة<sup>(١)</sup> لتشبيهه بعزة الضمرية في شعره وإن قيل إنه مُدَّع غير صادق الصبابة والعشق . فهذا القسم من شعره وهو غير يسير يدخل في الصنف الذى سميناه بالشعر الغرائى عند أهل البادية فعُدَّ كثير لذلك من العشاق المشهورين . لكنه لاتصاله بمذهب الكيسانية من الشيعة وإظهار هذا المذهب في أشعاره غير الغرامية يستحق أن يُجعل في شعراء الصنف السادس الذى نحن في بيانه لا سيما إذ كان ما أبداه في أبياته من آرائه الغريبة خطير الشأن لمن يفحص عن أصول اعتقادات الفرق الشيعية . إن الذين ألفوا التصانيف الثمينة في الملل والنحل مثل ابن خزَم والشَّهْرَسْتانى لم يميِّزوا في بيانهم القديم والحديث من اعتقادات كلِّ فرقة فرما نسبوا إلى أوائل الفرقة ما لم يتكوَّن أو لم يُنخل فيها إلَّا بمرور الزمان فإذا أردنا التوصل إلى كشف حقيقة الأوائل

(١) وهو مذكور في كتاب الأغاني ج ٨ ص ٢٦ - ٤٤ من طبعة بولاق وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣١٢ - ٣٢٩ من طبعة ليدن وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان عدد ٥٥٨ من طبعة غوتنجن أو ٥١٩ من الطبقات المصرية ( وطبقات الشعراء لابن سلام ص ١٢٢ - ١٢٥ من طبعة ليدن وديوانه مطبوع بناية Papyrus في الجزائر وباريس سنة ١٩٢٨ - ١٩٣٠ ) .

فلا بدّ لنا من الرجوع إلى أقوال شعراء هذا الصنف السادس التي برتبة نصوص صحيحة موثوق بها .

من المشهور أنّ ركن مذاهب أهل الشيعة توارث الإمامة في أعقاب عليّ بن أبي طالب . فهو رأى لم تذهب أغلب العرب إليه أبداً لنفس مخالفته لنظامهم القديم الذى لم يزل إلى الآن عند الأعراب أعنى أنّ سيّد القبيلة لا ينال منصبه إلا باختيار رجال القبيلة إياه فلا تتوارث السيادة فإن خلف ابن أباه فيها كان ذلك باختيار القوم أيضاً لا لحقّ ميراث . أمّا الأمم المجاورة للعرب في أيام غرة الإسلام لا سيما الفرس فمن زمان طويل ألّفت نظاماً سياسياً أساسه توارث الملوك في عائلة فلم يكونوا يتصورون إمكان ملك عظيم متين اختارت العامة رأسه . قتالت الفرس طبعاً إلى رأى أهل الشيعة في الإمامة . وزيدوا على ذلك سبباً آخر قومياً أعنى أنّ العجم بعد موت عليّ بن أبي طالب رأوا مقاومة أهل الشيعة لبنى أمية كمثّل قيام على سلطنة العرب فانضموا إليها أفواجاً لبغضهم السرى للمتغلبين على بلادهم . فلتأثير مذاهب الفرس واليهود تغيّرت شيئاً فشيئاً مسألة الإمامة عند أهل الشيعة ممّا كانت في وقت عليّ أمير المؤمنين . قد جاء في القرآن أنّ محمّداً خاتم النبيين فيدلّ هذا القول ظاهراً أنّ الشريعة الإسلامية ستقوم بعده مقام النبوة فيما سلف من الزمان . ولكن خالف هذا آراء كثير من أمم الشرق واعتقاداتها القديمة فلم يستصوبوا في قلوبهم انقطاع النبوة وعدم بقائها في رجل من الرجال لأنّ النبوة عندهم تمثّل قدرة الله على الأرض وعنايته بأموال الناس فلم تكن النبوة في أحد من الأحياء لمنعت عندهم الدنيا العناية الإلهية . فحملهم هذا الظنّ بعد إسلامهم على اعتقاد توارثها في أهل البيت بصفة أن يكون الخلف حياً موجوداً في وقت سالفه حسبما كان مثلاً يشوع موجوداً في أيام موسى أو عليّ في أيام محمّد . غير أنّهم تركوا طبعاً لفظ.

النبي لتسمية أعقاب رسول الله والتجسُّوا إلى لفظ الوصي أو المهدي أو الإمام<sup>(١)</sup>. فإلى بقاء رسالة الله في أهل البيت يشير أبو داود خالد بن إبراهيم أحد دُعاة أبي مُسلم بخراسان في مخاطبته للثَّقَبَاء بِمَرُورِ سنة ١٢٩<sup>(٢)</sup>: وقال: أفتشكُّون أنَّ الله تعالى نَزَلَ عليه [أَي على النبي] كتابه فَاتَّاه جبريل عليه السلام الروح الأمين أَحَلَّ فيه حلاله وحَرَّمَ فيه حرامه وشرع فيه شرائعه وسَنَّ فيه سُنَنَهُ وَأَنْبَأَهُ فيه بِمَا كَانَ قَبْلَهُ وما هو كَاتِبٌ بَعْدَهُ إلى يوم القيامة؟ قالوا: لا. قال: أفتشكُّون أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَبِضَهُ إِلَيْهِ بَعْدَ مَا أَدَّى مَا عَلَيْهِ مِنْ رِسَالَةِ رَبِّهِ؟ قالوا: لا. قال: أفتظنون أنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ رُفِعَ مَعَهُ أَوْ خُلِفَهُ؟ قالوا: بَلْ خُلِفَهُ. قال: أفتظنونُهُ خُلِفَهُ عِنْدَ غَيْرِ عِتْرَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَقْرَبِ فَلَا أَقْرَبَ؟ قالوا: لا. قال: فهل أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا رَأَى مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِقْبَالًا وَرَأَى النَّاسَ لَهُ مُحِجِّينَ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَصْرِفَ ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ؟ قالوا: اللَّهُمَّ لَا وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قال: لَسْتُ أَقُولُ لَكُمْ فَعَلِمَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا نَزَعَ النَّزْعَةَ فِيمَا يَكُونُ وَفِيمَا لَا يَكُونُ. قال: وهل فِيمَكُم أَحَدٌ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَصْرِفَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ عِتْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ؟ قالوا: لا. قال: أفتشكُّونَ أَنَّهُمْ مَعْدِنُ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ مِيرَاثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالوا: لا. »

يُتَضَحُّ مِنْ هَذَا النَّصِّ أَنَّ أَهْلَ الشَّيْعَةِ أَوْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الثَّانِي قَالُوا بِبَقَاءِ رِسَالَةِ اللَّهِ فِي عِتْرَةِ النَّبِيِّ أَي أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَى سَبِيلِ التَّوَارِثِ مِنَ الْأَقْرَبِ إِلَى الْأَقْرَبِ. وَفِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ وَمَا يَلِيهِ مِنَ الثَّانِي لِتَدَاوُلِ الزَّعْمِ عَنْدهُمْ أَنَّ السَّاعَةَ قَرِيبَةٌ خْتَمُوا سُلْسَلَةَ أَثْمَنَتِهِمْ بِثَالِثِ أَبْنَاءِ عَلِيٍّ وَهُوَ مُحَمَّدٌ

(١) راجع J. WELLHAUSEN, *Die religiös-politischen Oppositionsparteien* P. 92

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٦١ في سنة ١٢٩.

ابن الحنفية<sup>(١)</sup> فقالوا إنه ما مات ولا فارق الدنيا بل إنه يغيب مدة بجبل رَضْوَى على مسيرة يوم من يَنْبُع ثم يرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلاً كما مُلئتُ شراً وجوراً . فإلى هذا المعتقد أشار كثير<sup>(٢)</sup> بقوله المشهور :

أَلَا إِنَّ الْأَيُّمَةَ مِنْ قَرِيشٍ      وَلِلَّاهِ الْحَقَّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءٌ  
عَلَى      وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ      هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ  
فَسِبْطٌ      سِبْطٌ      إِيْمَانٌ وَبِرٌّ      وَسِبْطٌ      غَيْبَتُهُ كَرَبَلَاءُ  
وَسِبْطٌ      لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى      يَقُودَ الْجَيْشَ يَقْدُمُهُ اللُّوَاءُ  
تَغِيبَ      لَا يُرَى فِيهِمْ زَمَانًا      بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ

وهذا أيضاً معتقد السيد الحِمَيْرِي كما يلوح من أبياته المروية في كتاب الأغاني<sup>(٣)</sup> التي قالها بعد موت ابن الحنفية (أو غيبته على ظنه) بستين سنة .  
- أما فرقة أخرى من الكيسانية فقالوا بانتقال محمد بن الحنفية إلى رحمة الله وانتقال الإمامة وأرار العلوم منه إلى ابنه أبي هاشم وهذا القول مهم جداً لعلاقته بظهور الدعوة العباسية بخراسان والعراق فإنها تأسست على مذهب

(١) توفي في الأول من محرم سنة ٨١ (وقيل في سنة ٨٣ أو ٧٢ أو ٧٣) بالمدينة . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان عدد ٥٧٠ من طبعة غوتنجن أو عدد ٥٣١ من الطبعات المصرية وقال ابن سعد في الجزء الخامس من طبقاته ص ٨٥ - ٨٦ إن محمد بن الحنفية مات في محرم سنة ٨١ وهو ابن ٦٥ سنة قمرية .  
(٢) كتاب الأغاني ج ٨ ص ٣٢ (وانظر أيضاً ج ٧ ص ١٠ - ١١) ومروج الذهب للمسعودي في الباب الثالث والتسعين ج ٥ ص ١٨٢ وكتاب الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢٠٠ من طبعة مصر هاشم كتاب الملل لابن حزم أو ص ١١١ من طبعة لندن وبمقدمة ابن خلدون ج ١ ص ٣٥٨ من طبعة باديس ١٨٥٨ أو ص ١٧٣ من طبعة بيروت ١٨٧٩ أو ص ١٩٨ - ١٩٩ من طبعة بيروت ١٩٠٠ (لا يذكر اسم الشاعر في الطبقات الشرقية) [ديوان كبير عدد ١٥٠، بيت ٣ و ٤ و ٧ و ١٠ و ١١ (ج ٢ ص ١٨٦ - ١٨٨)] ويرى البيتان الأخيران في وفيات الأعيان لابن خلكان عدد ٥٧٠ من طبعة غوتنجن أو ٥٣١ من الطبعات المصرية .

(٣) كتاب الأغاني ج ٧ ص ٤ و ج ٨ ص ٣٢ من طبعة بولاق ومروج الذهب للمسعودي ج ٥ ص ١٨٢ - ١٨٣ في الباب الثالث والتسعين (خمس أبيات وفيها « سبعين » بدلا من « ستين ») .

القائلين إن أبا هاشم التوفى في أيام سليمان بن عبد الملك (٩١٥ - ٩٩٧) وأوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم وأوصى إبراهيم إلى أخيه أبي العباس عبد الله السفاح. ولولا ذِيْعَان هذا الاعتقاد عند أهل الشيعة لما توصل السفاح إلى تأسيس الدولة العباسية.

ومن الحرى بالاعتبار قول جملة من أهل الشيعة في القرن الأول والثاني بالرجعة فلمنهم جعلوه تأييداً لآرائهم في توارث الإمامة في أهل البيت وعزها . فزعموا أن الرسالة أى النبوة وهى عندهم روح الله نُزِلَتْ في النبي وصارت روحه فلما مات تحوّلَت روحه أى الرسالة أو الإمامة إلى علي بن أبي طالب ووقّت موت علي تحوّلَت روحه وانتقلت الإمامة إلى ابنه الأكبر وهلمّ جرأ . وممن ذهب إلى هذا القول بالرجعة كثير عزّة (١) الشاعر المذكور سابقاً فيروى أنه نظر مرة إلى بنى الحسن بن الحسن بن علي وهم صغار فقال : «بأي أنتم هؤلاء أنبياء صغار» (٢) . واحتجّ في اعتقاد الرجعة بالآية (٣) : «الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ» (٤) . فلا يخفى عليكم ما لهذه الآراء من النتائج المهمة وهى : ١ أن الإمامة أو الخلافة ليست فى الحقيقة إلّا نبوة . ٢ أن الإمام أى الخليفة صاحب صفات الأنبياء . ٣ أن الإمامة أى الخلافة لا تنتقل إلّا من ميت إلى حيّ فانقطاعها أو عزل الإمام مستحيل . ٤ أن الأرض لا تخلو عن إمام أبداً وإن كان هذا

(١) كتاب الأغاني ج ٨ ص ٢٧ و ٣٣ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ٨ ص ٣٤ .

(٣) كتاب الأغاني ج ٨ ص ٣٣ .

(٤) القرآن سورة ٨٢ (الانفطار) : ٧ - ٨ . واحتج أصحاب اعتقاد الرجعة بالسورة ٢٨

(القصص) : ٨٠ .

الإمام مستوراً غائباً عن عيون الناس . ٥ أن وجود إمامين في آن واحد كما زعم بعض الفرق محال . ٦ أن الإمامة أى الخلافة لا تُقَلَّد باختيار الناس سواء كانوا جماعة المسلمين أو أهل الحل أو العقد . - فيتضح أيضاً من جميع ذلك ما لمُحْتُ إليه سابقاً من عدم فرق حقيقى بين الاختلافات الدينية والأحزاب السياسية عند المسلمين أثناء القرون الأولى للهجرة وأن التاريخ السياسى لا يُعْقَل من دون الفحص عن المذاهب والفرق الإسلامية . ثم يلوح أيضاً ما كان لشعراء تلك الفرق من الشأن العالى في أحوال السياسة . ومن الشعراء الذين ذهبوا مذهب الكيسانية وأنكروا وفاة محمد بن الحنفية وقالوا بغيبته بجبل رضوى أبو هاشم إسماعيل بن محمد الملقب بالسيد الجميرى<sup>(١)</sup> من مخضرى الدولتين الأموية والعباسية بل لعل أكثر عمره وقع في أيام بنى العباس إذ مات سنة  $\frac{١٧١}{٧٨٨-٧٨٧}$  قال صاحب الأغاني<sup>(٢)</sup> : « كان شاعراً متقدماً مطبوعاً . . . وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يُقْرِط فيه من سب أصحاب رسول الله صلعم وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم فتُحَوَّى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس . تخوفاً وتراقباً وله طراز من الشعر ومذهب قلماً يُلْحَق فيه أو يقاربه ولا يُعرف له من الشعر كثير وليس يخلو من مدح بنى هاشم أو ذم غيرهم

(١) راجع كتاب الأغاني ج ٧ ص ٢ - ٢٤ من طبعة بولاق ومروج الذهب للمسعودى ج ٥ ص ١٨٢ - ١٨٤ وكتاب الملل للشهرستانى ج ١ ص ٢٠٠ من طبعة مصر بهامش الملل لابن حزم أو ص ١١١ من طبعة لندن فانظر أيضاً .

BARBIER DE MEYNIARD, *Le Sîd Hîmyarîte, recherches sur la vie et les autres d'un poète hébreu du II siècle de l'hégire* (Journal Asiatique, 7<sup>ème</sup> série, t. IV, 1874) P. 159-284.

تروى له أبيات سياسية (إما منسوبة إليه أو أصلية) في كتاب الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ١٢٥ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ وأبيات مروية له أيضاً في مقدمة ابن خلدون ص ١٧٣ من طبعة بيروت ١٨٧٩ أو ص ١٩٩ من طبعة بيروت ١٩٠٠ أو ج ١ ص ٤٠٦ من الترجمة الفرنسية في كتاب العمدة لابن رشيقي ج ٢ ص ٥٩ من طبعة مصر ١٣٣٥ (أبيات في النبي ونقد ابن رشيقي لها) .

(٢) كتاب الأغاني ج ٧ ص ٢ من طبعة بولاق .

ممن هو عنده ضدّ لهم . . وأخباره كلها تجرى هذا المجرى ولا تخرج عنه . وفي موضع آخر بعد إيراد بعض أبيات السيّد الحميري قال صاحب الأغاني<sup>(١)</sup> على ميله المعروف إلى التشيع : « وهي قصيدة طويلة حُلِفَ باقيها لقبّح ما فيه » يعني الإفراط في التشيع . ومما يدلُّ على علو منزلته عند أهل الشيعة أنّ بعضهم نحل إليه أشعاراً في مذهب الإمامية<sup>(٢)</sup> القائلين بإمامة جعفر الصادق فواضح أنّ الذي فعل ذلك رجا من زوره تأييداً لآراء الإمامية ولم يَرُج ذلك لو كان السيّد الحميري من الشعراء غير المقدمين . وشعره موصوف بالمتانة والرونق والجزالة مع الامتناع عن غريب الألفاظ . فيروى عن إسحق بن ثابت العطار<sup>(٣)</sup> : « قال كنّا كثيراً ما نقول للسيّد ما لك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما نسأل عنه . كما يفعل الشعراء . قال لأنّ أقول شعراً قريباً من القلوب يلكّه من سميعة خير من أن أقول شعراً متعقداً تَضَلَّ فيه الأوهام » .

كان كثير عزّة والسيّد الحميري من الكيسانية أي من غلاة الشيعة . أما شعراء الشيعة المعتدلون في أيام بني أمية فأشهرهم الكُمَيْت بن زيد الأسدي<sup>(٤)</sup> المولود سنة ٦٠ المتوفى سنة ١٢٦ كان من أهل الحضر ويعلم في أول أمره الصبيان في مسجد بالكوفة . ووصفه صاحب كتاب الأغاني<sup>(٥)</sup>

(١) كتاب الأغاني ج ٧ ص ٩ . (٢) كتاب الأغاني ج ٧ ص ٣ و ٥ .

(٣) كتاب الأغاني ج ٧ ص ١١ .

(٤) راجع كتاب الأغاني ج ١٥ ص ١١٣ - ١٣٠ وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٢٦٨ - ٣٧٢ وفضائل الأدب ج ١ ص ٦٩ - ٧٠ و ٨٦ - ٨٧ وروج الذهب للسيدي ج ٦ ص ٣٦ - ٤٥ من طبعة باريس ( في الباب الثالث بعد المائة ) وكتاب الحيوان للجاحظ ج ٥ ص ٢٦ - ٢٧ و ١٥٣ و ١٦٧ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ وكتاب المعتمد لابن رشيقي ج ٢ ص ١١٤ من طبعة مصر ١٣٢٥ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٥٧٤ - ١٥٧٥ ( شعر به الكيت إلى أهل مرو ناشراً الدعوة لبني العباس سنة ١١٧ هـ ) [ والمدائح النبوية في الأدب العربي لزكي مبارك ص ٦٧ - ١١١ من طبعة مصر ١٣٥٤ ] .

(٥) كتاب الأغاني ج ١٥ ص ١١٣ .

على هذه الصفة : « شاعر مقدّم عالم بلغات العرب خبير بأيامها من شعراء  
مُضَرّ وألسنتها والمتعصبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم العلماء  
بالمثالب والأنيام المخاضرين بها . . . ولم نزل عصبيتّه للعدنانيّة ومهاجراته شعراء  
اليمن متّصلةً والمناقضة بينه وبينهم شائعة في حياته وبعد وفاته حتّى ناقض  
دِغْبِلَ وابن أبي عُيَيْنَةَ قصيدته المذهّبة بعد وفاته وأجابها أبو الزّلفاء البَصْرِيّ  
مولى بنى هاشم » . فإذا اعتبرنا هذا النصّ فقط. ظننّا أنّ الكميت من شعراء  
الصنف الخامس المفتخرين بقومهم المهاجرين قبائل خصومهم . ولكن كيف  
ذلك إذ كان الكميت كوفيّاً من أهل الحضر بعيداً عن أحوال حياة  
الأعراب ؟ والحقّ يقال إنّنا إن تاملنا ما بلغنا من أهاليه وجدناها على  
عصبيتها مخالفةً لأساليب هجاء أهل البادية من وجوه فالواضح أنّ غرضها  
الحقيقيّ غيرُ المنافرة المألوفة عند القبائل . قال صاحب الأغاني<sup>(١)</sup> إنّ « سبب  
هجاء الكميت أهل اليمن أنّ شاعراً من أهل الشام يقال له حكيم بن عيّاش  
[الأحور] الكلبيّ كان يهجو عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبنى  
هاشم جميعاً وكان منقطعاً إلى بنى أميّة فانتدب له الكميت فهجاه وسبّه  
فأجابه ولجّ الهجاء بينهما وكان الكميت يخاف أن يفتضح في شعره عن  
عليّ عليه السلام لما وقع بينه وبين هشام [بن عبد الملك] وكان يُظهر  
أنّ هجاءه إياه في العصبية التي بين عدنان وقحطان » فبدلنا هذا القول  
على أنّ هجاءه يُعدّ من الشعر في الاختلافات السياسيّة الدينيّة وإن كان  
ظاهراً غير ذلك . وفي كتاب مروج الذهب للمسعودي<sup>(٢)</sup> رواية تؤيّد ما قلناه  
وهي أنّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أراد أن

(١) كتاب الأغاني ج ١٥ ص ١٢٨ ونزاة الأدب ج ١ ص ٨٧ من طبعة بولاق .

(٢) مروج الذهب ج ٦ ص ٤١ - ٤٤ من طبعة باريس (في الباب الثالث بعد المائة)  
وراجع نزاة الأدب ج ١ ص ٨٦ .



يُهْدَى للكُميت هدايا ثمينة لقصائده في مدح العلويين فأبى الكُميت قبولها فقال عبد الله : « أَمَا إِذْ أَبَيْتَ أَنْ تَقْبَلَ فَأَتَى رَأَيْتَ أَنْ تَقُولَ شَيْئاً تُغَضِّبُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ لَعَلَّ فِتْنَةً تَحْدُثُ فَيُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهَا بَعْضُ مَا تُحِبُّ » فابتدأ الكُميت وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب النزاريين ويطنب في تفضيلهم على قحطان وهي زهاء ثلثمائة بيت لم يترك فيها حياً من أحياء اليمن إلا هجاهم . وعرض بأخذ الفُرس والحَبَشَة نساء اليمن بقوله :

لنا قمرُ السماء وكلُّ نجم      نُشيرُ إليه أيدي المهتدينا  
وجدتُ الله إِذْ سَمَى نَزَاراً      وأسكنهم بمكة قاطنينَا  
لنا جعل المكارم خالصاتٍ      وللناس القفا ولنا الجبينَا  
وما ضربت هجائنَ من نزار      فوالجُ من فحول الأعجمينَا  
وما حملوا الحَويِرَ على عناقٍ      مطهمةً فيلَفُوا مُنْغَلِينَا  
وما وُجِدَتْ بناتُ بنى نزار      حلائلَ أسودين وأحمرينَا  
ولكنني أظنُّ أن صاحب الأغاني والمسهودي لم يُصيبَا في قولهما كلَّ الإصابة وأنَّ غرض الكُميت من هجائه أهل اليمن غير المبين في النصوص التي نقلتها . تذكروا ما شرحته لما تكلمت عن أحوال الشام بعد منتصف القرن الأول (ص ١٤٣) أعنى أنَّ اليمنيين أو المنتسبين إلى قحطان وردوا الشام أفواجا حتى كان عددهم هناك أوفرَ من عدد النزاريين فإن بنى أمية اعتمدوا عليهم خصوصاً لتأييد مُلكهم وإثبات أمرهم . فإذا تأملتُم هذا فهمتم أنَّ هجاء الكُميت اليمنيين كان في الحقيقة هجاء أشدَّ المتعصبين للدولة الأموية وأوثقهم . وهذا غرض أهل الشيعة .

كان الكُميت قبل مهاجته القحطانييْن قد نظم القصائد الهاشميات وهي من جيد شعره مدح فيها بنى هاشم أي أهل البيت وأبدى فيها تعصبه

للمذهب الشيعة . ولكنه لم يكن من الغلاة وامتنع عن الحكم القاطع في أبي بكر وعمر فقال<sup>(١)</sup> :

أَهْوَى عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَرْضَى بِشَيْئٍ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ  
وَلَا أَقُولُ وَإِنْ لَمْ يُعْطِيََا فَدَكَاً بِنْتُ النَّبِيِّ وَلَا مِيرَاثُهُ كَفَرًا  
اللَّهُ يَعْلَمُ مَاذَا بَأْتِيَانِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عُذْرٍ إِذَا عْتَدَرَا  
أَمَّا بَنُو أُمَيَّةٍ فَدَسَمَهُمْ فِي الْهَاشِمِيَّاتِ فَقَالَ مَثَلًا بَعْدَ ذِكْرِ فَضَائِلِ بَنِي  
هَاشِمٍ<sup>(٢)</sup> :

سَاسَةً لَا كَمَنْ يَرَى رَغِيَّةَ النَّاسِ سَوَاءٌ وَرَغِيَّةَ الْأَنْعَامِ  
لَا كَعَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ كَرَلِيدٍ أَوْ سُلَيْمَانَ بَعْدُ أَوْ كَهَشَامِ  
رَأْيُهُ فِيهِمْ كَرَأْيِ ذَوِي الثُّلَّةِ فِي النَّائِجَاتِ جُنْحَ الظَّلَامِ  
وَمَنْ أَغْرَبَ الْغَرَائِبَ أَنَّهُ مَدَحَ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي غَيْرِ الْقَصَائِدِ الْهَاشِمِيَّاتِ  
فَمِنْ قَوْلِهِ<sup>(٣)</sup> :

أَبْنَى أُمَيَّةَ لِمَنْكُمْ أَهْلُ الْوَسَائِلِ وَالْأَوَامِرِ  
ثَقَى لِكُلِّ مُلِمَّةٍ وَعَشِيرَتِي دُونَ الْعَشَائِرِ  
أَنْتُمْ مَعَادُنُ لِلْخِلَاقِ فَهَ كَابِرًا مِنْ بَعْدِ كَابِرِ  
بِالتَّسْعَةِ الْمُتَتَابِعِينَ خِلَافًا وَبِخَيْرِ عَاشِرِ  
وَالِى الْقِيَامَةِ لَا تَزَالُ لَشَافِعٍ مِنْكُمْ وَوَاتِرِ

(١) الهاشميات ص ٦٣ من طبعة مصر ١٣٢١ أو عدد ٨ بيت ١ - ٣ من طبعة لندن ١٩٠٤  
أما ذلك فانظر ما قبل في حاشية ٣ من ص ٦٣ من طبعة مصر .

(٢) الهاشميات ص ٧ من طبعة مصر ١٣٢١ أو عدد ١ بيت ٣٥ - ٣٧ من طبعة لندن .  
عبد الملك بدلا من عبد الملك لضرورة الشعر وكذا أيضا في بيت جواس بن القحطل الكلابى المروى  
في حاشية أبي تمام ص ٦٥٨ من طبعة بن أوج ٤ ص ٣٣ من طبعة بولاق وجماعة البحرى ص ١٢٢  
من طبعة لندن أو ص ٨١ عدد ٣٧٧ من طبعة بيروت وفى معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٣ - ٤ من طبعة  
ليبسك - ثلة جماعة الضأن الكثيرة وقاج الغنم صناع .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٥ ص ١١٨ من طبعة بولاق .

فاستغرب ذلك بعض كتّبة العرب فقال ابن قتيبة في توطئته لكتاب الشعر والشعراء<sup>(١)</sup> عند ذكر طمّع بعض الشعراء : «وهذه عندي قصة الكميت في مدحه بنى أمية وآل أبي طالب فإنه كان يتشيع وينحرف عن بنى أمية بالرأى والهوى وشعره في بنى أمية أجود منه في الطالبين ولا أرى علّة ذلك إلّا قوة أسباب الطمّع وإيثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة » . و يروى في الأغاني<sup>(٢)</sup> أنّه قد استأذن أبا جعفر محمد بن عليّ في مدح الأمرين فأذن له فيه . ومن الجدير بالذكر من هذا الباب شعر له مدح فيه النبيّ بما ليس في محله فقبل أنّه لم يُرد النبيّ وإنّما أراد عليّاً فوزى عنه بذكر النبيّ خوفاً من بنى أمية<sup>(٣)</sup> .

ليست هذه المداهنة مختصة بالكميت بل توجد أيضاً في شعر غيره من شعراء الشيعة في ذلك العصر<sup>(٤)</sup> . ورأى فيها أنّ أسبابها ثلاثة عملت فيهم معاً : الطمّع في الجوائز والخوف من أهل السلطان ورأى الشيعة في التقيّة<sup>(٥)</sup> من المشهور أنّ أهل السنة قالوا بإباحة الحرام وتظاهر الكفر عند الخوف من القتل من السلطان كأنّها رخصة من عند الله للضعفاء أمّا الإمامية من فرق الشيعة فلهم كلام كثير في استعمال التقيّة أو الكتمان فاعتبروه واجباً ووضعوا للنبيّ الحديث : «مؤمن لا تقيّة له كمثّل جسد لا رأس له » ونسبوا إلى الإمام جعفر بن محمد القول : «نفس المهموم ظلّمنا

(١) كتاب الشعر ص ١٨ من طبعة ليدن .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٥ ص ١٢٦ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب المدة لابن رشيّق ج ٢ ص ١١٤ من طبعة مصر ١٣٢٥ . الأبيات موجودة في

المناشيات عدد ٣ بيت ٣١ - ٣٦ من طبعة ليدن .

(٤) منهم كثير وأيمن بن غريم مثلاً (راجع كتاب الأغاني ص ٢١ - ٧ - ١٣) .

(٥) راجع J. GOLDZIEHER, *Das Prinzip der "takijja" im Islam* (Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft, 60, 1906, P. 213-226)

تسبيح وهمه لنا عبادة وكنان سرّ جهاد في سبيل الله » فقال الإمام أبو عبد الله : يجب أن يكتب هذا الحديث بماء الذهب . فلماذا لا غرو أن شعراء مذهبهم في أواخر القرن الأول وأوائل الثاني لم يروا في مدح بني أمية بأساً وإن كانوا في قلوبهم يلعنونهم ويقولون بكفرهم . ويؤيد هذا الرأي ما قاله الكميّ في إحدى الهاشميات <sup>(١)</sup> :

ولم على حبيبهم وتطلعي إلى نصيرهم أمثلي الضراء وأختل  
تجوّد لهم نفسي بما دون وثبة تظّل بها الغربان حولي تخجل  
ثم قال أيضاً <sup>(٢)</sup> :

ولم على أنى أرى في نقيّة أخالط أقواماً لقوم لمزّيل  
ولم ذلك أيضاً يرجع ما يروى في كتاب الأغاني <sup>(٣)</sup> : « دخل الكميّ ابن زيد الأسديّ على أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام فقال له يا كميّ أنت القاتل :

فالأّن صرّت إلى أمير المؤمنين والأمور إلى المصائر  
قال نعم قد قلت ولا والله ما أردت به إلاّ الدنيا ولقد عرفت فضلكم .  
قال أمّا إن قلت ذلك إنّ التقيّة لتحلّ » .

وقيل أن نختم كلامنا الوجيز على شعراء الشيعة لا بدّ لنا من ملاحظة .  
قد أشرت غير مرّة إلى قلّة العواطف الدينيّة الخالصة في منظومات غير هؤلاء الشعراء وعلى ستوح المناسبة أوضحت أسباب ذلك مثل كلّ شعراء المدن الحجازيّة بلذات الدنيا وطبيعة أهل البادية القليلة الميل إلى أمور الدين

(١) الهاشميات ص ٥٥ من طبعة مصر ١٣٢١ أو عدد ٤ بيت ٨٦ - ٨٧ من طبعة ليدن .

(٢) الهاشميات ص ٥٦ من طبعة مصر ١٣٢١ أو عدد ٤ بيت ١٠٥ من طبعة ليدن .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٥ ص ١٢٦ - ١٢٧ من طبعة بولاق .

وهلم جرأ. إِنَّ شعراء بني أمية كانوا شعراء الدولة فمدحوا خلفاء وأمراء ورجالاً كان في أيديهم القوة المادية والسلطة والمُلْك فلا غرَّوْا إن غلبت فيهم الدنيا على الدين. أما شعراء الخوارج فأفسدوا حُشَّهم التعبير عن المراتف الرقيقة اللاتقة بالفِطْرة الدينية الحقيقية فإن أبدَوْا مثلاً كراهة الدنيا فعلوه على ما قد أوضحته فيما سبق أعنى على صفة أقرب إلى الحماسة منها إلى التقوى والزهد. أمَّا شعراء الشيعة لمتعلقهم بحزب عَزَل عن كلِّ سُلْطة مادية ولمدحهم رجال ورع وتقى زعموا بقاء روح النبوة والرسالة فيهم مالوا طبعاً إلى الحلم فغلب فيهم الدين على الدنيا فأتوا في شعرهم بما لا يوجد عند غيرهم من شعراء عهد الأمويين حتى قيل عن قصيدة للسيد الحميري إنها لو قرئت على منبر ما كان فيها بأس<sup>(١)</sup>. فلا شك أن النوع من الشعر الديني الذي نما فيما بعد فاشتهر به البرعي يتصل من وجه بقصائد شعراء الشيعة من القرن الأول والثاني .

إذا أردتم الإفادة عن المُرْجفة وراجعتم ما قيل فيهم في التصانيف مثل كتاب المِلَل والنَحَل للشَّهْرَسْتَانِي وجدتموه موصوفين فيها كآتهم من المذاهب الكلامية لا غير . قال الشهرستاني إنهم « كانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد ... ويقولون لا تنصروا مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار » . وجميع ذلك صواب بالنظر إلى المتأخرين منهم لا بالنظر إلى المتقدمين الكاثنين في عصر الدولة الأموية وأوائل العباسية . فإنهم في أول أمرهم لم يكونوا إلا من الأحزاب التي تكوّنت بسبب مسألة الإمامة والفتن التابعة لقتل عثمان بن عفان ؛

(١) كتاب الأغاني ج ٧ ص ٧ من طبعة بولاق .

فكانوا حزياً دينياً من جهة مبدئهم النظرى وحزباً سياسياً من جهة النتائج العملية الصادرة عن ذلك المبدأ . قد مرّ (ص ٢٣٢) تشبيه منزلتهم بين أصحاب الأُمويّين وأهل الشيعة بمنزلة المعتزلة بين العنانيّين والعلويّين فى أوائل خلافة علىّ ويلوح ذلك من بعض التعارض الواردة اتفاقياً فى تاريخ الطبرى ومن أشعار شعرائهم فإنّهم قالوا بوجوب الامتناع عن الحكم فى عثمان وعلىّ وأصحابهما ثمّ بجواز طاعة بنى أميّة ومقاتلة من ثار على السلطان<sup>(١)</sup> . قال محارب بن دثار الدهليّ<sup>(٢)</sup> (المتوفى سنة ١١٦) :

يَعِيبُ عَلَىّ أَقْوَامٌ سَفَاهاً      بَأَن أَرْجُو أَبَا حَسَنٍ عَلِيّاً  
وإِرْجَانِي أَبَا حَسَنِ صَوَابٌ      عَنِ الْعُمَرَيْنِ بَرّاً أَوْ شَقِيّاً  
فَإِنْ قَدَّمْتُ قَوْماً قَالَ قَوْمٌ      أَسْأَتَ وَكُنْتُ كَذَّاباً رَدِيّاً  
إِذَا أَيْقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ رَبِّى      وَأَرْسَلَ أَحْمَدًا حَقّاً نَبِيّاً  
وَأَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بُعِثُوا بِحَقٍّ      وَأَنَّ اللَّهَ كَانَ لَهُمْ وَلِيّاً  
فَلَيْسَ عَلَىّ فِي الْإِرْجَاءِ بَأْسٌ      وَلَا لَبْسٌ وَلَسْتُ أَخَافُ شَيْئاً

فتأملوا أهميّة هذا التوقف وكم كان له من التأثير فى العمل والسياسة فإنه حمل أصحابه على التسليم بالمقضى والاعتراف بخلافة الأُمويّين فغافل.

(١) G. VAN VLOTEN, *Irdjā* (Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft, 45, 1891, P. 161-171. راجع

(٢) انظر كتاب الأغاني ج ٧ ص ١١ من طبعة بولاق - وفى البيت الأول أرجو (كذا) والصحيح أدبى [ كما فى طبعة دار الكتب المصرية ج ٧ ص ٢٤٨ ] - أما البيت الثانى فتركبه هو: « وإِرْجَانِي أَبَا حَسَنِ بَرّاً وَشَقِيّاً عَنِ الْعُمَرَيْنِ صَوَابٌ » راجع van Vloten فى مقالته المذكورة آنفاً ص ١٦٥ حاشية ٢ .

هذا الإرجاء أهل الشيعة أي غيظ. فقال فيه السيد الحميري<sup>(١)</sup> :

خليلي لا تُرجئاً وأعلما بأن الهدى غير ما تزعمان  
وأن عمى الشك بعد اليقين وضعت البصيرة بعد العيان  
ضلال فلا تلججاً فيهما فبئست لعمركما الخصلتان  
أُرجى على إمام الهدى وعثمان ما أغند المرجيان  
ويُرجى ابن حَرْب وأشياءه وهوج الخوارج بالنهران  
يكون إمامهم في المعاد خبيث الهوى مؤمن الشبصبان

ومن شعراء المرجئة غير محارب بن دثار السابق ذكره ثابت قُطنة<sup>(٢)</sup> أحد  
الفرسان الشجعان في ثغور خراسان بل والى على عمل من أعمالها غزا عدة  
غزوات في بلاد تركستان في أيام قتيبة بن مسلم فكان كثير من شعره مما  
سميَّاه الصنف الخامس أي دائراً على الحماسة والمغازي ومما قال سنة ٦٥<sup>(٣)</sup> :

فَدَلَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْ ضَنْكِ الْقَامِ  
يَقْصُرُ الْبَاهِلِيُّ وَقَدْ أَرَانِي أَحَامِي حِينَ قُلْتُ بِهِ الْمُحَامِي  
بَسِيقِي بَعْدَ كَسْرِ الرُّمَحِ فِيهِمْ أَذُودُهُمْ بَلَى شُطْبِ حُسَامِ  
أَكُرُّ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كُرًّا كَكَرَّ الشَّرْبِ آتِيَةَ الْمُدَامِ  
فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَضَرَبِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْهَمَامِ  
إِذَا فَاظَلْتُ نِسَاءَ بَنِي دِثَارٍ إِمَامَ التُّرْكِ بَادِيَةَ الْخِدَامِ

(١) كتاب الأغاني ج ٧ ص ١٦ من طبعة بولاق . أرجأ وأرجى آخر - لج التلوي في المصنوعة  
- أعند فلاناً عارضه بالوفاق - ابن حرب هو معاوية - أهوج طويل وبه تسرع وحق وطيش -  
النهران مركز من مراكز الخوارج .

(٢) وهو مذكور في كتاب الأغاني ج ١٣ ص ٤٩ - ٦٤ وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٤٠٠  
- ٤٠١ من طبعة ليدن وبخزانة الأدب ج ٤ ص ١٨٥ - ١٨٧ فليظن أيضاً أنه من تاريخ الطبري .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٩٤ من طبعة ليدن وتاريخ ابن الأثير ج ٤ ص ١٢٠ - ١٣١  
من طبعة ليدن في سنة ٦٥ ( وفيه اسم الشاعر ثابت بن قطبة بدلاً من ثابت بن قطنة ) .

ولمّا تولّى سليمان بن عبد الملك أمور الخلافة  $(\frac{96}{717} - \frac{99}{717})$  وفضل قحطان على مضر لأغراض سياسته فنار عليه قتيبة بن مسلم وإلى خراسان لتعصيه لعدنان كفّ ثابت قطنه عن الثورة بل تألف الوالى الجديد يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة ولم ينحرف عن صُحبته على صروف الزمان . فلما تقلّبت أحوال القحطانيّين في أيام يزيد بن عبد الملك  $(\frac{1}{724} - \frac{10}{724})$  ورجعت الشوكة إلى مضر أخذ ثابت يحرض ابن المهلب على المقاومة والقتال<sup>(١)</sup> واتّبعه لما توجه إلى العراق راغباً في خلع يزيد بن عبد الملك طالباً الخلافة لنفسه وكان معه في يوم العقر في صفر سنة ١٠٢ حين خذل أهل العراق يزيد بن المهلب وفروا عنه فقتل . فقال ثابت قطنه يرثيه<sup>(٢)</sup> :

كلّ القبائل بايعوك على الذى      تدعو إليه . وتابعوك وساروا  
حتى إذا حمى الوعى وجعلتهم      نصب الأئمة أسلموك وطاروا  
إن يقتلوك فإنّ قتلك لم يكن      عاراً عليك ورُبّ قتلٍ عار

وتعاطى أيضاً الهجاء فوصلت إلينا قطع منه . أما الذى حملنى على ذكر ثابت قطنه هنا فهو شعره مشهور فصلّ فيه آراء المرجئة في زمانه أى في النصف الثانى من القرن الأوّل وهو شعر مهم جداً لموضوعه ولكونه من أقدم الأشعار قبلت في وصف اعتقادات دينية بعد ظهور الإسلام . ومن أبياته<sup>(٣)</sup> :

يا هندُ فاستمعى لى إن سِيرتنا      أن نعبّد الله لم نُشرك به أحد

(١) كتاب الأغاني ج ١٣ ص ٥٤ - ٥٥ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٣ ص ٥٥ وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٤٠١ من طبعة ليدن وخرافة الأدب ج ٤ ص ١٨٤ من طبعة بولاق وروج الذهب للمسعودى ج ٥ ص ٤٥٥ من طبعة باريس في الباب التاسع والتسعين (بغير اسم الشاعر) .

(٣) كتاب خزانة الأدب ج ٤ ص ١٨٦ - ١٨٧ من طبعة بولاق وكتاب الأغاني ج ١٣ ص ٥٢ ورواية خزانة الأدب أحسن من رواية الأغاني .



نُرجى الأمور إذا كانت مشبهة  
المسلمون على الإسلام كلهم  
ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً  
لا نسفك الدم إلا إن يراد بنا  
من يتق الله في الدنيا فإن له  
وما قضى الله من أمر فليس له  
كل الخوارج مخطئ في مقالته  
أما على وعثمان فإنهما  
وكان بينهما شغب وقد شهدا  
يُجزى على وعثمان بسقيهما  
الله يعلم ماذا يحضران به  
ونصدق القول فيمن جار أو عندا  
والمشركون أشتوا دينهم قددا  
م الناس شركاً إذا ما وحلوا الصمدا  
سفك الدماء طريقاً واحداً جددا  
أجر التقى إذا وثى الحساب غدا  
رد وما يقض من شيء يكن رشدا  
ولو نعبد فيم قال واجتهدا  
عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا  
شق العصا وبعين الله ما شهدا  
ولست أدري بحق آية وردا  
وكل عبد سيلي الله منفردا

تأملوا هذه الأبيات يتضح أن جميع المسائل المدلول عليها فيها إنما هي  
من نتائج الاختلافات في من تكون الإمامة من حقه . ففي البيت الثاني يرد  
ثابت قطنة على أهل الشيعة القائلين بظلم الخلفاء الأمويين ووجوب عصيانهم  
لجورهم . ثم في البيت الثالث يوجب الخوارج وأهل الشيعة معاً القائلين  
بكفر من لا يذهب مذهبهم من المسلمين ويرد عليهم جميعاً أيضاً بقوله  
« لانسفك الدم إلخ » لأن الخوارج قالوا بوجوب جهاد سائر المسلمين بل  
ذهب قوم منهم إلى استحسان الاستعراض المومأ إليه سابقاً (ص ٢٣٨)  
أما أهل الشيعة فكفروا من سفك دماء المؤمنين وأردوا بذلك تكفير الخلفاء  
والأمراء من بنى أمية . ثم أظهر ثابت قطنة في باقي أبياته الإنصاف فيما بين  
على وعثمان فجعلهما متساويي القدر وكف عن الحكم فيما جرى بينهما من  
الخلاف مقتدياً بالآية المشار إليها عند آخر الشعر وهي على المرجح :

«وَأَخْرَوْنَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»<sup>(١)</sup>.  
فترون أن جميع ذلك متعلق ضرورياً بمسألة الخلافة والحكومة شديد التأثير في السياسة والعمل . ولكن لما رسخت الدولة العباسية وثبتت شوكتها في جميع بلاد الشرق فزالت فعلاً الاختلافات في الإمامة عند رجال السياسة والسلطان - تقلب حال المرجحة كما تقلب حال كثير من سائر المذاهب أو الأحزاب الإسلامية القديمة أعني أن آرائهم الدينية السياسية التي أصلها مسألة الإمامة لا غير تحولت إلى آراء كلامية عامة متجردة عن علاقة ضرورية بمسائل الخلافة فعدلوا مثلاً عن القول بإرجاء عثمان وعلي وبنى أمية وقالوا بتأخير حكم من ارتكب الكبيرة إلى يوم القيامة . فدورهم هذا الجديد هو الموصوف في التأليف المشهورة في الملل والنحل .

قل الشعراء المساعدون للزبيريين على ادعائهم بالخلافة أو بالحرى قل ذكرهم في الكتب التي وصلت إلينا فإن الذين مدحوا مُصْعَبَ بن الزبير أرادوا الثناء على شجاعته وجوده كما يلوح من أشعار عُبيد الله بن قيس الرقييات<sup>(٢)</sup> أحد شعراء قريش المقدمين المشتهر بالغزل أيضاً وهو صاحب مُصْعَباً وخرج معه على عبد الملك بن مروان ولم يفارقه إلى أن قُتل مصعب سنة ٧٢/٦٩١ وبعد مدة استشفع بعبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى عبد الملك فعفا عنه فقال ابن قيس الرقييات البيتين الشهيرين<sup>(٣)</sup> :

(١) القرآن سورة ٩ (التوبة) : ١٠٦ .

(٢) أما اسمه فانظر ما قال N. Rhodokanakis في ص ٤ - ٧ من مقدمته لديوان المطبوع بعناته في وينا سنة ١٩٠٣ - والشاعر مذكور في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٤٣ - ٣٤٥ من طبعة ليدن .

(٣) كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٤٤ من طبعة ليدن وكتاب الأغاني ج ٤ ص ١٦٠ من طبعة بولاق والكامل في اللغة للبريد ص ٣٩٨ من طبعة ليبسك وعزارة الأدب ج ٣ ص ٢٦٩ والديوان عدد ١

ما نَقَمُوا من بنى أُمَيَّةٍ لِمَا لَأَتْهُمْ يَحْلُمُونَ إنْ غَضِبُوا  
وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ فَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

قد كثر ولا غرو في ذلك الشعراء المادحون لبنى أُمَيَّةٍ منهم بل أشهرهم  
الأخطل السابق ذكره (ص ١٥١) . لكنى لا أريد هنا إلا الذين تعصبوا  
للأُمويين في مسألة الإمامة ودافعوا عن حقوقهم وأدعائهم وجادلوا الخصوم  
في أشعارهم مثل ما فعل كعب بن جُعيل الذى قرأت أبياته في الجروب بين  
أصحاب معاوية وشيعة عليّ (ص ٢٣٠) .

فمن هؤلاء الشعراء أعشى بن ربيعة وهو عبد الله بن خازجة من سكان  
الكوفة « كان مرواني المذهب شديد التعصب لبنى أُمَيَّة »<sup>(١)</sup> . فقال ردّاً على  
آراء الخوارج والشيعية<sup>(٢)</sup> :

وما أنا في أمرى ولا في خصومتى بهتضم حقى ولا قارع سنّى  
ولا مُسلم مولاى عند جنابة ولا خائف مولاى من شرّ ما أجنى  
وإنّ فؤاداً بين جنبتى عالم بها أبصرت عيني وما سمعت أذنّى  
وقضلتى في الشعر واللّب أننى أقول على علم وأعرف من أعنى  
فأصبحت إذ فضلت مروان وابنه على الناس قد فضلت خير آب وابن

وحتّ عبد الملك على مقاتلة الزُّبيريين المدّعين بالخلافة في الحجاز وقال<sup>(٣)</sup> :

آلُ الزُّبير من الخلافة كالتى عجلَ النَّعاجُ بحملها فأحالتها  
أو كالضّعاف من الحمولة حُمِلَتْ ما لا تُطيق فضيعةً أجمالها

(١) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ١٦٠ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ١٦١ [وذيوانه عدد ١٧ من طبعة لندن ١٩٢٨] في ذيل  
ديوان أعشى ميمون .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ١٦١ [وذيوانه عدد ١٤] الحمولة هي الإبل التى تحمل -  
التمال هو الغنات التى يقوم بأمر قومه .

قوموا إليهم لا تناموا عنهم كم للغواة أطلنمو إِمهالها  
 إِنَّ الخلافة فيكمو لا فيهم ما زلنمو أركانها وِثالها  
 أمسوا على الخيرات قفلاً مُغلَقاً فانهُضْ بِيْهُنْكَ فافتتحْ أفضالها

ومن هؤلاء الشعراء عبد الله بن الزبير<sup>(١)</sup> الأسدي قال فيه صاحب الأغاني  
 ما نصّه<sup>(٢)</sup> : « شاعر كوفي المنشأ والمنزل من شعراء الدولة الأموية وكان من  
 شيعة بني أمية وذوى الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم. قلماً غلب  
 مُصْعَب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيراً فعنّ عليه ووصله وأحسن إليه  
 فمدحه وانقطع إليه فلم يزل معه حتى قُتِل مصعب ثم صمى عبد الله بن  
 الزبير بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك بن مروان ( ٦٨٥ - ٨٦٠ ) ...  
 وهو أحد الهجّائين للناس » . فإذا طالعت أشعاره المروية في كتاب الأغاني  
 عرفت قدر إطرانه للأمويين .

ومنهم أيضاً السائب بن قُروخ المعروف بأبي العباس الأعمى<sup>(٣)</sup> مولى  
 بني الدّيل سكن مكة وقال الشعر في النصف الثاني من القرن الأول فقبل  
 لِنّه « كان من شعراء بني أمية المعدودين المقدمين في مدحهم والتشجيع لهم  
 وانصباب الهوى إليهم »<sup>(٤)</sup> فنظم أشعاراً كثيرة في مدائحهم وهجاء آل  
 الزبير فكانت الأمويون يبعثون إليه الجوائز من الشام . ومدحجه جرى معجى  
 مدح عرب الجاهلية لسادتهم فلولا ذكر المنابر في شعر أبي العباس لما وجدنا

(١) وهو المذكور في كتاب الأغاني ج ١٣ ص ٣٣ - ٤٩ من طبعة بولاق ونزاة الأدب  
 ج ١ ص ٢٤٥ و ج ٢ ص ١٠٠ إلخ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٣ ص ٣٣ من طبعة بولاق .

(٣) وهو المذكور في كتاب الأغاني ج ١٥ ص ٥٩ - ٦٤ من طبعة بولاق ولم يذكره ابن  
 قتيبة (ولله هو المشار إليه عرضاً في ص ٣٦٦ سطر ١٤) ولا صاحب نزاة الأدب [ولا ابن سلام  
 ولا الآملى] ولكن يدل اسم أبيه وكونه مولى على أنه فارسي الأصل .

(٤) كتاب الأغاني ج ١٥ ص ٥٩ من طبعة بولاق .

بينه وبين أشعار القدماء فرقاً . ومن قوله في بنى أمية<sup>(١)</sup> (من بحر الخفيف) :  
 خُطِبَاءٌ عَلَى الْمَنَابِرِ قُرْسًا نُ عَلَيْهَا وَقَالَتْ غَيْرُ خُرْسٍ  
 لَا يُعَابُونَ صَامَتِينَ وَإِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَلَمْ يَقُولُوا بَلْبَسَ  
 بِحُلُومٍ إِذَا الْحُلُومُ تَقَضَّتْ وَوَجْهُهُ مِثْلُ الدَّنَانِيرِ مُلْسٍ

ومن شعراء الأحزاب يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري المعروف بابن مفرغ<sup>(٢)</sup> المتوفى سنة ٦٩ في بلاد كرمان . كان حليف قريش وصاحب عبادة بن زياد بن أبي سفيان حين ولّاه معاوية بلاد سجستان ولم يحمله ثم لما وقع بينهما أخذ بهجوه وهجو معه عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان والى العراق (المتوفى سنة ٦٦) وغيرهما من آل زياد ومعاوية فانتشرت أهגיע حتى كانت أهل البصرة تغنى بها فطلبه عبيد الله بن زياد وحبسه مدة إلى أن غضبت أهل اليمن بالشام وطلبوا من الخليفة الأمر بتخليه سبيله ففعل . وكان ابن مفرغ من شعراء الفزل أيضاً فأشعاره في أناهيد بنت أحد دهاقين الفرس مشهورة . وسيأتى الكلام عليه ثانية عند ذكر الشعر القصصى اليمنى .

لما شرعت فى الكلام عن الشعر من هذا الصنف السادس قلت إنه مرآة أحوال الأحزاب السياسية الدينية وترجمان أهواء الناس وآرائهم فى مسائل الدنيا والدين فما تقدم برهان على ذلك قاطع . فأشرت إلى أشعار العثمانية والخوارج والشيعية والمرجئة والزيبريين وأصحاب الأمويين ، فلا بد لنا الآن من

(١) كتاب الأغاني ج ١٥ ص ٦٠ .

(٢) ذكر فى كتاب الأغاني ج ١٧ ص ٥١ - ٧٣ وخزانة الأدب ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٦ من طبعة بولاق وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٢٠٩ - ٢١٣ من طبعة ليدن ووفيات الأعيان لابن خلكان عدد ٨٣١ من طبعة غوتنبيرج أو ٧٩٢ من الطبقات المصرية ومروج الذهب للمسعودى فى الباب السادس والثمانين ج ٥ ص ٢٦ من طبعة باريس [ وطبقات الشعراء لابن سلام ص ١٤٣ - ١٤٤ من طبعة ليدن ] .

لَمَحَّة في الشعر المعبر عن أسباب انحطاط قوَّة الدولة الأمويَّة غير الفتن والاختلافات في مسألة الإمامة .

أفضت الخلافة سنة  $\frac{135}{743}$  إلى الوليد بن يزيد فهو لم يزل مُدْمِنًا على الصيد واللهو وشرب الخمر محتجباً عن الناس منهمكاً في اللذات فملَّ الناس أيامه وكرِهوه فرأى بعض أهل بيته خلَّعه سواء أن يحملهم على ذلك بغض سواه سيرقه أم الطَّمَع وحبَّ الأحداث . فوقعت الفتن بينهم فقال العباس بن الوليد ابن عبد الملك المسمَّى بفارس بنى مروان لشهامته : « يا بني مروان أظنُّ أن الله قد أذن في هلاككم » ثم أخذ يُنذِرهم فقال (١) :

إني أعيذكُم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع  
إن البرية قد ملَّت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وأرتدعوا  
لا تلجمن ذناب الناس أنفسكم إن الذناب إذا ما ألجمت رتعا  
لا تبقرن بأيديكم بطلونكم فتم لا حشرة تُغني ولا جزع

ومن أهم المصادر وأوثقها لمعرفة حال العرب والعجم بخراسان في أواخر الدولة الأمويَّة أشعار أمير لا تأتي الكتب في طبقات الشعراء بترجمته وإن كان ما نظمه في فتن زمانه أتمَّ وصف وأوضح تبيان لما وقع في تلك البلاد من الشر بين اليمنيين والنزاريين ولعل نموَّ الدعوة العباسيَّة وازدياد قوة الموالي وزوال أمر العرب وغير ذلك ممَّا عَمِلَ في انتقال الخلافة من بني أميَّة إلى بني العباس . أعنى نصر بن سيار أمير خراسان المتوفى في ربيع الأول من سنة  $\frac{131}{748}$  . فلولا أشعاره ما توصَّلنا إلى معرفة كثير ممَّا يتعلَّق بالتقلبات السياسيَّة وتغيُّر بعض المذاهب الدينيَّة في الثلث الأوَّل من القرن الثاني

(١) كتاب الألفاظ - ٦ ص ١٣٧ من طبعة بولاق وتاريخ الطبري، ج ٢ ص ١٧٨٨ من طبعة لندن .

منها مثلاً ما مالت إليه المرجئة في بلاد العجم الشالية بعد ما انضمت إلى مذهبهم جملة من الفرس . قد مرَّ (ص ٢٤٥ - ٢٥٢) أنَّ الإرجاء عند العرب في القرن الأول كان التوقف عن الحكم بين شيعة على وشيعة بنى أمية وأَنَّه كان للثانية أجدى منه للأولى إذ أدَّى أصحابه إلى استقباح قيام الشيعة على دولة بنى أمية . أمّا بخراسان في أوائل القرن الثاني فانعكس الأمر إذ ذهبت إلى رأى المرجئة جملة من العجم الكارهين سُلطة العرب عليهم الشاكين جُور الأمويين وأمرائهم الراجين الصلاح من تغيير الإمارة فعدل الإرجاء عما كان عند العرب قبلاً وأصبح توقُّفاً عن التعصُّب لبني أمية بل كرهاً لمساعدتهم على مقاتلة أصحاب الدعوة العباسية التي مالت إليها المرجئة شيئاً فشيئاً . وذلك يلوح من شعر قاله نصر بن سيار سنة ١١٧ حين أقبل الحارث بن سُرَيْج المرجئي إلى مَرَوْ ومن أبياته <sup>(١)</sup> :

وَالْعَائِبِينَ عَلَيْنَا دِينَنَا وَهُمْ شُرُّ الْعِبَادِ إِذَا خَابَرْتَهُمْ دِينَا  
وَالْقَائِلِينَ سَبِيلَ اللَّهِ بُغِينَا لُبَعْدَ مَا نَكَبُوا عَدَا يَقُولُونَا  
فَأَقْتُلُهُمْ غَضَباً اللَّهُ مُنْتَصِراً مِنْهُمْ بِهِ وَدَعِ الْمُزْنَابَ مَقْتُونَا  
لِرِجَاؤِكُمْ لَزَكَّتُمْ وَالشُّرَكَ فِي قَرْنٍ قَانَتْهُمْ أَهْلُ إِشْرَاكِ وَمُرْجُونَا  
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ فِي الْأَجْدَاثِ غَيْرَكُمْ إِذْ كَانَ دِينُكُمْ بِالشُّرَكَ مَقْرُونَا  
فِيُشَبِّهِ هَذَا الْكَلَامَ مَا كَانَتْ الشَّيْعَةُ يَقُولُونَهُ فِي مَرْجَةِ الْعِرَاقِ الْمُتَشَعِّينَ عَنْ  
مَعْصِيَةِ مَعَاوِيَةَ وَخَلَاتِفِهِ . - ومن الشهير من شعر نصر بن سيار في ذكر أحوال

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٥٧٦ في سنة ١١٧ . ويدل ابن حزم على ما هو الإرجاء الفارسي في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢ ص ١٨٨ من طبعة مصر ١٣١٧ - ١٣٢١ وهذا نصه : « اختلف الناس في ماهية الإيمان فذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط وإن أظهر اليهودية والنصرانية وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته فإذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة وهذا قول أبي حمزٍ الجهم بن صفوان وأبي الحسن الأشعري البصري وأصحابهما » .

خراسان وإهمال الخلفاء الأمويين الآخرين الذين كانوا من أشدّ العوامل في انقراض دولتهم<sup>(١)</sup> :

أَرَى خَطْلَ الرَّمَادِ وَمِضَّ جَمَرٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ  
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعَوْدَيْنِ تُذَكَّى وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ  
وَلَمْ تَطْفِئْهَا تَحْنٍ حَرْباً مُشْمَرَةً يَشِيبُ لَهَا الْغَلَامُ  
أَقُولُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شَعْرَى أَاَيْقَاطُ أُمِيَّةٌ أَمْ نِيَامُ  
فَإِنَّ يَكُ قَوْمُنَا أَضْحَوْا نِيَاماً فَقُلْ قَوْمُوا فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ  
فَقِرْ عَنِ رِحَالِكِ ثُمَّ قُولِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ  
وقال يخاطب مضر واليمن ويحذّرهم العدو الداخل عليهم<sup>(٢)</sup> :

أَبْلَغُ رَبِيعَةٍ فِي مَرْوٍ وَإِخْوَتُهَا أَنْ يَغْضَبُوا قَبْلَ أَنْ لَا يَنْتَفِعَ الْغَضَبُ  
وَلْيَنْصَبُوا الْحَرْبَ إِنْ الْقَوْمَ قَدْ نَصَبُوا حَرْباً يُحَرِّقُ فِي حَافَاتِهَا الْحَطَبُ  
مَا بِالْكُمِ تُلْقِحُونَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ كَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَا عَنْ فِعْلِكُمْ غَيْبُ  
وَتَتْرَكُونَ عَدُوّاً قَدْ أَظْلَكَكُمْ مِمَّن تَأْتِيبُ لَا دِينَ وَلَا حَسَبُ  
لَيْسُوا إِلَى عَرَبٍ مِنَّا فَتَعْرِفَهُمْ وَلَا صَمِيمَ الْعَوَالِ إِنْ هُمْ نُسِرَا  
قَوْماً يَدِينُونَ دِيناً مَا سَمِعْتُ بِهِ عَنْ الرُّسُولِ وَلَا جَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ  
فَمَنْ يَكُنْ سَائِلِي عَنْ أَصْلِ دِينِهِمْ فَإِنَّ دِينَهُمْ أَنْ تُقْتَلَ الْعَرَبُ  
وقبل أن نَحْتَمَ هذه التَّبَيُّدَةَ فِي الصَّنْفِ السَّادِسِ مِنَ الشَّعْرِ فِي أَيَّامِ بَنِي  
أُمِيَّةٍ عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ شُعْرَاءَ مِنَ الْعَجَمِ نَسْجُوا الْقَرِيضَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ . - لَمَّا  
جَرِيَ الْكَلَامُ عَلَى الشَّعْرِ فِي مَدَنِ الْحِجَازِ أَوْضَحْتُ أَنَّهُ بَعْدَ الْفَتْوحِ وَقَبْلَ

(١) مروج الذهب للمسعودي في الباب السادس بعد المائة ج ٦ ص ٦٢ من طبعة باريس  
وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٧٧ من طبعة مصر ١٣٠٥ وكتاب الأغنياء الطوال  
لأبي حنيفة الدينوري ص ٣٥٦ من طبعة ليدن .  
(٢) كتاب الأغنياء الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ٣٦٠ من طبعة ليدن والعقد الفريد  
لابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٧٨ من طبعة مصر ١٣٠٥ (لا يوجد في البيت الخامس) .



أواسط القرن الأول جُلِبَت إلى بلاد الحرمين الجوارى المغنّيات بالفارسيّ والروميّ وشرحت ما كان لذلك من التأثير في اعتناء شعراء المدن الحجازيّة بالغزل دون سائر أفانين الشعر . وفي ذلك العصر كثر أيضاً بمكّة والمدينة عدد الممالك من سبئ القُرْس فصار أولادهم موالى أهل الجحاز وتدرّبوا بلغة أصحابهم حتّى إنّ بعضهم نحو أواسط القرن الأول أخذ ينظم الشعر بالعربيّة . وهذا الأمر مهمّ جداً لأنّ الشعر تعبير عن عواطف الأُمّة وأهواها وأمالها وأخلاقها وعوائدها فإذا شاركها في الشعر بلغت أُمم أخرى فلا بدّ من وقوع تقلّب واضح في مضمون ذلك الشعر وإن لم تتغيّر اللغة والأعراب التي صيغ فيها . فبسبب الموالى بعد منتصف القرن الأول أخذ شعر العرب يتحوّل شيئاً فشيئاً إلى شعر أُمم إسلاميّة شتّى بلغة عربيّة .

ومن الموالى الذين أصلهم من آذَرَبَيْجان ومنشئهم وسكناهم بمكة أو المدينة أبو العباس الأعشى السابق ذكره ومنهم أيضاً موسى شَهَوَات<sup>(١)</sup> الذي قال الشعر في المديح والهجاء والتشبيب بالمدينة في أيام سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩) أو قبله وأدرك خلافة هشام بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٩) ومنهم محمد بن يَسَار الذي قلّ ما وصل إلينا من أخباره . ومنهم زياد بن سَلَمَى الأعجمي<sup>(٢)</sup> مولى عبد القيس قال بعض الرواة إنّهُ كان ينزل لَصْعَاحِر ،

(١) « شهوات » على الصفة وعلى الإضافة وهو أصبح - والشاعر المذكور في كتاب الأغاني ج ٢ ص ١١٨ - ١٢٤ من طبعة بولاق وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٦٦ - ٣٦٧ من طبعة لندن وخزانة الأدب ج ١ ص ١٤٤ من طبعة بولاق - وقيل في الأغاني ج ٣ ص ١١٨ إنه موسى بن يشار وفي الخزانة إنه موسى بن يشار أخو إسماعيل بن يشار ولكن هذا تصحيف - فإِ وصف صاحب كتاب الأغاني (ج ٤ ص ١٢١) من أخوة إسماعيل بن يشار لإِسماعيل وإِبراهيم بصناعة الشعر فلم يذكر اسم أبيه في كتاب الشعر لابن قتيبة . [ وفي معجم الشعراء المرزباني ص ٣٧٦ من طبعة مصر ١٣٥١ : قيل إنه موسى بن يشار ] .

(٢) ذكر في كتاب الأغاني ج ١٤ ص ١٠٢ - ١٠٩ وخزانة الأدب ج ٤ ص ١٩٣ - ١٩٤ من طبعة بولاق وكتاب الشعر لابن قتيبة ج ٢٥٧ - ٢٥٩ من طبعة لندن وروايات الأعيان لابن

وقال البعض إنَّ أصله ومولده ومنشأه بأصبه ان « ثم انتقل إلى خراسان فلم يزل بها حتى مات وكان شاعراً جَزَل الشعر فصيح اللفاظ. على لُكْنَة لسانه وجزيه على لفظ. أهل بلده »<sup>(١)</sup>. وله قصيدة طويلة عُذت من غرر المرائي قالها لما مات المغيرة بن المهلب بن أبي صُفْرة سنة ٨٣ منها<sup>(٢)</sup> :

قُلْ للقوافل والغزاة إذا غزوا      والباكرين وللمُجْدِّ الرائح  
إنَّ الساحة . والمروعة ضُمَّنا      قَبْرًا بمرَّو على الطريق الواضح  
فلما مررت بقبره فأعقِر به      كُومَ الهِجَانِ وكلَّ طِرْفٍ سابح  
وأنصَحْ جوانبَ قبره بدمائها      فلقد يكون أخا دمٍ وذبايح

ومن الغريب ما له من الهجاء الكثير الجارى مجرى هجاء الأعراب<sup>(٣)</sup> كأنَّه منهم فمن اطَّلَع عليه بدون أن يعرف اسم قائله لما ظنَّ أنه شعر مولى فارسي . وأدرك زياد خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) .

ولكن غرضي هنا إنما هو الكلام على بعض الموالى يخلط قسم من شعرهم

— خلكان في ترجمة المهلب بن أبي صفرة عدد ٧٦٣ من طبعة غوتنجن أو عدد ٧٢٣ من الطبقات المصرية وحجاسة أبي تمام ص ٦٧٨ و ٧٨٠ من طبعة بون أو ج ٤ ص ٥٢ و ١٤٨ من طبعة بولاق [وكتاب المؤلف للاملى ص ١٣١ - ١٣٢ من طبعة مصر ١٣٥٤] واسم أبيه هو سليمان في كتاب الأغاني ج ١٤ ص ١٠٢ وفي وفيات الأعيان لابن خلكان [وفي كتاب المؤلف للاملى] .

(١) كتاب الأغاني ج ١٤ ص ١٠٢ .

(٢) في كتاب الأغاني ج ١٤ ص ١٠٢ : « المهلب بن المغيرة » وهو غلط . تروى القصيدة (٥٠ بيتاً) في ذيل أمالي القائل ص ١٠ - ١٢ من طبعة بولاق ١٣٢٤ (أو ص ٨ - ١٢ من طبعة ١٣٤٤) واستخرج ابن خلكان منه ٢٧ بيتاً (انظر الموضع المذكور من وفيات الأعيان) وبعض الأبيات مروية في كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٢٥٨ من طبعة ليدن وكتاب الأغاني ج ١٤ ص ١٠٢ وخراتمة الأدب ج ٤ ص ١٩٢ ( فراجع F. KRENKOW, *The elegy upon al-Mughirah ibn al-Muhallab* (Islamica, II, 1926, P. 344-354) .

مرور هو مرو الشاهجان — أما البيت الثاني فهو الشاهد في تكدير المؤنث .

(٣) راجع في كتاب الأغاني ج ١١ ص ١٦٥ - ١٦٧ و ١٧١ و ١٧٢ ما قاله يهجو بني يشكر وفي ج ١٣ ص ٥٨ - ٥٩ ما قاله يهجو كعباً الأشقرى .

في هذا النوع السادس . إنَّ الناس أَحَبُّوا في كُلِّ وقتٍ تخليد ذكر مآثر آبائهم والافتخار بها فنعلم هذا الافتخار إن لم يُفسدْهُ التعصب المفرط المنكَّر لآلِه لما لم يعدل عن سبيل الإنصاف أصبح حُجًا نافعا على احتذاء مثلك الأفاضل وتخريضا شديدا على طلب المعالي وصون ما يجب على كُلِّ أمة ليراثه الخلف من مجد السلف وعلو شأنهم في الاجتماع البشري . ولا احتياج إلى وصف قدر اهتمام الغرب بإبقاء ذكر أفعالهم ومفاخرهم التي ملووا من تذكارها دواوين أشعارهم . فلما خرجوا عن جزيرتهم وفتحوا البلاد أهانوا الأمم التي تغلبوا عليها كأنها أدنى منهم بكثير شرفا ومجدا . أما هذه الأمم المتقدمة في سيرة التمدن من زمان عتيق فأخذت تفتخر بملوكها القدماء وما لهم من الآثار المعجبة فإلى ذلك أشار جرير بقوله<sup>(١)</sup> :

إذا افتخروا عدواً الصَّبَّهَدَ منهم      وكِشْرَى وآلَ الهُرْمُزَانَ وَقَيْصَرَ  
ترى منهم مستبصرين على الهدى      وذا التاج يُضْحِي مَرْزُبَاناً مسوراً  
أغرَّ شبيهاً بالقنيق إذا ارتدى      على القُبْطَرِيِّ الفارسي المزوراً  
وكان كتابٌ فيهم ونبوَّة      وكانوا بإضطرَّح الملوك تُشْتَرَا  
لقد جاهد الوضاح بالحق مُدْلِعاً      فأورث مجداً باقياً أهلَ بَرَبَرَا

فنشأ نوع من الشعر في مدح العجم وتفضيلهم على العرب وهو داخل في هذا الصنف السادس المُفْرَد لشعر الأحزاب السياسية والأختلافات الدينية . ولعلَّ أَوَّلَ القُرْس الذي نظم الشعر بلغة العرب وسلك فيه المسلك المدلول عليه المسمَّى عند كُتَّبة القرن الثالث والرابع بالشعوبيَّة هو إسماعيل بن يسار

(١) ديوان جرير ج ١ ص ١٠٧ من طبعة مصر ١٣١٣ [أو من ٢٤٢ - ٢٤٣ من طبعة مصر ١٣٥٤] .

النسائي الذي روى صاحب كتاب الأغاني<sup>(١)</sup> بعض أخباره فقال إنه «مولى  
 بنى تميم بن مرة تميم قريش وكان منقطعاً إلى آل الزبير فلما أفضت الخلافة إلى  
 عبد الملك بن مروان وفد إليه<sup>(٢)</sup> مع عروة بن الزبير ومدحه ومدح الخلفاء من  
 ولده بعده وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سلطان بنى أمية ولم يدرك  
 الدولة العباسية وكان طبيباً مليحاً مندرّاً<sup>(٣)</sup> بطالاً مليح الشعر وكان  
 كالمنقطع إلى عروة بن الزبير . وإنما سُمي إسماعيل بن يسار النسائي لأنَّ  
 أبيه كان يصنع طعام العرس ويبيعه فيشتريه منه . من أراد التعرّيس من  
 المتجملين ومن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك<sup>(٤)</sup> . ومما وصل إلينا من أشعاره  
 يلوح أنه تعاطى المديح والرثاء فضلاً عن الغزل اللطيف الغالب عند شعراء  
 مدن الحجاز في ذلك العصر . أما الذي يُهمُّني في هذا المقام والذي أُحبُّ أن  
 تتأملوه فإنَّ إسماعيل بن يسار كان «شعوبياً شديداً التعصب للعجم وله شعر  
 كثير يفخر فيه بالأعاجم»<sup>(٥)</sup> ففي قصيدة له بعد إظهار التشبيب بهند قال<sup>(٦)</sup> :  
 رَبُّ خَالٍ مَتَوَّجٌ لِي وَعَمٌّ مَاجِدٌ مُجْتَدِي كَرِيمُ النَّصَابِ

(١) وهو مذكور في كتاب الأغاني ج ٤ ص ١١٩ - ١٢٧ ولا يذكر في كتاب الشعر  
 لابن قتيبة (ص ٢٩٦ من طبعة ليدن) وخزانة الأدب (ج ١ ص ١٤٤ من طبعة بولاق) إلا اسمه  
 فراجع أيضاً J. GOLDZIER, *Muhammedanische Studien*, I, 160

(٢) وهذا بعد مقتل عبد الله بن الزبير (كتاب الأغاني ج ٤ ص ١٢٤ سطر ٢٢ من طبعة  
 بولاق) أي بعد سنة  $\frac{٧٣}{٢٩٦}$  .

(٣) [كلاً في طبعة بولاق وفي طبعة دار الكتب المصرية : « مندرّاً » وفي الحاشية : « مندرّاً  
 يأتي بالنوادر من قول أو فعل . ويظال كثير المزدل والمزاج » ] .

(٤) كتاب الأغاني ج ٤ ص ١١٩ من طبعة بولاق . وقيل « وإنما سُمي إسماعيل بن يسار  
 النسائي لأنه [ وليس أبوه ] كان يبيع النجد والفروث التي تشخذ للعرائس » .

(٥) كتاب الأغاني ج ٤ ص ١٢١ من طبعة بولاق .

(٦) كتاب الأغاني ج ٤ ص ١٢٠ - اجتدى سأله حاجة أو طلب جدواه - نصاب أول  
 كل شيء ، الأصل - ضاهى شاكله وشابهه - حقب وجمعه أحقاب الدهر - دس الشيء تحت التراب  
 وغيره ودسه فيه أدخله فيه ودفنه تحته وأخفاه - أما اشتقاق فوارس فراجع ما قاله ابن بدرون في شرحه على  
 قصيدة ابن بدرون ص ٨ من طبعة ليدن ١٨٤٦ .

لِنَمَّا سُمِّيَ الْفَوَارِسُ بِالْفَرْسِ      س مَضَاهَا رِفْعَةُ الْأَنْسَابِ  
فَاتَرُكِي الْفَخْرَ يَا أَمَامَ عَلَيْنَا      واتركي الجور وأنطقى بالصواب  
وَأَسْأَلِي إِنْ جَهِلْتِ عَنِّي وَعَنْكُمْ      كيف كنّا في سالف الأحقاب  
إِذْ نَرَبِّي بِنَاتِنَا وَتَدُسُّو      ن سَفَاهَا بِنَاتِكُمْ فِي التَّرَابِ

وَجَسَرَ يَوْمًا بِالرُّصَافَةِ عَلَى إِنْشَادِ نَصِيدَةِ بِحَضُورِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ  
قَالَ فِيهَا (١):

لِأَنِّي وَجَدْتُكَ مَا عُودِي بِذِي خَوَرٍ      عِنْدَ الْحِفَافِ وَلَا حَوْضِي بِمَهْدُومٍ  
أَصْلِي كَرِيمٌ وَمَجْدِي لَا يُقَاسُ بِهِ      وَلِي لِسَانٌ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْمُومٍ  
أَخْبَى بِهِ مَجْدَ أَقْوَامٍ ذُو حَسَبٍ      مِنْ كُلِّ قَرَمٍ بَتَاجِ الْمَلِكِ مَعُومٍ  
جَحَاجِحَ سَادَةٍ بُلُجٍ مَرَاذِبَةٍ      جُرْدٍ عَنَاقٍ مَسَامِيحَ مَطَاعِمٍ  
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وَسَابُورِ الْجُنُودِ مَعًا      وَالْهُرْمُزَانِ لِخَفَرٍ أَوْ لَتَعْظِيمٍ  
أَسْدُ الْكَتَائِبِ يَوْمَ الرُّوْعِ إِنْ زَحَفُوا      وَهُمْ أَذَلُّوا مَلُوكَ التُّرْكِ وَالرُّومِ  
يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْمَادَى سَابِغَةٍ      مَشَى الصَّرَاغِمَةِ الْأَسْدِ اللَّهَامِ  
هَنَّاكَ إِنْ تَسَأَلِي تُنَبِّئِي بِأَنَّ لَنَا      جُرْثُمَةً قَهَرَتْ عَزَّ الْجَرَائِمِ

وَيُرَوَّى أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ غَضِبَ وَأَمَرَ بِدَفْعِ

(١) كتاب الأغاني ج ٤ ص ١٢٥ من طبعة بولاق - خور ضعف - قرم: الفعل أو ما لم  
يحه حبل ولم يحمل عليه وترك الفعلة وقيل السيد أو العظيم على التشبيه بالفعل - جميع السيد  
المسارع في المكارم - أبلغ ذو الكرم والمعروف وجمعه بلج - الأجرد الذي له جرد يعني قصر شعر الخلة  
في الفرس وهو من الأوصاف المحمودة في الخيل - العناق (جمع حقيق) من الخيل: النجايب - مسامح  
(وجمعه مساميح) ذو جواد وذو سماحة - مطعام (وجمعه مطاعم) كثير الأضياف والقرى -  
ملك كسرى الأول أبو شروان من ٥٣١ إلى ٥٧٩ بعد المسيح وسابور الأول من ٢٤١ إلى ٢٧١  
وسابور الثاني ذو الأكتاف من ٣٠٩ إلى ٣٧٩ وسابور الثالث من ٣٨٢ - ٣٨٨ . - زحف مشى  
- الحلقة (وجمعه حلل) كل شيء استدار والحلقة الدرع خاصة - (درع) سايغة تامة طويلة - لهيم  
(جمعه لهام) السابق الخلود من الخيل والناس - جرثومة أصل .

لإسماعيل في بركة كانت أمامهما في القصر ففعلوا وغطوه في الماء حتى كادت نفسه تخرج ثم أمر بإخراجه ونفاه من وقته إلى الجحاز .

فلعل لإسماعيل بن يسار كان أول شاعر استعمل اللغة العربية لتفضيل الفرس على العرب . وابنه إبراهيم كان أيضاً مبتلياً بالعصبية للعجم والفخر بهم فحذا حذو أبيه في إظهار تعصبه في الشعر<sup>(١)</sup> . وذلك دلالة على تقرب عهد جديد أعنى عهد الخلفاء العباسيين الذي غلبت فيه العجم على العرب في أمور السلطان والسياسة .

سمعنا إلى الآن أقوال تعصب وبُغض وخلافات وفتن وحروب فقبل أن نفارق هذا الصنف من الشعر ينبغي لنا الإشارة إلى القليل البعيد عن مثل ذلك القريب من الآية القرآنية : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ »<sup>(٢)</sup> .

ليس مجهولاً لكم أن أكثر الخوارج اجتمعوا على جواز تقليد الإمامة لكل رجل صالح مهما كان أصله وجنسه فلا فرق عندهم بين عربي وفارسي وزنجي وبربري وغيرهم من أصحاب مذهبهم . وذلك مخالف لعصبية قبائل الأعراب موافق للقول بتساوي كل المؤمنين . فلما هرب عِمْرَانُ بن حِطَّانَ الخارجي المذکور سابقاً (ص ٢٣٦) من الحجاج بن يوسف وارتحل من قبيلة إلى قبيلة طالباً للمأوى ونزل مدة عند رَوْح بن زُهْبَاع الجُدَامِي ثم بزُفَر بن الحارث الكِلَابِي ثم عند قوم من الأزد قال في نزوله بهم<sup>(٣)</sup> :

نَزَلْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ مَنَازِلٍ نُسَبُّ بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْخَفَرِ

(١) كتاب الأغاني ج ٤ ص ١٢٦ سطر ٢٢ من طبعة بولاق .

(٢) القرآن سورة ٤٩ (الحجرات) : ١٠ .

(٣) الكامل للبهرد ص ٥٣٣ - ٥٣٤ من طبعة ليسك أوج ٢ ص ١٢٤ من طبعة مصر

١٢٢٣ - ١٣٢٤ (وفي شرح الأبيات) وكتاب الأغاني ج ١٦ ص ١٥٤ .

نَزَلْنَا بِقَوْمٍ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ      وليس لهم عود سوى المجد يُعْتَصِرُ  
 مِنَ الْأَزْدِ إِنَّ الْأَزْدَ أَكْرَمُ مَعْتَرٍ      بِمَانِيَّةٍ طَابُوا إِذَا نُسِبَ الْبَشَرُ  
 فَأَصْبَحَتْ فِيهِمْ آمِنًا لَا كَمَعْتَرٍ      أَتَوْنِي فَقَالُوا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍ  
 أَمْ الْحَيُّ قَحْطَانٍ فِتْلَكُمُ سَفَاهَةٌ      كَمَا قَالَ لِي رَوْحٌ وَصَاحِبُهُ زُفَرُ  
 وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُسَرُّ بِنُسْبَةٍ      تُقَرِّبُنِي مِنْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا نَفَرٍ  
 فَتَحَنُّ بَنُو الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ وَاحِدٌ      وَأَوَّلَى عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مَنْ شَكَرُ  
 وَلَكِنْ إِيَّاكُمْ أَنْ تَغْتَرُّوا بِهَذَا الْقَوْلِ الْمَعْبَرِ عَنْ شُكْرِ الشَّاعِرِ لِمَنْ أَلْجَأَهُ  
 وَأَثَوَاهُ هَارِبًا خَائِفًا فَقِيرًا لَا غَيْرَ . فقد سبق (ص ٢٣٦) أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حِطَّانٍ  
 كَانَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَعْرُوضِينَ حَزْبِهِمْ عَلَى قِتَالِ غَيْرِهِمْ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْخَوَارِجَ قَالُوا  
 بِكُفْرِ جَمِيعٍ مِنْ لَمْ يَتَّبِعْ مَذْهَبَهُمْ وَكَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ تَعَصُّبًا حَتَّى تَفَرَّقُوا  
 أَنْفُسَهُمْ عَدَّةَ فُرْقٍ مُبْغِضِينَ بَعْضَهَا بَعْضًا عَلَى قُلَّتِهَا . وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُمْ مَحَوُّ  
 التَّعَصُّبِ الْقَوِيُّ الْمَأْلُوفِ لِلْأَعْرَابِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَبَدَلُوهُ بِتَعَصُّبِ مَذْهَبٍ أَشَدَّ  
 مِنَ الْقَوِيِّ حِدَةً مُعَادِلٍ لَهُ سَعَةً لِأَنَّ عِدَدَ أَصْحَابِ فِرْقَةٍ مِنْ فِرْقِهِمْ لَمْ يَتَجَاوَزْ  
 فِي الْغَالِبِ عِدَدَ أَبْنَاءِ قَوْمٍ مِنْ أَقْوَامِ الْأَعْرَابِ - أَمَا الَّذِي لَمَحْنَتْ إِلَيْهِ لِمَا  
 هُوَ مِثْلُ قَوْلِ الصَّلْتَانِ الْعَبْدَيْنِ مُعَاوِزِ الْفِرْزْدَقِ وَجَرِيرِ (١) :

أَرَى أُمَّةً شَهَرَتْ سَيْفَهَا      وَقَدْ زِيدَ فِي سَوْطِهَا الْأَصْبَحَى  
 بِنَجْدِيَّةٍ      وَحَرُورِيَّةٍ      وَأَزْرَقَ      يَدْعُو إِلَى أَزْرَقِ  
 فَمِلَّتُنَا      أَنْنَا الْمُسْلِمُونَ      عَلَى دِينِ صَدِيقِنَا وَالنَّبِيِّ

(١) التَّكْمِيلُ لِلْمَبْرَدِ ص ٤٤٠ مِنْ طَبْعَةِ لَيْسَلِكِ أَوْ ج ٢ ص ١٢٩ مِنْ طَبْعَةِ مِصْرَ ١٣٢٣ -  
 ١٣٢٤ - أَمَا الْأَصْبَحَى فَقَالَ الْمَبْرَدُ : « تَسْمَى هَذِهِ السَّيَاطُ الَّتِي يَعَاقِبُ بِهَا السُّلْطَانُ الْأَصْبَحِيَّةَ وَتَنْسِبُ  
 إِلَيْهِ أَمِيجَ الْحَمِيرِ . . . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَتَمَّلَهَا » [وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنَّ الشَّاعِرَ يُشِيرُ إِلَى الْيَمِينِينَ الَّذِينَ  
 نَالُوا الْحِظَّةَ عِنْدَ بَنِي أُمَيَّةٍ] . - أَمَا النَجْدِيَّةُ فَقَالَ الْمَبْرَدُ : « تَنْسِبُ إِلَى نَجْدَةٍ بِنِ عَرِيمٍ . . . كَانَ رَأْسًا  
 ذَا مَقَالَةٍ مَنفُودَةٍ مِنْ مَقَالَاتِ الْخَوَارِجِ » - الْحَرُورِيَّةُ مِنَ الْخَوَارِجِ أَيْضًا - وَأَزْرَقُ يَدْعُو إِلَى أَزْرَقِ  
 فَقَالَ يَحْيَى مِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ .

أو مثل قول نهار بن تَوْسِعة شاعر بني بكر بن وائل بخراسان في أيام قتيبة بن مسلم<sup>(١)</sup> :

أبى الإسلام لا أبَ لى سواه إذا هتفوا ببكرٍ أو تميم  
دعى القوم ينصُرُ مدعيه فيُلحقه بذي النسب الصميم  
وما كرم ولو شرفتُ جدودٌ ولكنَّ الثقي هو الكريم  
لكن مثل هذه الأقوال الكريمة نادرة جداً عند شعراء عهد الأمويين.

٧- فلنشرع في بيان الصنف السابع من الشعر في أيام بني أمية وهو شعر أهل الحضر في مدن العراق والشام .

بُنيت الكوفة والبصرة بعد تمام فتح العراق سنة ١٧/٦٣٨ تقريباً في خلافة عمر بن الخطاب . فكان لهذا الخليفة الأجل الماهر بأمر الساسة غرضان من تأسيس تينك المدينتين<sup>(٢)</sup> أعنى نقصان شأن المدن العراقية الفارسية الأصل مثل المدائن والحيرة لئلا تفوق العجم العرب قدرة وتأثيراً وجعل مقامات للأعراب المفتحين في أطراف البادية متوسطة بين البدو والحضر ليعتادوا العيشة المدنية شيئاً فشيئاً وتزال رغبتهم في الرجوع إلى براريهم وكراهتهم للاستقرار في المدن كما تقدم بيان ذلك في أحد الأبواب الماضية (ص ١٤٣) . فزاد عدد من استوطن الكوفة سريعاً لا سيما لما نقل على ابن أبي طالب دار الخلافة إليها سنة ٦٦/٣٦٦ فأصبحت مدة أربعة أعوام قاعدة الملك للمنقطعين إلى شيعة على . ثم في أيام الدولة الأموية لم تزل عامرة

(١) انظر كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٨٢ من طبعة ليدن والكامل المبرد ص ٥٣٨ من طبعة ليسك أوج ٢ ص ١٢٧ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٤ (فيه البيت الأول والثاني فقط) والبيت الأول مررى أيضاً في الفصل الحادى والمائة من كتاب المفصل للزغنى (ص ٧٨ من طبعة مصر ١٣٢٣) .

(٢) راجع أيضاً : J.L. CAETANI, *Annali dell' Islam*, vol. III, P. 774-776; 833-845



زاهرة في غاية النضارة<sup>(١)</sup> بل صارت للآداب العربية سوقاً خفيلاً لم ينقص  
نفاقه عن در مثله بدمشق فوفدت الشعراء إليها جمّاً غفيراً وإن كانت سكناهم  
الاعتيادية في أنحاء بعيدة عنها . كيف لا وأغلب ولاتها مائلون إلى سماع  
الشعر مُتعمِّمون على الشعراء الصّلات الجزيلة محبوبون للأنس والاجتماع والسرور  
مثل بشر بن مروان الذي يروى فيه أنَّ أَيْمَنَ بن خُرَيْمَ الشاعر لما أتاه  
ونظر الناس يدخلون عليه أفواجا فقال من يُؤْذِن لنا الأمير أو يستأذن لنا  
عليه ؟ فقيل له ليس على الأمير حِجَاب ولا سِتْر فدخل وهو يقول<sup>(٢)</sup> :

يُرَى بارزاً للناس بِشْرٌ كَأَنَّهُ      إِذَا لَاحَ فِي أَثْوَابِهِ قَمَرٌ بَدُرٌ  
ولو شاءَ بِشْرٌ أَغْلَقَ البابَ دونه      طَمَاطِمْ سَوْدٌ أَوْ صَقَابَةُ شُقُرٌ  
أَبَى ذَا وَلَكِنْ سَهْلَ الإِذْنَ لِلّٰى      يَكُونُ لَهُ فِي غَيْبِهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

فضحك إليه . بشر وقال : إِنَّا قوم نحجب الحُرَمَ وأما الأموال والطعام  
فلا هـ . ثم تأملوا أمراً آخر وهو أنَّ دمشق حينئذ كانت دار الخلافة وأهلها  
وأهل جميع الشام كثيرو النصب للأمويين بل أشد أركانهم حتى إن لفظ  
الشائى اسْتَعْمِلَ أحياناً بمعنى المنقطع إلى بنى أُمَيَّة<sup>(٣)</sup> فربما من لم يعلم من  
الشعراء إلى الدولة الأموية كره دخول الشام خوفاً من عداوة أهلها أو من  
أن يُتَّهَمَ بخيانة حزبه . أمّا العراق فإن قطعنا النظر عن ولاية الحجاج  
ابن يوسف كانت رعاية الأمويين فيها أخف منها بالشام فصارت البصرة  
والكوفة مقصداً للناس من كلِّ شيعة وحزب ومذهب فنزل فيها بدون عائق  
ومانع مَنْ لعلَّ صعب عليه قدوم الشام . فكثير من الشعراء المذكورين فيما

(١) أما رفاة العيش في الكوفة والحيرة في عصر بني أُمَيَّة فانظر ما قيل مثلاً في كتاب الأغاني ج ٢

ص ١٢٢ و ١٢٤ و ١٢٥ من طبعة بولاق .

(٢) انظر كتاب الأغاني ج ٢١ ص ١٢ .

(٣) ويوجد « الشائى الأخطل » بهذا المعنى في قصيدة للفرزدق فانظر التفاضل ص ٢٠٢ عدد

٣٩ بيت ٦٢ من طبعة ليدن [ديوان الفرزدق ص ٧٢١ سطر ٧ من طبعة مصر ١٣٥٤] .

تقدّم وفدوا الكوفة مراراً أو أقاموا بها على اختلاف مذاهبهم ومنهم الأنطلي والفرزدق وجريير وذو الرّمة والراعي وعبد الله بن الزّبير وأعشى بنى ربيعة من مدّاح الخلفاء والأمراء الأدويين وكثير الكميت من أهل الشيعة والطّرمّاح من الخوارج وهلمّ جرّاً . فلماذا لا غرو أن تكون للكوفيين منزلة خاصّة في تاريخ الشعر العربيّ في أيام بنى أميّة .

أمّا أنواع الشعر المألوفة لأهل مدن العراق سوى الشعر السياسيّ المتقدّم بيانه والمرثي فثلاثة: الخمريّات والغزل والمديح . وجميع ذلك متّصل بأنواع الشعر العربيّ الجاهليّ في أقطار العراق الجنوبيّة الغربيّة .

أسست مدينة الكوفة على مسافة قليلة أيّ ستّة كيلومترات تقريباً من الحيرة فلا شكّ أنّ جملة من أهل الحيرة انتقلوا إلى المدينة الجديدة واستوطنوها للتجارة فيها . وأحوال الحيرة قبل الفتح الإسلاميّ وتأسيس الكوفة معروفة فلا أحد يجهل أنّها كانت قاعدة مُلك اللّخميّين إلى نحو سنة ٢٠ قبل الهجرة وأنّ مُعظم سكّانها نصاريّ معروفون بالعباد اشتهروا عند عرب البادية في الجاهليّة ببيع الخمر . ونبتت فيها الشعراء من أهل الحضر ووفدت إليها أيضاً شعراء أهل الوبر من بلاد نجد واليمامة والبحرين لما كانوا يجدون فيها من رواج الشعر وحسن القبول عند ملوك بنى لخم ومن سعة الأرزاق ورغد العيش وكثرة الحوانيت والخمّارات التي كانوا يبيتون فيها معاقرين للشراب مستمعين لأغاني القينات . فخمريّات أهل الحيرة أو من نزل فيها من الفحول مثل عديّ بن زيد والأعشى وطرفة والناطقة الديبانيّ أشهر من أن احتاج إلى الإطناب في الكلام عليها . فإنّ تأملتم هذا وتأثير أهل الحيرة وعاداتهم في العرب الذين عمدوا الكوفة واختلاط المسلمين بأصحاب ديانات شتى في العراق ثمّ إن تذكّرت ما تقدّم بيانه من تمسك الأعراب بعاداتهم

القدنية وكراحتهم لبعض الأحكام الإسلامية ما استغربتم وفرة الأشعار في وصف الخمر ومدحه عند من نسج القريض في الكوفة والبصرة في أيام بني أمية . وزيدوا على ذلك كله حب شعراء العرب لاحذاء مثال المتقدمين والافتداء بأساليبهم وأخذ معانيهم فكما تجدون حتى الآن شعراء يبيكون على أطلال قوم المعشوقة ويشكون مشاق قطع الفيافي التي لم يروها أبداً ولا من بعيد كذلك ليس من المحال أن بعض الشعراء ذهبوا إلى وصف الخمر وذكر لذاتها بدون أن ذاقوا منها قطرة كأن غرضهم تقليد أشعار فحول الجاهلية لا التعبير عما في قلوبهم حقيقة .

وعلى كل حال لم يزل خمارو الحميرة مشهورين إلى نحو أواخر القرن الثاني أو بعدها بقليل كما يستنتج مما رواه صاحب كتاب الأغاني في ترجمة بكر ابن خازجة شاعر من أهل الكوفة مغمم بشرب الخمر . قال (١) : « حرم بعض الأمراء بالكوفة بيع الخمر على خماری الحيرة وركب فكسر نبيلهم فجاء بكر يشرب عندهم على عادته فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق فبكى طويلاً وقال :

يا لقوى لِمَا جَنَى السُّلْطَانُ لَا يَكُونُ لِمَا أَهَانَ الْهَوَانُ  
قهوة في التراب من حَلَبِ الْكَرْمِ عُقَارًا كَأَنَّهُ الزَّعْفَرَانُ  
قهوة في مكان سوء لقد صا دف سعد السعود ذاك المكان  
من كُمَيْتٍ بَدَا الْمَزَاجُ لَهَا لَوْ نَظَّمُ وَالْفَضْلُ مِنْهَا جُمَانُ  
... كيف صبري عن بعض نفسي وهل يصبر عن بعض نفسه الإنسان

والشواهد على انتشار شرب الخمر عند بعض الأفاضل المسلمين في العراق في القرن الأول غير نادرة منها ما يروى في كتاب سيرة الرسول لابن هشام

(١) كتاب الأغاني ج ٢٠ ص ٨٧ ، المقار : الخمر . جهان : القولة الواحدة .

أَنَّ النَّعْمَانَ بْنَ عَدِيٍّ<sup>(١)</sup> بعد ما استعمله عمر بن الخطاب على ميسان موضع  
من أرض البصرة قال :

أَلَا هَلْ أَتَى الْحُسْنَاءُ أَنَّ حَلِيلَهَا بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي زَجَاجٍ وَحَنَنٍ -  
إِذَا شَيْتُ عَنَّتْنِي دَهَاقِينَ قَرْيَةٍ وَرُقَاصَةً تَجِدُوا عَلَى كُلِّ مَنَسَمٍ  
فَإِنْ كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَشَلِّمِ  
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُسَوِّدُهُ تَنَادُّمُنَا فِي الْجَوَاسِقِ الْمُتَهَلِّمِ

فلما بلغت عمرَ هذه الأبيات عزله . فنذكر عن قريب أمثلة أخرى  
متعددة من حُب الخمر في العراق في عهد بني أمية .

أَمَّا الْغَزَلُ فهو عند أهل الحضرة المترفين كالتنسيب عند أهل البادية  
فقد أحسن ابن رشيقي القيرواني في وصف الفرق بينهما حيث قال<sup>(٢)</sup> :  
« ومقاصد الناس تختلف فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال وتوقع  
البئس والإشفاق منه وصفة الطلول والحُمول والتشويق بحنين الإبل ولَمْع  
البروق ومرّ النسيم وذكر المياه التي يلتقون عليها والرياض التي يُحِلُّون بها  
من خُزاي وأقحوان وبهار وخنوة وظبانٍ وعَرَارٍ وما أشبهها من زهر البرية الذي  
تعرفه العرب وتنبته الصحارى والجبال وما يلوح لهم من النيران في الناحية  
التي بها أحبايبهم ولا يعدون النساء إذا تغزلوا ونسبوا فإن وقع مثل قول  
طرفة<sup>(٣)</sup> :

وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرٌ سِمْعَلَى لَوْلَاؤِي وَزَبْرَجِدِ

(١) سيرة الرسول ص ٧٨٦ من طبعة غوتنبيرج ١٨٥٨ - ١٩٥٩ ويرى البيت الأول والرابع  
في معجم ما استعمله البكري ص ٥٦٧ من طبعة غوتنبيرج والبيت الأول في لسان العرب ج ١٥ ص ٥١  
- حتم المرأة الخضر - الجوسق القصر معرب كوشك بالفارسية وهو أيضاً من مصانع القوس بالكوفة  
(راجع معجم البكري ص ٢٥٧) .

(٢) كتاب العدة ج ١ ص ١٥٠ من طبعة مصر ١٢٢٥ .

(٣) وهو البيت السادس من معلقة طرفة .

فلئنما هو كناية بالغزل عن المرأة . وأهل الحاضرة يأتى أكثر تغزلهم في ذكر الصدود والهجران والواشين والرقباء ومنعة الحرّس والأبواب وفي ذكر الشراب والنداء والورد والنسرين والنبيلوفر وما شاكل ذلك من النوادر البلدية والرياحين البستانية وفي تشبيه التفاح والتحية به ودس الكتب وما شاكل ذلك مما هم به منفردون .

أما المديح فبسبب اعتناء الشعراء به واضح لا يحتاج إلى شرح . ومن الشعراء المقيمين بالكوفة والبصرة حارثة بن بدر الغدائي<sup>(١)</sup> من فرسان بني تميم ووجههم حسب صاحب الأغاني على وجه التخمين أنه قد أدرك النبي في صباه وحداثته وكان له حظ عظيم عند زياد بن أبي سفيان الذي لم يزل طول عمره مكرماً له وقابلاً لرأيه محتملاً لما يعلمه من تناوله الشراب<sup>(٢)</sup> وكذلك أكرمهم عبيد الله بن زياد وإلى الكوفة من سنة ٦٠ إلى سنة ٦٦ حتى استعمل مدة على نيسابور . وأكثر أشعاره من الخمريات منها<sup>(٣)</sup> .

أَذْهَبَ عَنِّي الْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالَّذِي بِهِ تَطَرَّقُ الْأَحْدَاثُ شُرْبُ الْعُرُقِ  
فَوَاللَّهِ مَا أَتَفَكُّ بِالرَّاحِ مَهْتَرًا وَلَوْ لَامَ فِيهَا كُلُّ حُرٍّ مَوْقُ  
فَمَا لَأَمِي فِيهَا وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا بِأَعْلَمَ مِنِّي بِالرَّحِيقِ الْمَعْتَقِ  
وَلَكِنْ قَلْبِي مُسْتَهَامٌ بِحُبِّهَا وَحُبُّ الْقِيَانِ رَأَى كُلَّ مُحَقِّقٍ  
أَحِبُّ الَّتِي لَا أُمْلِكُ الدَّخَرَ بَغْضَاهَا وَذَلِكَ فِعْلٌ مُعْجِبٌ كُلَّ أَخْرَقٍ  
سَأَشْرِبُهَا حِرْفًا وَأَسْقِي صَحَابَتِي وَأَطْلُبُ غِرَاتِ الْغَزَالِ الْمُنْطَقِ

(١) وهو المذكور في كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٢٠ - ٤٤ وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٣١١ - ٣١٢ من طبعة مصر ١٣٠٥ ( وفيه اسم الشاعر حارثة بن زيد ) و ٣١٣ .

(٢) كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٢١ وراجع أيضاً ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٤١ . وفي الشطر الثاني من البيت الخامس اقرأ : « وذلك فعلٌ معجبٌ كل أخرق » بدلا من « وذلك فعلٌ معجبٌ كل أخرق » كما في الطبع .

فلذمه أنس بن زُثَيْم اللبني ووعظه قائلًا (١) :

أحارِ بنَ بدرٍ باكرِ الراحِ إنها تُنْسِيكَ ما قَدَّمْتَ في سِالِهِبِ الدَّهْرِ  
تُنْسِيكَ أَسْبَاباً عِظَاماً رَكِبَتْهَا وَأَنْتَ على عَمِيَاءَ في سَنَنِ تَجْرِي  
... فَدَعُ عَنْكَ شَرْبَ الخمرِ وارْجِعْ إلى التي بها يَرْفُضِي أَهْلُ النَّبَاهَةِ والدُّخْرِ  
عليك نَبِيذُ التَّمْرِ إِنْ كُنْتَ شَارِباً فَإِنَّ نَبِيذَ التَّمْرِ خَيْرٌ مِنَ الخَمْرِ  
أَلَا إِنَّ شَرْبَ الخمرِ يُزْرِى بِذِي الْحِجَى وَيَذْهَبُ بِالمَالِ التَّلَادِ وبِالوَقْرِ  
فَصَبِّرْ! عَنِ الصَّهْبَاءِ وَأَعْلَمْ بِأَنِّي نَصِيحٌ وَأَنْتَ قَدْ كَبِرْتَ عَلَى الزُّجْرِ  
ولكن لم تنفعه المواعظ والنصائح .

ومن الشعراء الكوفيّين الذين كانوا في أواخر القرن الأوّل وأوائل الثاني  
عمار بن عمرو الملقّب بذي كِنَاز (٢) قال فيه صاحب الأغاني ما نصّه :  
« كَانَ لَيْنَ الشَّعْرِ مَاجِئاً خَمِيْراً مَعَاظِراً لِلشَّرَابِ وَقَدْ حُدَّ فِيهِ مَرَاتٌ وَكَانَ  
يَقُولُ شَعْرًا ظَرِيفًا يُضْحَكُ مِنْ أَكْثَرِهِ شَدِيدَةَ الشَّهَابَةِ جَمُّ السَّخْفِ .. وَكَانَ  
هُوَ وَحَمَادُ الرَّاوِيَةِ وَمُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ يَتَنَادَمُونَ وَيَجْتَمِعُونَ عَلَى شَأْنِهِمْ  
لَا يَفْتَرِقُونَ وَكَلَّمَهُمْ كَانَ مَتَّهِمًا بِالزُّنْدَقَةِ ، وَعَمَّارٌ مِمَّنْ نَشَأَ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ  
وَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ بِخَبَرٍ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ » . وَمِنَ الْجَدِيدِ بِالذِّكْرِ أَنَّ شَعْرَ عَمَّارٍ  
ذِي كِنَازٍ أَوْ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهُ كُلُّهُ مَنْسُوجٌ فِي الْأَعَارِيضِ الْقَصِيرَةِ دَائِرٌ عَلَى  
الْعِرَاجِ وَالخَمْرِ وَالغَزَلِ وَمِثَالُهُ (٣) :

شَجَا قَلْبِي	غَزَالَ ذُو	دَلَالٍ	وَاضِحِ	السُّنَّةِ
أَسِيلُ	الْخَدِّ	مَرْبُوبِ	وَفِي	مَنْطِقِهِ
أَلَا إِنَّ	الْمُغَوَانِي	قَدْ	بَرَى	جَسْمِي
				هَوَاهُنَّ

(١) كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٣٢ .

(٢) تهجد ترجمته في كتاب الأغاني ج ٢٠ ص ١٧٤ - ١٨٠ .

(٣) كتاب الأغاني ج ٢٠ ص ١٧٩ .

وقالوا شَفَّكَ الحورُ هَوَى قَلْتُ لهم إِنَّهُ  
ولكنى على ذاك معنَى بأذاكُنَّه  
أراح الله عمَّاراً من الدنيا ومنهِنَّ  
بعيدات قريبات فلا كان ولا كُنَّه  
فقد أذهل منى العقد لَ والقلبَ شجَاهَه  
يُمنِّينَ الأباطيلَ ويَجْحَدُنَ الذى قُلْنَه

ومن هولاء الشعراء حُنين بن بلوع الحيرى<sup>(١)</sup> « كان شاعراً مغنياً  
فحلاً من فحول المغنين وله صنعة فاضلة متقدمة وكان يسكن الحيرة ويكرى  
الجمال إلى الشام وغيرها وكان نصرانياً وهو القائل يصف الحيرة ومنزله  
بها : (من المنسرح)

أنا حُنينٌ ومنزلى النَّجَفُ وما ندبى إلَّا الفنى القَصِيفُ  
أقرعُ بالكأس ثغرَ باطيةٍ مُترعةٍ تارةً وأغترِفُ  
من قهوةٍ بأكرَ التَّجارِ بها بيتَ يهودٍ قرارُها الخَزَفُ  
والعِيشَ غَضَ ومنزلى حَصِيبُ لِم تُغْلِنِ شَقَوَةٌ ولا عَنَفُ<sup>(٢)</sup>

وكان من معاصرى هشام بن عبد الملك وبشر بن مروان وخالد القسرى.  
وفى ترجمته فى كتاب الأغاني تجلدون عدة أخبار دالة على رغد العيش والرفاهية  
بمدينى الحيرة والكوفة بعد منتصف القرن الأول .

ومن الشعراء الكوفيين الذين غلب فى أشعارهم ذكر الشراب واليزاج والمجون

(١) راجع كتاب الأغاني ج ٢ ص ١٢٠ - ١٢٧ من طبعة بولاق والشاعر غير مذكور فى  
غزاة الأدب ولا فى كتاب الشعر لابن قتيبة [ولا فى طبقات الشعراء لابن سلام ولا فى كتاب المؤلف  
والمتنلف للأندلسى . أما اسم أبيه فهو فى طبعة دار الكتب المصرية ( ج ٢ ص ٢٤١ ) بفتح الباء وسكون  
اللام وفتح الواو ] .

(٢) كتاب الأغاني ج ٢ ص ١٢٠ من طبعة بولاق .

الأقيشِر الأسدي<sup>(١)</sup> الذي ابتدأ يقول الشعر في أيام الخلفاء الراشدين ومات في حدود الثمانين تقريباً<sup>(٢)</sup> وهو الذي يقول لنفسه<sup>(٣)</sup> :

فإنَّ أبا معرضٍ إذ حَسَا من الراح كَأْساً على المُنْبَرِ  
خطيبٌ لبَّيبٌ أبو مُعْرِضٍ فإنَّ ليمَ في الخمرِ لم يَصْبِرِ  
أحلُّ الحرامِ أبو مُعْرِضٍ فصار خليعاً على المكبرِ  
يُجِلُّ اللُّثَامَ وَيَلْحَى الكِرَامَ وإنَّ أقصروا عنه لم يُقْصِرِ  
فقل إنَّه كان لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم يجعل درهمين في كِراء بغل إلى الحيرة ودرهمين للشراب ودرهماً للطعام<sup>(٤)</sup>، وحكاياته مع أهل الشُرطة معروفة<sup>(٥)</sup>. وإليه ينسب ابن قُتَيْبَةَ هذه الأبيات<sup>(٦)</sup> :

(١) وهو مذكور في كتاب الأغاني ج ١٠ ص ٨٤ - ٩٦ من طبعة بولاق وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٥٢ - ٣٥٤ من طبعة ليدن وخراتة الأدب ج ٢ ص ٢٧٩ - ٢٨٢ . وقروى له ثلاثة أبيات في شرح التبريزي على حاشية أبي تمام ص ٨١١ - ٨١٢ من طبعة بن أوج ٤ ص ١٧٦ من طبعة بولاق (وراجع أيضاً كتاب الأغاني ج ١٠ ص ٨٧) فاختلف في اسمه وقيل في كتاب الأغاني وخراتة الأدب وكتاب المقاصد النحوية للبيهقي (ج ٣ ص ٥٠٨ و ج ٤ ص ٥١٦ من طبعة بولاق ١٢٩٩ هـ) هاشم الخزازة ( وكتاب التنبية للبكري ( ص ٣٨ - ٣٩ من طبعة مصر ١٣٤٤ ) ] إنه المغيرة بن عبد الله بن معرض فقال ابن قتيبة إنه المغيرة بن الأسود بن وهب وقال البيهقي ( ج ١ ص ٣٧٧ ) إنه المغيرة بن أسود بن عبد الله بن معرض [ وقال الآمدي في المؤلف والمختلف ( ص ٥٦ من طبعة مصر ١٣٥٤ ) إنه المغيرة بن عبد الله بن أبي معرض بن عمر بن أسد وقال المزياني في معجم الشعراء ( ص ٣٦٩ من طبعة مصر ١٣٥٤ ) إنه المغيرة بن عبد الله بن أسود بن وهب بن بشار ناصح بن عمرو بن أسد وقيل من بني معرض بن عمرو بن أسد أما اسم معرض فقبض في طبعة مصر ١٣٤٤ من كتاب التنبية للبكري بضم الميم وفتح العين وكسر الراء المشددة فأظن أن الصحيح معرض بضم الميم وسكون العين وكسر الراء لأن أبا معرض كنية الشاعر وهي مذكورة في ثلاثة أبيات له ( وسيأتي ذكرها ) فالقراءة « معرض » بتشديد الراء غير ممكنة فيها لأجل الوزن فلذكر صاحب تاج العروس ( ج ٥ ص ٥٤ ) على معرض ( بسكون العين ) ومعرض ( بتشديد الراء ) .

(٢) خزانة الأدب ج ٢ ص ٢٨٢ مدح بشر بن مروان وهو والي الكوفة . من سنة ٧١ إلى ٧٤ ٦٩٤

(٣) انظر كتاب الأغاني ج ١٠ ص ٩٤ من طبعة بولاق .

(٤) كتاب الأغاني ج ١٠ ص ٨٥ .

(٥) كتاب الأغاني ج ١٠ ص ٨٩ وانظر ص ٩١ .

(٦) كتاب الأغاني ج ١٠ ص ٩٠ و ٩١ و ٩٢ .

(٦) كتاب الشعر والشعراء ص ٣٥٤ من طبعة ليدن وفيه لا يروى البيت الثاني فأخذته من كتاب الأغاني ج ١٦ ص ٤٥ ومعجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٥١ من طبعة ليلسك .



وصهباء جُرْجَانِيَّةٍ لم يَطْفُفَ بها      حنيفٌ ولم تَنْفَرْ بها ساعةٌ قِدْرُ  
ولم يَشْهَدْ القَسُ المِهْنِمْ نَارَهَا      طروقاً ولا صُلَّى على طَبْخِهَا حَبْرُ  
أَنَانِي بها يَحْيَى وقد نِمْتُ نَوْمَةً      وقد غَابَتِ الشَّعْرَى وقد خَفَقَ النُّسْرُ  
فَقُلْتُ أَصْطَبِخُهَا أو لغيري فَأَهْدِيهَا      فما أَنَا بَعْدَ الشَّيْبِ وَبِحَلَكِ والخَمْرُ  
إِذَا العَرْمُ وَقَى الأَرْبَعِينَ ولم يَكُنْ      له دُونَ مَا يَأْتِي حَيَاءٌ وَلَا يَسْرُ  
فَدَعُهُ وَلَا تَنْفَسْ عَلَيْهِ الَّذِي أَتَى      وَإِنْ جَرَّ أَرْسَانَ الحَيَاةِ لَهُ الدَّهْرُ

أما صاحب كتاب الأغاني<sup>(١)</sup> فينسبها إلى شاعر كوفي آخر وهو أَيْعَنُ  
ابن خُرَيْمٍ الأَسَدِيُّ<sup>(٢)</sup> من الشعراء المتغزلين والمادحين لعبد العزيز ويشر ابنُ  
مروان. وأيمن هذا مع تفرُّله ومدحه لأمرء من بني أمية كان يتشيع في أيام  
عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥) نسج في مديح بني هاشم قصيدة  
رائقة منها<sup>(٣)</sup> :

نَهَارُكُمْ مُكَابِدَةٌ وَصَوْمٌ      وَلَيْلَتُكُمْ صَلَاةٌ وَافْتِرَاءُ  
وَلَيْتُمْ بِالْقُرَانِ وَبِالتَّوَكُّي      فَأَسْرَعَ فِيكُمْ ذَاكَ الْبَلَاءُ  
بِكِي نَجْدٌ غَدَاةٌ غَدٍ عَلَيْكُمْ      وَمَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَالْحِوَاءُ  
وَحَقٌّ لِكُلِّ أَرْضٍ فَارَقُوهَا      عَلَيْكُمْ لَا أَبَا لَكُمْ الْبُكَاءُ  
أَأَجْعَلُكُمْ وَأَقْوَامًا سَوَاءً      وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءُ  
وَهُمْ أَرْضٌ لَأَرْجُلِكُمْ وَأَنْتُمْ      لَأَرْوِسُهُمْ وَأَعْيُنُهُمْ سَمَاءُ

ومثل هذا الكلام التقى غريب جداً عند شاعر مثل هؤلاء الكوفيين .

(١) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ٤٥ .

(٢) وهو مذكور في كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٧ - ١٣ وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٤٥ -

٣٤٧ من طبعة ليلدن .

(٣) كتاب الأغاني ج ٢١ ص ١٠ . - والحواء جبل بينه وبين الريلة شمالية قراسخ (معجم

البكري ص ٣٥٥) .

ومتهم مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري<sup>(١)</sup> كانت آياؤه من سادة غطفان لكنه حضريّ مقيم بالكوفة فتزوج الحجاج بن يوسف أخته هنداً . وللك أشعار في الخمر تُشبه خمريات شعراء بغداد في عهد بني العباس منها<sup>(٢)</sup> :

حَبْلًا لَيْلِي بَتَلْ بُونًا إِذْ نُسَقَى شَرَابَنَا وَغُنَى  
 مِنْ شَرَابِ كَأَنَّهُ دَمٌ جَوْفٍ يَتْرُكُ الشَّيْخَ وَالْفَتَى مُرْجَعِنًا  
 حَيْثُ دَارَتْ بَنَا الزُّجَاجَةُ دُرْنَا يَحْسِبُ الْجَاهِلُونَ أَنَّا جُنُنًا  
 وَمررنا بنِشوة عَطِرَاتٍ وَسَمَاعٍ وَقَرْقَفٍ فَتَزَلْنَا  
 وله أشعار ظريفة أيضًا من نوع الغزل وروى البُخْتَرِيُّ<sup>(٣)</sup> له أبيات في ذهاب الشباب وابتداء الشيب .

ومتهم إسماعيل بن عمار بن عيينة<sup>(٤)</sup> الذي أدرك أوائل الدولة العبّاسيّة وقال الشعر في الرثاء والهجاء والمديح والغزل والفكاهات والخمر وله وصف طويل لقيان بن رامين بالكوفة .

ومتهم الحَكَمُ بن عَبْدَلِ الأَسَدِيِّ الأعرج<sup>(٥)</sup> منزله ومنشؤه بالكوفة إلا أنه انتقل إلى الشام لما بويج لعبد الله بن الزبير بالعراق سنة ٦٤٤/٦٨٤ فكان من

- 
- (١) وهو مذكور في كتاب الأغاني ج ١٦ ص ٤١ - ٤٧ وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٤٩٢ - ٤٩٣ من طبعة ليدن ويرى له بيتان في خزنة الأدب ج ٢ ص ٤٨٤ من طبعة بولاق .
- (٢) كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٤٩٢ من طبعة ليدن ومعجم البلدان لياقوت ص ٨٦٥ من طبعة ليسك وكتاب الأغاني ج ١٦ ص ٤٠ ويختلف في الرواية .
- (٣) حسانة البختري ص ٢٨٧ - ٢٨٨ من طبعة ليدن أو ص ١٩٧ - ١٩٨ عدد ١٠٣٨ و ١٠٣٩ من طبعة بيروت (وفيها « المرادى » بدلا من « الفزاري ») .
- (٤) وهو مذكور في كتاب الأغاني ج ١٠ ص ١٣٥ - ١٤٢ وليس بمذكور في كتاب الشعر لابن قتيبة ولا في خزنة الأدب [ولا في طبقات الشعراء لابن سلام] .
- (٥) راجع كتاب الأغاني ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٩ من طبعة بولاق وخزنة الأدب ج ٤ ص ٩٥ [والمؤلف للأسدى ص ١٦١] وأبيات له مروية في كتاب الحيوان للجاحظ ج ١ ص ١١٧ و ١١٨ - ١٢٠ و ١٧١ و ج ٢ ص ١١١ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ .

الداخلين إلى عبد الملك بن مروان  $(\frac{٨٦}{٧٠٥} - \frac{٦٥}{٦٨٥})$  السامريين عنده ثم رجع إلى الكوفة وصار منقطعاً إلى بشر بن مروان فلما مات بشر جزع عليه وراثه. وكان شاعراً مجيداً خبيث اللسان مُدْمِناً للخمر كالشعراء المتقدم ذكرهم وشعره كله في الهجاء والمجون والمديح. وكان له الشعر مَكْسَباً كما كان لسائر شعراء طبقته فقال (١) :

أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنْ الـ رَزَقُ لِنَفْسِي وَأَجُولُ الطُّلْبَا  
وَأَحْلُبُ الثَّرَّةَ الصَّافِيَّ وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَلْبَا  
إِنِّي رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا رَغَبْتَهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغْبَا  
وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعِلَاءَ وَلَا يُعْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهْبَا  
مِثْلُ الْحِمَارِ الْمَوْقِعِ السَّوِّءِ لَا يُحْسِنُ مَشْبَاً إِلَّا إِذَا ضُرْبَا  
ويروى أَنَّ «الشعراء اجتمعوا إلى الحجاج وفيهم ابن عبدل فقالوا للحجاج إنما شعر ابن عبدل كله هجاء وشعر سخييف فقال له قد سمعت قولهم فاستمع مني قال هات» (٢) فأنشده قصيدة مروية في كتاب أُمالي القالي (٣) وصف نفسه فيها بما لم يكن له حقيقة من الشوق إلى المكارم والمعالى منها :

وَأَتَى لِأَسْتَفِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى وَأَعْرِضْ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَغِي عَرَضِي  
وَأُعْسِرُ أَحْيَاناً فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي فَأَذْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِيَ عَرَضِي  
وَمَا نَالَنِي حَتَّى تَجَلَّتْ فَأَشْفَرْتُ أَخُوثِقَةً فِيهَا بَقَرَضٍ وَلَا فَرَضٍ  
وَلَكِنَّهُ سَبَبُ الْإِلَهِ وَحِرْفَتِي وَشَدْدِي حَيَازِيمَ الْمَطِيَّةِ بِالْفَرَضِ

(١) حياطة أبي تمام ص ٥٣٥ من طبعة بن أوج ٣ ص ١١٠ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ٢ ص ١٥٨ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب الأُمالي للقالي (المتوفى سنة ٣٥٦) ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ من طبعة بولاق

١٣٢٤ [أوج ٢ ص ٢٦٠ - ٢٦١ من طبعة مصر ١٣٤٤] .

لَأُكْرِمَ نَفْسِي أَنْ أَرَى مَتَحَشُّعًا لِيَذِي مَنَّةٍ يُعْطَى الْقَلِيلَ عَلَى النَّحْضِ  
وَأَخْرَاهَا :

ولستُ بذي وجهين فيمن عرفته ولا البخلُ فاعلم من سائي ولا أرضي  
إنَّ كلَّ من سبق من هؤلاء الشعراء الكوفيَّين يليق به أن يوصف بهذا  
القول : « شاعر خليع ماجن منهمك في شرب الخمر » فنذكر الآن من كان  
عن الخمر عفيفاً وهو المتوكل بن عبد الله اللبتي<sup>(١)</sup> من أهل الكوفة الذي  
كان في عصر معاوية (٤١١ - ٦٨٠) وابنه يزيد (٦٨٠ - ٦٨٣) فصاغ  
في ملحهما عدّة قصائد . وربما تعاطى الهجاء مُعْرِضاً عَمَّنْ هجّاه ولم يفعل  
ذلك إلا كارهأ كما يظهر من قوله<sup>(٢)</sup> :

نَدِمْتُ عَلَى شَتَائِي الْعَشِيرَةِ بَعْدَ مَا تَغْنَى بِهَا عُودٌ وَحَنٌ يَمَانِي  
قَلْبْتُ لَهُمْ ظَهَرَ الْعِجَنُ وَلَبَّتْنِي رَجَعْتُ بِفَضْلٍ مِنْ يَدِي وَلَسَانِي  
عَلَى أَتْنِي لَمْ أَرَمُ فِي الشَّعْرِ مُسْلِمًا وَلَمْ أَهْجُ إِلَّا مِنْ رَوِي وَهَجَانِي  
ومثل هذا الكلام لعمرى نادر في ذلك العصر . ومما يدلُّ أيضاً على رقة  
عواطفه الشعر اللطيف الذي قاله في امرأته أم بكر وصف فيه قدر هواه لها<sup>(٣)</sup>  
وله أبيات في الحِكَمِ منها<sup>(٤)</sup> :

(١) وهو المذكور في كتاب الأغاني ج ١١ ص ٣٩ - ٤٤ ونزاقة الأدب ج ٣ ص ٦١٧ -  
٦١٨ من طبعة بولاق [وطبقات الشعراء لابن سلام ص ١٤٢ - ١٤٣ ومعجم للمريزاني ص ١٠٩ -  
١١٠] وحجاسة أبي تمام ص ٥٢٧ و ٧٧٢ و ٧٧٥ من طبعة بن أوج ٣ ص ١٠٣ و ج ٤ ص ١٤٠  
و ١٤٣ من طبعة بولاق وحجاسة البحري ج ١٧٤ و ٣٤٥ من طبعة ليدن أو ص ١١٧ و ٢٣٨  
عدد ٥٧٣ و ١٣٠٠ من طبعة بيروت .  
(٢) كتاب الأغاني ج ١١ ص ٤٢ وراجع حجاسة البحري ص ٣٤٥ من طبعة ليدن أو ص ٢٣٨  
عدد ١٣٠٠ من طبعة بيروت .

وقلب له ظهر الحن مثل يضرب لمن كان لصاحبه حل مودة ورعاية ثم حال عن العهد (راجع مجمع  
الأمثال للميداني ج ٢ ص ٣٢ من طبعة مصر ١٣١٠) .

(٣) كتاب الأغاني ج ١١ ص ٤٠ و ٤١ من طبعة بولاق .

(٤) حجاسة أبي تمام ص ٧٧٢ من طبعة بن أوج ٤ ص ١٤٠ من طبعة بولاق .

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ      يوماً على الأحسابِ نَتَكَلَّمُ  
تَبْنَى كَمَا كَانَتْ أَوَالُّنَا      تَبْنَى وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا  
ومنها أيضاً<sup>(١)</sup> :

لِإِنِّي إِذَا مَا الْخَلِيلُ أَحْدَثَ لِي      صُرْمًا وَمَلَّ الصَّفَاءَ أَوْ قَطَعَا  
لَا أُحْتَمِي مَاعَهُ عَلَى رَنَقِي      وَلَا يَرَانِي لِبَيْنِي جَزَعَا  
أَهْجُرُهُ نَمَ يَنْقَضِي غُبْرُ الْ      وَجَرَانِ عَنَّا وَلَمْ أَقُلْ قَذَعَا  
إِخْذَرُ وَصَالَ اللَّحْمَ إِنَّ لَهُ      غَضَبَهَا إِذَا حَبَلُ وَضَلِيهِ انْقَطَعَا

ثم من شعراء الكوفة المشهورين الرماد بن أبهر (وقيل يزيد) من بني مرة بن عوف المعروف بابن ميادة<sup>(٢)</sup> كان في أيام هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) وأدرك خلافة المنصور العباسي (١٢٦ - ١٥٨). وأشعاره في الهجاء والمديح والنسيب فقيل إنه كان متعرضاً للشعر طالباً للمهاجرة الناصب ومساواة الشعراء وكان مع ذلك فصيحاً يحتاج أهل اللغة بشعره. ومدح بني أمية لا سيما الوليد بن يزيد (١٢٥ - ١٢٦). ومدح من العباسيين المنصور وجعفر بن سليمان وإلى المدينة. ومن شعره في الوليد بن يزيد<sup>(٣)</sup> :

هَمَمْتُ بِقَوْلٍ صَادِقٍ أَنْ أَقُولَهُ      وَإِنِّي عَلَى رَغَمِ الْعَدُوِّ لَقَائِلُهُ  
رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مَبَارِكاً      شَدِيداً بِأَخْنَاهِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ  
أَضَاءَ سِرَاجِ الْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ      غِلْدَاةٌ تُنَاجِي بِالنَّجَاحِ قَوَائِلُهُ

(١) حساسة أبي تمام ص ٥٢٧ من طبعة بن أوج ٢ ص ١٠٣ من طبعة بولاق .  
(٢) وهو مذکور في كتاب الأملاني ج ٢ ص ٨٨ - ١٢٠ وكتاب الشعر لابن قتيبة ص ٤٨٤ - ٤٨٥ من طبعة ليدن وخزانة الأدب ج ١ ص ٧٧ - ٧٨ و ٢٢٧ - ٢٢٨ من طبعة بولاق .  
(٣) كتاب خزانة الأدب ج ١ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ من طبعة بولاق - أما البيت الثاني فهو الشاهد في أن الوليد إذا وقع فيه اشتراك اتفاق جاز تعريفه باللام - أختاه جمع حنو وهو الجالب والجهة وقيل هو هنا بمعنى السرج والقصب كنى به عن أمور الخلافة .

ومن جيد شعره في الاشتياق إلى بلاده وطلب الجوائز من الوليد بن

يزيد<sup>(١)</sup> :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِينَنَ لَيْلَةً      بحرّة لَيْلٍ حَيْثُ رَبَّتْنِي أَهْلِي  
بِلَادِي<sup>(٢)</sup> بِهَا نَبِطْتُ عَلَى نَمَائِي      وَقُطِعَنَ عَنِّي حِينَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي  
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّمَرَ أَصْوَاتَ إِهْجَمَةٍ      تَطَالَعُ مِنْ هَجَلٍ خَصِيبٍ إِلَى هَجَلٍ  
فَإِنْ كُنْتَ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَاسِبِي      فَأَقْدِسْ عَلَى الرِّزْقِ وَأَجْمَعْ إِذَا شَمَلِي

ومن ساكني الكوفة أيضاً أبو كلدة بن عبيد اليشكري<sup>(٣)</sup> كان أولاً من  
أخصّ الناس بالحجاج بن يوسف ثمّ ثار عليه مع ابن الأشعث وصار شديداً  
التحريض عليه بالشعر فقتله الحجاج . وأقام أبو كلدة مدّة عدن وقرى  
شقي من بلاد العجم مثل سجستان وخراسان وكان كثير الغزل والهجاء معاقراً  
للخمر . فقال في آخر إحدى خمرياته<sup>(٤)</sup> :

سَأَرْكُضُ فِي التَّقْوَى فِي الْعِلْمِ بَعْدَمَا      رَكَضْتُ إِلَى أَمْرِ الْغَوَى الْمَشْهُرِ  
وَبِاللَّهِ<sup>(٥)</sup> حَوْلِي<sup>(٦)</sup> وَاحْتِيَالِي<sup>(٧)</sup>      وَمِنْ عِنْدِهِ عَرَفِي الْكَثِيرُ وَمُنْكَرِي

وفي نفس بلاد العجم التي أقام أبو كلدة بها أعنى خراسان وسجستان  
عاش شاعر عربي مطبوع آخر لا أعرف أهو كوفي الأصل أيضاً أم لا وهو  
أبو الهندي<sup>(٨)</sup> الذي مات بسجستان في أوائل الدولة العباسية . قال فيه

(١) كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٤٨٥ من طبعة ليدن وكتاب الأغاني ج ٢ ص ١٠٨ من طبعة بولاق  
وسمى البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢٥١ من طبعة ليبسك .

(٢) راجع ترجمته في كتاب الأغاني ج ١٠ ص ١١٠ - ١٢٠ ولم يذكر في كتاب الشعر  
لابن قتيبة ولا في خزائن الأدب [ولا في طبقات الشعراء لابن سلام] .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٠ ص ١١٩ .

(٤) وهو المذكور في كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٢٧٧ - ٢٨٠ وكتاب الشعر لابن قتيبة  
ص ٤٢٩ - ٤٣٠ من طبعة ليدن واسمه غالب بن عبد القدوس في كتاب الأغاني وعبد المؤمن بن عبد القدوس  
في كتاب الشعر .

صاحب كتاب الأغاني<sup>(١)</sup> « كان جَزَل الشعر حَسَن الألفاظ. لطيف المعاني وإنما أخمله وأمات ذكره بَعْدَهُ من بلاد العرب ومقامه بسجستان وبخراسان وشَغَفُهُ بالشراب ومعاقرتُهُ إِيَّاهُ وفَسَقُهُ وما كان يُتَّهَمُ به من فساد الدين وأستفرغ شعرُهُ بصفة الخمر ». ومن قوله<sup>(٢)</sup> :

إِذَا مَا أَلَحَّ الْبَرْدُ فَاجْعَلْ دِنَارَهُ إِذَا أَلْتَحَفَ الْأَقْوَامُ دُكْنَ الْمَطَارِفِ  
ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ نَبِيذًا مُعَسَّلًا تَكُنْ آمِنًا مِنْهُ لَهْ غَيْرِ خَائِفِ  
فَإِنَّ التَّحَافَ الْمَرَّ فِي جَوْفِ بَطْنِهِ أَشَدُّ وَأَذَقًا مِنْ جِيَادِ الْمَلَاخِفِ  
وهو أيضاً القائل<sup>(٣)</sup> :

اجْعَلُوا إِن مِتُّ يَوْمًا كَفَنِي وَرَقَ الْكَرْمِ وَقَبْرِي مَقْصَرَةٌ  
إِنِّي أَرْجُو مِنْ اللَّهِ غَدًا بَعْدَ شُرْبِ الرَّاحِ حُسْنَ الْمَغْفِرَةِ  
فلنتكلم الآن في شعر أهل الحضرة بالشام في أيام بني أمية .

إنَّ قدر نبوغ الشعر العربي في الأصقاع الإسلامية فيما مضى من الزمان مختلف باختلاف أمرين وهما ميل الخلفاء والسلطين والأمراء وأكابر الناس إلى استماع الأشعار وأحوال البلاد من حيث العمران والرفاهية والأخلاق والتقلبات السياسية . أمَّا ميل الخلفاء والأمراء الأمويين إلى الشعر فلا يُنكَر فتشهد عليه جملة وافرة من الحكايات والأخبار والأشعار نعثر عليها في كتب الأدب والتاريخ . فلو تأملتم مثلاً حال معاوية مؤسس الدولة الأموية لوجدتم أنَّ والده أي أبا سفيان بن حرب كان له اليد الطولى في الشعر فضلاً عن التجارة

(١) كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٢٧٧ .

(٢) كتاب الشعر لابن خنبة ص ٤٣٠ من طبة ليدن .

(٣) كتاب الأغاني ج ٢١ ص ٢٧٩ رحلة الكيخسرو ص ٩٧ من طبة مصر ١٢٩٩

(في الباب التاسع) وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٣١٢ من طبة مصر ١٣٠٥ .

والسياسة فترَوَى مقطعات من أشعاره في سيرة الرسول لابن هشام وكتاب الأغاني وغيرهما . أما هند بنت عتبة أم معاوية فهي أيضاً من شاعر العرب فمن أبياتها المشهورة معاظمتُها الخنساء بمصائبها<sup>(١)</sup> . . . وكان معاوية كثير الميل إلى قصائد فحول الشعراء الجاهلية محباً لسماع إنشادها عارفاً بفضائلها ومحاسنها حافياً بمن أتاه من أهل الشعر كما ينضح أيضاً ممّا جاء في كتاب العقد الفريد<sup>(٢)</sup> من ذكر الوافدات عليه وأكثرهن شاعر كان معاوية يعرف جملة من أبياتهن . ولم يقتصر على سماع الإنشاد بل كان هو ذاته ينسج الشعر أحياناً ويُدرج الأبيات في مكاتباته الرسمية ويتمثلها في محاورته حسبما يلوح ممّا يروى منها في كتب الأدب والتاريخ<sup>(٣)</sup> . أمّا يزيد بن معاوية فكان شاعراً<sup>(٤)</sup> مولعاً بالمناداة على الشراب ومصاحبة الشعراء فصلته بالأخطل شهيرة . ومن المشهور أيضاً عظم قدر الشعر عند أكثر سائر الخلفاء الأمويين

(١) كتاب الأغاني ج ٤ ص ٣٥ من طبعة بولاق وأُنيس الجلعاء في ديوان الخنساء ص ٥٨ - ٥٩ من طبعة بيروت ١٨٩٦ وقيل في ص ٥٨ : « وبعثت تعظم العرب في مصيبتها وتقول : أذا أعظم العرب مصيبة . وتبكيهم (يعني أباهما وإخوتها) في شعرها حتى عرفت العرب ذلك منها » .

(٢) كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ١١٩ - ١٢٥ من طبعة مصر ١٣٠٥ .

(٣) راجع LAMMENS, *Etudes sur ... Mo'awia Ier*, P. 255 ومحاورة معاوية في كتاب المقد ج ٢ ص ١٠٧ و ١١٣ من طبعة مصر ١٣٠٥ - يروى له أبيات في الباب السادس والثمانين من مروج الذهب للمسعودي ج ٥ ص ٣٠ - ٣١ من طبعة باريس وكتاب الأغاني ج ١٦ ص ٣٣ .

(٤) تروى له أبيات في كتاب الأغاني ج ١ ص ١٠٤ وج ٢ ص ١٣٦ وج ٧ ص ١٧٨ وج ١٣ ص ١٦٤ و ١٥٤ وج ١٤ ص ٦٣ و ١١٩ وج ١٦ ص ٣٣ و ٨٨ وفي الباب الثاني والثسين من مروج الذهب للمسعودي (ج ٥ ص ١٥٧ و ١٦١ - ١٦٢ من طبعة باريس) وكتاب الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٢٢ من طبعة ١٣٢٣ - ١٣٢٥ (وينسب هذان البيتان إلى « بعض شعراء الشام » في الباب الثاني والثسين من مروج الذهب للمسعودي (ج ٥ ص ١٥٨) وديوان الأخطل ص ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٨٩ « وله ديوان مشهور وقيل إن معظم الشعر المنسوب إليه منحول »

(LAMMENS, *Etudes sur ... Mo'awia Ier*, P. 419)

(وراجع أيضاً : LAMMENS, *Le Califat de Yazid Ier*, Beyrouth 1921, P. 493; P. SCHWARZ, *Escorial-Studien zur arabischen Literatur-und Sprachkunde*, Stuttgart 1922, I, P. 28-72; G. LEVI DELLA VIDA, *Alcuni versi del califfo Yazid I*, (Islamica, II, 1926, p. 373-379).



وجليل خطبه في قلوبهم لاسيما عبد الملك بن مروان ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد . فبالجملة كان الشعر لهم غريزة كما كان من سليقة أغلب العرب الصميم . ولتحنيهم هذا على الشعر دواع أخرى أيضاً عدا ما وصفناه من ميلهم الطبيعي إليه . قد تقدم غير مرة الإشارة إلى عظيم مرتبة الشعر في سياسة العرب في الجاهلية والقرن الأول للهجرة فشبهنا منزلة الأبيات والقصائد السائرة على ألسنتهم بجرائد عصرنا الشائعة في الأقطار المتكلمة عن لسان رجال الأحزاب . فجميع ما بينناه عند الكلام في الصنف السادس من الشعر في أيام بني أمية برهان على ذلك واضح قاطع فلا غرور إذا أن الأمراء قصدوا اجتذاب الشعراء إليهم بالمكافآت الجميلة والصلوات الجزيلة لينتفعوا بهم ويتخذوهم دفاعاً عن أغراضهم بالمديح ومضادةً للأخصام بالهجاء . فترون أحياناً والياً من الولاة ذاهباً إلى مركزه الجديد ومعه بعض الشعراء كأنهم من مستعقليه ومعاونيه في أمور ولايته . وفي الحقيقة ربما امتثلت أرباب الدولة الشعراء وأبياتهم لتغيير الرأي العام حسب أغراضهم الخاصة وحمل الناس على ما كانوا في أول الأمر يكرهونه فمثال ذلك مسألة بيعة يزيد في أيام والده معاوية . لا يخفى عليكم أن العرب الصميم كانوا أبعد الناس عن الرضاء بقوايت الخلافة كابراً عن كابر لمضادته سننهم القديمة المألوفة في اختيار سادة أقوامهم فلما أراد معاوية إثارة أبنه بالعهد دون من سواه أظهر قوم في المجلس شدة كراحتهم لذلك وبعد ما غلب في الوفد الرأي بقبول تولية يزيد العهد احتاج معاوية إلى إغراء سائر الناس بذلك لا سيما في العراق والحجاز فأصبحت شعراء الدولة مساعدين له على هذا الأمر فجاء في كتاب الأغاني ما نصه<sup>(١)</sup> : « كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الداري

ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك وخاف أن لا يحالفه عليه الناس لحسن البقية فيهم وكثرة من يرضح للخلافة وبلغه في ذلك ذرؤ كلام<sup>(١)</sup> بلغه كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان جافلاً وحضره وجوه بني أمية فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبني أمية حواشي وأشراف الناس في مجلسه فمثل بين يديه وأنشأ يقول « شعراً منه هذه الأبيات<sup>(٢)</sup> :  
 ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد  
 بني خلفاء الله مهلاً فلانما يبوئها الرحمن حيث يريد  
 إذا المنبر الغربي خلاه ربه فإن أمير المؤمنين يزيد  
 ومن الشعراء الذين قالوا الشعر في هذه البيعة الأخطل<sup>(٣)</sup> العظيم الخط  
 عند يزيد فكثرة سماع مثل تلك الأبيات كانت تؤثر في نفوس الناس تأثيراً  
 خفياً وتعودهم شيئاً فشيئاً ما كانوا ينكرونه - ومن هذا الباب أيضاً ما رواه  
 أبو زكرياء يحيى التبريزي في شرح الحماسة<sup>(٤)</sup> أن عبد الله بن همام السلولي  
 كان «مكيناً عند آل مروان وهو الذي بعث يزيد بن معاوية على البيعة  
 لابنه معاوية في قوله » :

تعرّوا يا بني حرب بصير فمَنْ هذ الذي يرجو الخلودا  
 خلافة ربكم حاموا عليها ولا ترموا بها الغرض البعيدا  
 تلقفها يزيد عن أبيه فخذها يا معاوي عن يزيدا

(١) قال الميداني في المثل « ذرى بما عندك يا ليفاء » : « الدرو الطرف والقليل من الكلام ...  
 يقال سمعت ذرواً من الخبر إذا لم تستقصه » .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٨ ص ٧١ ، فراجع كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٤٧ بن طبعه  
 لندن وخزانة الأدب ج ١ ص ٤٦٦ . (٣) ديوان الأخطل ص ٩٥ سطر ٦ .

(٤) حسانة أبي تمام ص ٥٠٧ من طبعه بن أو ج ٢ ص ٨٤ من طبعه بولاق .

وجاء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ<sup>(١)</sup> أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ عِصَامِ العُزِّيَّ<sup>(٢)</sup> الشاعر الخطيب وهو الذي أشار على عبد الملك بخلع أخيه عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك في خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة . فإليه ملح صاحب كتاب الأغاني<sup>(٣)</sup> في رواية أوردها بحروفها : « قال الحجاج يوماً لأهل - ثقته من جلسائه : ما من أحد من بني أمية أشدَّ نَصَباً لي من عبد العزيز بن مروان وليس يومٌ من الأيام إلا وأنا أتخوف أن تأتيني منه قارعة فهل من رجل اتدلىّني عليه له لسان وشعروجلد ؟ قالوا نعم عمران بن عِصَامِ العُزِّيّ فدعاه فأخلاه ثم قال له اخرج بكتابي هذا إلى أمير المؤمنين فاقدح . في قلبه من ابنه شيئاً في الولاية . فقال له عمران : دُئِسَ أيها الأمير إلى دَسَا . فقال له الحجاج : إِنْ الْعَوَانَ لَا تَعْلَمُ الْخُمُرَةَ . فخرج بكتاب الحجاج فلما دخل على عبد الملك دفع إليه الكتاب وسأله عن الحجاج وأمر العراق فاندفع يقول :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ أَهْدَى عَلَى الشَّحَطِ التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا  
أَمِيرٌ مِنْ بَنِيكَ يَكُنْ جَوَابِي لَهُمْ أَكْرَمَةٌ وَإِنَّا نِظَامَا  
فَلَوْ أَنَّ الْوَلِيدَ أَطَاعَ فِيهِ جَعَلْتُ لَهُ الْإِمَامَةَ وَاللُّمَامَا  
فَكَفَى بِذَلِكَ بَرَهَانًا عَلَى أَحَدِ أَسْبَابِ مِيلِ أَهْلِ الْعَقْدِ وَالْحُلِّ إِلَى الشُّعْرَاءِ .  
وسبب آخر ما في طبيعة أكثر الناس من حبِّ الفخر والتقريظ . والمدح فمن

(١) كتاب البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٢٣ من طبعة مصر ١٣١٢ .

(٢) ليست نسبة الشاعر بالعرف بل هي العُزِّيّ في كتاب الأغاني (ج ١٦ ص ٦٠) . ولم يذكر الشاعر في خزائن الأدب ولا في كتاب الشعر لابن قتيبة ولا في حاشي أبي تمام والبحتري [ولا في طبقات ابن سلام ولا في المؤلف للاندلسي . فنسب العُزِّيّ بنسب العُزِّيّ وفتح الراء في كتاب البيان للجاحظ ج ١ ص ٥٦ من طبعة مصر ١٣٥١] .

(٣) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ٦٠ - حوان النصف في سنها من كل شيء . قال الميداني في مجمع الأمثال (ج ١ ص ١٣ من طبعة مصر ١٣١٠) : « والخمر من الاختار كالبلمة من الجلوس اسم الهيئة . وأحال أي أنها لا تحتاج إلى تعليم الاختار . يضرب للرجل المجرّب » .  
تاريخ الآداب العربية

سليقتهم أن يَصْغَوْا إلى سماع كلام يملقهم لا سيما إذا كان ذلك الكلام محبباً شديداً الوقوع في القلوب لرونقه وانسجامه . وإن راجت مدائح الشعراء عاد الرواج على الممدوحين بمنفعة لا تُنْكَر فلم تُفْتِ الجاحظ. <sup>(١)</sup> أهمية ذلك حيث قال : « ولولا أن دولة بني العباس أعجمية خرسانية ودولة بني مروان عربية أعرابية ولى أجناد شامية والعرب أوعى لما تسمع وأحفظ . لما ثأنى ولها الأشعار التي تُقيد عليها مآثرها وتخلد لها . محاسنها رجرت من ذلك في إسلامها على مثل عاداتها في جاهليتها فبنت بذلك لبني مروان شرفاً كثيراً ومجدلاً كبيراً وتديبياً لا يُحصى ، ولو أن أهل خراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم في أهل الشام وتديبهم ملوكهم وسياسة كهرائهم وما جرى في ذلك من فوائد الكلام وشريف المعاني ، كان فيما قال المنصور وما فعل في أيامه وأسس لمن بعده ما يفي بجماعة ملوك بني مروان » . فإن تأملنا ذلك ما استغربنا ما يروى في كتاب الأغاني <sup>(٢)</sup> : « أتى نصيب عبد الله بن جعفر فحملة وأعطاه وكساه فقال له قائل يا أبا جعفر أعطيت هذا العبد الأسود هذه العطايا فقال والله لئن كان أسود إن ثنائه لأبيض وإن شعره لعربي ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وما ذلك إنما هي رواحل تُنقى وثياب تُبلى ودراهم تُفنى وثناء يبني ومدائح تُروى » .

إلا أن المديح كان سبب هيجان طمع الشعراء في المال وهيمتهم الساقطة فقل عدد الذين لم يجعلوا الشعر متجراً وأنفوا من السؤال بالمدايح مثل جميل ابن عبد الله بن مغمّر الذي يُحكى أنه لم يمدح أحداً قط . سوى ذويه وأقاربه <sup>(٣)</sup> .

(١) كتاب البيان للجاحظ ج ٢ ص ١٥٤ من طبعة مصر ١٣١٢ (أرج ٣ ص ١١٧ من طبعة ١٣٥١) .

(٢) كتاب الأغاني ج ١ ص ١٣٧ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب العدة لابن رشيقي ج ١ ص ٥١ من طبعة ١٣٢٥ .

أما أغلبهم فلم يستحوا من إظهار طمعهم أي إظهار وجعل أنفسهم بمنزلة  
الفقراء السائلين كما قال نصيب<sup>(١)</sup> :

لعبد العزيز على قسومهم وغيرهم من غامرة  
فبابك أكين أبوابهم ودارك مأهولة حامرة  
وكلبك آنس بالمعتفين من الأم بابنتها الزائرة  
وكفلك حين ترى السائلين ن أذنى من الليلة الماطرة  
فمنك العطاء ومن الثناء بكل محبرة سائرة

فألف حاجب بن ذبيان المازني قصيدة يمدح بها يزيد بن المهلب بخراسان  
فابتدأ قائلا<sup>(٢)</sup> :

إليك انتظيت العيس تسعين ليلة أرجى ندى كفئك يا ابن المهلب  
وأنت امرؤ جادت سماء يمينه على كل حى بين شرق ومغرب  
ومن هذا الباب أيضاً ما قاله إسماعيل بن يسار في قصيدة أنشدها بين  
يبدى عبد الملك بن مروان<sup>(٣)</sup> :

إليك إمام الناس من بطن يشرب ونعم أخو ذى الحاجة المتعمد  
رحلنا لأن الجود منك خليفة وأنت لم يذم جنانك مجسد  
قد مر عند بيان سائر أصناف الشعر أو عند الكلام في الكوفيين  
ذكر شعراء متعددين امتدحوا بنى أمية في بعض قصائدهم الشهيرة ولهم منزلة  
عالية في الصناعة مثل كعب بن جعيل والمتوكل اللبى في أيام معاوية والأخطل

(١) كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٢٤٤ من طبعة ليدن وكتاب الأغاني ج ١ ص ١٣٣ وشرح  
التبريزي على حساسة أبي تمام ص ٥٦٧ من طبعة بن أوج ص ١٤١ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٣ ص ٥٠ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب الأغاني ج ٤ ص ١٢٥ من طبعة بولاق .

في أيام يزيد وهلم جراً وسندكر غيرهم أيضاً فيما يتلو . غير أننا نجد مع هؤلاء التوابغ عدداً غير يسير ممن لم يغلُ أبداً عن رتبة الشُّوبَعِ أو الشُّعُورِ واجتهد على ذلك في نسج القصائد على أسلوب فحول الجاهلية في المديح وملاها ألفاظاً طنانة رثانة وتشابيه غريبة وبالغ في إطرائه أي مبالغة مثل قول طريح ابن إسماعيل الثَّقَفِيّ من أهل الطائف في الوليد بن يزيد بن عبد الملك<sup>(١)</sup> :

أنت ابنُ مُسْلَنْطِخِ البِطاح ولم تُعْطَفْ عليك العُنَى والوَاجُ  
لو قُلْتَ للسَّيْلِ دَغْ طَرِيقَكَ والـ حَوْجُ عليه كَالهَضْبِ يَغْتَلِجُ  
لَارْتَدُّ أو سَمَاخَ أو لَكَانَ له في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ

ومثل هذه الأبيات التي لا يستحسنها من له الذوق السليم ومثل هذه التشابيه المضحكة لم تندر عند أصاغر المذاح فيروى<sup>(٢)</sup> أن عبد الملك بن مروان قال يوماً : « يا معشر الشعراء تشبهوننا مرةً بالأسد الأبحر ومرةً بالجبل الأوعر ومرةً بالبحر الأجاج ألا قلم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم » (الأبيات المروية ص ٢٧٩) .

فخلاصة القول أن أسباب نبوغ الشعر ونضارته بالشام في أيام بني أمية خمسة :

(١) كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٤٢٨ من طبعة ليدن فراجع في كتاب الأغاني ج ٤ ص ٧٦ - ٨٦ ترجمة طريح بن إسماعيل الثَّقَفِيّ الذي (ص ٧٧) « نشأ في دولة بني أمية واستفرغ شعره في الوليد ابن يزيد وأدرك دولة بني العباس ومات في أيام المهدي وقيل الهادي » وقرئ الأبيات المذكورة في كتاب الأغاني ج ٤ ص ٨٠ - ٨١ وكتاب العقد لابن عبد ربه ج ٣ ص ١٠٢ من طبعة مصر ١٣٠٥ وقيل فيه إن طريح قالها في أبي جعفر المنصور وهذا غير صحيح فانظر كتاب الأغاني في الموضع المذكور وكتاب العقد ج ٢ ص ٢٦٩ .

(٢) كتاب الأغاني ج ٢١ ص ١٠ ويوجد قول عبد الملك هذا أيضاً في كتاب الأغاني ج ١٣ ص ٦٣ ولكن الخليفة ينشد فيه أبياتاً لكعب الأشقرى .

(١) ما هو مغرور في قلوب العرب الصميم من الموارع بالشعر منذ الزمان القديم .

(٢) ميل الخلفاء والأمراء الأمويين إلى الشعر وتعطفهم على قائله بل كون كثير منهم شعراء مطبوعين .

(٣) محلُّ الأشعار وتأثيرها فيما يتصل بالأمور السياسية .

(٤) حُطوة المديح عند الخلفاء والولاة وأكابر الناس سواء لمجرد استلذاذهم المكّن أم لانتفاعهم بالمدائح السائرة في الأقطار .

(٥) زيادة الترف والرفاهية التي يزيد بها نفاق أسواق الآداب .

ومما يستغرب بادئ نظر قلة الشعراء الشاميّين من أهل الحضر في خلافة معاوية وابنه يزيد على كثرة الوافدين إليهما المجتمعين بأبوابهما من شعراء أهل البادية . قد بيّنا فيما سبق (ص ١١٩ - ١٣٥) قدر نبوغ نوع جديد من الشعر وهو الغزل عند الحضريّين المحجازيّين حتّى لا نكاد نعثر عندهم على غيره من فنون الشعر مدّة القرن الأوّل (بعد خلافة عمر بن الخطّاب) وفي أوائل القرن الثاني . ووضحنا أيضاً ما بلغه من الانتشار والرواق الشعر في الغزل والخمرات في مدن العراق الجنوبيّة في ذلك الزمن فضلاً عن الكلام المنظوم المتّصل بأغراض الأحزاب والفرق . فمن أين خمول الشعر ذلك عند الحضر بالشام ومن أين فتورهم في الاعتناء بنسج القريض ؟ ولمّ امتنعوا مدّة عن الغزل والخمرات على الأسلوب المحدث بالحجاز والعراق كأنّهم لم يعرفوا إلّا القصائد على منوال القدماء وأهل البادية . إنّ لذلك أسباباً . تفكّروا أولاً فيما تقدّم بيانه الطويل عند الكلام عن الصنف الثالث من الشعر أعني أنّ الذين انتقلوا إلى الشام من جزيرة العرب حين الفتح الإسلاميّ وبعده كانوا أعراباً ما عدا القليل ونصقهم أو

أكثر كانوا يَمِينِينَ أو منتسبين إلى قبائل اليمن . وقد سبق أن هؤلاء المنتقلين لم يعتادوا الإقامة بالأمصار ولا أَلِفُوا عِيشَةَ المَدَنِ إِلَّا شَيْئاً فشيئاً بعد مَدَّةٍ غير قليلة فمكثوا يَأْتَفِرُونَ سُكْنَى المَدَنِ يَحْذُونَ إِلَى التَّعَرُّبِ أَى الرجوع إلى براريهم المُتَّسِعَةِ ومفاوزهم الفِصْحَاءِ بل ذاتُ الخلفاء الأُمَوِيِّينَ سَوَى معاوية وعبد الملك كانوا يَقْصِدُونَ البادية وقصورهم في أرض البلقاء كُلِّمَا لم يَمْنَعَهُم عن الخروج إِلَيْهَا مانع مَهْمٌ . - أمَّا العراق فما ارتحل إِلَيْهَا الأعرابُ فقط . بل تَوَجَّهَتْ إِلَيْهَا واستقرَّتْ فِيهَا جملة من حضريِّ الحجاز لَمَّا نُقِلَ عَلَى بن أبي طالب دار الخلافة إلى الكوفة ثُمَّ فِي أَيَّامِ ذهاب الحسن بن عليٍّ وآل الزبير إلى نواحي السواد .

ثُمَّ تَأَمَّلُوا ما وقع من الفرق بين أحوال العرب في العراق وأحوالهم في الشام قبيل ظهور الإسلام . من المشهور أَنَّ المسلمين حين احتلالهم العراق وجدوا في الجنوبية حضريَّين من العرب وهم قسم من سَكَّانِ مملكة الحيرة قد تركوا البداوة منذ الزمان الطويل واتَّخَذُوا جزءاً من الحضارة العجمية . فرأينا أَنَّ الخمریات التي اشتهر بها شعراء الكوفة والبصرة في أَيَّامِ بنى أُمَيَّةٍ لَمَّا كانت من جنس الخمریات المتداولة عند شعراء الحيرة أو الوافدين إِلَيْهَا في عهد الجاهلية كَانَتْهَا بأسرها مذهب شعريٍّ واحد متواتر لم يزل في تلك البلاد من قديم الزمان إلى أَيَّامِ الدولة العباسية . فواضح أيضاً أَنَّ وجود أولئك العرب الحضريَّين في العراق سهَّلَ وعَجَّلَ اختلاط المحتلِّين الإسلاميين بمن جاورهم من العجم هنالك . - أمَّا في الشام فالأمر خلاف ذلك . كان اللخميُّون في العراق في القرن السابق للهجرة من أهل الحضرة أمَّا بنتو غسان بالشام فلم يزالوا متوسطين فيما بين البداوة والحضارة فكان رؤساء قبائلهم يُقيمون تارةً بمساكن ثابتة بالبناء والمدرة وتارةً بنوع من المعسكرات والمضارب



كانوا ينقلونها من مكان إلى مكان للدفاع غارات قبائل الأعراب المستقلة عن حدود مملكة الروم فأصبحت محلاتهم مثل جلق والجبابة قارئة بين صفات المعسكر المتنقل والقرية الثابتة جامعة بين أحوال البادية وخواص الحضارة . وكانت نتيجة ذلك أن الجيوش الإسلامية لما فتحو بلاد الشام ما وجدوا في مدنها وقراها سكناً من العرب خلافاً لما اتفق لهم في العراق فأعدهم من يكون واسطة بينهم وبين الأهالي . ولكن أغلب المحتلّين من أهل البادية الكارهين القرار في الأمصار تهادى بالشام البون الكبير بين العرب وبين سكّان المدن وهم سريان وروم فما ابتدأ اختلاط عامّ بينهم بالمعاشرة والمصاهرة إلّا نحو أواخر القرن الأول . فبتأخر الاختلاط تأخر انتقال معظم المتغلبين من حال بداوتهم إلى حال الحضارة وتأخر أيضاً عندهم نبوغ الشعر من النوع المألوف للحضر .

ثمّ لبقاء الشعر في الشام على منوال قصائد التوايف من عهد الجاهلية سببان آخران أعنى ميل الخلفاء الأولين من بني أمية إلى ذلك النوع من الشعر وشدة سلطة معاوية في بلاد الشام . يروى في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه<sup>(١)</sup> أن هذا الخليفة الأجلّ قال مرّة لعبد الرحمن بن الحكم : « يا ابن أخي إنك شهرت بالشعر فإياك والتشبيب بالنساء فإنك تُعرّ الشريفة في قومها والعفيفة في نفسها ، والهجاء فإنك لا تعدو أن تُعادي كريماً أو تستشير به لثيماً ولكن افخرّ بببت قومك وقُلْ من الأمثال ما توقّر به نفسك وتؤدّب به غيرك » . فلا شك أن هذا القول ولو لم تصحّ روايته على هذه الصفة هو ترجمان فكر معاوية في الشعر كما يظهر من غيره من الأخبار . وحرّم معاوية بالشام شرب الخمر وصناعة الغناء على جواز هذه الصناعة بالحجاز . فيروى على صفة استثناء أن عبد الله بن جعفر بن

(١) كتاب العقد ج ٣ ص ٨٧ من طبعة مصر ١٣٠٥ .

أبي طالب قدم عليه بالشام فأنزله معاوية في دار عياله ولم ير به بأساً أن يغنى ليلة في تلك الدار <sup>(١)</sup> . ونفذ ذلك التحريم بالشام مدة القرن الأول على غرام بعض الخلفاء بسماع الألحان . ويروى في موضع من كتاب الأغاني <sup>(٢)</sup> أن يزيد بن معاوية كان « أول من سنّ الملاحى <sup>(٣)</sup> في الإسلام من الخلفاء وآوى المغنين وأظهر الفتك وشرب الخمر . . وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده فيخلع عليه ويصيلة » . ولكن إن راجعنا الأخبار عن يزيد والمغنين وجدنا أنهم كانوا يلقاهم عادة بالحجاز ولم يقبلهم بدمشق إلا في أندر النادر وسراً بمساعدة أصدقائه المدنيين لا سيما عبد الله بن جعفر <sup>(٤)</sup> . وسائب خاثر المذكور فيما تقدم إنما كان من ساكني المدينة <sup>(٥)</sup> .

أما أول الأمويين الذي أدخل المغنين في الشام فالوليد بن يزيد  $(\frac{1}{770} - \frac{1}{744})$  وهو أراد أولاً أن يذخلهم خفية مراعاة لخواطر أهل تلك البلاد كما يلوح من رواية كتاب الأغاني <sup>(٦)</sup> : « إن الوليد بن يزيد لما ولي الخلافة بعث إلى المغنين بالمدينة ومكة فأشخصهم إليه وأمرهم أن يتفرقوا ولا يدخلوا نهراً لئلا يعرفوا وكان إذ ذاك يتستر في أمره ولا يظهره فسبقهم ابن عائشة فدخل نهراً وشهر أمره فحبسه الوليد وأمر به فقيّد وأذن للمغنين وفيهم مقبّد فدخلوا عليه دخلات ثم إنه جمعهم ليلة فغنّوا له حتى طرب وطابت نفسه إلخ » .

(١) كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٣ من طبعة مصر ١٣٠٥ وراجع الحكاية في كتاب الأغاني ج ٧ ص ١٨٩ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ١٦ ص ٧٠ .

(٣) وللملاحى (جمع ملهى) هنا الآلات الموسيقية .

(٤) ولكنه لم يقبل شاعراً في الشام إلا مرة واحدة (راجع كتاب الأغاني ج ٧ ص ١٠٣ - ١٠٤ و ١٨٩ من طبعة بولاق) .

(٥) قتل سائب خاثر في سنة ٦٣٣ يوم الحرة (راجع آفاً ص ١٢٣ حاشية ٢) .

(٦) كتاب الأغاني ج ٤ ص ٨١ - ٨٢ من طبعة بولاق فراجع كتاب العقد لابن عبد ربه

ج ٢ ص ٢٩٩ من طبعة ١٣٠٥ (وفيه محمد بن أبي عائشة بدلا من محمد بن عائشة) .

لعلكم تسألون لماذا هذا الكلام في صناعة الغناء وإدخالها في بلاد الشام ؟ ألم تكن نبهت عن صناعة الشعر لا غير . أقول إن بين الصناعتين صلة قوية لا يجوز إهمال الفحص عنها لمن يريد بيان سير الشعر وتقلباته في أيام بني أمية . لما تكلمت عن الغزل الحقيقي بمدن الحجاز أثناء القرن الأول أوضحت تعلقه بتقلب الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الحرمين وزيادة الترف والرفق بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى وما فاز المسلمون من الأموال والرقاب وأشرت إلى الاتفاق الواقع بين قدوم المغنين والمغنيات من الموالي بمكة والمدينة وبين أوائل انتشار الشعر الغزلي فيهما . وذكرت أن أولئك الموالي كانوا في بدء الأمر يغنون بالروم أو الفارسي ثم عدلوا إلى الغناء بالعربي فأصبحوا من أشد العوامل في إهمال نسج القصائد على منوال الملقنات وتغيير ذوق الظرفاء والمتأدبين . إن الألحان التي دخل بها الموالي والمماليك في المدن الحجازية كانت من الأنواع الميسرة والمطربة وهي مما اخترعه الروم والفرس عن أصحاب صناعة الأنغام ترويحاً للنفس وبسيلة للقلوب لاسيما في أيام العيد والفرح أو عند المنادمة والمجالسة، فما صلحت لها الأعاريف الطويلة الثقيلة ولا أشعار مدارها على وصف أعضاء الناقة ومخاوف الفياق ومتاعب السفر في الرمال وغزوات القبائل إذ لا ينكر الارتباط الواقع بين نوع النغمة والغناء المثقن الصنعة وبين عروض الشعر وفحواه . وزيدوا على ذلك أن أولئك المغنين أصلهم من العجم والحضر استصعبوا فهم القصائد على المنوال القديم وحفظها بما فيها من غريب الألفاظ وتوحش المعنى . فإن تأملت أيضاً أن الشعراء من حضرة العراق والحجاز وجدوا الشعر أسرع رواجاً وأوسع شهرة وألذ للنفس وأوقع في قلوب الناس إذا غنى على آلات السماع تمكنت من تقدير ما كان لصناعة الغناء

والألحان من التأثير في تقلب أفانين الشعر . - فالمحتمل عندى أنه أولاً منع الغناء المتقن والسماع إلى أواخر القرن الأول في بلاد الشام لما تأخر نبوغ الغزل والخمرات عن وقت نبوغهما بالعراق والحجاز بمدة طويلة .

فلجملة هذه الأسباب قل بالشام الشعراء من الحضر<sup>(١)</sup> إلى أواخر القرن الأول فشرهم على ما أدخلت فيه العيشة المدنية من رقة العواطف ولينة الألفاظ. وعذوبة الكلام لم يزل متوسطاً بين الشعر الجاهلي وبين الغزل الغالب عند شعراء مدن الحجاز والعراق . أما الخمرات فامتنعوا عنها أثناء القرن الأول وما ذكروا الخمر إلا لمجرد وصفها أو للتشبيه بها مثل قول عدى ابن الرقاع<sup>(٢)</sup> :

أَمِيدُ كَأَنِّي شَارِبٌ لَعَبْتُ بِهِ      عَقَارُ ثَوْتٍ فِي سِجْنِهَا حَبِجًا سَبْعًا  
مَقْدِيَّةٌ صَهْبَاءُ تُنْخِنُ شَرِبَهَا      إِذَا مَا أَرَادُوا أَنْ يَرَاوُهَا بِهَا صَرَحِي  
عُصَارَةٌ كَرَمٍ مِنْ حُدَيْجَاءَ لَمْ يَكُنْ      مَنَابِتُهَا مُسْتَحْدَثَاتٌ وَلَا قُرْعَا

أو مثل قوله<sup>(٣)</sup> :

كُمَيْتٌ إِذَا شُجَّتْ فِي الْكَأْسِ وَرَدَتْ      لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبٌ

(١) لا أحد في شعراء الشام من الحضر عبد الرحمن بن الحكم أخا الخليفة مروان بن الحكم (٦٤٤ - ٦٨٣) لأنه أقام بالحجاز مدة أطول من إقامته بالشام بل لم يزل في بلاد الحرمين حتى نفاه عبد الله بن الزبير عنها مع سائر بني أمية . وكان « متوسط الحال في شعراء زمانه وكان يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت » ( كتاب الأغاني ج ١٢ ص ٧٢ ) ومن شعره القريب من نوع الخمرات والملاحاة الأبيات الثلاثة المروية له في كتاب الكامل للمبرد ( ص ٧٢ من طبعة ليبسك أو ج ١ ص ٦٠ من طبعة مصر ١٣٢٣-١٣٢٤ ) وهو مذكور في كتاب الأغاني ج ١٢ ص ٧٢-٧٦ .

(٢) كتابته معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٨٩ من طبعة ليبسك . يروى البيت الأول والثاني في لسان العرب ج ٤ ص ٤١٤ من طبعة بولاق بالرواية « باكرت شربها » . وهذه الرواية صارت الشاعر شارب خمر .

(٣) كتاب العقد لأبن عبد ربه ج ٢ ص ١١٨ من طبعة مصر ١٣٠٥ .

تُريك القَدَى من دونها وهى دونه لوجد أخوها في الإناء قُطوبُ  
 فيروى أنَّ سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩) لما سمع هذين البيتين  
 قال لعدي بن الرقاع : شربتها ورب الكعبة . قال عدي والله يا أمير المؤمنين  
 لئن رأيتك وصنى لها قد رأيت معرفتك بها . فتضاحكا وأخذوا في الحديث .  
 - فنفس هذه الحكاية تُلد على ما أردنا بياته أى ندوة شرب الخمر عند  
 أهل الحضرة بالشام وإمساك شعراهم عن الخمرات أثناء القرن الأول خلافاً  
 لحضر العراق . وما هو مشهور من انهماك الأخطل في الشراب وأشعاره فيه  
 لا يدحض قولى إذ كان الأخطل بدوياً عراقياً نصرانياً .

كان عدي بن الرقاع <sup>(١)</sup> السابق ذكره من أقدام شعراء الحضرة بالشام  
 مداحاً لبنى أمية كثير الحفظ . عندهم لاسيما الوليد بن عبد الملك ( ٩٦ -  
 ٩٩ ) ومنزله بدمشق وهو من المجيدين في المديح والنسيب الرقيق اللطيف  
 الخالى عن تغزل شعراء الحجاز والعراق . ومن أبياته التى ذكر فيها عنايته  
 بإتقان بنى شعره وخيرته بأحوال الحياة <sup>(٢)</sup> :

وقصيدة قد رمت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها  
 نظر المتقف في كعوب قتاربه حتى يقيم ثقافه منادها  
 أو ما ترى شيباً تفشغ ليمى حتى علا وضح بلوح سوادها  
 فلقد تببت يد الفتاة وسادة لي جاعلاً لحدى بدى وسادها  
 ولقد أصبت من المعيشة لذة ولقيت من شظف الخطوب شدادها  
 وعمرت حتى لست أسأل عالماً عن حرف واحد لكى أزدادها  
 صلى المليك على امرئ ودعته وأنتم نعمته عليه وزادها

(٦) وهو مذكور في كتاب الأغاني ج ٨ ص ١٧٩ - ١٨٤ من طبعة بولاق وكتاب الشعر  
 لابن قتيبة ص ٣٩١ - ٣٩٣ (ج ١٥) من طبعة ليدن وترى له أبيات في الكامل المبرد ص ٨٥ من  
 طبعة ليبسك أوج ١ ص ٧١ من طبعة مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٤ [وطبقات الثمراء لابن سلام ص ١٤٤  
 - ١٤٥] .

(٢) كتاب الشعر لابن قتيبة ص ٣٩٢ من طبعة ليدن .

ومن لطيف شعره<sup>(١)</sup> :

ومما شجاني أننى كنتُ نائماً      أَعْلَلُ من بَرْدِ الكَرَى بالشَّسَمِ  
إلى أنْ بَكَتْ رِزْقَاءُ فى عُضَنِ أَيْكَةٍ      تُرَدُّ مَبْكَاهَا بِحُسْنِ التَّرَنُّمِ  
فلو قَبِلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً      بِسُعْدَى شَفِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ  
ولكنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لى الْبُكَاءِ      بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ  
ومن نصّ وارد فى كتاب الأغاني<sup>(٢)</sup> ومما نقلته آنفاً من كتاب العقد  
الفرید يستنج أنه أدرك خلافة سليمان بن عبد الملك .

ومن معاصرى عدى بن الرقاع المشهورين شاعر ليس أصله من العرب وهو  
أول من قال الشعر الجيد اللطيف بالعربي من السود أعنى به نصيب بن  
رباح<sup>(٣)</sup> مولى عبد العزيز بن مروان . واختلفوا فى أصله فلو صحّت رواية  
من قال إنه من أهل وُدَّان<sup>(٤)</sup> وعبد لرجل من بنى كنانة الساكنين هناك  
اشتراه عبد العزيز لكان من المغاربة . والمحمّل إذاً أنْ عبد العزيز<sup>(٥)</sup> اشتراه  
فى أيام ولايته مصر فى خلافة معاوية وعبد الملك بن مروان . وعلى كل حال  
عاش نصيب بالشام وبها قال . أكثر شعره فيُعَدُّ من المقدّمين عند خلفاء

(١) الكامل للمبرد ص ٥١٤ من طبعة ليسك أوج ٣ ص ١٠٤ من طبعة مصر ١٣٢٣ -  
١٣٢٤ ، ويروى البيتان الأخيران أيضاً فى شرح التبريزى على حساسة أبى تمام ص ٥٦٧ من طبعة  
بن أوج ٣ ص ١٤٢ من طبعة بولاق .

(٢) كتاب الأغاني ج ٨ ص ١٧٩ من طبعة بولاق .

(٣) وهو مذكور فى كتاب الأغاني ج ١ ص ١٢٩ - ١٥٠ من طبعة بولاق وكتاب الشعر لابن

قتيبة ص ٢٤٢ - ٢٤٤ من طبعة ليدن [ وراجع U. RIZZITANO, *Adā Mihgan. Nuṣayb ibn*

*Rabāḥ* [ *Rivista degli Studi Orientali*, XX, Roma 1948, P. 421-472; XXII, 1947, P. 29-35 ]

(٤) وعلى الأرجح ليس وُدَّان نصيب المدينة المشهورة فى أفريقيا بل هى موضع بين مكة والمدينة

المنورة يذكّر نصيب فى أبياته ( راجع معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٩١٠ من طبعة ليسك ) .

(٥) توفى عبد العزيز بن مروان سنة ٨٥ / ٧٠٤ .

بنى أمية الذين أثنى عليهم الشاء الوافر ونال منهم الجوائز الجزيلة<sup>(١)</sup> وهو أجداد المديح والمراثي والنسيب، ونسيبه عفيف بعيد عن الغزل الخليع فيقال إنه لم ينسب قط إلا بامرأته . وتجذون عدة أشعاره في كتاب الأغاني فأقتصر على ذكر بيتين له مرويين في حماسة أبي تمام<sup>(٢)</sup> معناه كثير الشبه بمعنى أبيات عدى بن الرقاع المذكورة آنفاً :

لقد هتفت في جنح ليل حمامة على فذن وهنا ولأني لنائم  
كلبت وبيت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحائم  
وما وقفت على سنة وفاته فالواضح عما جاء في كتاب الأغاني<sup>(٣)</sup> أنه كان في قيد الحياة حين أفضت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك سنة ٨٠٤ هـ .

كفى ما تقدم دليلاً على قدر الفرق بين شعر الحضر بالشام وشعرهم بالعراق والحجاز في القرن الأول غير أن هذا الفرق اضمحل بعد أوائل القرن الثاني بقليل إذا نقلت أحوال مدن الشام لاختلاط العرب والأعجمين فيها ولزوال شدة الخلفاء في حكومتهم وأخذهم في تقليد أبهة قدماء الملوك من بني ساسان بالمدائن وفخامة ملوك الروم بالقسطنطينية في اللباس والطعام والأواني وجميع أنواع الترف . وجلبت الخيضان من بلاد الروم وأدخلت في دمشق المغنون والمغنيات علناً في أيام الوليد بن يزيد (١٢٥ - ١٢٦ هـ) حسبما شرحته فيما تقدم ، وأظهر شرب الخمر وفُسدت الأخلاق ودبت في عرب المدن الخلاعة فبتقلب الأخلاق والعوائد والأهواء تقلبت أفانين الشعر فعمت الشام الأشعار في الخمر والغزل .

ورئيس هؤلاء الشعراء الذين ذهبوا بدمشق المذهب الجديد الوليد بن

(١) انظر الأبيات المروية له سابقاً ص ٢٩١ .

(٢) كتاب الحماسة لأبي تمام ص ٥٦٧ من طبة بن أوج ٣ ص ١٤١ - ١٤٢ من طبة بولاق .

(٣) كتاب الأغاني ج ١ ص ١٤٨ من طبة بولاق .

يزيد<sup>(١)</sup> الذي وصفه صاحب الأغاني قائلاً<sup>(٢)</sup> : « وكان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكروه الناس فقتل وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره ومن الناس من ينسب ذلك عنه ويُنكره ويقول إنه نحله وألصق إليه والأغلب الأشهر غير ذلك » . وقال بعض الرواة إن الذي أضله مودبه عبد الصمد بن عبد الأعلى وهو كان فيما يقال زنديقاً فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه<sup>(٣)</sup> . فلو جمعنا ما يُعزى إلى الوليد من الأشعار وما يُروى في حقه من الأخبار وما يُنسب إليه من الكلام الكثير الوقاحة والدنائة لاستغربناه كل الاستغراب وتعجبنا منه بثقله منصب الإمامة ولو مدة يسيرة . كيف لا إذ هو القائل على ما نطلع عليه في بعض الكتب<sup>(٤)</sup> :

أنا الإمام الوليدُ مفتخرًا      أجُرُّ بُرْدِي وأسمعُ الغزلا  
أشحبُ ذبلي إلى منازلها      ولا أبالي من لأم أو عدلا  
ما العيش إلا سماعٌ مُحسِنٌ      وقهوةٌ تتركُ الفتي ثميلا  
لا أرتجى الحورَ في الخلود وهل      يأمل حورَ الجنان من عقلا  
إذا حَبَّتْكَ الوصالُ غانيةً      فجازها بذلها كمن وصل

(١) وهو المذكور في كتاب الأغاني ج ٦ ص ١٠١ - ١٤١ و ج ٨ ص ١٦١ - ١٦٢ من طبعة بولاق وكتاب العقد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧١ من طبعة مصر ١٣٠٥ وفي باب الحادي بعد المائة من مروج الذهب للمسعودي ج ٦ ص ٥ - ١١ من طبعة باريس ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري ص ١٤٥ - ١٤٦ من طبعة مصر ١٣٢١ [١٣٢٥ -] ويرى له بيتان في الهجاءات بالغدير والشر مثلاً مثل « في حاسة البحرى ص ٢٣٧ من طبعة ليدن أو ص ١٦١ عدد ٨٥٤ من طبعة بيروت [وراجع F. GABRIELI, *al-Walid ibn Yazid, il califfo e il poeta* (Rivista degli Studi Orientali, XV, 1934, PP. 1-64) ] .

(٢) كتاب الأغاني ج ٦ ص ١٠١ من طبعة بولاق .

(٣) كتاب الأغاني ج ٢ ص ٧٨ .

(٤) رسالة الغفران ص ١٤٦ من طبعة مصر ١٣٢١ - ١٣٢٥ .



ويقال إنه لما أحيط به دخل القصر وأغلق بابه وقال<sup>(١)</sup> :

دَعُوا لِي هِنْدًا وَالرَّيَّابَ وَفَرْتَنِي وَمُسَيْعَةً حَسْبِي بِذَلِكَ مَا لَا  
خُدُوا مُلْكِكُمْ لَا ثَبَتَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ فَلَيْسَ يُسَاوِي بَعْدَ ذَلِكَ عِقَالًا  
وَنُحْلُوا سَبِيلِي قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَى وَلَا تَحْصُدُونِي أَنْ أَمُوتَ هُزَالًا

غير أن الحكم المُنصف في الوليد بن يزيد صعب علينا إذا تأملنا مصادر أخباره وأخبار أكثر الأمويين . فقدت التصانيف التاريخية القديمة فمعظم ما نعرفه من سير بني أمية منقول من مؤلفات أعدائهم سواء من أهل الشيعة أم من المنقطعين إلى الدولة العباسية . فأهل الشيعة أفرطوا في تسويد معاوية ويزيد لما جرى بينهما وبين علي بن أبي طالب وآله . أما المنصبون ببني العباس فاجتهدوا في تسويد ذكر الآخرين من خلفاء بني أمية لما وقع من العداوة بينهم وبين بني هاشم . ثم تفكروا في أمر آخر تقدم التلميح إليه فيما سبق وهو أن الدولة الأموية كانت دولة عربية محضة فأبغضها المسلمون من غير العرب وأسرعوا في قبول روايات الحاقدين على بني أمية بدون إجراء النقد فيها لميل الناس إلى تصديق ما يوافق أهوائهم ؛ فنتيجة كل ذلك أن المؤرخين المتأخرين مثل ابن الأثير وأبي الفداء اغتروا وضلوا أي ضلّال في بعض ما رووه من أخبار الأمويين . ومن الجدير بالاعتبار ما ذهب إليه بعض الناس منذ أواخر القرن الأول من وضع الأحاديث بُغْضاً لبني أمية وأمرائهم فعزوا مثلاً إلى النبي القول بأن سيقوم في بني ثقيف كذاب ومبير فلأنهم فسروا هذا الحديث قائلين بأن الكاذب مختار بن أبي عبيد والمبير المحتجج

(١) رسالة النفران ص ١٤٦ وراجع العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٣١٦ من طبعة

مصر ١٣٠٥ وفيه تنسب الأبيات إلى يزيد بن الوليد .

ابن يوسف<sup>(١)</sup> . وفي حديث آخر مختلف كالسابق يُظهر النبي وهو مُشْرِف على الموت كراهته لثلاث من قبائل العرب أى بنى ثقيف وبنى حنيفة وبنى أمية<sup>(٢)</sup> . وكذلك نُسِبَ إلى النبي أَنَّهُ لَقِيَ رجلاً قد سَمَّى ابنه الوليد فقال له : أَنْتُمْ تَسْمُونَ أولادكم بِأَسْمَاءِ قُرَاعِنَتِكُمْ إِنَّهُ سَيَقُومُ رَجُلٌ اسْمُهُ الْوَلِيدُ يَضُرُّ أُمَّتِي أَكْثَرَ مِمَّا ضَرَّ فِرْعَوْنُ شَعْبَهُ<sup>(٣)</sup> . فلو راجعتم الأحاديث الموضوعة من باب الفتن والملاحم والمهلى<sup>(٤)</sup> عذرتكم على مثل ذلك مما زُوِّرَ لتسويد أعراض الأمويين أو غيرهم من أصحاب الأحزاب السياسية . وفي وضع الأحاديث هذا لمثل هذه الأغراض في القرن الثاني والثالث دلالة على التقلُّب العظيم الذى حدث في ذلك العصر في هيئة المسلمين الاجتماعية . إِنَّ العرب الصميم إلى أواخر الدولة الأموية إذا أرادوا تشنيع أخصائهم وَشَتَمَهُمْ إِنَّمَا اسْتَعْمَلُوا الْأَشْعَارَ كما سبق بيان ذلك بالتفصيل عند الكلام على الصنف الخامس والسادس من الشعر لأن الشعر فقط كان عند العرب منذ الزمان القديم ديوانَ مفاخرهم ومثالبهم . أما الشعوب الإسلامية غير العربية فما اتخذوا الشعر كسلاح في تخاصم الأحزاب والفرق والملل والتجسُّوا إلى المصنِّفات المنثورة على كثرة أنواعها . ومنها الأحاديث الموضوعة . فمن يرد البحث العميق في تاريخ الأمم الإسلامية فلا بد له من الاطِّلاع على تلك الأحاديث المختلفة المزورة لأنها في الحقيقة بخزانة آراء الفِرَق وأغراض الأحزاب التى كثيراً لا تتضح من الكتب المؤلفة في العلوم التاريخية فتشبه منزلتها بمنزلة الأشعار السياسية إلى منتصف القرن الثاني.

(١) رواه Goldziher في كتابه *Muhammedanische Studien* ج ١ ص ١٠٠ عن صحيح مسلم وصباح السلة البغوى وابن بدران .

(٢) راجع الموضع المذكور من كتاب Goldziher ومن الممكن أن بنى حنيفة لم يذكروا في هذا الحديث إلا لكون نافع بن الأزرق رئيس الأزارقة منهم .

(٣) راجع Goldziher, *Muhammedanische Studien*, II, 109-110

(٤) انظر مثلاً القزلى وأبا داود وراجع Goldziher, *Muhammedanische Studien*, II, P. 127

وبعد هذا الاستطراد أرجع إلى سياق الكلام فأقول إن الوليد برىء على المحتمل من أقبح ما يروى عنه من الأخبار والأشعار . ولكن ولو سلمنا ورود التزوير فيها والافتراء في حقه فلا ريب أنه غمادى في الشرب واللذات وأفرط وأن كثيراً مما يُروى من غزلياته وخمرياته صحيح الرواية موثق به . ولعل غرامه سماع أشعار القدماء الذين عاشوا في مملكة الحيرة لا سيما عدى ابن زيد العبادى أثر في أسلوب شعره تأثيراً عظيماً كما رأينا أنه أثر في شعر الحضر من العراقيين أثناء القرن الأول والثاني للهجرة . فواضح أن منظومات شعراء الكوفة وشعراء دمشق في أواخر الدولة الأموية كانت كواسطة بين خمريات الجاهلية وخمريات البغداديين في أيام بنى العباس .

٨- فعلينا الآن أن ننقل إلى الصنف الثامن من الشعر في أيام بنى أمية وهو الذى سمّيته الشعر القصصى اليمى .

لما تكلمت عن شعر النصارى في زمن الجاهلية أومأت إلى ما جاء به عدى بن زيد العبادى في بعض قصائده من ذكر حوادث الملوك والأمم السالفة ليكون ذلك الذكر عبرة للمعتبرين، وبرهاناً على زوال الأرضيات بأسرها وعدم بقاء هذه الدار على أحد، ونصيحة لأولى الألياب لئلا يغروا بطيب العيش وأتبه المُلْك . ومن هذا الباب أيضاً قصيدة حاثية مشهورة منسوبة إلى نصراني آخر من أيام الجاهلية أعنى قس بن ساعدة الإيادى يذكّر فيها بعض من هلك من ملوك حمير الكبار ليتفكّر الإنسان في فناء جميع ما ربّما يبغيه وينافس فيه من السودد والمال واللذات<sup>(١)</sup> .

ومن المشهور أنّ بعض المتأخرين سلكوا هذا المسلك من الزهديات لنظم

(١) راجع مثلاً شعراء النصرانية ص ٢١٧ - ٢١٨ وأيضاً VON KREMER, *Altarabische*

*Gedichte*, Leipzig 1867, no. 12, p. 16-17.

ما يُشبه مختصر تاريخ الدول منهم عبد المجيد بن عبدون المتوفى سنة ٥٢٩ هـ ناظم القصيدة الطويلة المسماة بالبشامة ألّفها عند انقراض دولة بني الأَفْطَس بمدينة يابرة بيد المرابطين سنة ٤٨٥ هـ فلمَح فيها إلى أحوال جميع دول الأندلس منذ الفتح الإسلامي فبادرت العلماء إلى شرحها بشروح مطوّلة أصبحت كتباً تاريخية لا غير<sup>(١)</sup>. ومن أولئك الشعراء أيضاً الذين اتخذوا الزهديات سبيلاً إلى وصف حوادث الدول تشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ هـ صاحب القصيدة الحميرية<sup>(٢)</sup> المشتملة على ١٣٥ بيتاً فعلى صفة سؤال أين فلان ذكر فيها مآثر جميع ملوك حمير . وهي قصيدة حائية مثل القصيدة المنسوبة إلى قُتُس بن ساعدة وأولها :

الْأَمْرُ جِدٌّ وَهُوَ غَيْرُ مُزَاحٍ فَأَعْمَلْ لِنَفْسِكَ صَالِحاً يَا صَاحِرِ  
كَيْفَ الْبَقَاءِ مَعَ اخْتِلَافِ طَبَائِعِ وَكَرَّرْ لَيْلٍ دَائِمٍ وَصَبَاحِ  
وبعد المطلع المحتوى على تسعة أبيات في الزهد يبتدئ الشاعر يقول :

أَفَايِنَ هُوْدٌ ذُو النُّقَى وَوَصِيَّةٍ قَحْطَانُ زَرْعُ نُبُوَّةٍ وَصِلَاحِ  
أَمْ أَيْنَ يَعْزُبُ وَهُوَ أَوَّلُ مُعَرَّبٍ فِي النَّاسِ أَبْدَى النُّطْقِ بِالْإِفْصَاحِ  
ثم ألّف تشوان شرحاً مطوّلاً على قصيدته ليفصل بيان الأخبار الملمّح إليها في النظم وأدرج في الشرح جملة من أشعار منسوبة إلى أهل حمير القدماء وملوكهم فتعزى أبيات إلى الحارث الرائش أول التبابعة على رأى أصحاب الكتب في السّير والتواريخ من العرب وتعزى أبيات أخرى إلى أسعد تبع والتبع الأكبر الرائد وأسعد كامل وغيرهم فضلاً عما يُنسب إلى الشعراء

(١) فليراجع مثلاً شرح ابن بدرون المطبوع بليدن سنة ١٨٤٨ [ويعبر سنة ١٢٤٠] .

(٢) احتضن المشرق A. von Kremer ينشر من القصيدة ونقلها إلى اللغة الألمانية

(A. VON KREMER, Die himjarische Kasideh, Leipzig 1863).

غير الملوك ومدار الأشعار على مآثر أهل حِمَيْر ومفاخرهم وقصورهم المشيدة ومبانيهم العظيمة وما فتحوا من البلاد في أقاصى الأرض مثل فارس والهند والصين من جهة الشرق وطنجة وكانَنَبُو من جهة الغرب وبلاد السودان . فمثال هذا الشعر ما يُنسب إلى التَّبَع الأكبر<sup>(١)</sup> (من بحر الطويل) :

أنا تبع الأملاك من نسل حمير      ملكنا عباد الله في الزمن الخالى  
ملكناهم قهراً وسارت خيولنا      إلى الهند والأنبار ترى بأبطال  
وكل عباد الله قد وطئت لنا      خيولا لعمري غير نكس وأعزال  
فجالت لدى شرق البلاد وغربها      لهتك ستور (فتية) ذات أحجال  
وعُظِّل منها كل حصن منع      وفُقل منها ما حَوَتْهُ من المال  
وتلك (تروع) الأرض منها وطاءها      إلى الصين والأتراك حالا على حال  
فأبنا جميعاً في السبايا وكلنا      على كل محبوبك من الخيل صهال  
بكل فتاة لم ترَ الشمس وجهها      أسيلة مجرى الدمع بيضاء مكسال  
صموت اليرى غرئى الوشاح كأنها      من الحسن بلر زال عن غيم هطال

وبعض أبيات التباينة المروية في شرح نشوان قد جاءت أيضاً في كتاب المعارف لابن قُتَيْبَة<sup>(٢)</sup> المتوفى سنة ٢٧٦ من دون ذكر المصادر التى نُقِلَتْ عنها وقليل منها وَاِرد أيضاً في كتب غيره . - ومن المشهور القصيدة الطريفة لَعَلْقَمَة ذى جَدَن الحِمَيْرِ<sup>(٣)</sup> الشاعر الذى وصف فيها ما ذاق من اللذات

(١) طبع المَن في A. VON KREMER, *Altarabische Gedichte*, No. 19, P. 17-18 والنقل في

VON KREMER, *Uebers. die sudarabische Sage*, Leipzig, 1866, p. 75-76.

(٢) كتاب المعارف ص ٣٠٤ - ٣١٦ من طبعة غوتنجن ١٨٥٠ أو ص ٣٠٩ - ٣١٤

من طبعة مصر ١٣٠٠ .

(٣) تروى له قصيدة أخرى في جمهرة أشعار العرب في باب أصحاب المرائى ص ١٣٧ - ١٣٨ من طبعة بولاق ١٣٠٨ وفي ثيل الأرب في قصائد العرب ص ٧٠ - ٧١ من طبعة مصر ١٨٩٥ وطامسة وضرون بيتاً وقيل في جمهرة أشعار العرب إن اسمه حلقة وقيل في كتاب الأغانى (ج ٤ ص ٣٧ - ٣٨ من طبعة بولاق) إنه علس . أما ذو جدن فهو قوم شريف في اليمن فراجع HARTMANN, *Die arabische Sage*, Leipzig 1909, P. 324-325.

سابقاً وما كان لقصر عُمدان من الفخامة قبل كَرِّ الدهور عليه وذكَرَ هلاك  
ذى نواس آخر ملوك حِمَيْر وهي قصيدة تُروى في سيرة الرسول لابن هشام<sup>(١)</sup>  
وتاريخ الطبرى<sup>(٢)</sup> وغيرهما . ويرى لذى رُغَيْن الحميرى الشاعر أبيات  
مشهورة متعلّقة بأحوال اليمن القديمة<sup>(٣)</sup> :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي يَوْماً بِدَهْرٍ قَلِيلاً مَا يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ  
أَبَيْنَا الْغَدْرَ إِذْ رَغِبْتُ إِلَيْهِ مَقَاوِلُنَا فَأَمْسَوْا رَهْنَ حَيْنٍ  
فَإِنَّ نَكَ حِمَيْرٌ غَدَرْتُ وَخَانَتْ فَمَعْدِرُهُ الْإِلَهَ الَّذِي رُغَيْنَ

وجميع هذه الأبيات والقصائد المتصلة بأخبار اليمن ومفاخرها في زمان  
الجاهلية المتداولة في القرن الأوّل للهجرة حسباً نبينه عن قريب هي ما  
سمّيته الشعر القصصى اليمنى مستنداً في اختيار لفظ. الْقَصَصِىّ إلى اصطلاح  
أَكْثَرِ العرب في القرون الوسطى . وهذا يستلزم شرحاً قصيراً على سبيل  
استطراد .

لَمَّا نُقِلَتْ كُتُبُ أَرِسْطُوطَالِيسَ فِي صِنَاعَةِ الشَّعْرِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ اشْتَدَّ تَعَجُّرُ  
الْمُتَرْجِمِينَ فِي تَعْرِيبِ الْمَوْضُوعِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ لِعَدَمِ مُوَافَقَةِ أَنْوَاعِ الشَّعْرِ عِنْدَ  
الْيُونَانِ لِأَنْوَاعِهِ عِنْدَ الْعَرَبِ . وَمِنَ الْأَنْوَاعِ الْمَجْهُولَةِ عِنْدَ النَّاطِقِينَ بِالضَّادِ الْمُسَمَّى  
بِالْيُونَانِيَّةِ epiké وهو لفظ . معناه الْأَصْلَى قَصَصِىّ (مِنْ قَصَصِ الْقِصَصِ) غَيْرِ  
أَنَّ الْيُونَانَ إِصْطَلَحُوا بِهِ عَلَى جَنْسٍ مِنَ الشَّعْرِ لَيْسَ لَهُ مُقَابِلٌ فِي الْأَدَابِ  
الْعَرَبِيَّةِ . فَلَمَّا قَامَ ابْنُ رَشْدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ بِتَلْخِيصِ كِتَابِ أَرِسْطُوطَالِيسَ فِي صِنَاعَةِ  
الشَّعْرِ اسْتَعْمَلَ لَفْظَ الْقَصَصِىّ وَبَيَّنَّهَ بَيَاناً يُظْهِرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُحِيطُ . بِذَلِكَ

(١) سيرة الرسول ص ٣٦ - ٣٧ من طبعة غوتنجن ١٨٥٨ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ١ ص ٩٢٨ - ٩٢٩ من طبعة ليدن .

(٣) تروى الأبيات في سيرة الرسول لابن هشام ص ١٨ من طبعة غوتنجن وكتاب الماروف

لابن قتيبة ص ٣٠٩ من طبعة غوتنجن و A. VON KREMER, *Altarabische Gedichte*, p. 13, No. 49

النوع من الشعر اليوناني علماً يقيناً ولا رصنه معرفة فقال <sup>(١)</sup> : والأشعار القصصية سبيلها في الأجزاء التي هي المبدأ والوسط. والنهاية سبيل أجزاء صناعة المديح وكذلك في المحاكاة إلا أن المحاكاة لا تكون للأفعال فيها وإنما تكون للأزمنة الواقعة فيها تلك الأفعال وذلك أنه إنما يحاكي في هذه كيف كانت أحوال المتقدم مع أحوال المتأخر وكيف تُنقل الدول والممالك والأيام . ومحاكاة هذا النوع من الوجود قليل في لسان العرب وهو كثير في الكتب الشرعية . وذكر مجيدين في هذا الصنف من شعراهم وأثنى ثناء عاماً على أوميرش . ومن جيد ما في هذا المعنى للعرب قول الأسود ابن يعفر :

ماذا أوئلُ بعد آل مُحَرَّق تركوا منازلهم وبعد إِيَاد  
أَرْضِ الْخَوَرَنَقِ وَالسَّلِيرِ وَبَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ  
نَزَلُوا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفَرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ  
جَزَتْ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ  
فَأَرَى النَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهِي بِهِ يَوْمًا بِصِيرٍ إِلَى بَيْلَى وَنَفَادِ <sup>(٢)</sup>

فيتضح من هذا النص أن ابن رشد لعدم دواية له بشيء من الآداب اليونانية لم يتوصل إلى فهم كلام أرسطوطاليس وزعم أن الأشعار القصصية هي الأشعار المتوسطة بين الزهد وتاريخ الأمم على منوال ما أشرت إليه من قصائد

(١) تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر لأبي الوليد بن رشد ص ٤٠ - ٤١ من طبعة فريضة سنة ١٨٧٢ وكتاب علم الأدب : مقالات مشاهير العرب لشيخو ج ٢ ص ٢٩٤ من طبعة بيروت ١٨٨٩ . [راجع أيضاً F. GABRIELI, *Estetica e Poesia araba nell' interpretazione della poetica Aristotelica ... (Rivista degli Studi Orientali, XII, 1929-1930), p. 324 n.2, PP. 322-324]*

(٢) الأبيات مروية في شعراء النصرانية ص ٤٨١ وكتاب الأغاني ج ١١ ص ١٣٤ - ١٣٥ من طبعة بولاق وكتاب صفة جزيرة العرب لهماذاني ص ١٧١ و ٢٣١ من طبعة لندن ١٨٨٤ وبعين البلدان ليهوت ج ١ ص ٣٩١ و ج ٢ ص ١٦٥ من طبعة ليلسك .

عدى بن زيد وقس بن ساعدة . - وفي كتاب حديث وهو «تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوكو» تأليف المقدسي<sup>(١)</sup> سمى ذلك النوع من شعر اليونان بالشعر الحماسي وهو تعريب بعيد جداً يدل على قلة المعرفة بآداب الغرب . فقال المؤلف إن ذلك الشعر «رواية الوقائع العجيبة التي يقوم بها الشجعان» وإن «موضوعه الوقائع الملققة المشتملة على غرائب الشجاعة وتوادر الفروسية» ثم إن الشعر العربي «يوجد فيه» أيضاً من الشعر الحماسي وهو الذي روى فيه أخبار الحروب وأطيب بشجاعة الشجعان» وبعد ذكر أسماء الأناشيد الشهيرة من ذلك النوع من الشعر عند أمم مختلفة أضاف إليها «كتب الحماسة للعرب وأشهرها كتاب الحماسة لأبي تمام» . فالواضح أن المقدسي اغتر في وصفه هذا بنفس الاصطلاح الذي اختاره لتعريف ذلك الشعر .

إن الشعر القصصي المراد في كتب أرسطوطاليس الموجود عند اليونان والرومان والهند والفرس والأمم الإفرنجية عبارة عن أناشيد طويلة جداً مشتملة على ألوف أبيات لم يصنفها الشاعر للتعبير عما في صدره من العواطف والشعائر أو عما رآه وعاینه وحضره من الأفعال والبلاد والحوادث والرجال كما هي العادة في أشعار العرب التي لا تلمح إلى آثار السلف إلا على سبيل الافتخار أو الهجاء أو الاعتبار الزهدي، بل نسجها الشاعر القصصي متكلماً عن لسان أمة بأسرها راوياً ما حدث لكلها من الحوادث العظمى في عصر من العصور القديمة أو ما اتفق لرجل من الأكابر أنخذ كالبطل الممثل لجلالة جميع الأمة وعمرانها فكانت الأنشودة القصصية عند القدماء مرآة أخلاق الأمة وأميالها ومستودع مآثرها وخلاصة مفاخرها المتوارث ذكرها جيلاً عن جيل،

(١) طبع في مصر سنة ١٩٠٩ انظر ص ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ .



وهي آثار نظمها الشاعر بعد مدة طويلة وزينها وحلّاهما بسحر البيان وجعلها مُتَّصِلَةً بعضها ببعض وفيها الروايات الغرامية وحكايات شتى ليس لها صلة ضرورية بالحروب والحماسة وفيها ذكر الحوادث العجيبة لتدخل الآلهة والجنّ والشياطين وغيرهم مما كانت تلك الأمم تعتقد وجوده والغرض من تلك الأناشيد حفظ آثار الأمة المجيدة القديمة وتحريك النفس لقبول الفضائل والحث على الشجاعة وأنواع الكرم. فيسهل عليكم تصوّر ماهية تلك الأناشيد إذا أطلعتم على الوحيدة منها التي نُقلت إلى العربية أعني إبادة هميرس ترجمها حديثاً سليمان البستاني بما له من طول الباع في اللغتين اليونانية والعربية وبما له من الحظ. الوافر في صناعة القريض<sup>(١)</sup>.

فلنرجع إلى ما كنا فيه من الكلام . قد رأيتم أن الأشعار المشار إليها المتعلقة بأخبار اليمن توافق تعريف ابن رشد للشعر القصصي توافقاً تاماً فحملني هذا الوفاق على انتخاب هذا الاصطلاح . فيبقى علينا أن نوضح ما أصل هذه الأشعار الحقيقية وما غرضها .

إن عدم الموافقة بين أخبار الأشعار المنسوبة إلى التبابعة وبين أخبار الكتابات الحميرية الحقيقية أدل دليل على أن الأشعار مختلفة . ولكن ولو لم نكتشف في السنين الأخيرة تلك الكتابات أو لم نتوصل إلى قراءتها وتفسيرها لكان تزوير الأشعار واضحاً من نفسه إذ من المعلوم أن قدماء اليمن لم يعرفوا العربية وإنما استعملوا السبئية أو الحميرية فليست رواية أبيات التبابعة أصح من رواية الأبيات العربية التي تعزى في بعض الكتب إلى سيدنا آدم . — هذا من أمر أشعار الملوك ومعاصريها .

(١) ولم يفت نقصان هذا النوع من الشعر ضياء الدين بن الأثير الجزري فليراجع ما قاله في آخر كتاب المثل السائر من ٥٠٣ من طبعة يولان ١٢٨٢ أو ص ٣٢٤ من طبعة مصر ١٣١٢ .

أما الأشعار المنسوبة إلى علقمة ذى جَدَن وإلى ذى رُعَيْن المتأخرة عن موت ذى نواس فيلوح من بعض عباراتها أنَّ أصحابها مسلمون . فليس من المُحال أنَّ علقمة ذا جَدَن وذا رُعَيْن شاعران عاشا في أوائل الإسلام . غير أنَّ وجودهما لا يخلو من ريب فيه كما يتضح مما يتلو من كَلَامِي .

يُستنتج من مقابلة الأشعار المتفرقة في كتب ابن قتيبة وابن هشام والطبري وغيرهم على روايتها الوسى في شرح نشوان بن سعيد على قصيدته أن المصدر الأصلي لجميعها إنما هو كتاب الملوك وأخبار الماضين<sup>(١)</sup> لعبيد ابن شَرِيَّة الجُرْمِي الذي أدرك خلافة عبد الملك بن مروان  $(\frac{60}{67} - \frac{86}{79})$  وكان من اليمنيين الذين وفدوا على معاوية بن أبي سفيان . وقيل إنه جمع أخبار اليمن من ألسنة أهل صنعاء ومن قدرته على اختلاق الأخبار مثال في كتاب ابن خلكان في ترجمة الشريف الرضي<sup>(٢)</sup> . وتعرفون أيضاً أن القصص من اليمن كثيرون في القرن الأول ومن أشهرهم وهب بن منبه (المتوفى سنة ١١٠ أو ١١٤) صاحب الإسرائيليات وغيرها من الكتب التي هي أقرب إلى الخرافات منها إلى التواريخ الحقيقية . ومن الزورين المعاصرين لعبيد بن شَرِيَّة يزيد بن مفرغ الحميري المتوفى سنة ٦٩ الذي سبق ذكره في شعراء الصنف السادس قيل في حقه في كتاب الأغاني<sup>(٣)</sup> : وقال [أبو العيناء] : سئل الأصمعي عن شعر نُبُع وقصته ومن وضعها فقال

(١) [راجع ما قاله في هذا الكتاب وعنوانه الصحيح C. Brockelmann في *Geschichte der arabischen Literatur*, Erster Supplementband, P.100]

(٢) واسمه عبيد بضم العين وفتح الباء وبعدها الياء مسكنة راجع حواشي Goldziher ص ٢٩-٣٠ من كتاب المعمرين للسجستاني عدد ٣٩ من طبعة ليدن ١٨٩٩ وراجع أيضاً VON KREMER, *Sudarabische Sage*, P.47-49.

(٣) عدد ٦٧٨ من طبعة غوتنبج أو ٦٣٩ من الطبقات المصرية .

(٤) كتاب الأغاني ج ١٧ ص ٥٢ .

ابن مفرغ وذلك أن يزيد بن معاوية لما سيّره إلى الشام وتخلّصه من عبّاد ابن زياد أنزله الجزيرة وكان مقيماً برأس عين وزعم أنه من حمير ووضع سيرة تبع وأشعاره .

أما أسباب الاختلاق فظاهرة وهي ميل الناس إلى الأخبار العجيبة وما رجا الرواة من المكسب بها وحبّ كلّ شعب للافتخار بأجداده ولاسيّما ما وقع من التخاصم والمنافرة بين عرب عدنان وعرب قحطان في القرن الأول للهجرة . وغرض بعض الذين وضعوا تلك الأشعار في أخبار ملوك حمير افتخار اليمنيين وحطّ عرب نزار الذين لم يكن لهم مآثر تقابل مآثر أهل اليمن في قديم الزمان . وهي الطريق التي سلكها سائر الأمم الإسلامية في مثل ذلك كما شرحته في دروس السنة الفاتنة<sup>(١)</sup> لما تكلمت عما اختلق ابن وحشية (أو بالحرى أبو طالب الزيات) من الكتب المنسوبة إلى النبي . وهي أيضاً منهج المصريين عند تزويرهم أخبار الفراعنة وتلدوينها في الكتب وهو أيضاً الداعي الذي حمل الشعارين الفارسيين دقيق وفردوسي إلى تأليف الأنشودة العظيمة المسماة بشاهنامه . غير أن الفرس قد حفظوا كثيراً من كتبهم القديمة باللغة البهلوية في السير والتواريخ فما اضطرّوا إلى تلفيق ما وصل إليهم من الأخبار .

ومن الجدير بالذكر أن المزورين اليمنيين لثلاً يظهروا غرضهم بل لئنال أشعارهم القبول عند الخلفاء وسائر العرب وضعوا أحياناً للحارث الراشع أول التبابعة تنبئ مجيء النبي بعد قرون<sup>(٢)</sup> ورووا أن أسعد كاملاً كان مؤمناً وآمن بالنبي (صلعم) قبل مبعثه بسبعمائة سنة وقال :

(١) [راجع علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى لكرلو نلينو ص ٢٠٨ - ٢١٠] .

(٢) كتاب مروج الذهب للمسعودي في الباب السادس ج ١ ص ١٣٣ من طبعه باريس .

شهدتُ على أحمد أنه رسول من الله باري النسم  
 فلو مدُّ عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم<sup>(١)</sup> «  
 فستروا غشهم بإظهار التقى<sup>(٢)</sup> .

٩ - وعلينا الآن أن نتكلم عن النوع التاسع الأخير وهو المراثية وإننا نجد في معظم شعر الشعراء المتقدم ذكرهم شيئاً من المراثي ولكن هذا النوع نفسه إنما خصت به النساء فإنهن لم يأخذن يقلن الشعر في غير هذا الجنس إلا في عصر بني العباس وما يعجبنا عند قراءة مراثي العصر الأموي مشابهتها لمراثي الجاهلية ولذلك أسباب شتى منها قلة التنوع الشعري والإلهام الشعري عند العرب القدماء وعادتهم أن ينسجوا على منوال الأولين وأخيراً اختصاص النساء بهذا النوع وهن محافظات لسنة السلف دون غيرهن .

(١) يشير إلى ذلك von Kremer في كتابه *Ueber die sudarabische Sage*, P. 63

(٢) انتهت هنا النسخة العربية من هذه الدروس فنقلت السطور التالية من المسودة التي كتبها أبي بالغة الإيطالية .

## فهرست الأعلام

- ابن أبي عبيدة ٢٤٦  
ابن سريج (مغن) ١٢٣  
ابن سيجان ١٢٩  
ابن عبدون ٣٠٦  
ابن محرز (مغن) ١٢٣  
ابن المعتز ٣٩ ، ٢١٥  
ابن مفرغ ٢٥٩ : ٣١٣  
ابن ميادة ٢٨٣  
أبو تمام ٥٨  
أبو خراش خويلد بن مرة الهذلي ١١١  
أبو دهيل الجمحي ١٢٢  
أبو دؤاد الإيادي ٨٩  
أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي ١١١  
أبو الزلفاء البصري ٢٤٦  
أبو السائب الخزرجي ١٣٤ - ١٣٥  
أبو سفيان بن حرب ١٠٨ ، ٢٨٥  
أبو صخر الهذلي ١٤٢  
أبو العباس الأعمى ٢٥٨ ، ٢٦٣  
أبو العتاهية ١٤٠  
أبو عطاء أفلح بن يسار السندي ٢٧  
أبو فراس الحمداني ٢١٥  
أبو كلدة بن عبيد اليشكري ٢٨٤  
أبو محسن الثقفي ١٠٩  
أبو النجم العجلي ١٩١  
أبو نخيلة الحماني الرازي ٢١١  
أبو نواس الحسن بن هاني ٢١٥  
أبو الهندي ٢٨٤
- الأحوص المدني الأنصاري ١٣٠  
أحبحة بن الجلاح الأوسي ٢١٤  
الأنخل ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٧ ،  
١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،  
١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ،  
٢٧٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٩  
إسماعيل بن عمار بن عينة ٢٨٠  
إسماعيل بن يسار النسائي ٢٦٥ ،  
٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٩١  
الأسود بن يعفر ٣٠٩  
أعشى بن ربيعة ٢٥٧ ، ٢٧٢  
الأعشى ميمون ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٥  
أعشى همدان ٢٢٣ ، ٢٢٤  
الأغلب بن جشم العجلي ١٨٧ ، ١٨٨  
الأفوه الأودي ٧٩  
الأقشير الأسدي ٢٧٨  
أم الثواب من بني هزان ٢٦  
امرؤ القيس بن حجر ٦٧ ، ٧٤ ،  
٧٥ ، ٨٩ ، ١٨٦  
أمية بن أبي الصلت الثقفي ٩٣ ، ٢٠٨  
أنس بن زعيم الليثي ٢٧٦  
أوس بن حجر التميمي ٨٤ ، ٩٨  
أيمن بن خريم الأسدي ٢٧١ ، ٢٧٩  
البحري ٤١  
البيث المجاشعي ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٩٠  
بكر بن خارجة ٢٧٣  
تأبط شراً القهقي ٧٢

- التبع الأكبر ٣٠٧  
 توبة بن الحمير ١٣٧  
 ثابت قطنة ٢٥٣ ، ٢٥٥  
 جامع بن هـ تحية الكلبي ١٣٣  
 جبير بن أيمن ١٢٩  
 جرويل بن أوس الخطيئة ١٠٩  
 جرير ١٣٥ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٧٩  
 ١٩٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢  
 جزم بن ضرار ١١١  
 جميل بن عبد الله بن معمر العذري ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٩٠  
 جواس بن قطبة ١٤٠  
 جواس بن قعطل ٢٢١  
 حاتم بن عبد الله الطائي ٧٩  
 حاجب بن ذبيان المازني ٢٩١  
 الحارث بن حلزة ٧٤ ، ٧٥  
 الحارث بن خالد العاصي المخزومي ١٢٤  
 الحارث بن الرائش ٣٠٦  
 الحارث بن هشام بن المغيرة ١٠٨  
 حارثة بن بدر الغداني ٢٧٥  
 حسان بن ثابت الأنصاري ٨٧ ، ٨٨  
 ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٢٩  
 الخطيئة انظر: جرويل بن أوس الخطيئة  
 الحكم بن عبد الله الأسدي ٢٨٠ ، ٢٨١  
 حكيم بن عياش الأعور الكلبي ٢٤٦  
 حميد الأرقط ١٩٠  
 حنين بن بلوغ الحميري ٢٧٧  
 خالد بن أبي أيوب ١٢٩  
 الخنساء ٨١  
 دريد بن الصمة الجشمي ٨٠  
 دعلج ٢٤٦
- دكين بن رجاء من بني فقيم ٢١١  
 دكين بن سعيد الداري ٢١١  
 ذو الإصبع العدواني ٨٠  
 ذو الرمة ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٠  
 ٢٧٢  
 ذو رعين الحميري ٣٠٨ ، ٣١٢  
 ذو كنان انظر : عمار بن عمرو  
 الراعي ١٨١ ، ٢٧٢  
 الربيع بن أبي الحقيق ٧١  
 ردي بن عيس التميمي ٢١٤  
 الرماد بن أبرد انظر : ابن ميادة -  
 رؤبة بن العجاج ١٩٤ ، ٢١١  
 زفر بن الحارث العامري ٢٢١  
 الزفيان ٢١٢  
 زهير بن أبي سلمى المنزي ٧٤ ، ٧٧ ، ١٨٧  
 زهير بن جناب الكلبي ٨١  
 زياد بن سلمى الأعجمي ٢٦٣  
 زيد بن عمرو بن نفيل ٩٨  
 سائب خاثر (مغن) ١٢٣ ، ٢٩٦  
 سبحان بن زفر الوائلي ١١٨  
 سبحان وائل ٢٢٢  
 السري بن عبد الرحمن ١٢٩  
 سعيد بن المسيب ١٣٢ ، ١٣٣  
 سلامة بن جندل التيمي ٨٠  
 السموم بن عدياء ٧١  
 سهم بن حنظلة الغنوي ٢٥  
 السيد الحميري ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣  
 سبعة بن غريص ٧١  
 شعبة بن غريص انظر : سبعة بن  
 غريص  
 الشماخ بن ضرار الديلمي ١١٠ ، ١٨٩

العجاج ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،  
 العجير السلولى ١٨٣  
 عدى بن الرقاع ٢٩٨ ، ٣٠١ ،  
 عدى بن زيد العبادى ٨٩ ، ٩١ ،  
 ١٥٤ ، ٢٧٢ ، ٣٠٥  
 العدلى بن الفرخ العجلى ١٨٢  
 العرجى انظر : عبدالله بن عمر العرجى  
 عروة بن أذينة ١٣٣  
 عروة بن حزام العذرى ١٣٨ ، ١٣٩ ،  
 عروة بن الورد ٧٨  
 عطاء بن أبي رباح ١٣٥  
 عقبة بن رؤبة بن العجاج ٢١٢  
 عقيل بن علقمة المرى ١٨٣  
 علقمة ذو جلدن الحميرى ٣٠٧ ، ٣١٢ ،  
 علقمة الفضل ١٨٧  
 على بن أبي طالب ١١٧  
 عمار بن عمرو ذو كنان ٢٧٦  
 العمانى ٢١٣  
 عمر بن أبي ربيعة المخزومى ١٢٤ ،  
 ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ،  
 عمر بن لجأ ١٨٣ ، ١٩٠ ،  
 عمران بن حطان السدوسى ٢٣٥ ،  
 ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،  
 عمران بن حصام العربى ٢٨٩  
 عمرو بن كلثوم ٧٤ ، ٧٥ ، ١١٤ ،  
 عمرو بن معد يكرب الزبيدى ١١١  
 عنزة بن شداد العيسى ٧٤ ، ٧٦ ،  
 ١٢٠ ، ١٨٧  
 عوف بن ذروة ٢١٤  
 عويج الطائى ٢٢٢

الشمردل بن شريك البريوى ١٩٠ ، ٢١٤ ،  
 الشنفرى الأزدي ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،  
 الصلتان العبدى ١٨٣ ، ٢٦٩ ،  
 ضرار بن الخطاب القهري ١٠٨  
 طرفة بن العبد ٢٨ : ٧٤ ، ٨٣ ، ٨٩ ،  
 ١٨٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤  
 الطرماح بن حكيم ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٧٢ ،  
 طريح بن إسماعيل الثقفى ٢٩٢  
 طويس ( مغن ) ١٢٣  
 العباس بن الوليد بن عبد الملك ٢٦٠  
 عبد الله بن أبي معقل بن نبيك بن  
 إساف الأنصارى ١٢٩  
 عبد الله بن الزبيرى ١٠٨  
 عبد الله بن الزبير الأسدى ١٦٤ ،  
 ٢٥٨ ، ٢٧٢  
 عبد الله بن عمر العرجى ١٣١  
 عبد الله بن كراع ٢١٤  
 عبدالله بن مسلم بن جندب الهذلى ١٣٢  
 عبد الله بن همام السلولى ٢٨٨  
 عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمى ١٣٥  
 عبد الرحمن بن حسان بن ثابت  
 الأنصارى ١٥٥ ، ٢٩٨  
 عبد الرحمن بن الحكم ٢٩٥ ، ٢٩٨ ،  
 عبد الصمد بن المعتل ٢١٥  
 عبد الوهاب بن على البغدادى ١٥٣  
 عبيد بن الأبرص الأسدى ٨٢ ، ٨٣ ،  
 عبيد بن شربة الجرهمى ٣١٢  
 عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن  
 مسعود ١٣٢  
 عبيد الله بن قيس الرقيات ٢٥٦  
 عثمان بن الوليد بن عمارة القرشى ١٥٠

عوف القوافى الفزاري ١٨٤  
 الغريض (مغن) ١٢٤  
 القرزدق ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٧٣ ،  
 ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ٢٧٢  
 الفضل بن عبد الصمد الرقاش ٢١٥  
 قس بن ساعدة الإيادي ٩٨ ، ٣٠٥ ،  
 القطاي ١٤٦ ، ٢٢٥  
 قطري بن القجاء ٢٣٥ ، ٢٣٨  
 قيس بن الخطيم الأوسي ٩٢  
 قيس بن ذريح الكنائي ١٣٨  
 قيس المكشوح المرادي ١١٥  
 كثير عزة ١٤٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ،  
 ٢٤٥ ، ٢٧٢  
 كعب الأشقرى ٢٢٥  
 كعب بن جعيل ١٥٥ ، ٢٣٠ ، ٢٩١  
 كعب بن زهير ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٤  
 الكميت بن زيد الأسدي ٢٤٥ ،  
 ٢٥٠ ، ٢٧٢  
 ليبد بن ربيعة العامري ٢٤ ، ٧٤ ،  
 ٧٨ ، ٨٧ ، ١٨٦  
 مالك بن ألى السمع (مغن) ١٢٣  
 مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري ٢٨٠  
 المتلمس ٢٥ ، ٨٤  
 متمم بن نويرة اليربوعي ١٠٨  
 المتوكل بن عبد الله الليثي ١٥٦ ،  
 ٢٨٢ ، ٢٩١  
 مجنون ليلى ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢  
 محارب بن دثار الدهلي ٢٥٢  
 محمد بن عبد الله القنبري ١٣٢  
 محمد بن يسار ٢٦٣  
 مرة بن محكان السعدي ١٨٢

مزرد بن ضرار ١١١  
 مسعود بن كبير الجرمي ٢١٤  
 مسكين اللدري ٢٨٧ ، ٢٨٨  
 معاذ بن جوين بن حصين الخارجي ٢٣٦  
 معاوية بن أبي سفيان ١٤٤ ، ١٦٢ ،  
 ١٦٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،  
 ٢٩٥ ، ٢٩٦  
 معبد (مغن) ١٢٣  
 مقاتل بن مسعود العبدي ٢٧  
 مهلهل ٦٨  
 موسى شهوات ٢٦٣  
 ميسون بنت بحدل ١٤٤ ، ١٤٧  
 ميسون بنت جندل الفزارية ١٤٧  
 النابغة الجعدي ١٤٥  
 النابغة الذبياني ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ،  
 ١٨٧ ، ٢٧٢  
 النابغة الشيباني ٢٦  
 الناشئ الأكبر ٢١٥  
 نشوان بن سعيد الحميري ٣٠٦  
 نصر بن سيار ١٢٦ ، ٢٦٠ ، ٢٢٦١  
 نصيب بن رباح ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٠٠  
 النعمان بن عدى ٢٧٤  
 نهار بن توسعة ٢٧٠  
 هند بنت عتبة ٢٨٦  
 الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ١٢٨  
 الوليد بن عثمان بن عفان ١٢٨  
 الوليد بن يزيد ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥  
 وهب بن منبه ٣١٢  
 يزيد بن معاوية ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦  
 يزيد بن مفرغ انظر : ابن مفرغ  
 يعلى الأحول بن مسلم اليشكري ١٨٣



## فهرست

صفحة	
٥	تقديم
١٥	مقدمة
	الباب الأول :
	١ - لفظ « الأدب » بحث عن معناه الأصلي وما تفرع منه من
٢١	المعاني المتعددة المختلفة
٥٥	٢ - تعريف تاريخ الآداب
٥٧	٣ - كيف ينقسم تاريخ الآداب العربية
٦٥	الباب الثاني : الآداب العربية في العصر الجاهلي
٧٢	١ - شعر أهل البادية
٨١	٢ - شعر الوثنيين الملازمين ملوك الحيرة وغسان
٨٨	٣ - شعر النصارى بالحيرة وفي مملكة غسان
٩٢	٤ - شعر أهل الحضرة في مدن الحجاز
٩٥	٥ - النثر الجاهلي
٩٩	٦ - المسائل المتعلقة بالقرآن
١٠٣	الباب الثالث : الآداب في صدر الإسلام وأيام الخلفاء الراشدين
١٠٤	١ - الشعر في مدح النبي
١٠٨	٢ - شعراء المشركين الحاقدون على النبي
	٣ - الشعراء الذين أسلموا من غير أن يهتّموا في أبيانهم
١٠٨	بأمور دينهم
١١٥	٤ - شعر الفتوحات
١١٦	٥ - الديوان المنسوب إلى علي بن أبي طالب
١١٦	٦ - النثر

صفحة	
١١٩	الباب الرابع : الشعر في عصر بني أمية . . . . .
١٢٠	١ - الغزل في مدن الحجاز . . . . .
١٣٥	٢ - النسيب عند الأعراب . . . . .
١٤٢	٣ - الشعر على أسلوب فحول الجاهلية . . . . .
١٨٥	٤ - الأراجيز . . . . .
٢١٧	٥ - شعر الجنود . . . . .
٢٢٥	٦ - شعر الفتن السياسية والدينية . . . . .
٢٧٠	٧ - شعر أهل الحضر في ميدان العراق والشام . . . . .
٣٠٥	٨ - الشعر القصصي اليميني . . . . .
٣١٤	٩ - المراثي . . . . .
٣١٥	فهرست الأعلام . . . . .

مطابع دار المعارف بمصر  
سنة ١٩٧٠

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية  
تحت رقم ٦٩/٤٤٢٩



## تاريخ الآداب العربية

لقد كان هذا الكتاب بحق سبباً في تكوين أعلام الأدب في عصرنا الحديث ، لقد وجد طلاب الجامعة المصرية القديمة في محاضرات نالينو في الأدب العربي ونارنجده شيئاً لم يألفوه من قبل في الأساتذة أو في كتب الأدب القديمة . .

لقد فتح نالينو الطريق للدراسات جادة وصينة في الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي والشعر الأموي ، كما درس النثر ونصوره جاهلية وإسلاماً ، فهذانا بذلك إلى شعر الفنوح وشعر المشركين وشعر الغزل والشعر السياسي والشعر القصصي الخيالي وغيرهما من طريف الموضوعات .